

دار الكتب والوثائق القومية
الإدارة المركزية للمراكز العلمية المتخصصة
مركز تحقيق التراث

عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان

تأليف
بدر الدين محمود العينى
المتوفى سنة ٨٥٥ هـ/ ١٤٥١ م

(العصر الأيوبى)

الجزء الثالث

٥٩٠ هـ - ٦١٥ هـ/ ١١٩٤ م - ١٢١٨م

تحقيق ودراسة
دكتور/ محمود رزق محمود
جامعة المنيا

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة
(١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م)

عقد الجمان
في تاريخ أهل الزمان

الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية

رئيس مجلس الإدارة
أ. د. محمد صابر عرب

بدر الدين العينى، محمود بن أحمد ، 1361 - 1451.
عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان/ تأليف بدر الدين محمود العينى ؛ تحقيق ودراسة محمود رزق محمود .- القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، الإدارة المركزية للمراكز العلمية، مركز تحقيق التراث ، 2007-
مج 3 ؛ 30 سم.
يشتمل على إرجاعات ببليوجرافية.
المحتويات: جـ 3 . العصر الأيوبى من ٥٩٠ – ٦١٥هـ/ ١١٩٤ – ١٢١٨م .-
تدمك 2 - 0531 - 18 - 977

٩٥٣,٠٧٣٩٣

إخراج وطباعة:
مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٥٦٧٧/٢٠٠٧
I.S.B.N. 977 - 18 - 0531 - 2

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة

لم أكن أنوى القيام بكتابة توطئة لهذا الجزء الذى بين أيدينا وهو الجزء الثالث من هذا السفر الضخم (عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان) للمؤرخ الكبير «بدر الدين محمود العينى» ، وذلك لأننى سبق أن قدمت للكتاب عموماً فى افتتاحية الجزء الأول .

ولكن حدثت أمور تتصل بهذا الجزء تطلبت منى أن أسطر هذه التوطئة ، وذلك لعدة أسباب :

من هذه الأسباب ما يرجع إلى المخطوطات المعتمدة فى هذا التحقيق ، إذ فوجئت بسقوط سنتين من الكتاب هما سنة «٦٠٠هـ وسنة ٦٠١هـ» . وقد أشرت إلى ذلك فى الحاشية المختصة بسنة ٦٠٢هـ . ومن هذه الأسباب كذلك ما حفل به هذا الجزء من أحداث تاريخية بعد وفاة السلطان « الناصر صلاح الدين» ، الذى تقاسم أولاده الملك من بعده ، وكان للعادل أخيه نصيب فى ذلك ، حيث تولى ولاية الكرك والشوبك ، غير أن العادل أخذ يؤلب أبناء صلاح الدين على بعضهم البعض حتى صفا له الجو فانفرد بالسلطة كلها ، ولم يكتف بذلك بل نقل ولاية العهد من أبناء أخيه إلى أبنائه هو ، مما كان له الأثر البعيد على مصير دولة بنى أيوب كلها . لذلك كان لابد لى من الإشارة إلى ذلك .

والسبب الأخير لهذه التوطئة هو أننى يجب أن أُذَكِّر القارىء الكريم أن العينى لم يقسم كتابه إلى أجزاء ، وإنما تناوله من حيث العصور الإسلامية المتعاقبة . وبالنسبة للعصر الأيوبى فقد أخذت على عاتقى تقسيمه إلى أجزاء ، وحاولت أن أوجد توازناً بينها من حيث الحجم ، إلا أننى وجدت نفسى مضطراً إلى أن يكون هذا الجزء أكبر حجماً من

سابقيه ، نظراً لأننا أردنا أن نجمع الأحداث التاريخية كاملة فى عصر السلطان العادل الأيوبى حتى وفاته فى سنة ٦١٥هـ .

ولا يفوتنى فى هذا المقام أن أتقدم بالشكر للزميلات الباحثات الفضليات بلجنة التاريخ بمركز تحقيق التراث اللاتى شاركن معى فى إنجاز هذا الجزء بكل تفان وإخلاص وهن :

د . لبيبة إبراهيم مصطفى محمد   الأستاذة/ نفيسة محمد محمد صميدة

الأستاذة/ نعمات عباس محمد ، التى شاءت ظروفها ألا تكمل معنا هذا العمل .

السيدة/ إيزيس سامح زكى

والله من وراء القصد ، وبه التوفيق والسداد .

المحقق

دكتور/ محمود رزق محمود

الهرم- الأريزونا

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل فيما وقع من الحوادث فى السنة التسعين بعد الخمسمائة(*)

استهلت هذه السنة والخليفة هو الناصر لدين[1] الله العباسى، وصاحب مصر الملك العزيز ابن السلطان صلاح الدين، وصاحب الشام الملك الأفضل بن صلاح الدين، وصاحب حلب الملك الظاهر بن صلاح الدين، والملك العادل أخو صلاح الدين فى الشرق، ووقعت الوحشة بين الأخوين الأفضل والعزيز إلى أن أدت إلى قدوم العزيز إلى دمشق.[2]

ذكر توجه العزيز إلى الشام لأخذها من أخيه الأفضل

وفى شهر جمادى [الأولى][3] قدم العزيز إلى دمشق ليأخذها من أخيه الأفضل، فخيم علي الكسوة[4] يوم السبت سادس جمادى و حاصر البلد فمانعه أخوه، ودافعه، وقطعت الأنهار، ونهبت الثمار، ولم يزل الأمر كذلك حتى قدم الملك العادل عمهما من الشرق فأصلح بين الأخوين ورد الألفة بعد البين، على أن يكون للعزيز البيت المقدس وما جاوز[5] فلسطين من ناحيته أيضًا، وعلى أن تكون جبلة[6] واللاذقية[7] للملك الظاهر صاحب حلب، وأن يكون للعادل إقطاعه الأول ببلاد مصر مضافاً إلى ما بيده من مملكة الكرك[8] والشوبك[9] وبلاد الجزيرة كحران[10] والرها[11] وجعبر[12] وما جاور تلك

(*) يوافق أولها ٢٧ ديسمبر سنة ١١٩٣م.

(١) انظر ما سبق، ج١، ص٢١٣، حاشية ١.

(٢) مفرج الكروب، جـ٣، ص١٤ - ص١٥؛ البداية والنهاية، جـ١٣، ص٨ - ص٩.

(٣) ما بين حاصرتين إضافة من البداية والنهاية، جـ١٣، ص٨.

(٤) الكسوة: انظر ما سبق، جـ١، ص١٠٦، حاشية ٣.

(٥) «جاور» فى الكامل، جـ١٢، ص٤٦؛ نهاية الأرب، جـ ٢٨، ص٤٤٥؛ البداية والنهاية، جـ١٣، ص٩.

(٦) جبلة: انظر ما سبق، جـ١، ص٤٤، حاشية٤.

(٧) اللاذقية: انظر ما سبق، جـ١، ص٤٤، حاشية٤.

(٨) الكرك: انظر ما سبق، جـ١، ص٣٤، حاشية٥.

(٩) الشوبك: قلعة حصينة فى أطراف الشام بين عَمّان وأَيْله والقُلْزُم قرب الكرك. انظر: معجم البلدان، جـ٣، ص٣٣٢.

(١٠) حَرَّان: انظر ما سبق، جـ١، ص٤٤، حاشية ١٠.

(١١) الرها: انظر ما سبق، جـ١، ص٤٤، حاشية٩.

(١٢) قلعة جعبر: انظر ما سبق، جـ١، ص٤٩، حاشية ٣.

النواحى ، فاتفق الحال على ذلك وتزوج الملك العزيز بابنة عمّه الملك العادل ، ومرض ثم عُوفى وهو مخيّم بمرج الصُّفر[١] ، وخرجت الملوك لتهنئته بالعافية والتزويج والصلح ، ثم كَرَّ راجعاً إلى بلاده . وكان الأفضل قد أساء السيرة والتدبير فأبعد أمراء أبيه وخواصه ، وقرب الأجانب ، وأقبل على شرب المسكر واللهو واللعب ، واستحوذ عليه وزيره ضياء الدين بن الأثير الجزرى وهو الذى كان يحدوه على ذلك ، فتلف وأتلفه وزالت النعمة عنهما كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى[٢] .

وفى تاريخ المؤيد[٣] : وفى هذه السنة أعنى سنة تسعين استحكمت الوحشة بين الأخوين العزيز والأفضل ابنى السلطان صلاح الدين ، فسار [العزيز][٤] فى عسكر مصر وحصر أخاه الأفضل بدمشق ، وأرسل الأفضل إلى عمه العادل وأخيه الظاهر وابن عمه المنصور[٥] صاحب حماة ؛ يستنجدهم ، فساروا إلى دمشق وأصلحوا بين الأخوين ، ورجع العزيز إلى مصر ورجع كل ملك إلى بلده ، وأقبل الأفضل بدمشق على الشرب وسماع الأغانى [١٨٧] والأوتار ليله ونهاره ، وأشاع ندماؤه أن عمه العادل حَسَّنَ له ذلك ، وكان يعمله بالخفية . فأنشد العادل :

فلا خير فى اللذات من دونها سِترُ

فقبل وصية عمه وتظاهر بذلك ، وفوض أمر المملكة إلى وزيره ضياء الدين بن الأثير الجزرى يدبرها برأيه الفاسد ، ثم إن الملك الأفضل أظهر التوبة عن ذلك ، وأزال المنكرات ، وواظب على الصلوات ، وشرع فى نسخ مصحف بيده .[٦] وفى تاريخ ابن العميد وفى سنة تسعين : عزم الملك العزيز على أخذ دمشق من أخيه فبلغه الخبر ، فخرج إلى رأس الماء[٧] وخيم به ليقابله ، واستشار أصحابه فاختلفت آراؤهم ، وفارقه

---

(١) مرج الصُّفر : من نواحى دمشق إلى الجنوب الغربى منها . انظر : معجم البلدان ، جـ٤ ، ص٤٨٨ ؛ نهاية الأرب ، جـ٢٨ ، ص٤٤٥ .

(٢) ورد هذا الخبر بتصرف فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٩ ؛ مفرج الكروب ، جـ٣ ، ص١٢-ص١٣ .

(٣) انظر : المختصر فى أخبار البشر ، جـ٣ ، ص٨٨ .

(٤) «العسكر» كذا فى الأصل والمثبت من المختصر ، جـ٣ ، ص٩٠- ص٩١ .

(٥) هو الملك المنصور ناصر الدين أبو المعالى محمد بن تقى الدين عمر الأيوبى صاحب حماة . توفى سنة ٦١٧هـ ، انظر : وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص٤٥٧ .

(٦) المختصر فى أخبار البشر ، جـ٣ ، ص٩٠-ص٩١ .

(٧) رأس الماء : انظر ما سبق ، جـ٢ ، ص٥٦ ، حاشية ٥ .

الأمير صارم الدين قايماز النجمى[١] ، ومضى إلى الملك العزيز فجعله من أكبر أمرائه ، فكاتب الأفضل أخاه الظاهر صاحب حلب ، وسأله الاتفاق والمعاضدة ، فأجابه إلى ذلك وتحالفا عليه ، وكتب إلى عمه العادل يستنجده ويستصرخ به ، وسار العزيز إلى الشام ووصل إلى الفوار[٢] ، وكان أخوه الأفضل نازلاً بها ، فخالطت مقدمته ساقة عساكر دمشق ، فولوا منهزمين ، ودخل الأفضل إلى دمشق ، ونزل العزيز الكسوة لست مضين من جمادى الآخرة ، ثم نزل فى السابع منه على دمشق وحاصرها ، والأفضل يُدافع ويمانع إلى أن وصل العادل وكتب إلى ابن أخيه العزيز يسأله الاجتماع به ، فاجتمعا راكبين بصحراء المِزّة[٣] ، فسأله الإقلاع عن قتال أخيه ، فأجاب إلى ذلك ، ثم تأخر العزيز مرحلة[٤] إلى صوب داريا[٥] والأعوج ، وكان بدمشق عند الأفضل الملك المنصور صاحب حماة ، والملك المجاهد[٦] صاحب حمص ، والملك الأمجد[٧] صاحب بعلبك ، ثم وصل الملك الظاهر صاحب حلب ، ووقع الاتفاق بين الجميع ، ورحل العزيز إلى مرج الصفر وكتب نسخة مضمونها أن يكون كل واحد من الظاهر والأفضل والعادل ببلاده بعساكره آمناً من أن يقصده صاحبه ، وأن يكون الملك المجاهد صاحب حمص ، والملك الأمجد صاحب بعلبك مع الملك الأفضل مُؤازراً له ، وأن الملك المنصور صاحب حماة يكون مع الظاهر صاحب حلب مُؤازِرا له ، وحلف الملك العزيز بهذا وزال الخلاف ، وسكنت الدهماء ، وخطب العزيز ابنة عمه العادل ، فأجابه إلى ذلك وعقد عقد النكاح ، وكان متوليه القاضى محيى الدين بن زكى الدين قاضى القضاة بدمشق ، وحلفت الملوك ، ورجع العزيز إلى مصر فى مستهل شعبان ، ورجع العادل إلى بلاده

---

(١) صارم الدين قايماز بن عبدالله النجمى : من أكبر أمراء الدولة الصلاحية وهو مملوك نجم الدين أيوب بن شاذى والد الملوك ، توفى فى سنة ٥٩٦هـ/ ١١٩٩م . انظر : مفرج الكروب ، جـ٣ ، ص٢٧ ؛ نهاية الأرب ، جـ٢٨ ، ص٤١١ .

(٢) الفوَّار : بالشام من أرض السواد ، انظر : زبدة الحلب ، جـ٣ ، ص١٣٤ ، حاشية٢ ؛ العماد الأصفهانى : خريدة القصر ، قسم شعراء مصر ، جـ١ ، ص٧ ، حاشية ٣ .

(٣) المزة : انظر ما سبق ، جـ١ ، ص٣١٢ ، حاشية ٩ .

(٤) المرحلة : المسافة التى يقطعها المسافر فى نحو يوم . انظر : محيط المحيط ، مادة «رحل» .

(٥) داريا : انظر ما سبق ، جـ١ ، ص٤١ ، حاشية ٣ .

(٦) الملك المجاهد : أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه ومولده فى سنة تسع وستين وخمسمائة وتوفى يوم الثلاثاء تاسع عشر شهر رجب سنة سبع وثلاثين وستمائة بحمص . وفيات الأعيان ، جـ٢ ، ص٤٨٠ .

(٧) الملك الأمجد : انظر ما سبق ، جـ١ ، ص٣٢٧ ، حاشية ٨ .

الشرقية ، وأقبل الأفضل على اللهو والشرب وأعرض عن مصالح الرعية ، والأمور كلها بيد وزيره الجزرى ، وكان الجزرى سيء التدبير ، ناقص الرأى ، رديء السيرة ، ففسدت الأمور بسببه ، وفارق الأفضل عز الدين سامه ، والأمير شمس الدين إبراهيم بن السلار(١) ، ومن الأعيان جمال الدين بن أبى الحصين والقاضى(٢) محيى الدين لما شاهدوا من الأحوال الردية . وعرض الأمير عز الدين سامه وابن السلار وغيرهما على الملك العزيز على أن يحارب أخاه الأفضل ويسير إلى الشام والأفضل غافل عن مصالحه ، مُستهم بلهوه ، فبينما هو كذلك إذ أصبح الأفضل ذات يوم مظهراً للتوبة ، ونادى فى الناس بإراقة الخمور ولازم [١٨٨] الاعتكاف والصلاة والعبادة والصدقات ، ولبس القطن ونهى عن المنكر وأمر بالمعروف وجالس الفقراء(٣) ، وواكلهم وبالغ فى قهر النفس إلى أن صار يصوم النهار ويقوم الليل .

وفى المرآة(٤) : وفيها أى فى سنة تسعين عاد الاختلاف بين العزيز والأفضل ، وقد ذكر العماد القصه فقال : لما كان العزيز نازلاً على الفوار رحل أبو الهيجاء والأسدية عشية الاثنين رابع شوال ، وكانوا أكثر العسكر ، وأخبر العزيز(٥) بهم فما بالى بانصرافهم . وقال : صفونا من أكدارهم ولم يأمر أصحابه باتباعهم ، وبقى فى خواص نفسه تلك الليلة ورحل ، واتفق العادل والأفضل على أن يكون ثلث البلاد للعادل والثلثان للأفضل وهو السلطان ، واستناب الأفضل بدمشق أخاه قطب الدين موسى ، وخاف العزيز من الأسدية الذين بالقاهرة أن يفعلوا كما فعل إخوانهم ويمنعوه من دخولها ، وكان قد استناب بها بهاء الدين قراقوش ثقة بمودته ، فلما وصل إلى القاهرة خرج قراقوش والأسدية إلى لقائه

---

(١) نقل العينى هذه الأحداث بتصرف من مفرج الكروب ، جـ٣ ، ص٢٨-ص٣٤ ؛ السلوك ، جـ١ ، ق١ ، ص١١٦-ص١١٧ .

(٢) القاضى محيى الدين :
أبو المعالى محمد بن أبى الحسن على بن محمد بن يحيى بن على بن عبدالعزيز بن على بن الحسين بن محمد بن عبدالرحمن بن القاسم بن الوليد بن القاسم بن عبدالرحمن بن أبان بن أمير المؤمنين عثمان بن عفان (رضى الله عنه) القرشى ، الملقب محيى الدين المعروف بابن زكى الدين الدمشقى ، الفقيه الشافعى ، ولد سنة خمسين وخمسمائة بدمشق ، وتوفى فى سابع شعبان سنة ثمان وتسعين وخمسمائة بدمشق .
انظر : وفيات الأعيان ، ص٢٢٩-٢٣٦ .

(٣) يقصد بالفقراء هنا المتصوفة .

(٤) مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٨٢-٢٨٣ ؛ نهاية الأرب ، جـ٢٨ ، ص٤٤٧ ؛ الروضتين ، جـ٢ ، ص٢٣٠ .

(٥) «العدو» فى المرآة وهو خطأ ، إذ ذكرها أبو شامة «العزيز» ؛ الروضتين ، جـ٢ ، ص٢٣٠ .

فأكرمهم وأحسن إليهم . وفى تاريخ بيبرس : وفى صفر من سنة تسعين حلف العزيز لعمه العادل على أنه يصافيه ويوادّه ويبقى له ما بيده من الضياع والقلاع بالشام ومصر ، واستشعر ميمون القصرى ، وألبكى الفارسى ، وسنقر الكبير تغيّر الأفضل عليهم لأنهم كانوا انفصلوا عن العادل وعادوا بغير إذنه ، فكتب يشير على الأفضل بأخذ أخبازهم[١] ، فلما أحسوا بذلك تسحبوا إلى مصر ، وركب الجيش فلم يدركوهم ، فأخذوا نساءهم فوضعوهن فى الشقيف ، وأعطى الأفضل إقطاعاتهم لمماليكه وخواصه ، ووصل رسول الملك العادل إلى العزيز وكتابه يخبره أن الهدنة قد انفسخت مع الإفرنج بسبب تعديهم وأخذهم جُبَيل[٢] ، وكانوا قد أخذوها على ما نذكره عن قريب إن شاء الله ، وإن اجتمعت العساكر بمصر والشام فلا قبل للإفرنج بهم . وقال فى آخر كلامه : إن العادل يحضر ومعه عشرة آلاف فارس للمعونه على الإفرنج[٣] . وعند ذلك تجهز العزيز وخرج إلى المخيم ، وندب العسكر للخروج وضيق عليهم فى التأخير ، وأقام بالقاهرة بهاء الدين قراقوش ، وصيرم ، وسيف الدين يازكوج ، وخطلخ ، وجماعه من الأمراء عدتهم تسعمائه فارس[٤] ، واحتاط على القصبيات بالغور وهى جارية فى إقطاع الأفضل ، وخرج أخوه الأفضل من دمشق لتخريب حصن كوكب ، ونزل على رأس الماء فى سبعمائة فارس ، وراسل الظاهر فى الصلح ، فتم الصلح بين الظاهر والأفضل على أن ينزل له الأفضل عن اللاذقية وجبلة ، وشرط عليه الأفضل أن ينجده ، وتوجه العزيز بعسكره إلى نحو دمشق واستولى على ميدان الحصى ، وأقطع بلد دمشق وشرع فى جمع الرجال وبين يديه قايماز النجمى متولى جميع الأمور ، وكتب العزيز كتاباً إلى العادل يقول فيه : إنا ما خرجنا من القاهرة إلا لخلاص جبيل من الإفرنج ، فبلغنى أن الأفضل قد حالف علينا وأراد تسليم البلاد للكفار فأحوجت الضرورة إلى أن شقت إليه وقد بلغنى أنك تدخل بينى وبينه ، وحاشاك من ذلك وأنا خير لك منه ، وإن أردت أن تكون أنت السلطان ورئيس [١٨٩] الجماعة فأنا راض بذلك ومبلغ غرضك[٥] .

---

(١) مفردها خبز . ومعناه الإقطاع من الأرض ، وهى كلمة مشتقة من اللغة اللاتينية . انظر Dozy: Supp.Dict.Arab ؛ السلوك ، جـ١ ، ق١ ، ص٦٥ ، حاشية ٧ .

(٢) جبيل : انظر ما سبق ، جـ١ ، ص٢٧٤ ، حاشية ١٢ .

(٣) ورد هذا الخبر فى السلوك ، جـ١ ، ق١ ، ص١٢١ ؛ زبدة الحلب ، جـ٣ ، ص١٣٠ .

(٤) ذكر النويرى أن عدد الأمراء كان ألفى فارس . نهاية الأرب ، جـ ٢٨ ، ص٤٤٤ .

(٥) نقل العينى هذا الحدث بتصرف من السلوك ، جـ١ ، ق١ ، ص١١٦ ؛ نهاية الأرب ، جـ٢٨ ، ص٤٤٤-٤٤٥ .

وكتب عدة كتب للظاهر ولغيره من ملوك الأطراف ، وترددت الرسل من الأفضل إلى العزيز فى طلب الصلح ، وبذل كل مراد من سِكّة وخطبة وطاعة فامتنع إلا بتسليم دمشق ، فأرسل الأفضل نجابيه يستحث العادل والظاهر والمنصور صاحب حماة ليستنجدوه ، ولما بلغ العادل نزول العزيز على دمشق وحصاره أخاه الأفضل عبر الفرات واجتمع بالملك الظاهر وشفع فى دلدروم الياروقى والياروقية(١) . فخلع عليهم وطيب قلوبهم ورحلوا جميعاً فنزلوا حماة وأتت رسل العادل إلى العزيز ، يذكر أن وصوله للإصلاح بين الأخوة ، فكتب إليه العزيز كتاباً بخطه بالابتهاج بمقدمه ، وبذل الرجوع إلى رأيه ، وجهز فخر الدين أياز جهاركس(٢) فى عدة وعدة مجملة للقاء الملك العادل ، وحلف لرسوله على الوفاء به والرجوع إلى رأيه ، فلما وصل العادل إلى العزيز سفر بالصلح بينه وبين الأفضل ، فكتب العزيز كتاباً إلى نوابه بأن لا يمنعوا نواب الأفضل شيئاً من إقطاعاته ويبسطوا أيديهم . ورحل العزيز عن دمشق عائداً إلى ديار مصر بعد الصلح على أن يكون للعادل الخبز العادلى الذى كان له بمصر وحران والرها بالجزيرة والشوبك والكرك بالشام ، وأن يكون للأفضل دمشق وأعمالها ، وأن العادل يقرر الخطبة للعزيز ويضرب السكة باسمه ، وأن ينجده العزيز بألف فارس ليفتح خلاط(٣) .

ولما توجه العزيز إلى مصر خرج الأفضل والظاهر لوداعه ، ورحل العادل إلى حلب ، فسير الظاهر أخاه الزاهر(٤) لتلقيه ، فلما وصل نزل الظاهر إليه وتلقاه وأصعده إلى القلعة(٥) ونزل منها وحلف أنه لا يطلع إليها إلا بعد أن يهبها له العادل هبة جديدة ، ففعل كل منهما ما ظنه الآخر فيه ، فقال الرشيد النابلسى(٦) يذكر الصلح ويمدح الظاهر :

---

(١) عن هذا الخبر راجع ، مفرج الكروب ، جـ٣ ، ص٢٩ .

(٢) فخر الدين أياز جهاركس : هو أبو المنصور جهاركس بن عبدالله الناصرى الصلاحى الملقب بفخر الدين ، كان من أمراء الصلاحية ، وتوفى فى سنة ٦٠٨هـ . انظر : مفرج الكروب ، جـ٣ ، ص١١ .

(٣) ذكر هذا الخبر بتصرف فى السلوك ، جـ١ ، ق١ ، ص١١٦- ص١١٧ ؛ نهاية الأرب ، جـ٢٨ ، ص٤٤٧-٤٤٨ .

(٤) الزاهر : أبو سليمان داود الملقب الملك الزاهر مجير الدين بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ولد بمدينة القاهرة لسبع بقين من ذى الحجة ، وقيل ذى القعدة سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ، وتوفى فى البيرة فى ليلة التاسع من صفر سنة اثنتين وثلاثين وستمائة . وفيات الأعيان ، جـ٢ ، ص٢٥٧-٢٥٨ .

(٥) عن هذا الخبر بالتفصيل انظر : مفرج الكروب ، جـ٣ ، ص٣٦ ؛ نهاية الأرب ، جـ٢٨ ، ص٤٤٥ ؛ السلوك ، جـ١ ، ق١ ، ص١١٧ ، ١١٨ .

(٦) الرشيد النابلسى : أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن بدر بن الحسن بن بكار الشاعر المعروف بابن النابلسى ، توفى بدمشق ٦١٩هـ ، ودفن بباب الصغير . انظر : وفيات الأعيان ، جـ٥ ، ص٢٦٦ ، جـ٧ ، ص٣٤١ ، ترجمة٢٦٣ .

أنجزَ الدهرُ فيكُم مِعادى	بعدَ طُولِ الإبراقِ والإرْعادِ
ورجعتم إلى مكارمِ كانت	لعُلاكم مُذ كنتم خيرَ عادِ
وتعاهدتُم عهودَ وفاءٍ	جمعَتْ شملَكُم لكَبْتِ الأعادِ
وتسنمتُم من العِزّ هَضْبا	يَنظُر النجمَ أَوْجه منْ بِعَادِ
لم يَكُن لايقاً بنجلِ صلاح	الدين حالُ معذوقة بفسَادِ
حاش لله ما عهدنا النُجومَ	الزُهْرَ يُدعَى من شَملِها ببدادِ[١٩٠]
أرأيتَ الأشْبالَ يَخرجُ يومًا	خُلْقُها عن خَلائق الآسَادِ
أيُّما والدٍ به رحِمَ اللّهُ	البرَايَا وأيُّما أوْلاد
بَدأ الخيرَ للعِبادِ وما منهمُ	سوى عايدٍ بما هُو بَادِ
بِأَبى من عليه أجمعت الآ	راءُ إذ صحّ فيه كلٌّ اعتقادِ
لهو الظاهرُ الذى أظهر اللهُ	به مُعجزَ النُهَى والسَّدادِ
والذّى حَلَّ من مَكارمه الذرْوة	فالناسُ حَولَه كالوهَادِ
مرضَ الحقُ ثم صَحَّ فقد قَرّت	عيُونُ الأسَاة(١) والقوادِ
خَلةٌ(٢) ساء صُنعُها فاسْتحَالت	خُلةً(٣) ذات صفوةٍ ووداد
كدرت بعض ما صَفا من قلُوبٍ	زَال ما اسْتَشعَرَت من الأحقاد
دولةٌ ألفَ المودة فيها	رَأيُك الجَزلُ بعدَ طولِ شِرَادِ
حَالَ قوم أنّى يمخُضُوا زُبدَةَ	القصد بها فانثنَوْا عنِ الأقصادِ
يالها من غوايةٍ لم يكن	إلاك فيها الهادى إلى الإرشادِ
كُنت فيها الغياثَ كاسْمك	للإسلامِ بين الإسعافِ والإسعادِ
فليغردْ بحمدِك الملكُ الأفضلُ	مع رائحٍ إليه وغادِ
آل أيوب طال باعُ المعالى	إن جنحتم لرقة الأكبادِ
شِدتُم ذروةَ العُلى	بعدما أشفت وزالت أركانُها لانهداد
فرق ما بينكم وبينَ ملوكِ الأرضِ	فرقُ الأرواحِ والأجسادِ

(١) الأُسَاة : الآسى الجراح والطبيب والجمع أُسَاة . مجمع اللغة العربية : المعجم الوجيز ، ص١٨ .

(٢) خَلَّة : الثقبة الصغيرة والحاجة والفقر والخَصْلة . المعجم الوجيز ، ص٢١٠ .

(٣) خُلّة : كل نبت حلو ، والصداقة والمحبة التى تخللت القلب فصارت خِلاله فى باطنه . المعجم الوجيز ، ص٢١٠ .

لو تصــورتم بحــوراً لكانوا كــسـواقٍ فى لُجِّكم وثمـادِ[١]
بـذلوا طـارفَ الـنـدى وبـذلـتم مـا وجـدتم من طارفٍ[٢] وتلادِ[٣]
أيْقظُوا رقــدَةَ النُّهى للأمــانى وافـتـحـوا مـقلة الوغى للجـهـادِ
جـردوا عــزايمــاً قــاطعــات ليس تمضى السيوفُ فى الأغمادِ
قلمــا يرتقى السُّعُـود صُـعُـوداً بسوى البـيضِ أو بسمرِ الصعادِ
فـابثـوها مثل الجرادِ جـيـوشـا تحجبُ الأرضَ عن جيوشِ الجرادِ
ليس فـيـهـا الأجوادُ من الأبطال مُـسـتـوطَنٌ لظهـرِ جـوادِ [١٩١]
لا تتـوافى رعـاية الدينِ والدنيـا بـذَبٍ عـن الـهُــــدَى وَذِيَادِ
أيّهــا المــالِكُ المكارمَ رقــا أَنتَ أولى الورى بملكِ البــلادِ
لك منهـا إن شئت أعـلا مـحل غـيـر مـسـتـبـعـدٍ وأوطى مـهـادِ
ومــتى دانَ للفــتى العــدلُ والإحسانُ دانت له رقابُ العبادِ
أنت نجمٌ رجم لـمــاردة الإنس ولـلطـالـبِ الـهُــدَى منك هَادِ
أنت يا خَيـرَ مَنْ مضى خير آتٍ أنت يا خـيـرَ حـاضـرٍ خـيـرُ بادِ
لستُ أبغى لك المـزيدَ من اللهِ فــمــا فى عُـلاك من مُـسـتـزادِ

ذكر بقية الحوادث

منهـا أن الخليفة الناصر لدين الله أرسل عسكراً مع وزيره مؤيد الدين[٤] محمد بن على المعروف بابن القصاب إلى خوزستان[٥] وملكوا مدينة تُسْتر[٦] فى المحرم سنة إحدى وتسعين وخمسمائة وغيرها من البلاد ، وكذلك ملكوا مدينة الناظر وقلعة كاكر

(١) الثماد : الماء القليل . انظر : الفيروزآبادى ، القاموس المحيط ، جـ١ ، ص٢٩٠ ، مادة «ثمد» .
(٢) طارف : المستطرف والمستفاد حديثاً من المال وهو خلاف التالد . المعجم الوجيز ، ص٣٨٩ .
(٣) تلاد والتليد : المال الأصلى القديم . المعجم الوجيز ، ص٧٦ .
(٤) مؤيد الدين محمد بن على المعروف بأبى القصاب : هو محمد بن على بن أحمد بن القصاب أصله من شيراز ، وكان أبوه يبيع اللحم فى بعض أسواق بغداد فتقدم ابنه وساد أهل زمانه ، توفى بهمدان سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة .
انظر : البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٢ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ٦ ، ص١٣٩ ؛ ذكر ابن الأثير أنه توفى فى أوائل شعبان سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ، الكامل ، جـ١٢ ، ص٤٧ .
(٥) خُوزِسْتان : انظر ما سبق ، جـ١ ، ص١٨٠ ، حاشية ١ .
(٦) تُسْتَر : انظر ما سبق ، جـ١ ، ص١١٧ ، حاشية ٥ .

وقلعة لاموج وغيرها من الحصون والقلاع ، وأنفذوا بنى شملة أصحاب بلاد خوزستان إلى بغداد . وقال بيبرس : وإنما أرسل الخليفة ابن القصاب لأنه أولاً خدم فيها وولى الأعمال بها وصار له بها أصحاب وأصدقاء ، وعرفها وخبر بلادها ومن أى وجه يمكن الدخول إليها والاستيلاء عليها ، فلما ولى ببغداد نيابة الوزارة أشار على الخليفة بأن يُرسله فى عسكر إليها ليملكها له ، فاتفق أن صاحبها ابن شملة توفى واختلفت أولاده بعده ، فراسل بعضهم مؤيد الدين المذكور ؛ يستنجده لما بينهم من الصحبه ، فقويت أطماعه فى البلاد فجهزت العساكر صحبته ، وجرت بينهم أمور ، ثم ملك تستر والقلاع المذكورة وأنفذ أولاد شملة أصحاب خوزستان إلى بغداد ، فوصلوا فى ربيع الأول[1] منها .

وفى المرآة ، وفى سنة تسعين وخمسمائة قدم ابن القصاب الوزير من العجم ، وخلع عليه الخليفة وأمر أرباب الدولة أن يمشوا بين يديه ، منهم أستاذ الدار ابن يونس[2] ، وكان وزيراً قبل هذا ، فامتنع ابن يونس من المشى بين يديه ، فقال ابن القصاب : هذا ظاهَرَ الخوارج على الخليفة ، وكسر عسكره بحماقته ، وشَنَّع على الخليفة أنه مات ، وكتب محضراً بذلك ، واشتبه على القضاه ، وعرضه على الخليفة ، فأمر بالقبض على ابن يونس ، فأخذ أخذة بشعة ، وقتل ورُمى تحت التاج[3] ، وكان آخر العهد به[4] .

ومنها أنه كانت وقعة عظيمة بين شهاب الدين[5] ملك غزنة وبين الهند من الكفار ، وكانوا فى ألف ألف مقاتل ومعهم سبعمائة فيل منها فيل أبيض لم يُر مثله ، فهزمهم شهاب الدين عند نهر عظيم يقال له اللاهُوز[6] ، وقتل ملكهم واستحوذ على حواصلهم

---

(١) وردت هذه الأحداث بتصرف فى الكامل ، جـ١٢ ، ص٤٥-ص٤٦ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١١ ؛ مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٨٥-٢٨٦ ؛ المختصر فى أخبار البشر ، جـ٣ ، ص٩٠ .

(٢) ابن يونس : عبيد الله بن يونس بن أحمد الوزير جلال الدين أبو المظفر الحنبلى ولى حجابة الديوان ثم استوزره الخليفة وتوفى سنة ٥٩٣هـ . انظر : النجوم الزاهرة ، جـ٥ ، ص٥٩٣ .

(٣) التاج : اسم دار مشهورة جليلة المقدار ببغداد من دور الخلافة . معجم البلدان ، جـ١ ، ص٨٠٦ .

(٤) ورد هذا الخبر بتصرف فى مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٨١ .

(٥) شهاب الدين : هو شهاب الدين محمد بن سام الغورى ملك غزنة وخراسان المتغلب على الملك إبراهيم بن محمود بن سبكتكين الذى ابتدأ فتح الهند . انظر : ابن بطوطة : الرحلة ، ص٤٢١ ، دار صادر بيروت .

(٦) ذكر ابن كثير أن النهر العظيم يقال له : «الملاحون» . البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٩ ؛ كما ذكر ابن الأثير أن اسم النهر «ماخون» . الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٣١ .

وفيَلتهم ، ودخل بلد الملك فحمل من خزانته على ألف وأربعمائة جمل ثم عاد سالماً منصوراً إلى غزنة[١] .

[١٩٢] وفى تاريخ بيبرس ، وفى سنة تسعين وخمسمائة كانت الحرب بين شهاب الدين الغُورى والملك يَنَارسَ الهندى ، وذلك أن شهاب الدين سير مملوكه قطب الدين أيبك فى السنة التى خلت ؛ للإغارة على بلاد الهند ، فلما بلغ الخبر ملك الهند المذكور جمع جيوشه وسار طالباً بلاد الإسلام ، فسار شهاب الدين الغورى إلى نحوه من غزنة بعساكره فالتقيا ، وكان مع الهندى سبعمائة فيل وألف ألف رجل لأنه ذو مملكة وسيعة ، فكانت الكرة عليه وكسر المسلمون وقتل فى المعركة ولم يعرفه أحد ، فإنه كان شيخاً كبيراً ، وكان يشد أسنانه بشريط الذهب ووجد فى المعركة قتيلاً وانهزمت عساكره ، ثم ذكر نحو ما ذكرنا غير أنه قال : فأمر الفيالين[٢] الذين لهم أن يخدموا بين يديه فخدموا جميعاً إلا الفيل الأبيض فإنه أبى أن يخدم[٣] .

ومنها أن الإفرنج ملكوا قلعة جُبيل وذلك أنه كان فيها شخص يسمى بدر الدين الشحنة نائباً فباعها للإفرنج بخمسة آلاف دينار صوريّة ، وقيل : إن القلعة المذكورة لم يكن فيها من الرجال إلا خمسة عشر نفراً وأن والى البلد أخذ منهم عشرة نفر لجباية الجزية ، واتفق أن خرج والى القلعة إلى الحمام ومعه واحد من الرجالة الخمسة ، فبقى فى القلعة أربعة أكراد فأغلقوا باب الحصن وسيروا واحداً منهم يخبر الإفرنج بخلوه ، وطلعوا إلى أعلى الحصن وأغلقوه ، فلما جاء الوالى ليدخل منعوه فكلمهم وبذل لهم مالاً فلم يجيبوه ، فصاح فى الجبل فاجتمعوا إليه ووقفوا تحت القلعة ، فرمى الأكراد الوالى بحجر فكسر يده ، ووصل الإفرنج فى الليل فطردوا المسلمين عن الباشورة وحصلوا بها ، ووصل ابن [ريمون][٤] أخو صاحب جبيل وأولاد صاحبها وصاحب طبرية ودخلوا الباشورة وتحدثوا مع الأكراد وحلفوا لهم ، وقرروا أن يعطوهم نصف ما يحصل من كل شىء وثلاث ضياع ملكاً من عمل طرابلس ، وفتحوا لهم الحصن فتسلموه ورتبوا فيه ألفاً وخمسين

(١) وردت هذه الوقعة بتصرف فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٩ ؛ الكامل ، جـ١٢ ، ص٤٤ .
(٢) يقصد القائمين على خدمة الفيلة .
(٣) وردت هذه الأحداث فى الكامل ، جـ١٢ ، ص٤٤ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٩ .
(٤) «ميمون» كذا فى الأصل والتصحيح من نهاية الأرب ، جـ٢٨ ، ص٤٤٣ .

راجلاً جرخية[١] ، وعادوا إلى طرابلس ، وكان دخولهم إليها يوم الأربعاء مستهل صفر من هذه السنة[٢] .

وفيها وصل إلى مصر - إلى العزيز - بدر الدين لؤلؤ ومعه كتاب من الأفضل يشكو إليه الحال فى جبيل وأنه لما بلغه أمرُها نهض بنفسه واستنهض العسكر ، وكان قد ندب إليها عسكراً من الحلقة فكبسوا مدينتها وقتلوا بها من الإفرنج قريب مائة رجل وأسروا مثلها وأسروا ابن [ريمون][٣] صاحب بَيْسان وابن أخت صاحب جُبَيل[٤] .

ومنها أنه وصل قسيسٌ من القسطنطينية[٥] إلى مصر يطلب صليب الصلبوت ، فأحضر من القدس وكان مرصعاً بالياقوت والجوهر ، وكان النصارى الذين بالقدس يفسح لهم فى أعيادهم فى التبرك به ، وسُلم إلى المذكور على أن تعاد جبيل من الفرنج ، وأرسل الأمير مجد الدين بن شمس الخلافة إلى [١٩٣] الفرنج بسبب إعادة جبيل . هذا الذى ذكره بيبرس فى أمر صليب الصلبوت .[٦]

وقال غيرُه : لما استقر الملك الأفضل مكان أبيه صلاح الدين فى ملك دمشق بعث بهدايا سنية فيها تحف إلى باب الخلافة من ذلك سلاح أبيه وحصانه الذى كان يحضر عليه الغزاة وأشياء كثيرة ، منها صليب الصلبوت الذى سلبه يوم حطين من الإفرنج ، وفيه من الذهب ما ينيف على عشرين رطلاً ، وهو مرصع بالجواهر الثمينة وأربع جوارى من بنات ملوك الإفرنج ، وأنشأ له العماد كتاباً حافلاً يذكر فيه التعزية بأبيه والسؤال - من الخليفة- أن يكون فى ملكه من بعده ، فأُجيب إلى ذلك[٧] .

ومنها أنه ولد للملك الظاهر غياث الدين غازى مولوداً سماه باسم جده الناصر صلاح الدين يوسف ، فقال الرشيد النابلسى يُهنيه به من قصيدة اختصرناها هنا على بعضها وهى :

---

(١) الجرخية : جمع جرخى أى رامى الجرخ ويقابل الجرخ فى الفرنسية (arbatéte) أى البندق .
انظر : *Dozy: Supp.Dict .Ar.*

(٢) ورد هذا الحدث فى نهاية الأرب ، جـ٢٨ ، ص٤٤٢-ص٤٤٣ .

(٣) «ميمون» فى الأصل ، والتصحيح من نهاية الأرب ، ج٢٨ ، ص٤٤٣ .

(٤) وردت هذه الأحداث فى السلوك ، جـ١ ، ق١ ، ص١٢١ .

(٥) كان هذا القسيس مبعوثاً من قبل الإمبراطور البيزنطى (إسحاق الثانى) (١١٨٥-١١٩٥) .

(٦) ورد هذا الخبر بتصرف فى السلوك ، جـ١ ، ق١ ، ص١٢٠ - ص١٢١ ؛ نهاية الأرب ، جـ٢٨ ، ص٤٤٣ .

(٧) ورد هذا الخبر بتصرف فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٨ .

أضاءَ لك الاقبالُ واتَّسَقَ السعدُ وأنجزَ ما كنتَ آمِلَهُ الوَعدُ
وجادَتْ لك الدنيا بما أنت أهلُهُ فجاد لكَ الإقبالُ واقتبل الجدُّ
تأرجَ عَرف الدهرِ للزهرِ عندما تبلّج وجهُ الجُودِ وابتسمَ المَجْدُ
وأَصبح قلبُ الوفرِ وَلْهانَ خائفًا وَبشّر وَفْداً بالغَنى والمُنَى وَفدُ
وقُمِّصَ أَثوابَ الرَّدَى كلُّ قُومَصٍ وأضحى كَنُودًا كلُّ مَن وَسْمُه كُنْدُ
وَصُبَّ على الأعداء سوطُ مَذلَّةٍ فأنفهم رُغْمٌ وأَوجُهُهم رُبْدُ
فلو نَامَ فى أرضِ الفَرنْجه فارسٌ لما كان رُؤياه والقَدُّ القيدُ
تبَاشَرت الدُّنيا بمَولدِ يُوسفٍ فركبٌ به يَحدُو وسُفْرٌ به يَشْدُو
فلِلّه نجمٌ منك أَشرق زاهرًا فَباتَ لبدرِ التمِّ من وَجده وَجْدُ
كفلَت بردِّ الناصرِ المَلكِ للوَرَى وغادرتَه حَيًّا وقد ضَمَّه لحدُ
وما كانت الأيامُ تَسخُو بمثلِه فأعجزْتَ حتى صَار منك لهُ نِدُّ
خلفتَ صلاحَ الدين بابنك يا ابْنَه فَقَامَ مَقَامَ البحرِ مُنهمرٌ بمدُّ
أرَاكم كعِقدِ الدُّريا آلَ يُوسفٍ وَواسِطةٌ ما ضُمَّ من مَجْدِكَ العقدُ
يَقولُ الذى يُتْلَى عَليه ثناكمُ وقد نَدَّمْنَه ما يَغَارُ له النَّدُّ
وحدثتنى يا سَعدُ عنهُم فزِدْتَنى جُنوناً فزِدْنى من حديثك يا سَعدُ
ألا هكذا تسمُو البُدور بنُورها ألا هكذا تُزْهَى بأشبَالها الأُسْدُ
قَدُمتَ غياثَ الدين فى ظِلِّ دَولةٍ يَدينُ لها شِيبُ الممالك والمُردُ
قَرين التَّهانى ما حَييتَ مُبَوّءاً منازلَ عزٍ مِلؤُها المَدحُ والحَمدُ [١٩٤]

ومنها أن دجلة زادت ووصل الماءُ إلى سور بغداد العتيق الغربى الذى بناه المنصور فأبان الماء عن تل قريب من السُّور ، وفى التل ميت قد بلى وعظامه مسداة ، وهو مُسمّر بمسامير الحديد وعليه ضباب من الحديد وفى وجهه ضبّه فيها مسمار كبير وآخر فى سرّته .(١)

ومنها ما ذكره محمد بن القادسى أن الخليفة أمر بذبح الطيور العتق ومحو أثرها وعمد إلى فراخ ذبح آباءها وأمهاتها واستفرخ الأولاد وأرسلها إلى المشاهد لتطير إلى

---

(١) نقل العينى هذا الخبر بتصرف من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٨٠ .

بغداد ، وفوض أمرها إلى قاضى القضاة ابن البخارى ويوسف العقاب مقدم الفتيان ، وجعلها اثنى عشر صنفا باسم الأئمة الاثنى عشر ، ثم سمّاها فقال : العلويات ، والحسَنيات ، والحُسَينيّات ، والمحمديات ، والكاظميات ، والهاشميّات ، والباقريّات ، والصدوديات ، والزيديّات ، والمهديات ، والصادقيات ، والعابديات . وأرسلها إلى المشاهد فطارت منها إلى بغداد .(١)

ومنها أن الخليفة نقم على الشيخ أبى الفرج بن الجوزى(٢) وتعضب(٣) عليه ونفاه إلى واسط ، فمكث خمسة أيام لم يستطعم بطعام ، وأقام بها خمسة أعوام يخدم نفسه ويستقى من بئر عميقة لنفسه الماء . وكان شيخاً كبيراً قد بلغ الثمانين عاماً وكان يتلو فى كل يوم وليلة ختمةً . قال : ولم أقرأ فيها سورة يوسف لوجدى على ولدى يوسف ، ثم فرج الله بعد ذلك على ما سنبينه إن شاء الله تعالى .(٤)

وقال سبطه فى المرآة : لما قبض ابن يونس تتبع ابن القصاب أصحابه فقال الركن عبد السلام بن عبدالوهاب بن الشيخ عبدالقادر : أين أنت وابن الجوزى؟ وهو كان من أكابر أصحاب ابن يونس وأعطاه مدرسة جَدّى وأحرق كتبى بمشورته ، وهو ناصبى من أولاد أبى بكر . وكان ابن القصاب متشيعاً فكتب إلى الخليفة ، وساعده جماعة من أهل مذهبه ولبسّوا على الخليفة ، وأمر بتسليمه إلى عبد السلام .

قال السبط : وكان جَدّى يسكن بباب الأزج بدار بَنفْشا ، وكان الزمان صيفا وجدّى - رحمه الله - جالس فى السرداب يكتب وأنا صبى صغير ، ما حسينا إلا بعبد السلام وإذا به قد هجم على جدى فى السرداب ، وأسمعه غليظ الكلام ، وختم على كتبه وداره

---

(١) نقل العينى هذا الخبر من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٨٠ .

(٢) أبو الفرج بن الجوزى : أبو الفرج عبدالرحمن بن أبى الحسن على بن محمد بن على بن عبيدالله بن عبدالله بن حمادى بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزى بن عبدالله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبدالله ابن عبدالرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رضي الله عنه وبقية النسب معروف القرشى التيمى البكرى البغدادى الفقيه الحنبلى الواعظ الملقب جمال الدين الحافظ كان علامة عصره ، وإمام وقته فى الحديث وصناعة الوعظ وكانت ولادته بطريق التقريب سنة ثمان وقيل عشرة وخمسمائة ، وتوفى ليلة الجمعة ثانى عشر شهر رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة ببغداد ، ودفن بباب حرب .
انظر : وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص١٤٠ : ص١٤٢ .

(٣) تعضب : العَضْبُ القطع والشتم والتناول والضرب والطعن . الفيروز آبادى ، القاموس المحيط ، جـ١ ، ص١٠٩ .

(٤) ورد هذا الخبر بتصرف فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٩ ؛ مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص٢٨١ .

وسيّب عياله ، وجرى عليهم ما لم يجر على أقل الناس ، فلما كان فى أول الليل حملوا جدى إلى سفينة فأنزلوه فيها ونزل معه عبدالسلام لاغير ، وعلى جدى غلالة بغير سراويل وعلى رأسه تخفيفة[١] ، وحدّرة إلى واسط ، وكان ناظرها العميد ابن أمسيا ، وكان متشيعاً ، فقال له الركن : حرس الله أيامك ، مكنى من عدوى لأرميه فى المطمورة . فعز عليه وزيره وقال : يا زنديق أرمى ابن الجوزى فى المطمورة بقولك! هات خط الخليفة والله لو كان من مذهبى لخدمته وبذلت مالى وروحى فى خدمته ، فعاد عبد السلام إلى بغداد وأقام جدى فى دار بدرب الديوان وعلى بابه بواب [١٩٥] لا غير . وكان قد قارب ثمانين سنة فكان يخدم نفسه ويغسل ثوبه ويطبخ ويستقى الماء من البئر ، ولم يدخل الحمام مدة خمس سنين مقامه بواسط .[٢]

وكتب إلى بغداد أشعاراً كثيرة منها هذه الأبيات :

أحــبَّــةُ قلبى لو يُبــاعُ رجُــوعُكم   علينا لكنا بالنفـوس فـديناكُمُ
فـلا تحسـبوا أنى نسيتُ وِدَادَكُم   وإنِّى وإن طال المدى لست أنساكُمُ
وأســأل أنفــاسَ الرياحِ لأنهــا   تمــرُّ على أطلالِكُم وتَلقــاكُمُ
قضى اللهُ بالتفريق بينى وبينكم   فياليتنا من جملة ما عرفناكُم[٣]

وكتب من كان وكان ، ومن المواليا .

ثم قال السبْط : واختلفت الناس فى كيفية محنة جدى والظاهر بن يونس ، وما فعل ببيت عبدالقادر ، فأخذوا بالثأر من جدى وأهل بغداد يقولون شيئاً آخر والله أعلم .[٤]

وفيها ....[٥]

وفيها حج بالناس ....[٦]

(١) التخفيفة : هى عمامة صغيرة على الرأس . انظر : ماير : الملابس المملوكية ، ص٣١-٣٢ ، ٤٥-٥٥ .
(٢) نقل العينى هذه الأحداث من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٨١ .
(٣) نقل العينى هذه الأبيات من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٨١ ، ص٢٨٢ .
(٤) نقل العينى هذا القول من مرآة الزمان ، جـ٨ .
(٥) سقط فى الأصل بمقدار سطر .
(٦) سقط فى الأصل بمقدار نصف سطر .

ذكر من توفى فيها من الأعيان

القزوينى الواعظ أحمد بن إسماعيل بن يوسف ، أبو الخير القزوينى الشافعى . المفسّر ، قدم بغداد ووعظ بالنظامية ، وكان يذهب إلى قول الأشعرى فى الأصول ، وحبس فى يوم عاشوراء فقيل له : الْعن يزيد بن معاوية . فقال : ذاك إمام مجتهد ، فرماه الناس بالآجر ، فاختفى ثم هرب إلى قزوين ومات فى هذه السنة .(١)

وفى المرآة : تفقه بنيسابور على محمد بن يحيى الغزالى ، وسمع بها الحديث وبغيرها ، وكان عالماً بالتفاسير والفقه متعبداً ، مولده بقزوين سنة اثنتى عشرة وخمسمائة ، وكان يختم القرآن كل ليلة ، وقدم بغداد حاجّاً سنة خمس وخمسين وخمسمائة فجلس بالنظامية ووعظ ومال إلى الأشعرى ، فوقعت الفتن وجلس يوم عاشوراء بالنظامية فقيل له : العن يزيد بن معاوية . فقال : ذاك إمام مجتهد . فجاءه الآجر وكاد يقتل ، وكان ابنه جالساً بين يديه على المنبر فقال له : الْعَنْه وإلا قُتلنا فلطمه على رأسه ، ألقى عمامته بين يديه ، وكثر الرجم فسقط من المنبر فأدخل إلى بيت فى النظامية وأغلق عليه الباب وإلا قتل ، وأُخذت فتاوى الفقهاء بتعزيره فقال بعضهم : يُضرَب عشرون سوطاً قيل له : من أين لك؟ فقال : من عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه سمع قائلاً يقول : قال أمير المؤمنين يزيد بن معاوية فضربه عشرين سوطاً ، ثم إن جماعة تعصبوا للقزوينى وقالوا : شيخٌ وغريب وأخرجوه ، فمضى إلى قزوين فتوفى بها فى المحرم من هذه السنة .(٢)

الإمام الشاطبىُّ أبو محمد القاسم بن فيرة بن أبى القاسم خلف بن أحمد الرعينى الشاطبى الضرير(٣) **المقرى** ، صاحب القصيدة التى سماها حرز الأمانى ووجه التهانى فى القراءات ، وعدتها ألف ومائة وثلاثة وسبعون بيتاً ، ولقد أبدع فيها كل الإبداع ، وهى عمدة قراء هذا الزمان فى نقلهم [١٩٦] فقلّ من يشتغل بالقراءات إلا ويقدم حفظها ومعرفتها ، وهى مشتملة على رموز عجيبة وإشارات خفية لطيفة ، وقد روى عنه أنه كان

---

(١) ورد هذا الخبر بتصرف فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٩-١٠ ؛ النجوم الزاهرة ، جـ٥ ، ص١٣٤ ؛ مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٨٤ .

(٢) نقل العينى هذا الخبر بتصرف من مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص٢٨٤ .

(٣) وفيات الأعيان ، جـ٤ ، ص٧١-ص٧٢ ، ترجمة رقم ٥٣٧ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٠ ؛ ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، جـ٤ ، ص٣٠١-ص٣٠٣ .

يقول لا يقرأ أحد قصيدتى هذه إلا وينفعه الله عز وجل ؛ لأنى نظمتها لله عز وجل مخلصاً فى ذلك . ونظم قصيدة دالية فى خمسمائة بيت من حفظها أحاط علماً «بكتاب التمهيد» لابن عبد البر - رحمه الله - وكان عالماً بكتاب الله قراءة وتفسيراً وبحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم - مُبرزا فيه وكان إذا قرئ عليه صحيح البخارى ومسلم والموطأ تصحح النسخ من حفظه ، ويُملى النكت على المواضع المحتاج إليها ، وكان أوحداً فى علم النحو واللغة عارفاً بعلم الرؤيا ، حسن المقاصد مخلصاً فيها بقول وفعل . قرأ القرآن العظيم بالروايات على أبى عبد الله محمد بن على بن محمد بن أبى القاص النفزى المقرى[١] ، وأبى الحسن على بن محمد بن هذيل الأندلسى ، وسَمع الحديث من أبى عبدالله محمد بن يوسف بن سعادة ، وأبى عبدالله محمد بن عبدالرحيم الخزرجى[٢] ، وأبى الحسن بن هذيل ، والحافظ بن أبى الحسن[٣] بن النعمه ، وانتفع به خلق كثير . وقال ابن خلكان : وأدركت من أصحابه جمعاً كثيراً بالديار المصرية وكان يجتنب فضول الكلام ولا ينطق فى سائر أوقاته إلا بما تدعو إليه ضرورة ، ولا يجلس للإقراء إلا على طهارة ، فى هيئة حسنة وتخشع واستكانة ، وكان يعتل العلة الشديدة فلا يشتكى ولا يتأوه ، وإذا سئل عن حاله قال : العافية . لا يزيد على ذلك ، وقال : أنشدنى بعض أصحابه قال : كان الشيخ كثيراً ما ينشد هذا اللغز وهو فى نعش الموتى ، فقلت له : فهل هو له؟ فقال : لا أعلم ، ثم إنى وجدته بعد ذلك فى ديوان الخطيب أبى زكريا يحيى بن سلامه الحصكفى[٤] وهو :

أتْعرِفُ شيئا فى السماء نظيره[٥] ... إذا سار صاح الناسُ حيث يسيرُ
فتلقاه مركوباً وتلقاه راكباً ... وكلُّ أميرٍ يعتليه أسيرُ
يحُضُّ على التقوى ويَكره قُربه ... وينفر منه النفسُ وهو نَذيرُ
ولم يستزر عن رغبة فى زيارةٍ ... ولكن على رغم المَزُور يَزُورُ

(١) محمد بن على بن محمد بن أبى العاصى النفزى المقرى : وفيات الأعيان ، جـ٤ ، ص٧١-٧٣ ، ترجمة ٥٣٧ .
(٢) «الجزجرى» كذا فى الأصل والمثبت من وفيات الأعيان ، جـ٤ ، ص٧١ ، ترجمة ٥٣٧ .
(٣) «الحسين» كذا فى الأصل والمثبت من وفيات الأعيان ، جـ٤ ، ص٧١ ، ترجمة ٥٣٧ .
(٤) الخطيب الحصكفى : هو أبو الفضل يحيى بن سلامة بن الحسين بن محمد الملقب معين الدين المعروف بالخطيب الحصكفى ، ولد بطَنْزه ونشأ بحصن كيفا ، توفى سنة إحدى وقيل ثلاث وخمسون وخمسمائة وكانت ولادته فى حدود سنة ستين وأربعمائة . وفيات الأعيان ، جـ٦ ، ص٢٠٥ - ٢١٠ .
(٥) «يطير» فى وفيات الأعيان ، جـ٤ ، ص٧٢ ، ترجمة ٥٣٧ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٠ .

وكانت ولادته فى آخر سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة بشاطبة وهى بلدة شرقى الأندلس ، استولى عليها الإفرنج فى العشر الأخير من شهر رمضان سنة خمس وأربعين وستمائة ، وكان فقيراً ، وقد أريد أن يلى خطابة بلده فامتنع لما يبالغ الخطباء فى وصف الملوك . وخرج إلى الحج فقدم إسكندرية سنة ثنتين وسبعين وخمسمائة ، وسمع على الحافظ السِلفى ، وولاه القاضى الفاضل مشيخة الإقراء بمدرسته[1] ، وزار القدس الشريف وصلى به شهر رمضان ، ثم رجع إلى مصر ، وتوفى يوم الأحد بعد صلاة العصر الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسعين وخمسمائة ، ودفن يوم الاثنين فى تربة القاضى الفاضل بالقرافة الصغرى ، وصلى عليه الخطيب أبو إسحاق العراقى خطيب جامع مصر وقال ابن خلكان : ودخل مصر سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة ، وكان يقال عند دخوله إليها : إنه يحفظ وِقْرَ بَعيرٍ من العلوم بحيث لو نزل عليه ورقه لما احتملها[١٩٧] . وكان نزيل القاضى الفاضل ورتّبه بمدرسته بالقاهرة متصدرًا لإقراء القرآن الكريم وقراءاته والنحو واللغة .

وفيرة بكسر الفاء وسكون الياء آخر الحروف وبعدها راء مضمومه ثم هاء . والرُعينى نسبة إلى ذى رُعَين بضم العين ، ، وهو أحد أقيال اليمن نُسب إليه خلق كثير .[2]

السلطان طغريل شاه بن أرسلان شاه بن طغريل شاه بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق السلجوقى[3] ، قتل فى هذه السنة ، وكان قزل أرسلان بن ألدكز حبَسَه ثم خرج من الحبس فى سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، وملك همذان وغيرها وجرت حرب بينه وبين مظفر الدين أزبك بن البهلوان محمد بن ألدكز . وقيل : بل هو قطلغ إينانج أخو أزبك المذكور فانهزم ابن البهلوان ثم بعد هزيمته استنجد بخوارزم شاه علاء الدين تكش ، وخاف منه ، فلم يجتمع بخوارزم شاه ، فسار خوارزم شاه وملك الرى وذلك فى سنة ثمان وثمانين ، وبلغ تكش أن أخاه سلطان شاه قد قصد خوارزم فصالح طغريل السلجوقى ، وعاد تكش إلى خوارزم وبقى الأمر كذلك حتى

(١) مدرسة القاضى الفاضل : هى بدرب ملوخيا من القاهرة ، بناها القاضى الفاضل سنة ٥٨٠هـ ووقفها على الفقهاء الشافعية والمالكية . انظر : المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص٣٦٦-ص٣٦٧ .

(٢) نقل العينى هذا الخبر من وفيات الأعيان ، جـ٤ ، ص٧١ ، ٧٢ ؛ كما ذكر بتصرف فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٠ ؛ شذرات الذهب ، جـ٤ ، ص٣٠١- ص٣٠٣ .

(٣) الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٣٢-ص٢٣٣ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٩ ؛ مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٨٤-ص٢٨٥ ؛ السلوك ، جـ١ ، ق١ ، ص١١٤ ؛ شذرات الذهب ، جـ٤ ، ص٣٠١ ؛ النجوم الزاهرة ، جـ٥ ، ص١٣٤- ص١٣٥ .

مات سلطان شاه فى سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، فتسلم تكش مملكة أخيه سلطان شاه وخزائنه ، وولى ابنه محمد بن تكش نيسابور ، وولى ابنه الأكبر ملكشاه بن تكش مرو . ولما دخلت سنة تسعين سار تكش إلى حرب طغريل السلجوقى فسار طغريل إلى لقائه قبل أن يجمع عساكره ، فالتقى العسكران بالقرب من الرى ، وحمل طغريل بنفسه ، فقتل وكان قتله فى الرابع والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة . وحمل رأس طغريل إلى تكش فأرسله إلى بغداد ، فنصب بها عدة أيام وسار تكش وملك همذان وملك البلاد جميعها[١] . وسلم بعضها إلى ابن البهلوان وأقطع بعضها لمماليكه ورجع إلى خوارزم ، وهذا طغريل بن أرسلان شاه آخر السلاطين السلجوقية الذين ملكوا بلاد العجم . وقد تقدم ابتداء الدولة السلجوقية فى سنة اثنتين وثلاثين وأربع مائة ، وأول من ملك منهم العراق وأزال دولة بنى بُوَيه طغريل بن ميكائيل بن سلجوق ، ثم ملك بعده ابن أخيه ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل ثم ابنه ملكشاه بن ألب أرسلان ثم ابنه محمود بن ملكشاه وكان طفلاً ، وقامت بتدبير المملكة أم محمود تركان خاتون ، ومات محمود وهو ابن سبع سنين ، وملك أخوه بَركياروق بن ملكشاه ثم أخوه محمد بن ملكشاه ثم ابنه محمود بن محمد المذكور ، ثم ابنه داود بن محمد بن محمود بن محمد المذكور مدة يسيرة ، ثم عمه طغريل بن محمد[٢] ثم أخوه مسعود بن محمد ثم ابن أخيه ملكشاه بن محمود بن محمد أياماً يسيرة ثم أخوه محمد بن محمود[٣] ، ثم بعد محمد المذكور اختلفت العساكر وقام من بنى سلجوق ثلاثة أحدهم ملكشاه بن محمود أخو محمد المذكور ،[١٩٨] والثانى سليمان شاه بن محمد بن السلطان ملكشاه وهو عم محمد المذكور ، والثالث أرسلان شاه بن طغريل بن محمد بن السلطان ملكشاه وكان ألدكز مزوجاً بأم أرسلان شاه المذكور فقوى عليهما سليمان شاه واستقر فى همذان فى سنة خمس وخمسين وخمسمائة[٤] ثم قبض سليمان شاه وقتل ، وكذلك سُمَّ ملكشاه بن محمود المذكور ومات بأصبهان فى سنة خمس وخمسين وخمسمائة وانفرد بالسلطنة[٥] أرسلان شاه بن

(١) ورد هذا الخبر بتصرف فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٩ ؛ الكامل ، جـ١٢ ، ص٤٤ ، ٤٥ .

(٢) «أحمد» فى الأصل ، والمثبت من المختصر ، جـ٣ ، ص٩٠ .

(٣) ورد هذا الخبر بتصرف فى مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٨٤ ، ٢٨٥ .

(٤) لمعرفة المزيد عن هذه الفترة راجع الكامل ، جـ١١ ، ص١١٣-ص١١٤ ، الطبعة الأزهرية ، ١٣٠١هـ .

(٥) راجع هذه الأحداث فى الكامل ، جـ٩ ، ص٤٣٧ .

طغريل ربيب ألدكز ثم ملك بعده ابنه طغريل بن أرسلان شاه بن طغريل المذكور فى سنة[١] ثلاث وسبعين وخمسمائة ، وجرى له ما ذكرناه حتى قتله تكش فى هذه السنة أعنى سنة تسعين وخمسمائة وانقرضت به الدولة السلچوقية من تلك البلاد[٢] . وختمت الدولة السلچوقية بطغرل كما افتتحت بطغرل وكانت مدة دولتهم مائة وأربعين عاما[٣] وعدة ملوكهم أربعة عشر ملكاً . وقال أبو شامة : وعدة ملوكهم نيف وعشرون ملكاً ، ومدة ملكهم مائة وستون سنة ثم انتقل الملك إلى خوارزم شاه لأنه بعد قتل طغريل سار إلى همذان وهى كرسى المملكة فملكها وما حولها ، فأرسل إليه الإمام الناصر وزيره مؤيد الدين بن القصاب وصحبته التقليد والخلع ، فنفر خاطر خوارزم شاه منه وأراد القبض عليه ، فهرب الوزير إلى بعض القلاع التى فى الجبال وتحصن بها . ولما ملك خوارزم شاه همذان سلمها إلى قتلغ خان بن إينانج خان وأقطع كثيراً من بلادها لمماليكه ورتبهم فيها وجعل عليهم مياجق[٤] مقدّماً وعاد إلى خوارزم[٥] . وقال أبو شامة[٦] : وطغريل شاه هذا الذى قتل هو آخر الملوك السلچوقية سوى صاحب الروم ، وهو الذى كان كسر عسكر الخليفة على همذان ، وكان طغريل قد بعث إلى الخليفة يطلب السلطنة فأرسل إليه جيشاً مقّدمه وزيره ابن يونس فكسرهم طغريل ومزّقهم كل ممزق[٧] ، وأخذ ابن يونس وكان محلوق الرأس فأحضروه بين يديه وألبسوه طرطوراً أحمر فيه جلاجل وجعل السلطان يضحك عليه وذلك فى سنة أربع وثمانين وخمسمائة ، فهان الملوك ، ثم إن خوارزم شاه لما قتله كما ذكرنا قطع رأسه وبعث به إلى بغداد[٨] ، فدخلوا به فى جمادى الأولى على خشبة وكوساته مشقّقةٌ وسنجقُه وراءه مكسور منكس ، وكان من أحسن الناس صورةً ثم رُدّ إلى خزانة الرؤوس فجاءت فأرة فأكلت أنفه وأذنَه وبقى الرأس إلى سنة إحدى وستمائة ، فوقع حريق فى خزانة الرؤوس ، فاحترق الجمِيع ، ولله الأمر كله .

---

(١) راجع هذه الأحداث فى الكامل ، جـ١٠ ، ص٨٨ .

(٢) نقل العينى هذا الخبر من المختصر ، جـ٣ ، ص٨٩- ص٩٠ .

(٣) ذكر المقريزى أن مدة دولتهم مائة سنة وثمان وخمسون سنة . السلوك ، جـ١ ، ق١ ، ص١١٤ ؛ أما ابن العماد ، شذرات الذهب ، فقد ذكر أن مدة ملكهم مائة وستون سنة ، جـ٤ ، ص٣٠١ .

(٤) «مناجق» كذا فى الأصل والمثبت من الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٣٣ .

(٥) ورد هذا الخبر بتصرف فى الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٣٣ .

(٦) انظر : الذيل على الروضتين ، ص٦ .

(٧) ذكرت هذه الأحداث بتصرف فى الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٣٢-ص٢٣٣ ؛ مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص٢٨٤ ، ٢٨٥ ؛ السلوك ، جـ١ ، ق١ ، ص١١٤ ؛ البداية والنهاية ، جـ٣ ، ص٩ ؛ النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص١٣٤ ، ١٣٥ .

(٨) الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٣٢-ص٢٣٣ .

فصل فيما وقع من الحوادث فى السنة الحادية والتسعين بعد الخمسمائة(*)

استهلت هذه السنة ، والخليفة هو الناصر لدين الله(١) ، وأصحاب البلاد على حالهم[١٩٩] ، غير أن الملك العزيز صاحب مصر قد توجه إلى الشام وقدمها مرةً ثانيةً ، وكان السبب فى ذلك أن أمرآء دمشق قد تغيرت قلوبهم على الملك الأفضل ، ففارقه بعضهم وتوجهوا إلى مصر ، وهم : عز الدين أسامة ، وعز الدين بن السلاّر ، وابن الحصين ، وغيرهم(٢) ، ولما اتصلوا بالملك العزيز حرضوه على قصد دمشق ؛ فخرج إليها فى قوة عظيمة جداً ، فاستنجد الأفضل عمة العادل ، وتوجه إلى أخيه الظاهر بحلب وسأله إنجاده فوعده خيراً ، وجَدّ العادل السَّير إلى دمشق ، فسبق العزيز إليها . وكاتب الأمراء المصريين وحذرهم من العزيز ، وحذّر العزيز منهم ، واستمالهم فمالوا إليه ، وفارقوا العزيز ، وتوجهوا إلى دمشق وهم : أبو الهيْجاء السّمين ، وإياز(٣) جهاركس(٤) . ولما وصلوا إلى دمشق جدد العادل والأفضل اليمين ، وتحالَفَا على أن يكون ثلث ديار مصر له إقطاعاً ، والثلثان للأفضل . وساروا طالبين لقاء العزيز ، فعاد العزيز مسرعاً إلى مصر(٥) ، ثم إن العادل والأفضل أرسلا إلى القدس وتسلماها من نواب العزيز ، واتفقا إنهما يسيران إلى مصر ويملك الأفضل مصر ، ويعطى العادل دمشق ، وأرسل العادل إلى العزيز خفية أن يثبت ولا يُسَلِّم ، وإنما أشار إليه بذلك مخافة أن لا يُسَلِّم إليه الأفضل دمشق ، ويكفّل أنه يكفيه مؤنة قتال عسكر الأفضل ، ولما رجع العزيز إلى مصر جهز عسكرًا ورتبه على بلبيس ، ولما وصلها عسكر العادل والأفضل استظهر العزيز عليهم ، فندموا على فعلهم ،

(*) يوافق أولها ١٦ ديسمبر سنة ١١٩٤م .

(١) الناصر لدين الله : أبو العباس أحمد بن المستضىء بأمر الله ، أبو المظفر يوسف بن المقتفى أمير المؤمنين العباسى ، ولى الخلافة سنة ٥٧٥هـ ، توفى ٦٢٢هـ . وفيات الأعيان ، جـ١ ، ص١٠٩ ، ص٣١٨ ؛ لمزيد من التفاصيل راجع البداية والنهاية ، جـ٧ ، ص٧١-٧٢ ، طبعة الغد العربى ، ط . الأولى - ١٩٩٢ .

(٢) ذكر النويرى الأمراء الذين فارقوا خدمة الأفضل : «فارس الدين ميمون القصرى ، وشمس الدين ، وسنقر الكبير ، وعز الدين سامة ، وغيرهم .» نهاية الأرب ، جـ٢٨ ، ص٤٤٦ .

(٣) إياز : لفظ فارسى ، ذُكر فى الشعر الفارسى بمعنى محبوب ومعشوق . راجع ، حسين مجيب المصرى : المعجم الفارسى العربى الجامع ، ص٤٢ .

(٤) جهاركس : أبو المنصور جهاركس بن عبدالله الناصرى الصّلاحى الملقب فخر الدين ، كان من كبراء أمراء الدولة الصلاحية ، توفى سنة ٦٠٨هـ بدمشق ، ودفن فى جبل الصالحية ، وجهاركس لفظ عجمى معرب . وفيات الأعيان ، جـ١ ، ص٣٨١ ، ترجمة ١٤٦ .

(٥) الروضتين ، جـ٢ ، ص٢٢٩-ص٢٣٠ ؛ وانظر تفصيل ذلك أيضاً فى مفرج الكروب ، جـ٣ ، ص٤٦-٤٩ ؛ نهاية الأرب ، جـ٢٨ ، ص٤٤٧ .

وكتب إلى الأمراء المقيمين ببلبيس بأن يرحلوه عنها ، واختار العادل إصلاح الأمر وتردد القاضى الفاضل بينهم فى الترسل ، واستقر الأمر على أن يكون للعادل إقطاعه بمصر على ما كان له قديماً ، وأن يكون مقيماً عنده ، وأن يعفو عن الأسَديّة والأكراد . وحسّن العادل للأفضل المضى إلى دمشق ، فعاد إليها وقد تقرر أن يكون له القدس وجميع بلاد الساحل والغور إلى ما كان بيده أولا .(١)

وفى تاريخ ابن كثير : وفى هذه السنة خرج العزيز(٢) من مصر قاصداً دمشق ليأخذها من أخيه الأفضل ، وكان الأفضل قد تاب وأناب وأقلع عما كان فيه من الشرب واللهو واللعب ، وأقبل على الصيام والصلاة كما ذكرنا ، وحسنت طريقته ، غير أن الوزير الضياء الجزرى(٣) يفسد عليه دولته ، ويكدّر عليه صفوته ، فلما بلغ الأفضل إقبال أخيه نحوه بعساكره(٤) سار سريعاً إلى عمه العادل وهو بجعبر فاستنجده فسار معه وسبقه إلى دمشق ، وراح الأفضل إلى أخيه الظاهر بحلب ، فساروا جميعًا نحو دمشق(٥) وقد اضطرب بعض عسكر العزيز عليه ، وهم طائفة من الأمراء الأسدية وفارقوه ، فلما سمع العزيز بذلك وقد اقترب من دمشق ، كرّ راجعاً مسرعاً إلى مصر ، وركب وراءه العادل والأفضل ، ثم بَدا للعادل فى ذلك فأرسل إلى العزيز يثبته ، وأقبل على الأفضل يثبطه ، وأقاما على بلبيس أياماً حتى خرج القاضى الفاضل من جهة[٢٠٠] [العزيز](٦)

فوقع الصلح بينهم على أن يرجع القدس ومعاملتها إلى الأفضل ويستقر العادل مقيماً بمصر على إقطاعه القديمة ، فأقام بها طمعاً فيها ، ورجع الأفضل إلى بلاده بعد ما خرج العزيز لتوديعه وتشييعه ، وهى هُدنة على أقذاء وصلح على دخن(٧) .

---

(١) ورد هذا الخبر بتصرف فى الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٣٤ ؛ نهاية الأرب ، جـ٢٨ ، ص٤٤٧-٤٤٨ ؛ المختصر ، جـ٣ ، ص٩١ .

(٢) «الأفضل» كذا فى الأصل والمثبت من البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٠ .

(٣) الوزير الضياء الجزرى : هو أبو الفتح نصر الله بن أبى الكرم الملقب ضياء الدين محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيبانى ، المعروف بابن الأثير الجزرى ، ولد سنة ٥٥٨هـ وتوفى سنة ٦٣٧ ببغداد . وفيات الأعيان ، جـ٥ ، ص٣٨٩-٣٩٧ . ترجمة ٧٦٣ .

(٤) «بعساكره» لم يذكرها ابن كثير ، والغالب أنها إضافة من العينى .

(٥) إلى هنا توقف العينى عن النقل من البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٠ .

(٦) ما بين حاصرتين إضافة من البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١١ .

(٧) ينقل العينى هذا الحدث بتصرف من البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١١ . والدخن : هنا يقصد به «صلح على فساد باطن» المعجم الوسيط ، ص٢٨٥ ، مادة «دخن» .

وفى تاريخ المؤيد[١] : وكان العزيز لما خرج من مصر نزل الغوار من أرض السواد ، ثم ذكر قريباً مما ذكرناه ، غير أنه قال[١] : لما وصل العادل والأفضل إلى بلبيس ، بعدما رجع العزيز إلى مصر قصد الأفضل مناجزته بالقتال فمنعه عمه العادل عن ذلك ، وقصد الأفضل المسير إلى مصر والاستيلاء عليها فمنعه عمه من ذلك أيضاً ، وقال : «مصرُ لك متى شئت» . وكاتب العادل العزيز فى الباطن ، وأمره بإرسال القاضى الفاضل ليصلح بين الأخوين وكان الأفضل قد اعتزل عن ملابستهم لما رأى من فساد أحوالهم ، فدخل عليه العزيز وسأله ، فتوجه الفاضل من القاهرة إلى الملك العادل ، واجتمع به واتفقا على أن يصلحا بين الأخوين ، فأصلحا بينهما ، فأقام العادل بمصر عند العزيز ابن أخيه ، ليقرر أمور مملكته ، وعاد الأفضل إلى دمشق[٢] .

وفى تاريخ ابن العميد : وفى هذه السنة عزم السلطان الملك العزيز على قصد دمشق وحصارها ، فأشار الأكابر على الأفضل بأن يُراسل العزيز أخاه ويلاطفه ويستعطفه ، وأشار عليه وزيره الجزرى بأن يتوجه إلى عمه العادل ويستنصره على أخيه العزيز ، فأصغى إليه ، ومال إلى قوله ، ورحل من دمشق لأربع عشرة[٣] ليلة مضت من جمادى الأولى ، متوجهاً إلى الرَّقة ، فتلقاه العادل عمه ، فسأله النصرة فأجاب إليه فذهب الأفضل إلى حلب إلى أخيه الظاهر ، وجاء العادل إلى دمشق ، فدخلها فى آخر جمادى الآخرة ، ثم قدم الأفضل ودخل دمشق ، وصار تحت يد العادل وأمره ونهيه ونفذت سهام العادل وعلم أن ملكه صائر إليه ، وأما الملك العزيز فإنه لما عَيّد عيد الفطر خرج متوجهاً لحصار دمشق ، فحين بَعُدَ عن الديار المصرية فارقه [أبو] الهيجاء السمين والأكراد ، وكان المقدّم عليهم ، والمهرانية والأسدية لأربع خلون من شوال ، ولحقوا بالملك العادل ، وأصبح العزيز فى قلة من العدد ، فرجع إلى مصر ، وكان الملك الظاهر صاحب حلب قد اعتقل بدر الدين دُلْدُروم الياروقى ؛ لذنب نسبه إليه ، واعتقل معه جماعة من أهل بيته ، ومضى إلى تل باشر ، فحاصرها ولم يقدر عليها ، فلما اجتمع بالعادل عند مسيره إلى دمشق ، شفع العادل فيهم وضمن له أن يكونوا فى خدمته ، فقبل شفاعته فيهم وأفرج عنهم وعاد إلى حصار تل

---

(١) يقصد العينى هناأبو الفدا صاحب تاريخ المختصر حيث ينقل عنه تلك الأحداث .

(٢) ينقل العينى هذا الحدث بتصرف من المختصر ، جـ٣ ، ص٩١ .

(٣) «أربعة عشر» فى الأصل والصحيح ما أثبتناه .

باشر ، فلم يقدر عليها ، واستصحبهم العادل ليكونوا فى خدمته فاستخدمهم ، وكتب المنصور صاحب حماة[١] ، والأمير عز الدين بن المقدم إلى العادل بالدخول فى طاعته ، وفارقا الظاهر وتحالفوا على ذلك ، ولما رأى الظاهر ذلك كاتب أخاه العزيز يستحثه على محاربة العادل والأفضل ، ثم ذكر نحواً مما ذكرناه ، وذكر أن الأفضل لما خرج من دمشق استخلف أخاه قطب الدين موسى[٢] بدمشق ، وذكر أيضاً أن العادل والأفضل نزلا على بلبيس ، وكان فى وقت [٢٠١] زيادة النيل ، وكانت الأسعار غالية والعلف معدوم ، ومنع النيل من نقل العلف إليهم فغلت الأسعار ، وبذل العزيز الأموال واستخدم الرجال وحصن البلاد ، ثم ندم العادل على ما فعل وكذلك الأسدية ، وأخذوا فى إصلاح الأمر وتلافيه وآخر الأمر اصطلحوا ، وعفى العزيز عن الأمراء الأسدية وطيّب قلوبهم ، ورد إليهم إقطاعهم وحلف لهم وحلفوا له ، وحلف الملوك الثلاثة كل منهم لصاحبه وتوثقوا بالأيمان ، وعادت الأسدية إلى خدمة العزيز ، وعاد الأفضل إلى دمشق ، ومعه أبو الهيجاء السمين وكان قد ولاه بيت المقدس ، وأقام العادل بمصر ، واستوطن القصر ، وأخذ فى إصلاح الديار المصرية وضياعها ورباعها ، وأظهر من محبته لابن أخيه العزيز شيئاً كثيراً ، وأقاموا على ذلك إلى السنة الآتية ثم أحدث الله بقدرته ما سنذكره إن شاء الله[٣] .

ذكر وقعة الزلاقة[٤] بالأندلس

وفى شعبان من هذه السنة كانت وقعة عظمة بالأندلس شمالى قرطبة بمرج الحديد[٥] ، وذلك أن الأذفونش بن فرذلند[٦] ملك الافرنج بالأندلس ، ومقره بمدينة طليطلة[٧] ، كتب إلى الأمير يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن[٨] ملك المغرب من

---

(١) انظر تفصيل هذا الحدث فى زبدة الحلب ، جـ٣ ، ص١٣٢-ص١٣٣ .

(٢) فى المقريزى استخلف أخاه الملك الظافر خضر صاحب بصرى . السلوك ، جـ١/ق١ ، ص١٢٥-١٢٦ . أما أبو شامة ، فقد اتفق مع العينى فى الاسم . انظر : الروضتين ، جـ٢ ، ص٢٣٠ .

(٣) ورد هذا الحدث بالتفصيل فى السلوك ، جـ١/ق١ ، ص١٢٣-١٢٦ ، ص١٢٨-١٢٩ .

(٤) الزلاقة : أرض بالأندلس بقرب قرطبة . معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٩٣٩ .

(٥) مرج الحديد : بالقرب من قلعة رباح . الكامل ، جـ٩ ، ص٢٣٣ .

(٦) الأذفونش ابن فرذلند : يقصد به ألفونسو السادس بن فرناندو الأول ملك ليون . ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص١٤٢ ، حاشية ١ ؛ ص١٤٥ ، حاشية ٢ .

(٧) طليْطلَة : ناحية بالأندلس من أعمال أستجة قريبة من قرطبة . معجم البلدان ، جـ٣ ، ص٥٤٥-٥٤٦ .

(٨) يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن : انظر ما سبق ، جـ٢ ، ص٢٦ .

العدوة يستحثه ويستدعيه إلى قتاله ، فى كلام طويل فيه تأديب وتهديد ووعيد[١] . وذكر بيبرس أنه كتاب نسخته[٢]«باسمك اللهم فاطر السموات والأرض ، أما بعد : أيها الأمير فإنه لا يخفى على كل ذى عقل ولبّ وذكاء ثاقب أنك أمير الملّة الحنيفية كما أنا أمير الملة النصرانية ، وأنه لا يخفى عليك [ما هو عليه][٣] رؤساء الأندلس وما هم عليه من التخاذل والتواكل وإهمال الرعية ، وطلب الراحة ، وأنا أسومهم الخسف وأخلى الديار وأسبى الذرارى وأمثل بالكهول وأقتل الشباب ، ولا عذر لك فى التخلف عن نصرتهم وقد أمكنتك يد القدرة ، وإنكم تعتقدون أن الله تعالى فرض عليكم قتال العشرة منا بواحد منكم ، والآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً[٤] ، وقد فرض عليكم اثنين منا بواحد منكم ونحن الآن نقاتل عدداً منكم بواحد منا ولا تقدرون دفاعاً ولا تستطيعون امتناعاً ، ثم حُكى لى عنك أنك أخذت فى الاحتفال ثم تمطل نفسك عاماً بعد عام ، تقدّم رجلاً وتؤخر أخرى ، ثم حكى لى عنك أنك لا تجد سبيلاً للحرب لعلك ما يسوغ لك التقحم فيها ، وأنا أقول لك ما فيه مصلحتك وأعتذر عنك ولك ، أن توفينى العهود والمواثيق والأيمان أن تتوجه بجملة من عندك فى المراكب وأجوز إليك بجملتى ، وأبارزك فى أعز الأماكن عندك فإن كانت لك فغنيمة عظيمة جاءت إليك وهدية مثلت بين يديك ، وإن كانت لى فتكون يدى العليا عليك واستحققت إمارة الملتين والتقدم على الفئتين ، والله يسهل الإرادة ويوفق السعادة»[٥] .

فلما وصل كتابه وقرأه يعقوب كتب إليه فى أعلاه هذه الآية :﴿ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لاَ قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾[٦] . وأعاده إليه وجمع عساكره من المسلمين وسار بهم حتى قطع الزقاق[٧] إلى الأندلس ، حتى التقوا

---

(١) انظر : البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٠ .

(٢) ذكر ابن خلكان أن هذه الرسالة من إنشاء ابن الفخار وزير الأذفونش . انظر : وفيات الأعيان ، جـ٢٧ ، ص٦ .

(٣) ما بين حاصرتين إضافة من الكامل لتوضيح المعنى ، جـ٩ ، ص٢٣٢ .

(٤) «الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا» . سورة الأنفال ، آية : ٦٦ .

(٥) انظر تفاصيل ذلك فى أمين توفيق الطيبى ، دراسات وبحوث فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص١٥٦ – ص١٧١ .

(٦) سورة النمل ، آية : ٣٧ .

(٧) الزُّقَاقُ : مجاز البحر بين طنجة بالمغرب على البحر المتصل بالإسكندرية والجزيرة الخضراء فى الأندلس وبينهما اثنا عشر ميلاً . معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٩٣٦ .

بالمكان المتقدم ذكره ، فكانت الدائرة أولاً على المسلمين ، فقتل منهم عشرون ألفاً ، ثم كانت آخرًا على الكافرين فهزمهم الله وكسرهم أقبح هزيمة وأشنعها ، فقتل منهم مائة ألف وثلاثة وأربعون ألفاً[١] ، وأسر منهم ثلاثة عشر ألفاً ، وغنم المسلمون منهم شيئاً كثيراً ، من ذلك : مائة ألف خيمة وثلاثة وأربعون ألفاً ، ومن الخيل ستة وأربعون ألفاً ، ومن البغال مائة ألف ، ومن الحُمر مثلها ، ومن السلاح التام سبعون ألفاً ، وملك شيئاً كثيراً من حصونهم ، وحاصر مدينتهم طليطلة مدة ، ثم لم يفتحها فانفصل عنها .

وفى المرآة[٢] : وكان كتاب ألفنش ملك الإفرنج بخط وزيره ، وكان نصرانياً قد قرأ العربية ، فلما قرأ يعقوب كتابه استشاط غضباً ، وأدركته حمية الإسلام والغيرة على الإيمان ، وكتب على رأس الكتاب بخطه «ارجع إليهم» . الآية[٣] . وكتب تحت الآية

ولا كُتْبَ إلا المشرقية عندنا[٤]	ولا رسُلٌ إلا الخميس[٥] العرمرمُ[٦]

ثم قام من ساعته فشدّ ذنب فرسه بيده ، ولبس سلاحه وسار إلى زقاق سبتة[٧] ، فنزل عليه وجمع الشوانى والمراكب وعرض جنده فكانوا مائتى ألف مقاتل ، مائة ألف يأكلون الديوان ، ومائة ألف مطوعة ، وعَبَر الزقاق إلى مكان يقال له الزلاقة ، وجاءه ألفنش فى مائتى ألف [فارس][٨] وأربعين ألفاً من أعيان الإفرنج والمقاتلة ، والتقوا فجرى بينهم قتال لم يجر فى جاهلية ولا إسلام ، ثم أنزل الله نصره على المسلمين ، فهرب ألفنش فى نفر يسير إلى طليطلة ، وغنم المسلمون ما كان فى عسكره ، فكان عدة من قتل من الإفرنج

(١) فى ابن الأثير ، وسبط ابن الجوزى ، قتل من الإفرنج مائة وستة وأربعين ألفاً ، الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٣٦ ؛ مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٨٦ ، وانظر هذا الحدث فى الكامل أحداث ٥٩١هـ .

(٢) سبط ابن الجوزى ، جـ٨ ، ص٢٨٧ .

(٣) سورة النمل - آية ٣٧ .

(٤) فى وفيات الأعيان «عنده» جـ٧ ، ص٧ ؛ أما العينى فنقلها من مرآة الزمان «عندنا» ، جـ٨ ، ص٢٨٧ .

(٥) فى المرآة «بالخميس» . انظر جـ٨ ، ص٢٨٧ .

(٦) هذ الشعر لأبى الطيبى المتنبى . وفيات الأعيان ، جـ٧ ، ص٧ .

(٧) سَبْتَة : بلدة مشهورة ، من قواعد بلاد المغرب ، على بر البربر تقابل جزيرة الأندلس على طرف الزقاق ، وهى سبعة جبال صغار متصلة بعضها ببعض ، وسميت بذلك لأنها جزيرة منقطعة ، والبحر يطيف بها من جميع جهاتها .
الإدريسى : نزهة المشتاق ، ص ٥٢٩-٥٣٠ ؛ معجم البلدان ، جـ٣ ، ص٣٠ ؛ القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد . بيروت - ١٩٦٠ ، ص٥٣٣ .

(٨) ما بين حاصرتين إضافة من مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٢٨٧ .

مائة ألف وستة وأربعين ألفاً ، وعدة الأسارى ثلاثون ألفا ، ومن الخيام مائة ألف خيمة وخمسون ألفا ، ومن الخيل ثمانون ألفاً ، ومن البغال مائة ألف ، ومن الحمير أربعمائة ألف حمار - تحمل أثقالهم ؛ لأنهم لا جمال لهم - ومن الجواهر والثياب والأموال ما لا يحد ولا يحصى .[١]

ولما انهزم الأذفونش حلق رأسه ولحيته ، وكسر حليته ، وركب حماراً وحلف لا يركب فرساً ولا يتلذذ بمطعم حتى ينصر النصرانية ، وجمع من الجنود ما لا يعلمه إلا الله عز وجل . فاستعد له السلطان يعقوب والتقيا فاقتتلا قتالاً عظيماً ، فانهزم الفرنج أقبح من هزيمتهم الأولى ، وغنموا منهم نظير ما تقدم ذكره وأكثر ، واستحوذ يعقوب على كثير من معاقلهم وحصونهم ، ومن كثرة السبى والغنائم أبيع الأسير بدرهم ، والسيف بنصف درهم ، والحمار بدرهم ، والحصان بخمسة دراهم ، وقسَّم يعقوب الغنائم على الوجه الشرعى ، فاستغنى المجاهدون إلى الأبد ، ثم طلب منه الإفرنج الأمان ، فهادنهم على وضع الحرب خمس سنين ، وإنما حمله على ذلك أن رجلاً يقال له على بن إسحاق المَيُرقى الملثم ظهر ببلاد أفريقية ، فأحدث أموراً فظيعة فى غيبة السلطان يعقوب واشتغاله[٢٠٣] بالإفرنج مدة ثلاث سنين ، وظهر هذا المارق الميورقى[٢] بالبادية وعاث فى الأرض فساداً ، و[قتل[٣]] خلقاً كثيراً ، وأهلك[٤] بلاداً .[٥]

وقيل إنما كانت هذه الوقعة فى سنة تسعين وخمسمائة .

وأُذفونش[٦] : بضم الهمزة وسكون الذال المعجمة وضم الفاء وسكون الواو وبعدها نون ثم شين معجمة ، اسم لأكبر ملوك الإفرنج ، وهذا كان صاحب طليطلة على ما ذكرنا ، وضبط بعضهم أَلفنش بفتح الهمزة وسكون اللام وفتح الفاء والنون وفى آخره شين معجمة والأول أظهر .

---

(١) نقل العينى هذا الخبر من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٨٧ .

(٢) رسم العينى الاسم بالشكلين المَيُرقى ، الميورقى . والرسمان صحيحان .

(٣) فى الأصل لم يظهر من الكلمة غير حرف واحد . وما بين الحاصرتين إضافة من النسخة المساعدة ومن ابن كثير حيث ينقل العينى عنه . انظر البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١١ .

(٤) فى ابن كثير «تملك» ، البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١١ .

(٥) ورد هذا الخبر فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١١ ؛ مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٨٧-٢٨٨ .

(٦) نقل العينى هذا التشكيل من وفيات الأعيان ، جـ٧ ، ص١٩ .

ذكر بقية الحوادث

منها أنه ورد كتاب من ملك[١] الروم مضمونه الإعلام بأن كلمة الروم اجتمعت على تقديمه ، [وأنه][٢] أحسن[٣] إلى المسلمين [وأمرهم بإقامة الجامع][٤] والتمس فى الكتاب الوصية بالبطرك العائد والنصاري الملكية ، وسأل إخراج موتاهم بالشمع الموقد ، وإظهار شعائرهم فى كنائسهم ، وأن يُفرج عن أسارى الروم الذين بمصر . ويذكر أن المسجد الذى بها كان الملك الناصر جدّد عمارته فى القسطنطينية[٥] ، وأقيمت الصلاة فيه والخطبة ، وأن جانباً منه انهدم فعمره من ماله ، وأنه محافظ على صيانته ، وتمكين مَنْ بالقسطنطينية من المسلمين من إقامة الصلوات والخطبة يوم الجمعة[٦] .

ووصل كتاب من البنادقة على يد رسولهم ، يتضمن شكراً للسلطان على ما أنعم به فى أساراهم ، وأنهم ارتبطوا بخدمته وامتنعوا عن الخروج من طاعته .

ومنها أنه ورد كتاب يتضمن أن سيف الإسلام طُغتكين خرج من اليمن يريد مصر فخرج عليه رجل شريف مجاور صنعاء فأشير عليه أنك تخرج لبلاد لا تعلم تحَصَّلُ لك أم لا . فتدبير بلادك بك أولى .

ومنها أن مؤيد [الدين[٧]] بن القصاب نائب الوزارة ، مَلَكَ همذان وغيرها من بلاد العجم ، وذلك أنه لما ملك خوزستان من أولاد شملة التركمانى[٨] ، سار منها إلى ميسان[٩] فوصل إليه قتلغ بن أينانج بن البهلوان صاحب البلاد ، وقد ذكرنا تغلب خوارزم

---

(١) هو إمبراطور الدولة البيزنطية إسحاق الثانى ، ISaac II [من١١٨٥-١١٩٥م] انظر : السلوك ، جـ١/ق١ ، ص١٢٠ ، حاشية١ .

(٢) ما بين حاصرتين إضافة من المقريزى للتوضيح ، السلوك ، جـ١ ، ق١ ، ص١٢٩ .

(٣) «وأحسن» فى الأصل والتصحيح من السلوك ، جـ١ ، ق١ ، ص١٢٩ .

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من السلوك لتوضيح المعنى . انظر : السلوك ، جـ١ ، ق١ ، ص١٢٩ .

(٥) القُسطَنْطِينيّة : ويقال قسطنطينة ، وهى إسطنبول اليوم ، كانت دار ملك الروم ، بينها وبين بلاد المسلمين البحر المالح ، والبحر يطيف بها من وجهين مما يلى الشرق والشمال وجانباها الغربى والجنوبى فى البر .
ياقوت : معجم البلدان ، جـ٤ ، ٩٥-٩٦ .

(٦) نقل العينى هذا الحدث بتصرف من السلوك ، جـ١/ق١ ، ص١٢٩ .

(٧) «الملك» كذا فى الأصل والتصحيح من الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٣٥ ؛ المختصر فى أخبار البشر ، جـ٣ ، ص٩٠ .

(٨) ورد هذا الخبر فى المختصر ، ج٣ ، ص٩٠ .

(٩) فى الأصل «ديسنا» والتصحيح من ابن الأثير حيث ينقل العينى عنه هذا الخبر . الكامل ، ج١٠ ، ص٢٣٥ . وميسان اسم كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط ، قصبتها ميسان . انظر : معجم البلدان ، جـ٤ ، ص٧١٤ .

شاه عليها وترتيبه المذكور فيها ، وكان سبب مجيئه أنه جرى بينه وبين مقدم العسكر الذى لخوارزم المسمى مَياجُق مَصافٌ عند زنجان[١] فاقتتلوا فانكسر عسكره ، وحضر المذكور[٢] ومعه جماعة من الأمراء إلى الوزير فأكرمهم ، وخلع عليهم وأعطاهم ما يحتاجون إليه من خيل وخيام وغير ذلك ، وساروا إلى همذان وبها ولد لخوارزم شاه صحبة مياجق ، فلما قاربهم عسكر الخليفة فارقها الخوارزمية ، وتوجهوا صحبة مياجق إلى الرىّ ، فاستولى الوزير عليها ، ورحل هو وقتلغ بن إينانج خلفهم ، فاستولوا على كل بلد جازوا به[٣] [وساروا][٤] إلى الرى فلما وصلوها فارقها الخوارزمية ، فسير الوزير خلفهم عسكراً ، فأتبعهم إلى دامغان وبسطام وجرجان ، فلم يدركهم ، فعاد العسكر إلى الرىّ ، فأقاموا بها ثم اتفق قتلغ بن إينانج ومن معه على خلاف الوزير لما رأوا البلاد قد خلت من الخوارزمية ، فساروا وانضم إليهم عسكر ، وقصدوا مدينة كرج وقد نزلوا على دربند[٥] هناك[٢٠٤] فطلبهم الوزير بعساكره واقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم قتلغ بن إينانج ونجى بنفسه ، ورحل الوزير إلى همذان ونزل بظاهرها فأقام نحو ثلاثة أشهر ، ثم أدركته الوفاة بها ، فسار خوارزم شاه إلى همذان فأدرك عسكر الخليفة فصافّه فى نصف شهر رمضان[٦] ، فانهزم عسكر الخليفة ، وغنم خوارزم شاه ما كان لهم من العدد والخيل ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، واسترجع همذان ، ونُبِشَ الوزير من قبره ، وقطع رأسه وسيّره إلى خوارزم[٧] .

ومنها أن الخليفة الناصر لدين الله جهز عسكراً مع مملوك له يقال له سيف الدين طغريل ، فاستولوا على أصفهان .

---

(١) فى الأصل «بخارى» ، والتصحيح من الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٣٥ ، حيث ينقل عنه العينى . وزنجان : بلد كبير مشهور ، من نواحى الجبال بين أذربيجان وبينها ؛ وهى قريبة من أبهر وقزوين ، والعجم يقولون زنكان بالكاف . معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٩٤٨-٩٤٩ .

(٢) يقصد به قتلغ بن أينانج . انظر : الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٣٥ .

(٣) ذكر ابن الأثير البلاد التى استولوا عايها ، وهى : خراقان ، ومزدعان ، وساوة ، وآوة . الكامل ، جـ١٢ ، ص٤٦ .

(٤) ما بين حاصرتين إضافة من ابن الأثير للتوضيح ، الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٣٥ .

(٥) دربند : هو باب الأبواب . انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥٦٤ .

(٦) فى ابن الأثير : «فوقع بينه وبين عسكر الخليفة مصاف نصف شعبان سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة» انظر الكامل : ج١٠ ، ص٢٣٥ .

(٧) نقل العينى هذا الحدث من الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٣٥-ص٢٣٦ .

ومنها أن مماليك البهلوان قَدَّموا عليهم مملوكاً من البهلوانية يقال له كُكجا فعظم أمر كُكجَا واستولى على الرِى وهمذان[١] . وفيها . . . .[٢]

وفيها حج بالناس من بغداد قطب الدين سنجر الخليفتى ، ومن الشام سَرا سُنقر وأيْبك فطيس الصلاحيّان ، ومن مصر الشريف إسماعيل بن ثعلب الجعفرى - من ولد جعفر بن أبى طالب .[٣]

ذكر من توفى فيها من الأعيان

الشيخ عبد الله[٤] بن محمد بن عبدالله الصوفى ، أبو القاسم ، شيخ رباط المأمونية ببغداد .

على بن حسان بن مسافر[٥] ، أبو الحسن الكاتب البغدادى ، كان أديباً شاعراً ، فمن شعره قوله .

نفى رقادى ومَضى		بَرْقٌ بِسلع ومضا
لاحَ كما سُلَّت يد الـ		أسود عضًبا[٦] أبيضا
كأنه الأشهبُ فى		النقع إذا ما ركَضا
يبدو كما تختلفُ الر		يحُ على جمر الغضا
فتحسبُ الزنجىَّ أبا		دى نظرا وغمّضا
أو شعلة النار علا		لهيبُها وانخفضا
آه له من بارق		ضاء على ذات الأضا[٧]
أذْكَرنى عهدًا مَضى		على الغُوير[٨] وانقضى

---

(١) الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٣٩ .
(٢) بياض بمقدار ثلاث كلمات ثم بياض بمقدار سطر كامل فى الأصل .
(٣) فى مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٨٨ .
(٤) انظر ترجمته فى مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٨٨ .
(٥) «مسافر» كذا فى الأصل ، والتصحيح من البداية والنهاية ، جـ١٢ ، ص١١ .
(٦) عضباً : العَضْب ، القطع والشتم والتناول والضرب والطعن . انظر : الفيروزآبادى ، القاموس المحيط ، مادة «عضب» ، جـ١ ، ص١٠٩ .
(٧) الأضا : الأضاه المستنقع من سيل وغيره . الفيروزآبادى ، القاموس المحيط ، مادة «أضى» ، جـ٤ ، ص٣٠١ .
(٨) الغُوير : تصغير غار ، والغار البيت فى الجبل أو المنخفض أو الحجر يأوى إليه الوحش . انظر الفيروزآبادى ، مادة «غور» ، القاموس المحيط ، جـ٢ ، ص١٠٩ . انظر : البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٢ .

فـقـال لى قلبى الر ضى حـاجـة وأعـرضـا
يَطلبُ مَن أمـرَضـه فـديت ذاك المُمْرِضَا
يا غـرض القلب لقـد غـادرت قلبى غـرضـا
لأسـهم كـأنمـا مُـرْسلها صـرف القـضـا
فـبتّ لا أرتاب فـى أن رُقـادى قـد مـضـى
حـتى صـغى النجم وكـاد الليل أن يعـرُضـا
وأقـبل الصـبح لأطـراف الدجى مـغـضـضـا
وسَلّ فى الشـرق على الغَـرب ضـيـاء وانقـضى
كـالبـاز هَبّ سـحـرا من نومـه فـانتـفـضـا

فصل فيما وقع من الحوادث فى السنة الثانية والتسعين بعد الخمسمائة(★)

استهلت هذه السنة والخليفة هو الناصر لدين الله وأصحاب البلاد على حالهم ، ونقل الأفضل صاحب دمشق أباه السلطان صلاح الدين من قلعة دمشق إلى التربة بالمدينة[١] وذلك فى شهر صفر منها ، وكانت مدة لبثه فى القلعة ثلاث سنين ، ولزم الأفضل الزهد والقناعة وأموره مُفوّضه إلى وزيره ضياء الدين بن الأثير الجزرى ، وقد اختلفت الأحوال به وكثر شاكوه وقل شاكروه .[٢]

ذكر انتزاع[٣] دمشق من الملك الأفضل

قال المؤيد[٤] فى تاريخه : ولما بلغ الملك العادل - فى مصر - والملك العزيز[٢٠٥] اضطراب الأمور على الملك الأفضل اتفق العادل مع العزيز على أن يأخذا دمشق وأن يسلمها العزيز إلى العادل لتكون الخطبة والسكة فى سائر البلاد للعزيز كما كانت لأبيه السلطان صلاح الدين ، فخرجا وسارا من مصر فأرسل الأفضل إليهما فلك الدين وهو أحد أمرائه وهو أخو العادل لأمه ، واجتمع فلك الدين بالعادل فأكرمه وأظهر الإجابة إلى ما طلبه ، ولم يزل العادل والعزيز سائرين حتى نزلا على دمشق وقد حصنها الأفضل ، فكاتب بعض الأمراء من داخل البلد الملك العادل بأنهم معه وأنهم يسلمون البلد إليه ، فزحف العادل والعزيز ضحى يوم الأربعاء السادس والعشرين من رجب من هذه السنة ، فدخل العزيز من باب الفرج[٥] والعادل من باب توما[٦] ، فأجاب الأفضل إلى تسليم القلعة وانتقل منها بأهله وأصحابه ، وأخرج وزيره ضياء الدين الجزرى مختفياً فى صندوق خوفاً عليه من القتل ، وكان الملك الظافر خضر ابن السلطان صلاح الدين صاحب بصرى

(★) يوافق أولها ٦ ديسمبر سنة ١١٩٥م .

(١) يقصد بالمدينة هنا مدينة الكلاسة التى تقع شمالى جامع دمشق ، وقد بنى بها الأفضل قبة ونقل جثة والده صلاح الدين من القلعة إلى هذه القبة . انظر : وفيات الأعيان ، جـ٧ ، ص٢٠٦ ، ترجمة ٨٤٦ .

(٢) ورد هذا النص فى المختصر ، جـ٣ ، ص٩١-٩٢ .

(٣) «نتزاع» فى الأصل ، وهذا خطأ من الناسخ والصحيح ما أثبتناه .

(٤) البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٢ .

(٥) باب الفرج : أحدثه الملك العادل نور الدين وسماه بهذا الاسم تفاؤلاً لما وجد من التفريج بفتحه وكان بقربه باب يسمى باب العمارة فتح عند عمارة القلعة ثم سد . ابن شداد ، الأعلاق الخطيرة ، ص٣٦ .

(٦) باب توما : أحد أبواب مدينة دمشق . معجم البلدان ، جـ١ ، ص٤٤٣ .

مع أخيه الأفضل ومعاضدًا له ، فأخذت منه بصرى ولحق هو بأخيه الظاهر صاحب حلب ، فأقام عنده ، وأعطى الأفضل صرخد فسار إليها بأهله واستوطنها ، ودخل العزيز إلى دمشق يوم الأربعاء رابع شعبان منها ، ثم سلم دمشق إلى عمه العادل ، ثم رحل العزيز من دمشق عشية يوم الاثنين التاسع من شعبان ، فكانت مدة الأفضل فى دمشق ثلاث سنين وشهراً ، وأبقى العادل السكة والخطبة بدمشق للعزيز[١] . وقال ابن كثير فى تاريخه : وفى رجب من هذه السنة أقبل العزيز من مصر صحبة عمه العادل فى العساكر ، فدخلا دمشق قهراً وأخرجا منها الأفضل ووزيره الذى أساء تدبيره ، وصلى العزيز الجمعة عند تربة والده صلاح الدين وخطب له بدمشق ، ودخل فى هذا اليوم القلعة وجلس فى دار العدل للحكم والفصل ، كل هذا وأخوه الأفضل حاضر عنده فى الخدمة ، وأمر القاضى محيى الدين بن الزكى بتأسيس المدرسة العزيزية إلى جانب تربة أبيه ، وكان داراً للأمير عز الدين أسامة ثم استناب على دمشق عمه العادل وانشمر إلى الديار المصرية يوم الاثنين تاسع شعبان[٢] ، والسكة والخطبة له ، وصولح الأفضل عن دمشق على مدينة صرخد ، وهرب وزيره الجزرى إلى جزيرته وأتلف ملكه ونفسه بجزيرته ، وانتقل الأفضل إلى صرخد بأهله وأولاده وأخيه قطب الدين .[٣]

وقال صاحب المرآة : لما ازداد من ابن الأثير الجزرى وزير الأفضل الأفعال القبيحة وأذاه لأكابر الدولة من أهل الشام والأفضل يسمع منه ولا يخالفه ، كتب قيماز النجمى وأعيان الدولة إلى العادل فى مصر يشكونه ، فأرسل العادل إلى الأفضل يقول : ارفع يد هذا الأحمق السيء التدبير القليل التوفيق فلم يلتفت إليه ، فاتفق العادل مع العزيز على النزول إلى الشام ، فسار إلى الشام فاستشار الأفضل أصحابه وكل أشار عليه أن يلتقى عمه وأخاه ولا يخالفهما إلا الجزرى فإنه أشار عليه بالعصيان ، فاستعد للحصار ، وحلّف الأمراء والمقدمين وفرقهم فى الأبراج وعلى الأسوار فراسلوا العزيز والعادل وأصلحوا أمرهم فى الباطن ، واتفق العادل مع عز الدين بن الحمص على فتح الباب الشرقى - وكان[٢٠٦]

---

(١) نقل العينى هذا الحدث من المختصر ، جـ٣ ، ص٩٢ .
(٢) اتفق العينى مع أبى شامة وابن واصل فى هذا التاريخ ، انظر الروضتين ، جـ٢ ، ص٢٣١ ؛ مفرج الكروب ، جـ٣ ، ص٦٨ ؛ وقد اختلف معهم ابن كثير الذى ينقل عنه العينى حيث ذكر أنه «يوم الاثنين تاسع شوال» انظر البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٢ .
(٣) نقل العينى هذا النص من ابن كثير بتصرف ، البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٢ .

مسلماً إليه فلما كان يوم الأربعاء السادس والعشرين من رجب ركب العادل والعزيز وجاءا إلى الباب الشرقى ، ففتحه ابن الحمص فدخلا البلد من غير قتال ، فنزل العزيز دار عمته ست الشام ونزل العادل دار العقيقى[١] ونزل الأفضل إليهما وهما فى دار العقيقى ، فدخل عليهما وبكى بكاء شديداً ، فأمره العزيز بالانتقال إلى صرخد ، فأخرج وزيره الجزرى فى الليل فى جملة الصناديق خوفاً عليه من القتل ، فأخذ أموالاً عظيمة وهرب إلى بلاده ، وكان العزيز قد قرر مع العادل أن يكون نائبه بمصر ، ويقيم العزيز بدمشق ، ثم ندم فأرسل إلى الأفضل وسأله فيها صلاح حاله فأذاعها ، ووصلت إلى العادل فغضب العزيز ورسم عليه بالخروج ، فخرج إلى مسجد خاتون بأهله وعياله ، وسلم العزيز بصرى إلى العادل وكان بها الظافر ، وأقام العزيز بدمشق أربعة أيام وصلى الجمعة عند مكان قبر والده بالكلاسة ، وأمر ببناء القبة والمدرسة إلى جانبها ، وأمر محيى الدين بن زكى الدين بعمارة المدرسة العزيزية ، وكان الأفضل قد شرع فى بناء تربة عند مشهد القدم[٢] بوصية من السلطان ، فإنه قال : تكون تربتى على الجادة ليمر بها الصادر والوارد فيترحمون على . فارتفع منها فأمه ، ولما جاء العزيز إلى دمشق أخربها ، وكان العزيز إذا جلس فى مجالس لهوه جلس العادل على بابه كأنه برددار[٣] ، ولما كان آخر ليلة من مقامه بدمشق وكانت ليلة الاثنين تاسع شعبان قال العادل لولده الملك المعظم : ادخل . فقبّل يده واطلب منه دمشق ، وكان المعظم قد راهق الحلم فدخل فقبل يده وطلب دمشق فدفعها إليه وأعطاه سنجقه[٤] ، وقيل : بل استناب العادل فيها وأعطاها للمعظم عيسى بن العادل[٥] فى سنة أربع وتسعين وخمسمائة ثم رحل العزيز إلى مصر فى تاسع شعبان ومضى الأفضل إلى

---

(١) دار العقيقى : داخل باب الفرج تجاه المدرسة العادلية بدمشق . السلوك ، جـ١ ، ق٢ ، ص٦٤٦ ، وقد ذكرها سامى الدهان بقوله «دار العقيقى هى القسم الكبير من الظاهرية اليوم . انظر : زبدة الحلب ، جـ٣ ، ص٢٠ ، حاشية ١ .

(٢) مشهد القدم : هو من الآثار التى فى دمشق وغوطتها مما يرجى فيه إجابة الدعاء . انظر : النجوم الزاهرة ، جـ٥ ، ص١٢٦ ، حاشية ١ .

(٣) البردار : لقب لأرباب الوظائف من الأتباع والحواشى والخدم ويكون البردار فى خدمة مباشر الديوان فى الجملة متحدثاً على أعوانه والمتصرفين فيه ، وأصل الكلمة فردادار وهى كلمة فارسية من لفظين أحدهما فردا ومعناها الستارة والثانى دار ومعناه ممسك أى ممسك الستارة ، السلوك جـ١ ، ق٢ ، ص٥٣٤ ، حاشية ٦ .

(٤) سنجقه : السنجق لفظ تركى يطلق على الرمح ، والمراد به الراية التى تربط به ، والجمع سناجق وهى رايات صفر صغار ، يحملها السنجقدار زمن السلم .

انظر : صبح الأعشى ، جـ٤ ، ص٤٨ ؛ جـ٥ ، ص٤٥٦ ، ص٤٥٨ ؛ السلوك ، جـ١ ، ق١ ، ص١٢٤ ، حاشية ١ .

(٥) المعظم عيسى بن العادل : هو شرف الدين عيسى بن الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب صاحب دمشق ولد سنة ٥٧٨هـ ، وتوفى ٦٢٤هـ ، وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص٤٩٤-ص٤٩٥ .

صرخد ، ونفى العادلُ ابنَ الحمصى الذى فتح له الباب الشرقى ، وكان قد أعطاه عشرة آلاف دينار فاستردها منه واجتاز العزيز فى طريقه إلى مصر بالقدس ، فعزل أبا الهيجاء السمين عنه ، وولاه سنقر الكبير[١] ومضى أبو الهيجاء إلى بغداد على ما سنذكره[٢] إن شاء الله . وقال بيبرس فى تاريخه : وفى سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة تحدّد للعادل سوء رأى فى الأفضل واغتاظ منه لأمور بلغته عنه ، فاتفق مع العزيز على أخذ دمشق منه وأخذ حلب من الظاهر فخرجا ، ولما وصلا إلى غزة أرسل الأفضل كتاباً ؛ يستعطف العادل ، فسيرا إليه أنه لابد من اجتماع الكلمة وخدمة العزيز والعزم على قصد دمشق ، وقد كان الظاهر[٣] قد أرسل إلى أخيه الأفضل يقول له : أخرج عمنا من بيننا ونحن ندخل تحت كلّ ما تريد ، فأنا أعرف منك به ، وأقرب إليه ، فإنه عمى كما هو عمك ، وأنا زوج ابنته ، ولو علمتُ أن لنا فى دخوله بيننا خير لكنت أولى به منك ، وقال له الأفضل : أنت سيء الظن فى كل أحد أتى مصلحة لعمنا فى أذيتنا ، ونحن إذا اجتمعت كلمتنا سيّرنا معه العساكر من عندنا فملك من البلاد أكثر من بلادنا ونربح حسن الذكر . ثم ذكر بيبرس نحواً مما ذكرنا إلى أن قال : إنهم استمالوا أميراً من أمراء الأفضل يسمى العزيز أبو غالب بن[٢٠٧] الحمصى وكان الأفضل يعتمد عليه ويكثر الإحسان إليه ، ففتح له الباب الشرقى فى السابع والعشرين من رجب وأدخل العادل منه ومعه جماعة من أصحابه ، وركب العزيز ووقف بالميدان الأخضر غربى البلد ، ولم يشعر الأفضل إلا وعمه معه فى البلد وقد ملكت عليه[٤] فركب لوقته وتوجه إلى أخيه العزيز ، واجتمع معه ودخل البلد ومضيا إلى عمهما العادل ، وكان قد نزل فى دار أسد الدين شيركوه ، فاتفق العادل والعزيز على أن يبقيا على الأفضل البلد خوفاً أن نجمع عليهما العساكر ، وعاد الأفضل إلى مكانه وبات العادل بدار شيركوه وخرج العزيز إلى خيمته ثم خرج العادل من الغد إلى جوسقه[٥] ، وبقى الأفضل يتردد إليهما كل يوم ثم استقر الحال على أن يخرج الأفضل من دمشق ويأخذ صرخد فيسلم العزيز قلعة دمشق ، وسار الأفضل إلى صرخد ،

---

(١) يقصد العينى هنا تولية العزيز القدس لسنقر .
(٢) نقل العينى هذا الحدث بتصرف من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٨٣-ص٢٨٤ .
(٣) الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٤٢ .
(٤) الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٤٣ .
(٥) جوسقه : كلمه فارسية مصرية وأصلها كوسك ومعناها القصر . انظر محيط المحيط ، جـ١ ، ص٣١٨ .

ثم خرج العزيز من دمشق عائداً إلى مصر ، وجدد بينه وبين العادل إيماناً ، ونزل عن خبزه بمصر فكان دخوله مصر رابع شهر رمضان من هذه السنة(١) . وفى تاريخ النويرى(٢) : ولما استقر الأفضل بصرخد كتب إلى الخليفة الناصر لدين الله يشكو من عمه أبى بكر وأخيه العزيز عثمان بقوله فى أول الكتاب :

مولاى إن أبا بكر وصاحبه ... عثمان قد غصبا بالسيف حق على
فانظر إلى حظ هذا الاسم كيف لقى ... من الأواخر ما لاقى من الأول
وهو الذى كان قد ولاه والده ... عليهما واستقام الأمر حين ولى
فخالفاه وحلا عقد بيعته ... والأمر بينهما والنص فيه جلى

فكتب الخليفة الناصر إليه جواب كتابه وفى أوله :

وافي كتابك يا ابن يوسف معلنا ... بالود يخبر أن أصلك طاهر
غصبوا عليا حقه إذ لم يكن ... بعد النبى له بيثرب ناصر
فابشر فإن غدا عليه حسابهم ... واصبر فناصرك الإمام الناصر(٣)

ذكر غزوة صاحب غزنة

وفى هذه السنة سار شهاب الدين أحمد الغورى(٤) صاحب غزنة إلى بلاد الهند ، ففتح قلعة عظيمة تسمى بهنكر بالأمان ثم سار إلى قلعة كواكير وبينهما خمسة أيام ، فصالحه أهلها على مال حملوه إليه ، ثم سار إلى بلاد الهند فغنم وأسر شيئاً كثيراً ثم عاد إلى غزنة ، مؤيداً منصوراً .(٥) وقال بيبرس : لما سار شهاب الدين بن سام الغورى إلى بلاد الهند فتح قلعة بهنكر بالأمان ثم سار إلى قلعة كواكير وهى قلعة منيعة على جبل لايصل

(١) ورد هذا الحدث بتصرف فى الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٤٣ ؛ نهاية الأرب ، جـ٢٨ ، ص٤٤٨ ، ص٤٤٩ .

(٢) بالرغم من أن العينى يذكر هنا أنه ينقل عن النويرى إلا أنه أخطأ فى هذا إذ ينقل هذا الحدث عن المؤيد ، المختصر فى أخبار البشر ، جـ٣ ، ص٩٢-ص٩٣ .

(٣) نقل العينى هذا الحدث بتصرف من المختصر فى أخبار البشر ، جـ٣ ، ص٩٢-ص٩٣ ، أيضاً راجع مفرج الكروب ، جـ٣ ، ص٦٩ .

(٤) شهاب الدين أحمد الغورى : انظر ما سبق ، جـ٢ ، ص٨٦ .

(٥) نقل العينى هذا الحدث بتصرف من الكامل ، جـ١٢ ، ص٥٠-ص٥١ .

إليها نشاب ولا منجنيق ، فأقام عليها شهر صفر فلم يبلغ منها غرضاً ، فراسله من بها فى الصلح على مال يحملونه فأجابهم ورحل عنها . فأغار[١] ونهب وسبى وغنم شيئاً عظيماً ثم عاد إلى غزنة سالماً .

ذكر وقعة أخرى بين يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وبين ألفنش ملك الإفرنج

وكان ألفنش قد جند وجمع جمعاً أكثر من الأول ، والتقوا فهزمه يعقوب وساق خلفه إلى طليطلة ، وضربها بالمجانيق وضيق عليها ولم يبق إلا فتحها ، فخرجت إليه والدة ألفنش وبناته ونساؤه [٢٠٨] وأهله وبكين بين يديه وسألنه إبقاء البلد عليهن ، فَرَقَّ لهن ومنَّ عليهن به ، ووهب لهن المال والجواهر ، وردهن مكرمات بعد القدرة .[٢] ولو فتح طليطلة لفتح إلى مدينة النحاس[٣] وعاد إلى قرطبة فأقام شهراً يقسم الغنائم ، وجاءته رسل ألفنش تسأله الصلح فصالحه مدة وأمن أهل الأندلس .[٤]

وفى تاريخ بيبرس : فصالحهم مدة خمس سنين ثم عاد إلى مراكش[٥] ، وقيل : إن هذه الوقعة كانت فى سنة إحدى وتسعين وخمسمائة .

ذكر مُلك عسكر الخليفة أصفهان

وفى هذه السنة ملك عسكر الخليفة أصفهان ، وسبب ذلك كان بأصفهان ولد خوارزم شاه ، وكان أهلها يكرهونه ، فكاتبوا الخليفة الناصر سيبذلون له تسليم البلد إلى من يصل من الديوان من العساكر ، فجهز الخليفة جيشاً صحبة سيف الدين طغرل مقطع بلد اللحف[٦] من العراق ، فساروا إليها ونزلوا بظاهرها ، ففارقها عسكر خوارزم شاه ودخلها عسكر الخليفة وخطب له فيها .[٧]

---

(١) ذكر ابن الأثير أن شهاب الدين الغورى أغار على «آى وصور» الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٤٢ .

(٢) شذرات الذهب ، جـ٤ ، ص٣٠٧-ص٣٠٨ .

(٣) مدينة النحاس : يقال لها مدينة الصُّفر ، وهى فى بعض مفاوز الأندلس . عنها انظر بالتفصيل : معجم البلدان ، جـ٤ ، ص٤٥٥-ص٤٥٨ .

(٤) نقل العينى هذا الحدث بالنص من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٨٨ .

(٥) ورد هذا الخبر فى الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٣٦-ص٢٣٧ ؛ حوادث سنة ٥٩١هـ .

(٦) اللحف : صقع معروف من نواحى بغداد سمى بذلك لأنه فى لحف جبال همذان ونهاوند . معجم البلدان ، جـ٤ ، ص٣٥٣ .

(٧) نقل العينى هذا الخبر بتصرف من الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٣٨-ص٢٣٩ ، وقد ذكرها ضمن أحداث سنة ٥٩١هـ .

وفيها عاد خوارزمشاه إلى خراسان فاتفق الأمراء البهلوانية والمماليك وقدّموا عليهم شخصاً من أعيانهم يسمى كوكجا ، واستولوا على الرى وما جاورها من البلاد ، وسار إلى أصفهان لإخراج الخوارزمية منها ، فلما قاربها بلغه أن عسكر الخليفة عندها فأرسل إلى سيف الدين طغرل مقدم عسكر الخليفة يعرض نفسه على خدمة الديوان ، ويكون له من الإقطاع الرى وساوة وزنجان وقاشان[١] وما ينضم إليها من حدود مزدقان[٢] ويكون للديوان أصفهان وهمذان وقزوين فأجيب إلى ذلك وكتب له منشوراً وأرسلت له الخلع ، فعظم شأنه وقوى أمره .[٣]

ذكر بقية الحوادث

منها أنه هبت ريح شديدة مظلمة مدلهمة بأرض العراق ومعها رمل أحمر حتى احتاج الناس إلى إشعال الأضواء بالنهار[٤] ، ووقع من الركن اليمانى قطعة وتحرك البيت الحرام مرارًا ، وهذا شىء لم يعهد[٥] منذ بناه ابن الزبير وأعاده الحجاج وإلى هلم جرا .

ومنها أنه ظهر ببوصير[٦] - قرية بصعيد مصر وهى التى قتل فيها مروان الجعدى آخر خلفاء بنى أمية - بيت هرمس الحكيم وفيه أمثلة كباش وضفادع وقوارير كلها نحاس وفيه أموات لم تبل ثيابهم .[٧]

ومنها أنه ولى قوام الدين أبو طالب يحيى بن سعيد بن - زبادة[٨] كتابة الإنشاء ببغداد ، وكان فاضلاً بليغاً ولكن لا كالفاضل .

---

(١) قاشان : مدينة قرب أصفهان تذكر مع قُم . انظر : معجم البلدان ، جـ٤ ، ص١٥ .
(٢) «مردغان» كذا فى الأصل والتصحيح من معجم البلدان ، جـ٤ ، ص٥٢٠ .
(٣) نقل العينى هذا الحدث بتصرف من الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٣٩ .
(٤) البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٢ ؛ الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٤٣ .
(٥) مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٨٨ ؛ شذرات الذهب ، جـ٤ ، ص٣٠٨ .
(٦) «بوصير» : إحدى قرى الجيزة . راجع معجم البلدان ، جـ٤ ، ص٧٦٠ .
(٧) مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٨٨ .
(٨) «زيادة» كذا فى الأصل والتصحيح من ابن خلكان .
هو أبو طالب يحيى بن أبى الفرج سعيد بن أبى القاسم هبة الله بن على بن فرغلى بن زباد الشيبانى توفى سنة٥٩٢هـ . وفيات الأعيان ، جـ٦ ، ص٢٤٤-ص٢٤٩ .

ومنها أن مجير الدين(١) أبا القاسم محمود بن المبارك البغدادى ، درس بالمدرسة النظامية ، وكان فاضلاً بارعاً مناظراً .(٢) وفيها ....(٣)

وفيها حج بالناس من العراق ألب قرا مملوك طاشتكين ، وكان الخليفة قد أفرج عن طاشتكين من الحبس فى هذه السنة ، وحج من مصر(٤) الشريف إسماعيل بن ثعلب الجعفرى أيضاً .(٥)

ذكر من توفى فيها من الأعيان

صدر الدين محمود بن عبداللطيف بن محمد بن ثابت الخجندى رئيس الشافعية(٦) بأصفهان ، قتله فلك الدين سنقر الطويل شحنه أصفهان(٧) وكان ذلك سنة زوال ملك أصفهان عن الديوان العزيز .

فخر الدين محمود بن على[٢٠٩] **النَّوقانى**(٨) **الشافعى** ، توفى فى هذه السنة عائداً من الحج .

أبو الغنائم محمد بن على بن فارس الشاعر الهرثى ، والهرث(٩) قرية تحت واسط فى نهر جعفر بينها وبين واسط عشرة فراسخ . كان رقيق الشعر مليح المعانى ، أكثر فى الغزل ووصف المحبة والشوق والصبابة فمالت القلوب إليه ، ومولده سنة إحدى

---

(١) «محيى الدين» كذا فى الأصل والمثبت هو الصحيح ، وهو المجير البغدادى محمود بن المبارك بن على الواسطى توفى سنة ٥٩٢هـ . انظر : الإسنوى ، طبقات الشافعية ، جـ١ ، ص١٣٠ ، ترجمة ٢٤٩ .

(٢) نقل العينى هذا النص بتصرف من ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ١٢ ، ص٥٢ .

(٣) بياض فى الأصل بمقدار سطر وكلمتين .

(٤) مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٨٨ .

(٥) إسماعيل بن ثعلب الجعفرى من أغنياء الصعيد أقام ببلدة ديروط- سربان بالصعيد . معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٥٧٠ .

(٦) صدر الدين محمود بن عبداللطيف بن محمد بن ثابت الخجندى ، يبدو أنه هو أبو بكر محمد بن عبداللطيف بن محمد بن عبداللطيف الخجندى توفى مقتولاً عام ٥٩٢هـ . انظر : الإسنوى . طبقات الشافعية ، جـ١ ، ص٢٣٦ ، ترجمة رقم ٤٤٦ .

(٧) نقل العينى هذا الخبر من المختصر ، جـ٣ ، ص٩٢ .

(٨) فخر الدين أبو عبدالله محمد بن أبى على بن أبى نصر النوقانى ولد بنوقا سنة ٥١٦هـ ، مات بالكوفة سنة ٥٩٢هـ . انظر : الإسنوى ، طبقات الشافعية ، جـ٢ ، ص٢٨٠ ، ترجمة١١٩٥ .

(٩) عنها انظر : معجم البلدان ، جـ٤ ، ص٦-٩ .

وخمسمائة ، ومدح الأمراء والرؤساء والأعيان ، وكانت وفاته فى رجب منها بالهرث ، وديوانه مشهور وفضله مذكور ، ومن شعره قصيدة أولها :[1]

أجيراننا إن الدموع التى جرت ... رخاصاً على أيدى النَوى لغَوالِ
صحبناكم والعمر غض وحُبّنا جديدٌ ... وميدان الصبّابة خال
فقد رق جلباب الشباب وما الصبا ... بباق ولا برد الغرام ببال
وحبكم حب يقوم بنفسه ... ترفع عن شِبْه له ومثال
حماه حفاظى أن يلم بخاطرى ... وأخفاه صونى أن يدور ببال
يقر بعينى أن أرى من دياركم ... مع الفجر ومض البارق المتعالى
أداوى على بعد المزار بذكركم ... عقائيل داءٍ فى الفؤاد عُضَال

إبراهيم بن أحمد بن محمد أبو[2] طاهر العكبرى ، ولد سنة خمس عشرة وخمسمائة ، وسمع الحديث ، ورأى فى منامه فى هذه السنة كأنه يقرأ «سورة يس» وهى اثنان وثمانون آية ، ويقال : إن من قرأها يعيش بعدد آياتها سنين ، فمات فى صفر وله اثنان وثمانون سنة ، وكذا يقال : إن من قرأ سورة من أول ما نزل القرآن طال عمُره ، ومن آخر ما نزل قصر عمر ، سمع القاسم[3] بن حصين ، وقاضى المارستان ، وابن السمرقندى وغيرهم .[4]

عبد الخالق بن عبد الوهاب بن محمد : ويعرف بابن الصابونى ، من أولاد المشايخ ، سمع الحديث ورواه ، وتوفى فى شوال ودفن عند معروف الكرخى ، وقد أناف على الثمانين سنة ، سمع أبا القاسم بن الحصين وطبقته .[5]

الفقيه أبو الحسن على بن سعيد بن الحسن البغدادى المعروف بابن العريف ، ويلقب بالبيع الفاسد ، كان حنبلياً ثم اشتغل شافعياً على أبى القاسم بن فضلان ، وهو

---

(١) ورد هذا النص فى مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص٢٨٩-٢٩٠ ، انظر أيضاً البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص١٣ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٦ ، ص١٣٩ ، شذرات الذهب ، جـ ٤ ، ص٣١٠ .
(٢) فى مرآة الزمان «ابن» ، جـ٨ ، ص٢٨٨ .
(٣) فى مرآة الزمان «القسم» ، جـ٨ ، ص٢٨٨ .
(٤) نقل العينى هذا الخبر بتصرف من مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص٢٨٨ .
(٥) نقل العينى هذا الخبر من مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص٢٨٨ . انظر أيضاً ترجمته فى : شذرات الذهب ، جـ٤ ، ص٣٠٩ .

الذى لقبه بذلك لكثرة تكراره على هذه المسألة - الخلافية-(١) بين الشافعية والحنفية ، ويقال : إنه صار بعد هذا كله إلى مذهب الإمامية والله أعلم ، مات فى هذه السنة .(٢)

الشيخ أبو شجاع محمد بن على بن شعيب بن الدهان الفرضى الحاسب المؤرخ البغدادى(٣) ، وقدم دمشق وامتدح الشيخ أبا اليمن الكندى زيد بن الحسن ، فقال :

يا زيد زادك ربى من مواهبه ... نعماً يقصر عن إدراكها الأمل
لا بدل الله حالاً قد حباك بها ... ما دار بين النحاة الحال والبدل
النحو أنت أحق العالمين به ... أليس باسمك فيه يضرب المثل(٤)

محمد بن أحمد أبو منصور ويعرف بابن باقه . كوفى ولد بالكوفة سنة ثلاثين وخمسمائة ، واشتغل بالأدب ، وكان أبوه فاضلاً أيضاً ، ومات محمد ببغداد ونقل إلى الكوفة رحمه الله .(٥)[٢١٠]

الوزير ابن القصاب : واسمه محمد بن على بن محمد أبو الفضل ، ولقبه مؤيد الدين ، وأصله من شيراز(٦) ، قدم بغداد فى سنة أربع وثمانين وخمسمائة وأول خدمته أنه استخدم فى ديوان الإنشاء ثم ترقى إلى الوزارة ، وقرأ الأدب على أبى السعادات بن الشجرى(٧) وغيره ، وكان داهية ردىء الاعتقاد وهو الذى أعان ابن الشيخ عبدالقادر على تمكنه من ابن الجوزى كما ذكرنا إلا أنه كان له خبرة بأمور الحرب وفتح البلاد ، وكان الخليفة [الناصر](٨) يثنى عليه ، ويقول : لو قبلوا من رأيه ما جرى ما جرى . ولقد أتعب

---

(١) نقل العينى هذا الخبر من البداية والنهاية مع إضافة كلمة «الخلافية» ، جـ١٣ ، ص١٣ .
(٢) نقل العينى هذا الخبر من البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص١٣ .
(٣) النجوم الزاهرة ، جـ٦ ، ص١٣٠ ؛ الزركلى ، الأعلام ، جـ٧ ، ص١٢٧ .
(٤) ورد هذا الخبر فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٣ .
(٥) مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٨٩ .
(٦) نقل العينى هذا الخبر من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٨٩ . وعن ترجمته راجع البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٢ ؛ شذرات الذهب ، ج٤ ، ص٣١١ .
(٧) أبو السعادات بن الشجرى : هو أبو السعادات هبة الله بن على بن محمد بن حمزة الحسنى المعروف بابن الشجرى البغدادى نسبة إلى شجرة وهى قرية من أعمال المدينة ، برع فى النحو واللغة وأشعار العرب ، توفى سنة ٥٤٢هـ فى بغداد . وفيات الأعيان ، جـ ٦ ، ص٤٥-٥٠ ترجمة رقم ٧٧٤ .
(٨) ما بين حاصرتين إضافة من مرآة الزمان لتوضيح الخبر ، جـ ٨ ، ص ٢٨٩ .

الوزراء بعده[١] . وقال ابن كثير : وكان أبوه يبيع اللحم ببعض أسواق بغداد ، فتقدم[ابنه][٢] وساد أهل زمانه ، وكانت وفاته بهمذان ، وقد أعاد رساتيق كثيرة من بلاد العراق وخراسان وخوزستان إلى ديوان الخليفة ، وكان ناهضاً وله صرامة وشهامة وشعر[٣] جيد .

الوزير عبيد الله بن المظفر بن هبة الله ابن رئيس الرؤساء : ويلقب بالأثير ، وجده وهو الوزير الذى قتله الباطنية وهو خارج إلى الحج فى أيام المستضئ . وكان عبيدالله فاضلاً عاقلاً ، ومن شعره :

إن حاول الدهر إخفائى فإن له … فى حسبى ، الآن سراً سوف يبديه

أعدّنى للعُلى ذخراً ومن ذخرت … يداه فى الدهر شيئاً فهو يُخفيه

زعيم الدين بن الناقد : واسمه نصر بن على بن محمد أبو طالب ، ولى حجبة الباب ثم ولى حاجب ديوان الإنشاء ، ثم ولى المخزن ، **وهو الملقب بقنبر** ، لقب به لأنه صاد ولده قنبراً وخبأه إلى جانب مسنده فخرج القنبر فصاح قنبر قنبر ، فلقب به ؛ وكان إذا بلغه أن أحدًا لقبه قنبر يسعى فى هلاكه . وقيل : إنه كان يتشيع ، وكانت عمامته طويلة ، ولقبه أهل باب الأزج قنبر ، وهو ذكر العصافير ، توفى فى هذه السنة .

سابق الدين عثمان صاحب شيراز ، مات فى هذه السنة بشيزر ، وعمل عزاؤه بالكلاسة بدمشق ، وهو أحد أولاد الداية الأربعة ، وأمهم داية نور الدين محمود بن زنكى رحمه الله .

---

(١) نقل العينى هذا الخبر من مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص٢٨٩ .

(٢) ما بين حاصرتين إضافة من ابن كثير حيث ينقل العينى عنه ، البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٤ .

(٣) «سعى» هكذا فى الأصل والتصحيح من البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٤ .

فصل فيما وقع من الحوادث فى السنة الثالثة والتسعين بعد الخمسمائة(*)

استهلت هذه السنة والخليفة هو الناصر لدين الله ، وصاحب مصر هو الملك العزيز ابن السلطان صلاح الدين ، واستولى على دمشق أيضاً كما ذكرنا ، وسير الملك الأفضل أخاه الذى كان صاحب دمشق إلى صرخد ، وصاحب حلب هو الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين رحمه الله .

ذكر غزوات الملك العادل

وفى هذه السنة انقضت مدة الهدنة التى كان عقدها الملك الناصر صلاح الدين للإفرنج ، فأقبلوا بقضهم وقضيضهم فالتقاهم الملك العادل بمرج عكا ، فكسرهم وغنمهم وفتح يافا عنوة ، وقد كانوا كتبوا إلى ملك الألمان يستنهضونه لفتح بيت المقدس فقدر الله هلاكه سريعاً ، وكفى الله المؤمنين شره وشر أهل الكفر .

وفى تاريخ بيبرس : وفى هذه السنة خرج العادل إلى خربة اللصوص[1] لحرب الفرنج ، وجاءه الأفضل من صرخد ، وقدم أسد الدين شيركوه من حمص ، ووصل عز الدين بن المقدم ونزلوا على عين جالوت[٢١١] وأخذ العادل يافا منهم بالسيف ، وقتل جماعة كثيرة وبيع الأسير بثمن بخس ، وكان السبب فى ذلك ما جرى منهم فى الغدر فراسل الإفرنج ملك الألمان ، وكان قد ملك صقلية وعرّفوه أن المسلمين اشتغلوا بحرب بعضهم بعضا فأقبل فى مراكبه إلى عكا ، واتفق هلاك الكندهرى ساقطا من شباك له ، فتملك الألمانى مكانه وسارا إلى بيروت فملكها من المسلمين ، وكان بها عز الدين أسامة .[2]
قال بيبرس : وفيها ملك العادل بيروت من الفرنج ، وذلك أنها كانت بيد المسلمين وكان بها أمير يعرف بأسامة ، وكان بطلاً شجاعاً يجهز المراكب فى كل وقت على الإفرنج ، فشكوا ذلك إلى الملك العادل بدمشق وإلى العزيز بمصر ، فلم يزيلوا شكايتهم ، فصار يقطع عليهم الطريق ويأخذ أموالهم ، فشكوا ذلك إلى ملوك الفرنج الذين داخل البحر وقالوا لهم : إن لم تنجدونا أخذ المسلمون البلاد فأمدّهم الفرنج بالعساكر الكثيرة وكان

(★) يوافق أولها ٢٤ نوفمبر سنة ١١٩٦م .

(١) خربة اللصوص : بلدة واقعة على الطريق بين دمشق وبيسان . السلوك ، جـ١ ، ق٢ ، ص٢١١ ، حاشية ١ .

(٢) ورد هذا الحدث بتصرف في الكامل ، جـ١٢ ، ص٥٣ ؛ الروضتين ، جـ ٢ ، ص٢٣٣ ؛ نهاية الأرب ، جـ ٢٨ ، ص٤٥٣- ص٤٥٤ .

أكثرهم من جهة ملك الألمان وكان المقدم عليهم قساً يعرف بالحصكير[١] ، فلما سمع العادل أرسل إلى العزيز بمصر يطلب [العساكر ، وأرسل إلى ديار الجزيرة والموصل يطلب العساكر][٢] أيضاً ، فجاءه الأمراء ، واجتمعوا على عين جالوت ، فأقاموا شهر رمضان وبعض شوال ، ودخلوا إلى يافا وملكوا المدينة ، وامتنع من بها بالقلعة التى لها ، فخرب المسلمون القلعة وملكوها عنوة بالسيف ، وأُخذ كل ما بها[٣] غنيمة وأسراً وسبياً ، ووصل الفرنج من عكا إلى قيسارية ليمنعوا المسلمين عن يافا فوصلهم الخبر بأن المسلمين ملكوها ثم سار المسلمون إلى عين جالوت ، فوصل الخبر أن الإفرنج على قصد بيروت ، فرحل العادل والعسكر فى ذى القعدة إلى مرج العيون وعزم على تخريب بيروت ، فسير إليها جمعاً من العسكر وهدموا سور المدينة وشرعوا فى تخريب دورها وتخريب القلعة ، فمنعهم أسامة من ذلك وتكفل بحفظها ، ورحل الفرنج من عكا إلى صيدا ، وعاد عسكر المسلمين عن بيروت فلقوا الفرنج بنواحى صيدا ، وتقابلوا فقتل منهم جماعة وحجز بينهم الليل ، فوصلوا إلى بيروت فلما قاربوها هرب منها أسامة ومن معه من المسلمين فملكوها عفواً صفواً بغير حرب ولا قتال ، فكانت غنيمة باردة ، فأرسل العادل إلى صيدا من خرب ما كان بقى منها ، فإن صلاح الدين كان قد خرب أكثرها وسافرت العساكر الإسلامية إلى صور فقطعوا أشجارها وخربوا مالها من قرى وأبراج ، فلما سمع الفرنج بذلك رحلوا عن بيروت إلى صور وأقاموا عليها ونزل المسلمون عند قلعة هونين ، وأذن العادل للعساكر الشرقية فى العود إلى بلادهم ظناً منه أن الإفرنج يقيمون ببلادهم ، وأراد أن يعطى العساكر المصرية دستوراً فأتاه الخبر أن الإفرنج يريدون يحصرون حصن تبنين ، فسير إليه عسكراً يحمونه ويمنعون عنه ، ورحل الفرنج من صور ونازلوا تبنين[٤] ، ولما أخذت الفرنج بيروت من يد صاحبها عز الدين سامه من غير قتال ولا نزال ، قال بعض الشعراء فى الأمير سامه :

سلم الحصن ما عليك ملامة ... ما يلام الذى يروم السلامة
إنّ أخذ الحصون[٥] من غير حرب ... سنة سنها ببيروت سامة[٢١٢]

(١) «خنصلير» كذا فى الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٤٦ ، وقد أبقينا على ما ذكره العينى .
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل . والمثبت من الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٤٦ .
(٣) «كلما» كذا فى الأصل والتصحيح من الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٤٦ .
(٤) نقل العينى هذا الحدث بتصرف من الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٤٥-ص٢٤٧ .
(٥) ورد هذا الشعر فى مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٩١- ولكن ورد مختلفاً فى الروضتين ، جـ٢ ، ص٢٣٣ ؛ والبداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٥ .

وقال أبو شامة : ومن عجيب ما بلغنى أنه لما كان الملك العادل فتح يافا بالسيف كان فى قلعتها من الخيالة أربعون فارساً من الفرنج العُزّب البحرية ، فلما تحققوا نقب القلعة وأخذها دخلوا إلى كنيستها وأغلقوا عليهم بابها ، وتجالدوا بسيوفهم بعضهم لبعض إلى أن هلكوا جميعاً وكسر المسلمون الباب وهم يرون أن الفرنج ممتنعون فوجدوهم قتلى عن آخرهم ، فعجبوا من حالهم .(١)

ذكر تسَحُّب أبى الهيجاء إلى بغداد

وفى هذه السنة تسحب أبو الهيجاء السمين إلى بغداد ، وكان من أمراء مصر المشهورين ، وكان من جملة إقطاعه القدس وغيره مما يجاوره ، فلما ملك العزيز والعادل أخذا القدس منه كما ذكرنا ، فتوجه إلى بغداد فأكرم الخليفة الناصر مثواه فأمره بالمسير إلى همذان مقدماً على الجيوش البغدادية ، فلما وصلها حضر إليه أزبك بن البهلوان صاحبها وأمير علم [وابنه](٢) وابن سطمش وغيرهم ، وكانوا قد كاتبوا الخليفة بالطاعة ، فلما اجتمعوا بأبى الهيجاء ووثقوا إليه ولم يحذروه قبض على أزبك بن البهلوان وابن سطمش وابن قرا بموافقة أمير علم ، فلما وصل الخبر بذلك إلى بغداد أنكرت هذه الحال على أبى الهيجاء وأمر بالإفراج عن الجماعة ، وسيرت لهم الخلع من بغداد تطييباً لقلوبهم ، فلم يسكنوا لهذه الحادثة ولا أمنوا بعدها ، ففارقوا أبا الهيجاء فخاف الديوان فلم يرجع إليه ولم يمكنه المقام فعاد يريد إربل فمات قبل أن يصل إليها(٣) . وفى المرآة(٤) : وفى هذه السنة قدم حسام الدين أبو الهيجاء السمين بغداد وخرج الموكب للقائه فى زى عظيم ، ورتب الأطلاب على ترتيب الشام وكان فى خدمته عدة من الأمراء ، وكان معه ولدا أخيه عز الدين كر والغرز(٥) ، وأول ما تقدم طُلب كر ثم الغرز ثم أمير أمير ، وجاء هو بعد الكل فى العُدد الكامل والسلاح التام ، وخرج جميع من ببغداد للقائه ، وكان رأسه صغيراً وبطنه كبيراً جداً بحيث كان على رقبة البغلة وكان قد رآه عند الحربية رجل كواز فعمل فى ساعة كوزاً من طين وسبقه فعلقه فى السوق ، فلما اجتاز به ضحك وعمل أهل

---

(١) لم يرد هذا التعقيب فى الروضتين ، جـ ٢ ، ص٢٣٢-ص٢٣٣ ؛ ورد بتصرف فى الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٤٥-ص٢٤٦ .
(٢) ما بين حاصرتين إضافة من الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٤٥ .
(٣) ورد هذا الخبر بتصرف فى الكامل ، جـ ١٠ ، ص٢٤٥ .
(٤) مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص٢٩٠ .
(٥) «العرس» فى مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص٢٩٠ .

بغداد بعده كيزاناً وسموها أبا الهيجاء السمين على صورته ، وأنزله الخليفة بدار العميد غربى بغداد بعد أن عبر إلى الجانب الشرقى ، وقبل عتبة باب النوبى وقام له الخليفة وأكرمه بالضيافات ، ثم أمره أن يجرد جماعة من أصحابه مع عسكر الخليفة إلى همذان ، فجرد جماعة فلما بعدوا من بغداد نهبوا خزانة الخليفة وقتلوا جماعة من عسكره ومضوا إلى الموصل والجزيرة ، وعاد عسكر الخليفة إلى بغداد وقد خرجوا ، فنقله الخليفة إلى الجانب الشرقى إلى دار عند النظامية كانت لسلطان دمشق مجير الدين أبق ، ووكل به ثم خلع عليه بعد ذلك الجبة والفرجية[١] والعمامة السوداء والقباء الأسود وبين يديه الخيل بمراكب الذهب . قال السبط : وقد شاهدته وأنا صغير فى هذه السنة[٢١٣] وأعطاه الأموال والرجال ، وسار إلى همذان[٢] فلم يتم له أمر واختلف الأمراء عليه وتفرق عنه أصحابه ، فخاف من الخوارزمى واستحى أن يعود إلى بغداد فسار يطلب الشام على دقوقا ، فلما وصل إليها مرض وأقام بها أياماً فتوفى . قال السبط : وبلغنى أنه كان نازلاً على تل فقال ادفنونى فيه ، فحفروا له قبراً على رأس التل[٣] فظهرت بلاطة عليها اسم أبيه فدفنوه عليه . وذكر السبط وفاته فى سنة أربع وتسعين ، وذكر غيره أنه توفى فى هذه السنة أعنى سنة ثلاث وتسعين[٤] والله أعلم . وكان كردياً من أكابر أمراء الناصر صلاح الدين يوسف ، وهو الذى كان نائباً على عكا وهى محاصرة ، ثم خرج منها ودخلها سيف الدين على بن أحمد المشطوب ، ثم استنابه صلاح الدين على بيت المقدس ، ثم لما أخذها العزيز عزل عنها ثم ذهب إلى بغداد كما ذكرنا .

ذكر بقية الحوادث

منها أن فى ليلة الجمعة التاسع من جمادى الآخرة أظلمت الدنيا بسحاب متكاثف وظهرت رعود وبروق كثيرة شديدة وهبت رياح عاصفة بحيث ارتجت لها الحيطان والجدران ، وثار بين السماء والأرض عجاج ، وخاف الناس الرجال والنساء فاعتصموا

---

(١) «الفرجية» : قميص فوقانى يُرتدى فوق الملابس ، وجمعها فراجى ، وفرجيات ، ماير ، الملابس المملوكية ، ص٩٥ .

(٢) نقل العينى هذا الحدث بتصرف من مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص٢٩٠-ص٢٩١ .

(٣) «النهر» كذا فى الأصل ، والمثبت من مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص٢٩٤-ص٢٩٥ .

(٤) اتفق سبط ابن الجوزى فى وفاة أبى الهيجاء أنه عام ٥٩٤هـ مع كل من ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٦ ، ص١٤٥ ، وابن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب ، جـ٤ ، ص٣١٧ وممن اختلفوا معهم وقالوا بأن الوفاة كانت عام ٥٩٣هـ كل من : ابن الأثير ، الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٤٥ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٥ .

بالمساجد الجامعة بحيث أيسوا من الحياة وترقبوا الهلاك ، وما حسبوا ذلك إلا قيام الساعة ، وكان ذلك أمراً عظيماً . وفى عقيب ذلك وردت الأخبار بأن مراكب كثيرة غرقت فى البحر ، وانفلقت أشجار كثيرة فى البرارى ، وهلك ناس كثير فى الأسفار[١] ، وكتب بذلك القاضى الفاضل إلى القاضى محيى الدين بن الزكى وأخبره بذلك فى كتابه بعبارات فائقة وإشارات[٢] رائقة .

ومنها أنه خرجت المراكب الحربية من مصر للغارة فوجدوا بطساً للفرنج فملكوها وأصابوا فيها أموالاً[٣] وغير ذلك . وكان فيها سبعون فارساً فبذل أحدهم فى فدائه ثمانين ألف دينار .[٤]

ومنها أن الأمير فخر الدين إياز جهاركس الناصرى بنى القيسارية[٥] المعروفة به بالقاهرة .[٦]

ومنها أنه وقعت الزلزلة بمصر .

وفيها ....[٧]

وفيها حج بالناس من بغداد شمس الدين أصبيه ، ومن الشام سيف الدين محمد بن نميرك ، وحج من الشام أيضاً عز الدين سامه ، وله آثار بالمدينة النبوية من القناة وعمارة القبة على قبر أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه .[٨]

(١) ورد هذا الخبر بتصرف فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٣-ص١٤ ؛ الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٤٣ ؛ مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٨٨ .

(٢) ورد نص هذا الكتاب فى الروضتين ، جـ٢ ، ص٢٣٢ .

(٣) ورد هذا الحدث بتصرف فى نهاية الأرب ، جـ٢٨ ، ص٤٥٣-ص٤٥٤ .

(٤) السلوك ، جـ١ ، ق١ ، ص١٣٩ .

(٥) عن قيسارية جهاركس . انظر . الخطط ، جـ٢ ، ص٨٧ ؛ السلوك ، جـ١ ، ق١ ، ص١٣٩ .

(٦) نهاية الأرب ، جـ ٢٨ ، ص٤٥٤ .

(٧) بياض فى الأصل بمقدار سطر .

(٨) مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص٢٩١ .

ذكر من توفى فيها من الأعيان

قاضى القضاة ببغداد أبو طالب على بن على بن هبة الله بن محمد البخارى[١] سمع الحديث على أبى الوقت وغيره ، وتفقه على أبى القاسم بن الفضلان ، وتولى نيابة الحكم ببغداد ثم استقل بالمنصب وأضيف إليه فى وقت نيابة الوزارة ، ثم عزل عن القضاء ثم أعيد ، ومات فى هذه السنة وهو حاكم ، وكان فاضلاً بارعاً من بيت الفقه والعدالة ، وله شعر حسن ، فمنه قوله :

تنح عن القبيح ولاتردهُ ... ومن أوليته حسناً فزده
كفى بك من عدوك كل كيد ... إذا كاد العدو ولم[٢] تكده[٣]

نقيب الطالبين ببغداد أبو محمد الحسن بن على بن حمزة بن محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن بن محمد بن على بن محمد بن يحيى بن الحسين بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب العلوى الحسينى المعروف بابن الأقساسى الكوفى مولداً ومنشاً ، مات فى هذه السنة وكان شاعراً فطيناً[٢١٤] امتدح الخلفاء والوزراء ، وهو من بيت مشهور بالأدب والرئاسة والمروءة ، وقدم بغداد فامتدح المقتدى وابنه المستنجد وابنه المستضىء وابنه الناصر ، وهو الذى ولاه نقابة الطالبين ، وكان شيخاً مهيباً جاوز الثمانين ، وقد أورد له ابن الساعاتى[٤] قصائد كثيرة فمنه قوله :

اصبر على كيد الزما ... ن فما يدوم على طريقهْ
سبق القضاء فكن به ... راضٍ ولا تطلب حقيقهْ
كم قد تقلب مرة ... وأراك من سعةٍ وضيقهْ
مازال فى أولاه ... والأخرى على هذى الخليقهْ[٥]

(١) انظر ترجمته فى الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٤٨ ؛ الشذرات ، جـ٤ ، ص٣١٥ .
(٢) «لم» كذا فى الأصل والتصحيح من ابن كثير حيث ينقل العينى منه ، انظر : البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٥ .
(٣) ورد هذا الخبر فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٥ .
(٤) «الساعى» فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٨ .
(٥) ورد هذا الخبر فى ابن كثير مع اختلاف فى البيت الأخير ، البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٥–ص١٦ .

الغزنوى[1] **الحنفى أحمد بن محمد بن محمود بن سعيد الغزنوى** معيد درس الإمام الكاشانى صاحب «البديع» ، تفقه على أحمد بن يوسف الحسينى العلوى ، وانتفع به جماعة من الفقهاء وتفقهوا به ، وصنف فى الفقه والأصول كتباً حسنة مفيدة منها : كتاب «روضة اختلاف العلماء» ، ومقدمته المختصرة المشهورة فى الفقه ، وكتاب فى أصول الفقه ، وكتاب فى أصول الدين ووسمه «بروضة المتكلمين» ، واختصره ووسمه «بالمنتقى من روضة المتكلمين» . توفى بحلب بعد سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ، ودفن بمقابر الفقهاء الحنفية قبل مقام إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام .

صاحب الهداية الإمام برهان[2] **الدين على بن أبى بكر بن عبد الجليل الفرغانى المرغينانى** ، شيخ الإسلام العلامة المحقق محيى مذهب أبى حنيفة رضي الله عنه ، أقر له أهل عصره بالفضل والتقدم كالإمام فخر الدين قاضى خان والإمام زين الدين العتابى ، تفقه على جماعة منهم : الإمام نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد النسفى[3] وفاق شيوخه وأقرانه وأذعنوا له كلهم ولاسيما بعد تصنيفه كتاب الهداية[4] وكفاية المنتهى[5] ، ونشر المذهب وتفقه عليه الجم الغفير ، وممن انتفع به كثيراً وتخرج به ، وروى الهداية للناس عنه شمس الأئمة محمد بن عبدالستار الكردرى ، مات فى هذه السنة . والفرغانى نسبة إلى فرغانة بفتح الفاء مدينة وراء الشاش وراء سيحون . وفرغانة أيضاً قرية من قرى فارس وإلى الأولى ينسب صاحب الهداية ، والمرغينانى نسبة إلى مرغينان بفتح الميم وسكون الراء وكسر الغين المعجمة وسكون الياء آخر الحروف وفتح النون وبعدها ألف ساكنة بعدها نون ، وهى مدينة من بلاد فرغانة والله أعلم .

الإمام قاضى خان : أحد السادات الحنفية ، اسمه الحسن بن منصور بن أبى القاسم ، محمود بن عبدالعزيز الأوزجندى الفرغانى ، الملقب بقاضى خان ، الإمام

---

(١) انظر : هداية العارفين ، جـ١ ، ص٨٩ .

(٢) برهان الدين على بن أبى بكر بن عبدالجليل الفرغانى المرغينانى ، توفى٥٩٣هـ . انظر ترجمته فى إسماعيل البغدادى ، هداية العارفين ، جـ١ ، ص٧٠٢ .

(٣) هو عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن لقمان النسفى الإمام نجم الدين أبو حفص السمرقندى الفقيه الحنفى ، توفى ٥٣٧هـ . انظر : شذرات الذهب ، جـ٤ ، ص١١٥ ، إسماعيل البغدادى ، هداية العارفين ، جـ١ ، ص٧٨٣ .

(٤) «هداية لشرح بداية المبتدى فى الفروع» . انظر : البغدادى ، هداية العارفين ، جـ١ ، ص٧٠٢ .

(٥) «كفاية المنتهى فى شرح بداية المبتدى» البغدادى ، هداية العارفين ، جـ١ ، ص٧٠٢ .

العلامة فخر الدين ، تفقه على الإمام أبى إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أبى نصر الصفارى الأنصارى ، والإمام ظهير الدين أبى الحسن على بن عبدالعزيز المرغينانى ، ونظام الدين أبى إسحق إبراهيم بن على المرغينانى ، مات فى هذه السنة ، والأصح ما ذكره صاحب طبقات الحنفية أنه توفى ليلة الاثنين الخامس عشر من رمضان سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ، ودفن عند القضاة السبعة .

ابن الباقلانى(١) **المقرى : اسمه عبدالله بن منصور بن عمران أبو بكر** ، ولد سنة خمسمائة ، وقرأ بواسط على أبى العز محمد بن الحسين بن بندار القلانسى وغيره ، وانفرد بالرواية فى القراءات العشر عن القلانسى ، وقدم بغداد فقرأ على أبى محمد عبدالله[٢١٥] بن على سبط أبى منصور الخياط وغيره ، وكان قدومه إلى بغداد سنة ست وسبعين وخمسمائة ، وتوفى بواسط سلخ ربيع الآخر فى هذه السنة ، ودفن عند أبيه بمقبرة المصلى ، وكان يوماً مشهوداً ، ورآه بعض الأعيان فى المنام فقال له : ما فعل الله بك؟ فقال : صلى على سبعون ألف من الأبدال .

عبد الوهاب(٢) **بن الشيخ عبد القادر الجيلى** : مات فى هذه السنة فى شوال ودفن بالحلة ، وكان مولده فى سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة ، وتفقه ووعظ وكان ذكياً ، وولاه الخليفة المظالم وتربة الخلاطية ، وكانت مجالس وعظه تمضى فى الهزل والمجون ، قيل له يوماً : ما تقول فى أهل البيت؟ فقال : قد أعمونى ، وكان أعمش ، والسائل إنما سأل عن فضل بيت رسول الله ﷺ ، فأجاب عن بيت نفسه ، وقيل له : بأى شئ يتبين المحق من المبطل؟ فقال : بليمونة أراد من يخضب يزول خضابه بليمونة .

يحيى(٣) **بن أسعد بن يحيى بن بُوش ، أبو القاسم الخباز البغدادى** ، سمع الكثير ، وكان قد افتقر فى آخر عمره ، فكان يأخذ على التسميع أجره ، جلس ليلة الأربعاء ثالث ذى القعدة يأكل خبزاً فغص بلقمة فمات فجأة فى هذه السنة ، سمع

---

(١) نقل العينى هذه الترجمة عن سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص٢٩١ . انظر أيضاً : الكامل ، جـ١٢ ، ص٥٤ ؛ وفيات الأعيان ، جـ٤ ، ص٢٦٩-٢٧٠ (ترجمة ٦٠٨) ؛ شذرات الذهب ، جـ٤ ، ص٣١٤ .

(٢) نقل العينى هذه الترجمة باختصار من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٩١-٢٩٢ ؛ انظر أيضاً : شذرات الذهب ، جـ٤ ، ص٣١٤ .

(٣) نقل العينى هذه الترجمة عن مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص٢٩٢ . انظر أيضاً : شذرات الذهب ، جـ٤ ، ص٣١٥ .

قاضى المارستان ، وأبا العز بن كادش ، وابن الطيورى ، وأبا طالب بن يوسف وهو آخر من روى عن أبى طالب ، وكان ثقة .

الوزير أبو المظفر عبيدالله بن يونس بن أحمد الحنبلى : ولقبه جلال الدين[(١)] ، كان فى بدء أمره أحد العدول ببغداد ، ثم خدم فى ديوان الأبنية ، ولما مات أبوه يونس توكل لأم الخليفة ، ثم ولى صاحب ديوان ، ثم استوزره الخليفة وبعثه إلى طغريل فكسر وعاد إلى بغداد ، فولاه الخليفة الديوان والمخزن ، ثم ولاه أستاذ الدار ، ثم عزله ، وكان قد قرأ القرآن على صدقة بن الحداد وغيره ، وتفقه على ابن حكيم النهروانى ، وسمع أبا الوقت وغيره ، ولما سافر إلى همذان سمع من أبى العلاء الحافظ الهمذانى ، وكان فاضلاً فى الأصولين والحساب والهندسة ، وله تصنيف فى الأصول غير أنه شان فضله بمقاصده السيئة ورأيه الفاسد وحقده وحسده ولجاجته ، وكسر عسكر الخليفة بمخالفته للأمراء ولجاجته وكونه استعجل على لقاء طغريل ، وأخرب بيت الشيخ عبدالقادر وشتت أولاده ، ويقال : إنه بعث فى الليل من نبش الشيخ عبد القادر ورمى عظامه فى اللجة . وقال : هذا وقف ما يحل أن يدفن فيه أحد ، ولما اعتقله الخليفة كُتِبَتْ فتوى بأنه كان سبب هزيمة عسكر الخليفة وذكروا أشياء أخر ، فأفتوا بإباحة دمه ، فسلم إلى أحمد بن الوزير بن القصاب ، فبقى فى داره ، فلما مات ابن القصاب اعتقل فى التاج وأخرج فى سابع عشر صفر ميتاً ودفن بالسرداب .

وأما **صدقه بن الحداد** الذى قرأ عليه ابن يونس القرآن فهو صدقة بن الحسين بن الحسن أبو الفتح الناسخ الحنبلى يعرف بابن الحداد ، حفظ القرآن وتفقه وأفتى وناظر لكنه قرأ الشفاء[٢١٦] لابن سينا ، وكتب الفلاسفة فتغير اعتقاده ، وكان يبدر من فلتات لسانه ما يدل على سوء عقيدته ، وتارة يسقف[(٢)] من جنس ابن الراوندى ، وتارة يشير إلى عدم بعث الأجساد ، وتارة يعترض على القضاء والقدر ، وله أشعار تتضمن شيئاً من ذلك ، فمات فى سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة .

---

(١) شذرات الذهب ، جـ ٥ ، ص٣١٣- ص٣١٤ .

(٢) يسقف : سقف البناء أو البيت ؛ طول فى أنحاء والمقصود أنه جعل ابن الراوندى سقفاً له أى تبعه . لسان العرب ، جـ٣ ، مادة «سقف» .

صَنْدَل بن عبدالله الخادم[١] **المقتفوى ، ويلقب عماد الدين** ، كان أكبر الخدم وأعقلهم ، أرسله الخليفة الناصر إلى السلطان صلاح الدين مراراً ، وكان كثير الصدقات والخير ، ولى ناظراً بواسط ، ومدحه ابن المعلم الشاعر بقصائد . مات فى هذه السنة ، ودفن بالتربة التى أنشأها عند الجامع غربى بغداد .

ابن الغريق الشاعر : هو أحمد بن عيسى الهاشمى من ولد الواثق بالله ويعرف بابن الغريق من أهل الحريم الظاهرى ، وكان شاعراً ناظماً من شعره ما اعتذر به عن الاكتحال يوم عاشوراء :

لم أكتحل فى صباح يوم أريق فيه دم الحسين

إلا لحزنى وذاك أنى سودت حتى بياض عينى

وكانت وفاته فى ذى القعدة عن ثمانين سنة ، ودفن بباب حرب .

سيف[٢] **الإسلام طغتكين بن نجم الدين أيوب : أخو السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ويلقب بظهير الدين** ، ملك اليمن ، توفى فى شوال من هذه السنة بمدينة زبيد . وكان قد جمع أموالاً جزيلة جداً ، وكان يسبك الذهب مثل الطواحين . ويدخره كذلك . فقام فى الملك بعده ولده إسماعيل ، ويلقب بالملك المعز ، وكان إذ ذاك بالسيرين[٣] فبعث إليه جمال الدولة كافور جماعة من الجند فعرفوه بوفاة أبيه ، ومضوا به إلى ممالك أبيه ، فسلموها إليه .

وفى تاريخ بيبرس : وفى[٤] سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة توفى الملك العزيز سيف الإسلام طغتكين باليمن بالمنصورة التى أنشأها وكان قد طرد ولده المعز شمس الملوك إسماعيل إلى الحجاز لأمر نقمه عليه ، فلما سمع بوفاة والده عاد إلى اليمن وملك بعده .[٥]

---

(١) انظر ترجمته فى الذيل على الروضتين ، ص١١ .

(٢) انظر : مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص٢٩١ ؛ الكامل ، جـ١٢ ، ص٥٤ ؛ شذرات الذهب ، جـ٤ ، ص٣١٢ ؛ المختصر ، جـ٣ ، ص٩٣ .

(٣) فى أبى الفداء «السمرين» المختصر ، جـ ٣ ، ص٩٣ ؛ وفى ابن واصل «السرين» مفرج الكروب ، جـ٣ ، ص٧٣ . وسرين : بلدتان ، إحداهما بليد قريب من مكة على ساحل البحر بينها وبين مكة أربعة أيام أو خمسة قرب جدة ، والثانية فى أعمال صنعاء قوية . معجم البلدان ، جـ٣ ، ص٨٩ .

(٤) نقل العينى هذا الحدث بتصرف عن مفرج الكروب ، جـ٣ ، ص٧٣ .

(٥) ورد هذا الخبر بتصرف فى نهاية الأرب ، جـ٢٨ ، ص٤٥٤ .

وكان شمس الملوك المذكور قد عزم على قصد الديار المصرية وادعى الخلافة وتلقب بالهادى ، فكتب إليه عمه يوبخه ويقبح عليه فعله ويأمره بالرجوع إلى نسبه ، وكان قد أساء السيرة مع أمرائه وجنده فوثبوا عليه وقتلوه(١) . وقال ابن كثير : وكان إسماعيل هذا أهوج قليل التدبير ، فحمله جهله على أنه ادعى أنه قرشى أموى وتلقب بالهادى ، فكتب إليه عمه [العادل](٢) ينهاه عن ذلك فلم يقبل منه بل تمادى فى ذلك وأساء إلى الأمراء والرعية ، فقتل وولى بعده مملوك من مماليك أبيه(٣) . وكان سيف الإسلام طغتكين شجاعاً شهماً شديد السيرة مضيقاً على رعيته ، يشترى أموال التجار لنفسه ويبيعها كيف شاء ، فجمع من الأموال ما لا يحصى ، وكانت مدة ملكه اليمن ست عشرة سنة .

ملكشاه ابن تكش : مات فى هذه السنة بنيسابور ، وكان أبوه خوارزم شاه تكش قد جعل له الحكم على ملك البلاد وجعله ولى عهده ، وخلف[٢١٧] ملكشاه ولداً اسمه هندوخان ، فلما مات ملكشاه جعل خوارزم شاه تكش فيها عوضه ولده الآخر قطب الدين محمد ، وهو الذى ملك بعد أبيه وغير لقبه من قطب الدين إلى علاء الدين وكان بين الأخوين ملكشاه ومحمد عداوة(٤) مستحكمة .

الست عذراء بنت شاهنشاه بن أيوب : توفيت فى هذه السنة ودفنت فى مدرستها التى داخل باب النصر(٥) . وقال أبو شامة(٦) : وفى عاشر المحرم توفيت الست عذراء بنت شاهنشاه أخت عز الدين فرخشاه ، وهى التى نسبت إليها المدرسة العذراوية بدمشق بحضرة باب النصر .

وفيها دفنت **الست خاتون والدة الملك العادل** ، توفيت فى هذه السنة ودفنت بدارها بدمشق المجاورة لدار أسد الدين شيركوه ، وقال أبو شامة : كانت وفاتها فى سادس عشر ذى الحجة فى هذه السنة ، رحمها الله .(٧)

---

(١) ورد هذا الخبر بتصرف فى الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٤٨ .
(٢) ما بين حاصرتين إضافة من البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٧ .
(٣) انظر : البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٥ .
(٤) الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٤٨ .
(٥) نقل العينى هذه الترجمة من البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٨ .
(٦) الذيل على الروضتين ، ص١١ .
(٧) نقل العينى هذه الترجمة عن البداية والنهاية ، ص١٣ ، ص١٨ ؛ الذيل على الروضتين ، ص١١ .

كندهرى ملك الإفرنج - لعنه الله - هلك فى هذه السنة فسقط من شاهق فراح روحه إلى الهاوية ، وبقيت الإفرنج كالغنم بلا راع حتى ملكوا عليهم صاحب قبرس وزوجوه بالملكة امرأة كندهرى ، وجرت خطوب كثيرة بينهم وبين الملك العادل أبى بكر ابن أيوب ففى كلها يستظهر عليهم ويكسرهم ويقتل خلقاً من المقاتله ولم يزالوا معه كذلك حتى طلبوا منه الصلح والمهادنة فعاقدهم على ذلك فى السنة الآتية على ما سنذكره إن شاء الله تعالى .(١)

ملك الألمان - لعنه الله - هلك فى هذه السنة وانقطع رجاء الإفرنج فى بلاد المسلمين بموته .

(١) إلى هنا توقف العينى عن النقل عن ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٨ .

فصل فيما وقع من الحوادث فى السنة الرابعة والتسعين بعد الخمسمائة(*)

استهلت هذه السنة والخليفة هو الناصر لدين الله ، وصاحب مصر والشام الملك العزيز بن صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ونائبه بدمشق الملك العادل عمه ، وصاحب حلب أخوه الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين ، وهم مشغولون بالجهاد مع الإفرنج فإنه وصل جمع عظيم منهم إلى الساحل واستولوا على قلعة بيروت ، فسار الملك العادل ونزل بتل العجول[١] وأتته النجدة فى مصر ، ووصل إليه سنقر الكبير صاحب القدس وميمون القصرى صاحب نابلس ، ثم سار الملك العادل إلى يافا وهجمها بالسيف وملكها وقتل الرجال المقاتله بها ، وكان هذا الفتح ثالث فتح لها ، ونازلت الإفرنج تبنين فأرسل الملك العادل إلى الملك العزيز صاحب مصر ، فسار الملك العزيز بنفسه بمن بقى عنده من عساكر مصر واجتمع بعمه الملك العادل على تبنين ، فرحل الإفرنج على أعقابهم إلى صور خائبين ، ثم عاد الملك العزيز إلى مصر وترك غالب العسكر مع عمه العادل وجعل إليه أمر الحرب والصلح ، ومات فى هذه المدة سنقر الكبير فجعل الملك العزيز أمر القدس إلى صارم الدين قطلق مملوك عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب ، ولما عاد الملك العزيز إلى مصر فى هذه المدة مدحه القاضى ابن سناء الملك بقصيدة منها :

أغـــثت تبنين وخلصـــتــهـــا ... فـريسـة من مـاضـغى ضيـغم

قـدمت [بالنصـر[٢]] وبالمـغنم ... [كذاك[٣]] قدوم الملك [الأكرم[٤]][٢١٨]

قـمـيصك المـوروث عن يوسف ... مـــا جـاء إلا صـــادقـــاً فى الدم

شنشنة[٥] تعـــرف مـن يوسف ... فى الحرب[٦] لا تعرف من أخذم[٧]

مـقـدمـه صـار جـمـادى به ... كـمـثل ذى الحـجـة ذا مـوسم[٨]

(*) يوافق أولها ١٣ نوفمبر ١١٩٧م .

(١) تل العجول : بين عكا والعائدية . انظر : ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، ص١٥٣ ، حاشية ١ ، فى Rec. Hist.or.III .

(٢) «بالسعد» كذا فى الأصل ، والتصحيح من ديوان ابن سناء الملك ، جـ٢ ، ص٢٩٤ .

(٣) «كذا» فى الأصل ، والتصحيح من ديوان ابن سناء الملك ، جـ٢ ، ص٢٩٤ .

(٤) «المقدم» كذا فى الأصل والتصحيح من ديوان ابن سناء الملك ، جـ٢ . ص٢٩٤ .

(٥) شنشنة : هى الطبيعة والعادة . انظر : الفيروزأبادى ، القاموس المحيط ، مادة شنشن .

(٦) «فى النصر» كذا فى الأصل والتصحيح من ديوان ابن سناء الملك ، جـ٢ ، ص٢٩٥ .

(٧) أخزم : يقال كان لأبى أخذم الطائى جد حاتم المشهور بالكرم ابن يسمى أخزم . انظر : ابن سناء الملك ، ديوانه ، جـ٢ ، ص٢٩٥ ، حاشية ٢٥ .

(٨) انظر : ابن سناء الملك ، جـ٢ ، ص٢٩٤-٢٩٥ ؛ كما وردت هذه الأشعار فى مفرج الكروب ، جـ٣ ، ص٧٧ .

ثم طاول الملك العادل الإفرنج فطلبوا الهدنة واستقرت بينهم ثلاث سنين ، ورجع الملك العادل إلى دمشق ثم سار من دمشق إلى ماردين وحصرها ، وصاحبها يومئذ يولق بن أرسلان بن إيلغازى بن ألبى بن تمرتاش بن إيلغازى بن أرتق[١] ، وليس ليولق بن أرسلان من الحكم شيء وإنما الحكم إلى مملوك والده البقش[٢] . وقال ابن كثير[٣] : ولما توجه الملك العادل إلى ماردين استناب ولده الملك المعظم عيسى بن العادل على دمشق ، ولما وصل إلى ماردين حاصرها فى شهر رمضان واستولى على ربضها ومعاملتها وأعجزته قلعتها فصيف عليها وشتى وما شك أحد أنه سيملكها حتى هنته الشعراء بذلك ولكن لم يكن ذلك مكتوباً ولا مقدراً ، وفى تاريخ بيبرس : وفى سنة أربع وتسعين وخمسمائة أحاط الإفرنج بتبنين وحاصروه من جميع جهاته ، فلما علم العادل بذلك أرسل عز الدين أسامة إلى العزيز يعلمه بالحال ويستدعى حضوره بنفسه ويعرفه أنه إن لم يسر إلى البلاد بنفسه ما يمكن حفظها ، فسار مجداً فيمن بقى عنده من العساكر بمصر .

وأما أهل تبنين فلما اشتد عليهم الأمر ورأوا النقوب قد أخذت ونفذت ولم يبق إلا أن يملكها الإفرنج بالسيف ، نزل بعضهم إلى الإفرنج يطلبون الأمان لأنفسهم ، فقال لهم بعض الإفرنج الذين من ساحل الشام : إن أنتم سلّمتُم الحصن لهذا القسيس استأسركم وقتلكم ، فاحفظوا نفوسكم ، وكان ذلك القسيس من أصحاب ملك الألمان يسمى الخنصلير فعاد المسلمون كأنهم يراجعون من فى القلعة ليسلموا ، فلما صعدوا عليها أصروا على الامتناع وقاتلوا قتال من يحمى نفسه فحموها ، فلما وصل العزيز إلى عسقلان وسمع الإفرنج بوصوله واجتماع المسلمين ولم يكن لهم ملك يجمعهم وأمرهم إلى امرأة هى الملكة فاتفقوا وأرسلوا إلى هنفرى ملك قبرس فأحضروه ، وهو أخو الملك الذى أسر بحطين ، فزوجوه بزوجة الكندهرى وكان رجلاً عاقلاً ، فلما ملكهم لم يعد إلى الزحف على الحصن ولا القتال ، واتفق وصول العزيز فرحل هو والعساكر إلى جبل الخليل عليه السلام وهو جبل عامله فأقاموا أياماً والأمطار[٤] متداركة ، ثم سار العزيز إلى الإفرنج ورتب

---

(١) يولق بن أرسلان هو حسام الدين بولق أرسلان بن إيلغازى بن ألبى بن تمرتاش بن إيلغازى ابن أرتَق . انظر : الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٦٠-٢٦١ ، أحداث ٥٩٥هـ .

(٢) «برتقش» فى الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٥ ؛ المختصر ، جـ٣ ، ص٩٧ .

(٣) البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٨ .

(٤) مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٩٢-ص٢٩٣ .

العساكر للزحف على الإفرنج ، فرحلوا إلى صور ومنها توجهوا إلى عكا ، فعاد العزيز إلى مصر قبل انفصال الحال ، وسبب رحيله أن جماعة من الأمراء عزموا على قتله وهم : ميمون القصرى ، وأسامة ، وسرا سنقر ، والجحاف ، وابن المشطوب ، وترددت الرسل إلى عكا بين الإفرنج والعادل إلى أن تقرر الصلح ، ورحل العادل إلى دمشق ثم سار [٢١٩] منها إلى قلعة وكتب إلى العزيز يخبره بذلك وبوصول ولده الكامل من حران ، مخبراً بأن صاحب الموصل قد حلف للعزيز على الطاعة والموالاة وأنه يخطب له ببلاده ويضرب السكة باسمه وينجده بعسكره كما كان مع أبيه ، وذلك بتوسط الظاهر صاحب حلب ، وكان الواصل فى هذه الرسالة صدر الدين شيخ الشيوخ .

وفى المرآة : وفى هذه السنة نزلت الفرنج فى المحرم على تبنين ، فأرسل العادل محيى الدين بن زكى الدين إلى العزيز إلى مصر يستنجده ، فخرج بجيوشه إلى الشام فوصل ثالث ربيع الأول ، وكانوا قد ضايقوا الحصن ونقبوه من كل جانب ، وأشرف على الأخذ وهدّه بالمجانيق ونقبوه سرباً سرباً ، وكانوا يستظلون من المطر وجعلوا النقوب بيوتاً يسكنوها ، وكان الإفرنج يحدقون[١] المسلمين من النقوب ويحدثونهم[٢] وكان العادل نازلاً عند هونين ومعه شيركوه صاحب حمص ، والأمجد صاحب بعلبك ، وعز الدين بن المقدم ودلدروم صاحب تل باشر ، وجاءهم العزيز فساروا جميعاً إلى هونين ، فلو تأخر يوماً لأخذت تبنين وقتل من فيها ، وأرسل الله فى تلك الليلة مطراً عظيماً وريحاً شديدة وأوقع في قلوب الإفرنج الرعب ، وقيل : جاءكم سلطان مصر والعساكر . فتركوا المناجيق والدبابات والآلات بحالها والخيام وما فيها وهربوا فى الليل إلى صور ، ثم بعثوا يطلبون الصلح فصالحهم العزيز على قاعدة صلح صلاح الدين ، وخلع العزيز على المعظم عيسى ابن العادل وأعطاه سنجقاً ومنشوراً بدمشق وعاد إلى مصر ، ومضى العادل إلى ماردين فحصرها فى رمضان وملك الربض ولم يبق سوى القلعة .[٣]

---

(١) «يحدثون» كذا فى الأصل والمثبت من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٩٢ .

(٢) «ويحدثهم» كذا فى الأصل والمثبت من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٩٢ .

(٣) مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٩٢ – ٢٩٣ .

قال بيبرس فى تاريخه : وفيها أخبر العزيز بأن ميموناً القصرى والى نابلس أخرج مالاً واستخدم رجالاً لقصد بلاد اليمن ، واستقصد سنقر الحلبى ليسير معه وأعطاه عشرين ألف درهم ، واستقصد ألطنبغا الجوكندار وأسامه وعمر بن جكو وذلك لما قتل شمس الملوك بن طغتكين باليمن ، فانزعج العزيز لذلك وخاف وسير إلى ميمون عز الدين أيبك فطيس أمير جاندار[1] ليثنيه عن طريقه ويصرفه عن قصده ويبذل له ما يريده ، ثم بلغه قوة أمره ووصله الخبر بأنه أنفق من ماله لمن تابعه على قصده سبعين ألف دينار ، فلاطفه وأرسل إليه فخر الدين أياز جهركس وأسد الدين سرا سنقر والمخلص قايماز ، وزاده مائة فارس على عدته ، وأقطعه غزة وغيرها ، وأقطع عز الدين أسامة الناصر .

وفيها وصل فارس الدين ميمون القصرى إلى العزيز ، فأمر الأمراء والأعيان بتلقيه وأكرم مثواه ومنزله وزاده فى إقطاعه ووجهه إلى نابلس وبيسان والطبرية والحصون التى استقرت بيده ويد عز الدين أسامة واستقر لميمون أربعمائة ألف دينار ولأسامة ثلثمائة ألف دينار .

ذكر استيلاء صاحب الموصل على نصيبين

وفى جمادى الآخرة سار نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكى صاحب الموصل إلى نصيبين واستولى عليها وأخذها من ابن عمه قطب الدين[٢٢٠] محمد بن زنكى فأرسل قطب الدين محمد واستنجد بالملك العادل ، فسار الملك العادل إلى البلاد الجزرية ففارق نور الدين أرسلان شاه نصيبين وعاد إلى الموصل ، فعاد قطب الدين محمد بن زنكى وتسلم نصيبين .[2] وقال بيبرس : وسبب ذلك أن عمه عماد الدين كانت له نصيبين ، فتطاول نوابه بها واستولوا على عدة قرى من أعمال بين النهرين من ولاية الموصل المجاورة لنصيبين ، فبلغ الخبر مجاهد الدين قايماز القائم بتدبير مملكة نور الدين بالموصل كلها ، فأرسل إلى عماد الدين وقبح عليه الفعل الذى فعله نوابه بغير أمره ، فأجاب بأن هذه القرى من أعمال نصيبين فترددت الرسل بينهم فلم يرجع عن رأيه ، فعند ذلك أعلم مجاهد الدين نور الدين بذلك ولم يكن أعلمه بذلك قبل هذا ، فأرسل نور الدين إليه فلم يلتفت إليه وحذره الرسول من عاقبة هذا ، فأغلظ عليه عماد

---

(١) الجاندار : هو الأمير الذى يستأذن على دخول الأمراء للخدمة السلطانية ويدخل أمامه إلى الديوان . القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ٤ ، ص٢٠ ؛ جـ٥ ، ص٤٥٩ .

(٢) ورد هذا الحدث بالتفصيل فى الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٥٠-ص٢٥١ ؛ مفرج الكروب ، جـ٣ ، ص٧٨- ص٧٩ .

الدين القول وعرض بذم نور الدين وعزم على المسير إلى نصيبين وأخذها من عمه ، فاتفق أن عمه مات وملك بعده ابنه ، فقوى طمعه فمنعه مجاهد الدين فلم يمتنع فسار إليها ، ولما سمع قطب الدين صاحبها سار إليها من سنجار بعسكره ونزل عليها ليمنع نور الدين منها ، فوصل نور الدين وتقدم إلى البلد ، وكان بينهما نهر فجازه بعض أمرائه وقاتل من بإزائه فلم يثبتوا له ، فعبر جميع العسكر النورى وتمت الهزيمة على قطب الدين ، وصعد هو ونائبه برنقش إلى قلعة نصيبين ، وأدركهم الليل فخرجوا منها هاربين إلي حران وراسلوا الملك العادل أبابكر بن أيوب وهو بدمشق ، وبذلوا له الأموال الكثيرة لينجدهم ويعيد نصيبين إليهم ، وأقام نور الدين بنصيبين مالكاً لها فتضعضع عسكره بكثرة المرض ومات كثير منهم وعاد إلى الموصل[١] ، فلما فارق نصيبين تسلمها قطب الدين ووصل العادل إلى الديار الجزرية وقصد قلعة ماردين فحصرها وضيق على أهلها وأقطع أعمالها .

ذكر تملك ملك الغورية مدينة بلخ[٢] وعبور الخطا[٣] نهر جيحون

وفى هذه السنة ملك [ملك][٤] الغورية مدينة بلخ من الخطا ، وكان يملكها تركياً اسمه أزبه ، فسار إليها بهاء الدين سام بن محمد بن مسعود وهو ابن أخت غياث الدين فملكها وتمكن منها ، وقطع الحمل إلى الخطا وخُطب لغياث الدين وصارت من جملة بلاد الإسلام .

وفيها عبر الخطا نهر جيحون إلى ناحية خراسان فأفسدوا فى البلاد ، فلقيهم عسكر غياث الدين [الغورى][٥] وقاتلوهم فانهزم الخطا وسبب ذلك أن خوارزم شاه تكش كان قد سار إلى همذان وأصفهان والرى وغيرها ، واستولى على تلك البلاد وتعرض إلى عساكر الخليفة وأظهر طلب السلطنة والخطبة له ببغداد ، فأرسل الإمام الناصر إلى غياث الدين ملك الغور وغزنة بقصد بلاد خوارزم شاه ليمنعه من قصد العراق ، وكان خوارزم شاه قد

---

(١) نقل العينى هذا الحدث من الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٥٠-ص٢٥١ .

(٢) بلخ : مدينة مشهورة بخراسان ، معجم البلدان ، جـ١ ، ص١٣ .

(٣) الخطا : بكسر الخاء المعجمة وفتح الطاء المهملة وألف فى الآخر وهم جنس من الترك بلادهم فى متاخمة بلاد الصين ، جـ٤/٤٨٣ وما يليها .

(٤) ما بين حاصرتين إضافة من الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٥١ . والملك هو بهاء الدين سام بن محمد بن مسعود . انظر : الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٥١ .

(٥) ما بين حاصرتين إضافة من الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٥١ ، لتوضيح المعنى .

عاد إلى بلاده فراسله غياث الدين يقبح فعله ويتهدده بقصد بلاده وأخذها ، فأرسل خوارزم شاه إلى الخطا[٢٢١] يشكو إليهم من غياث الدين ويطلب منهم أن يدركوه بإرسال العساكر لإنجاده لئلا يأخذ غياث الدين البلاد كما أخذ مدينة بلخ ، ثم يتطاول إلى قصد بلادهم ويتعذر عليهم منعه ويعجزون عن رده عما وراء النهر ، فجهز ملك الخطا جيشاً كثيفاً وجعل على مقدمتهم شخصاً معروفاً بطاينكو وهو كالوزير ، فساروا وعبروا جيحون وكان ذلك فى الشتاء ، وكان شهاب الدين الغورى أخو غياث الدين ببلاد الهند وغياث الدين مريض بالنقرس بما يمنعه من الحركة وإنما يحملونه فى محفه ، والذى يقود الجيش ويباشر العساكر والحروب أخوه شهاب الدين ، فلما وصل الخطا إلى جيحون ، سار خوارزم شاه تكش إلى طوس[1] عازماً على قصد هراة ومحاصرتها ، وعبر الخطا النهر ووصلوا إلى بلاد الغور مثل كرزبان[2] وغيرها ، وقتلوا وأسروا وسبوا شيئاً كثيراً ، فاستغاث الناس بغياث الدين فلم يكن عنده من العساكر ما يلقاهم بها ، فراسل الخطا بهاء الدين سام وأمروه بالإفراج عن بلخ أو أنه يحمل ما كان من قبله يحمله من المال ، وعظمت المصيبة على المسلمين بما فعله الخطا فانتدب الأمير محمد الغورى وهو مقطع الطالقان من قبل غياث الدين وكان شجاعاً ، وجمع معه جمعاً وبيت الخطا ليلاً وكبسهم ، ومن عادتهم أنهم لا يخرجون من خيامهم فى الليل ، فأتاهم هؤلاء الغورية وهم غافلون فقاتلوهم وأكثروا القتل فيهم ، وانهزم من سلم منهم ، وأين ينهزمون ، والعسكر الغورى خلفهم . وجيحون بين أيديهم؟ وظنوا أن غياث الدين قد قصدهم فى عساكره فلما أصبحوا وعرفوا من قاتلهم وعلموا أن غياث الدين بمكانه قويت قلوبهم وثبتوا عامة نهارهم ، فقتل من الفريقين خلق عظيم ولحقت المتطوعة بالغوريين وأتاهم مدد من غياث الدين وهم فى الحرب ، فثبتوا وعظمت نكايتهم فى الكفار[3] وألحقوهم بجيحون ، فمن صبر منهم قتل ومن ألقى بنفسه فى الماء غرق ، ووصل الخبر إلى ملك الخطا فعظم عليه وأرسل إلى خوارزم شاه يقول له : أنت قتلت رجالى وأريد عن كل قتيل عشرة آلاف دينار ، وكانت القتلى اثنى عشر ألف قتيل وأنفذ إليه من يردّه إلى خوارزم شاه ويلزمه بالحضور

---

(١) طوس : مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ .
معجم البلدان ، جـ٣ ، ص٥٦٠ .

(٢) كرزبان : كزبان وتسمى كرزوان وهى بلدة فى الجبل الطالقان ، جبلها متصل بجبال الغور ، وتكتب أيضاً جرزبان ، معجم البلدان ، جـ٤ ، ص٢٥٨-ص٢٥٩ .

(٣) نقل العينى هذا الخبر من الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٥٢-ص٢٥٣ .

عنده ، فأرسل حينئذ خوارزم شاه إلى غياث الدين يعرفه حاله مع الخطا ويشكو إليه ويستعطفه غير مرة ، فأعاد الجواب يأمره بطاعة الخليفة وإعادة ما أخذه الخطا من بلاد الإسلام فلم ينفصل بينهما حال .

وفى تاريخ ابن كثير[١] : وفى هذه السنة سار خوارزم شاه تكش إلى بخارى وهى للخطا وحاصرها وملكها ، وكان تكش أعور ، فأخذ أهل بخارى فى مدة الحصار كلباً أعور وألبسوه قباء وقالوا للخوارزمية : هذا سلطانكم . ورموه بالمجنيق إليهم ، فلما ملك خوارزمشاه تكش بخارى أحسن إلى أهلها وفرق فيهم أموالاً عظيمة[٢] ولم يود أخذهم بما فعلوه فى حقه جزاه الله خيراً[٣] . ومن الحوادث أنه وصل رسول المايرقى المستولى على القيروان يريد الحج وأهدى إلى العزيز خيلاً[٢٢٢] ووجهه مكرماً .

وفيها عاد الأسطول المصرى من الغُرْيْزُ[٤] بعد أن اجتاز ببلاد ابن لاون ووصل معه إلى مصر من السبى أربعمائة وخمسون أسيراً .

وفيها ....[٥]

وفيها حج بالناس من العراق إيليا ، ومن الشام زين الدين قراجا مملوك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب .

ذكر من توفى فيها من الأعيان

العوام[٦] بن زيادة كاتب الإنشاء ببغداد بباب الخلافة وهو أبو طالب يحيى بن سعيد بن هبة الله بن على بن زيادة قوام الدين ، انتهت إليه رئاسة التوسل والإنشاء والبلاغة والفصاحة فى زمانه بالعراق ، وله علوم كثيرة غير ذلك من الفقه على مذهب

---

(١) نقل العينى هذا الحدث بالنص من المختصر فى أخبار البشر ، جـ٣ ، ص٩٣ ، أما نص الحدث فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٧ فهو مختصر . انظر تفاصيل هذا الحدث فى الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٥٣-٢٥٤ .

(٢) فى الأصل «عظيما»

(٣) إلى هنا انتهى نقل هذا الحدث من المختصر ، جـ٣ ، ص٩٣ .

(٤) الغُرْيْزُ : ماء وضريه . وضرية قرية عامرة قديمة فى طريق مكة من البصرة . انظر معجم البلدان ، جـ٣ ، ص٤٧١ ، ص٧٩٥-٧٩٦ .

(٥) يوجد بياض بالأصل بمقدار سطر .

(٦) العوام بن زيادة : هو قوام الدين بن زيادة يحيى بن سعيد بن هبة الله الواسطى . شذرات الذهب ، جـ٤ ، ص٣١٨ ؛ وفيات الأعيان ، جـ٦ ، ص٢٤٤-٢٤٩ ، ترجمة رقم ٨٠٨ .

الشافعى أخذه عن فضلات ، وله معرفة جيدة بالأصلين والحساب واللغة وله شعر جيد ، وقد ولى عدة مناصب وكان مشكوراً فى جميعها ، ومن مستجاد شعره :

لا تحقرن[1] عدوا تزدريه فكم — قد أتعس الدهر جد الجد باللعب
فهذه الشمس يعروها[2] الكسوف لها — على جلالتها بالراس والذنب
باضطراب[3] وبه : الزمان يرفع الأنذال — فيه حتى يعم البلاءُ
وكذا الماء راكدُ[4] فإذا حُرك — ثارتْ من قعره الأقذاءُ

توفى فى ذى الحجة من هذه السنة وله ثنتان وسبعون سنة وحضر جنازته خلق كثير ودفن عند موسى بن جعفر .

القاضى أبو الحسن على بن جابر بن زهير[5] بن على البطايحى ، قدم بغداد فتفقه بها وسمع الحديث وأقام برحبة مالك بن طوق مدة يشتغل على أبى عبدالله بن البقية[6] القرضى ، ثم ولى قضاء العراق مدة ، وكان فقيهاً أديباً ، وقد سمع من شيخه أبى عبدالله بن البقية ينشد لنفسه معارضاً للحريرى فى بَيْتَيه اللذين زعم أنهما لا يعززان بثالث لهما وهما قوله :

سِمْ سِمةً تحمد أثارُها — واشكر لمن أعطى ولو سمسمة
والمنكر مهما اسطعت لا تأته — لتقتنى السّؤدد والمكرمة

فقال ابن البقية :

ما الأمة الوكفاء بين الورى — أخسَّ من حُر أتى ملامة[7]
فمه إذا استجديت عن قول لا — فالحر لا يملأ منها فمه

---

(١) «لاتحقرنى» : كذا فى الأصل والتصحيح من البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٧ .
(٢) «يعنى» : كذا فى الأصل والمثبت من البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٧ .
(٣) ورد هذا البيت فى ابن خلكان بالصيغة الآتية :
باضطراب الزمان ترتفع — الأنذال فيه حتي يعم البلاءُ
(٤) ورد هذا البيت فى ابن خلكان بالصيغة الآتية
وكذا الماء ساكنا فإذا — حُرك ثارت من قعره الأقذاء
(٥) «ابن رجاء» فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٧ .
(٦) «ابن النبيه» فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٧ .
(٧) «ما الأمة الوكساء بين الورى أحسن من حر أتى ملامة» كذا ورد البيت فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٧ .

الشيخ حسن بن مسلم بن أبى الحسن ، أبو على الزاهد الحنبلى الفارسى ، من قرية نهر عيسى يقال لها الفارسية[١] ، كان من الأبدال[٢] لازماً لطريق السلف ، أقام أربعين سنة لم يُكلم أحداً من الناس ، وكان صائم الدهر ، قائم الليل ، يقرأ كل يوم وليلة ختمة . وذكره الشيخ أبو الفرج بن الجوزى فى «صفوة الصفوة» وقال : «كان زاهد زمانه . وكانت السباع تأوى إلى زاويته وكان الخليفة وأرباب الدولة يمشون إلى زيارته . وتوفى يوم عاشوراء ، ودفن فى رباطه بالقادسية .

قال السبط :[٣] وحكى لى جماعة من مشايخ القرية ؛ أن السباع كانت تنام طول الليل حول زاويته ، وإذا خرج أحد طول الليل من القرية إلى نهر عيسى لم تتعرض له ، وأن فقيراً نام فى الزاوية فى ليلة باردة فاحتلم فنزل إلى النهر ليغتسل[٢٢٣] فجاء السبع فنام على جبته ، فكاد الفقير يهلك من البَرد والخوف ، فخرج الشيخ حسن وجاء إلى السبع وضربه بكمه وقال : يا مبارك ما قلنا لك أن لا تتعرض لضيفنا ، فقام السبع يهرول . ذكره فى المرآة .

أبو الحسن على بن جابر بن زهير قاضى البطائح ، ولد سنة تسع وخمسين وخمسمائة ، وقدم بغداد فسمع بها الحديث من أبى الوقت وابن ناصر وابن الجواليقى وغيرهم ، وخرج إلى رحبة مالك بن طوق فقرأ الفقه والأدب على أبى عبدالله بن البقيه وعاد إلى البطايح فولى القضاء بالعراق ثم عاد إلى بغداد فأقام بها ، ثم انحدر إلى البطايح فتوفى بطريق واسط ، وكان ثقة صالحاً ، وقال أنشدنى الحريرى صاحب المقامات لنفسه :

لا تخطون إلى خط ولا خطأ ... من بعد ما الشيب فى فؤديك قد وخطا
فأى عذر لمن شابت ذوائبه ... إذا سعى فى ميادين الصبى وخطا

أبو المجد على بن على بن ناصر السيد العلوى مدرس الحنفية ببغداد ، ولد سنة خمس عشرة وخمسمائة ، وتفقه وأفتى وناظر ، وكان المستنجد الخليفة قد حبسه وطالبه بمال ، فرأى النبى ﷺ فى المنام وقال له : يا يوسف استوص بولدى خيراً فهو

---

(١) الفارسية : قرية على ضفة نهر عيسى بعد المحول من قرى بغداد . انظر : معجم البلدان ، جـ٣ ، ص٨٣٨ .

(٢) الأبدال : قوم بهم يقيم الله عز وجل الأرض وهم سبعون ؛ أربعون بالشام ، وثلاثون بغيرها ، لا يموت أحدهم إلا قام مكانه آخر من سائر الناس . انظر : الفيروزآبادى : القاموس المحيط ، جـ٣ ، ص٣٤٤ . (مادة بدل) .

(٣) نقل العينى هذا الخبر عن مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٩٣ .

وديعتى عندك ، فانتبه الخليفة مرعوباً وأحضره وخاطبه وقال : اجعلنى فى حل فقد شفع فيك من لا يمكننى رده فأحسن إليه . وكانت وفاته فى ربيع الأول من هذه السنة ، ودفن عند مشهد عبيدالله شرقى بغداد ، وكان صالحاً شريفاً على الحنفية ، سمع ابن الحصين ، وقاضى المارستان وابن السمرقندى وآخرين .

يحيى بن سعيد[١] **بن هبة الله بن زيادة ، أبو طالب الواسطى**[٢] ، ولد سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة ، وقدم بغداد واشتغل بالأدب فبرع فى الإنشاء والكتابة ، وانتهت إليه الرئاسة فيهما ، مع تخصصه بفنون العلم كالفقه ، وعلم الكلام ، والأصول ، والحساب ، والشعر ، جالس أبا منصور بن الجواليقى[٣] ، وقرأ عليه وسمع أبا القاسم الصباغ وغيره ، وولى للخليفة عدة وظائف ، خدم حُجبة الباب ، ثم أستاذ الدار ، ثم كتابة الإنشاء فى آخر أمره ، وكانت وفاته فى ذى الحجة ودفن فى مقابر قريش ومن شعره :

قد سلوت الدهر[٤] ولم يسلها   من علقت فى أماله والأراجى
«وإذا»[٥] ما صرفت وجهى عنها   «قذفتنى»[٦] فى بحرها العجاج
يستضيئون بى وأهلك وحدى   فكأنى ذبالة فى سراج

الأمير عز الدين جرديك : كان من أكابر الأمراء فى زمن نور الدين محمود وكان ممن شارك فى قتل شاور ، وحظى عند الملك الناصر صلاح الدين يوسف ، وقد استنابه على القدس حين افتتحها ، وكان يستند به للمهمات الكبار فيسدها بنهضته وشجاعته ، ولما ولى الأفضل عزله عن بيت المقدس ، فترك بلاد الشام ثم انتقل إلى بلد الموصل فمات بها فى هذه السنة ، وكان شجاعاً جواداً ، وفى حلب مدرسة للحنفية[٧] تنسب إليه[٢٢٤] .

---

(١) انظر ترجمته فى وفيات الأعيان ، جـ٦ ، ص٢٤٤-٢٤٩ ؛ شذرات الذهب ، جـ٤ ، ٣١٨ .
(٢) نقل العينى هذه الترجمة عن البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٩ .
(٣) أبو منصور الجواليقى : هو موهوب بن أحمد أبو منصور . انظر ترجمته فى وفيات الأعيان ، جـ٥ ، ص٣٤٢-ص٣٤٤ .
(٤) «الدنيا» فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٩ .
(٥) «فإذا» ، «قذفتنى» فى البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٧-ص١٩ .
(٦) نقل العينى هذا الحدث من البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٧-ص١٩ ؛ وانظر ترجمته فى مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٩٣ ؛ شذرات الذهب ، جـ٤ ، ص٣١٦ .
(٧) المدرسة الحنفية بحلب هى الجردكية ، أنشأها الأمير جورديك النورى بسوق البلاط كملت سنة ٦٠١هـ . انظر : محمد كرد على ، خطط الشام ، جـ٦ ، ص١١٠ .

السلطان عماد الدين زنكى بن مودود بن زنكى بن آقسنقر صاحب سنجار والخابور والرقة ، توفى فى المحرم من هذه السنة وكان حسن السيرة متواضعاً محباً لأهل العلم إلا أنه كان شديد البخل . وقال ابن كثير : وكان محباً للعلماء شديد المحبه ولاسيما للحنفية من بينهم ، وقد ابتنى لهم مدرسة بسنجار وشرط لهم طعاماً يطبخ لكل واحد منهم فى كل يوم[١] ، ولما توفى ملك بعده ولده قطب الدين محمد بن زنكى[٢] وتولى تدبير دولته مجاهد الدين برتقش مملوك والده ، وكان ديناً عادلاً كثير البر والإحسان إلى الرعية كافة والفقراء خاصة .[٣] وفى المرآة : وهو ابن أخى نور الدين محمود ، وهو الذى قايض حلب بسنجار لم يزل مع صلاح الدين فى غزواته مجاهدا ، وكان ميمون النقيبة[٤] وكان السلطان يحترمه مثل ما كان يحترم نور الدين ويعطيه الأموال والهدايا والتحف الكثيرة ، ولما احتضر أوصى إلى أكبر أولاده وهو قطب الدين محمد ويلقب بالملك المنصور .[٥]

الملك بدر الدين آقسنقر هزار دينارى صاحب خلاط : مات فى هذه السنة ، وقد تقدم ذكر ملكه لأخلاط فى سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، ولما توفى استولى على أخلاط بعده خشداشه قطلغ ، وكان مملوكاً أرمنياً فملك أخلاط نحو سبعة أيام ثم اجتمع عليه الناس وأنزلوه من القلعة ثم وثبوا عليه فقتلوه ، فلما قتل قتلغ اتفق كبراء الدولة وأحضروا محمد بن بكتمر من القلعة التى كان معتقلاً فيها واسمها أرجّاس فأقاموه فى المملكة ولقبوه بالملك المنصور ، وقام بتدبير أمره شجاع الدين قتلغ الدوادار . وكان دوادار شاهر من بن سقمان بن إبراهيم وكان قبحاقى الجنس ، واستمر محمد بن بكتمر كذلك إلى سنة اثنتين وستمائة فقبض على أتابكه قتلغ المذكور وحبسه ثم قتله ، فخرج عليه مملوك لشاهر من يقال له عز الدين بلبان ، واتفق العسكر مع بلبان هذا وقبضوا على محمد المذكور وحبسوه ثم خنقوه ورموه من سور القلعة إلى أسفل وقالوا قد وقع واستمر

---

(١) إلى هنا توقف العينى عن النقل من البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٨ ، كما ذكر هذا الخبر بتصرف فى كل من مفرج الكروب ، جـ٣ ، ص٧٨ ، ص٧٩ ؛ مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٩٣-ص٢٩٤ .

(٢) انظر ترجمته فى وفيات الأعيان ، جـ٢ ، ص٣٣١ ، ترجمة رقم ٤٢ .

(٣) لمعرفة المزيد من التفاصيل عن هذه الترجمة . انظر : البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٨ .

(٤) النقيبة : النفس والعقل والمشورة ونفاذ الرأى والطبيعة . انظر الفيروزآبادى ، القاموس المحيط «مادة «النقب» جـ١ ، ص١٣٩ .

(٥) مرآة الزمان ، جـ٨ ،ص٢٩٣- ٢٩٤ .

بلبان المذكور فى مملكة أخلاط دون سنة ، وقتله بعض أصحاب طغريل بن قليج أرسلان صاحب أرزن[١] الروم وقصد طغريل المذكور أن يتسلم أخلاط فلم يُجِبْهُ أهله إلى ذلك وعصوا عليه ، فعاد إلى أرزن الروم ، ثم وصل الملك الأوحد أيوب ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب وتسلم أخلاط وملكها قريب ثمانى سنين والله أعلم .[٢]

---

(١) أرزن : أرزن الروم بلدة من بلاد أرمينيا . انظر معجم البلدان ، جـ١ ، ص٢٠٦ .

(٢) نقل العينى هذا الحدث بالتفصيل من المختصر فى أخبار البشر ، جـ٣ ، ص٩٤ .

فصل فيما وقع من الحوادث فى السنة الخامسة والتسعين بعد الخمسمائة(*)

استهلت هذه السنة والخليفة هو الناصر لدين الله وأمراء البلاد على حالهم، غير أنه مات فى هذه السنة الملك العزيز صاحب مصر والشام، والسلطان الكبير صاحب بلاد المغرب(١)، والأمير الكبير مجاهد الدين قيماز على ما نبين الجميع إن شاء الله تعالى.

ذكر وفاة السلطان الملك العزيز

الكلام فيه على أنواع:

الأول فى ترجمته: هو عماد الدين عثمان ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الأمير نجم الدين أيوب الملقب بالملك العزيز، قد ذكرنا أنه ولد فى سنة سبع وستين وخمسمائة، وكانت ولادته فى القاهرة، وكان نائباً عن أبيه فى الديار المصرية لما كان أبوه بالشام، وتوفى أبوه بدمشق فاستقل[٢٢٥] بمملكتها باتفاق من الأمراء، وكانت مملكته خمس سنين وأشهراً.(٢)

وفى تاريخ ابن العميد: وكانت مدة مملكته أربع سنين وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يوماً.(٣)

الثانى فى سيرته: قال ابن خلكان: كان ملكاً مباركاً كثير الخير واسع الكرم محسناً إلى الناس معتقداً فى أرباب الخير والصلاح، وسمع بالإسكندرية الحديث من الحافظ السِّلَفى والفقيه أبى طاهر بن عوف الزهرى، وسمع بمصر من العلامة أبى محمد بن برى النحوى وغيرهم(٤). وفى تاريخ المؤيد: وكان فى غاية السماحة والكرم والعدل والرفق بالرعية والإحسان إليهم، ففجعت الرعية بموته فجعة عظيمة(٥)

(*) يوافق أولها: ٣ نوفمبر سنة ١١٩٨م.

(١) السلطان الكبير: يقصد به الملك المنصور أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن. انظر: شذرات الذهب، جـ٤، ص٣٢١-٣٢٣.

(٢) وفيات الأعيان، جـ٣، ص٢٥١-٢٥٣، ترجمة رقم ٤١٤.

(٣) ذكر ابن واصل أن مدة ملك السلطان عماد الدين عثمان ست سنوات إلا شهراً. انظر مفرج الكروب، جـ٣، ص٨٣؛ أما المقريزى، فذكر أن مدة ملكه ست سنين تنقص شهراً وستة أيام، السلوك، جـ١، ق١، ص١٤٤.

(٤) وفيات الأعيان، جـ٣، ص٢٥١.

وفى تاريخ ابن العميد : كان ملكاً عادلاً كريماً رحيماً حسن الأخلاق طيب الأعراق شجاعاً حسن العقيدة جميل الطوية شديد الخوف من الله تعالى ، سريع الانقياد إلى الخير كثير البذل مفرطاً فى السخاء[١] . وفى المرآة : وكان لطيفاً كثير الخير رفيقاً بالرعية حليماً . حكى لى المبارز سنقر الحلبى قال[٢] : نفد ما بيده بمصر فلم يبق فى الخزانة درهم ولا دينار ، فجاء رجل من أهل الصعيد إلى سيف الدين أُزكش[٣] ، فقال : عندى للسلطان عشرة آلاف دينار ولك ألف دينار ، وتولينى قضاء الصعيد ، فدخل أزكش على العزيز فأخبره فقال : والله لا بعت دماء المسلمين وأموالهم بملك الأرض ، وكتب ورقة لأزكش بألف دينار وقال : اخرج فاطرد هذا المُدْبر ولولاك لأدبته . قال : وقد ذكرنا أنه وهب دمشق للملك المعظم ، وكان يطلق عشرة آلاف دينار وعشرين ألف دينار .[٤]

الثالث فى وفاته : قال ابن خلكان : وكان قد توجّه إلى الفيوم فطرد فرسه وراء صيد فتقنطر به فأصابته الحمى من ذلك ، وحمل إلى القاهرة فتوفى بها فى الساعة السابعة من ليلة الأربعاء الحادى والعشرين من المحرم سنة خمس وتسعين وخمسمائة ،.ودفن بالقرافة الصغرى فى قبة الإمام الشافعى رحمه الله ، وقبره معروف هناك .[٥]

وفى تاريخ بيبرس : وفى سنة أربع وتسعين وخمسمائة ابتدأ بالعزيز بن الناصر المرض ، وفى سنة خمس وتسعين أخذ مرضه فى التزايد وكان قد توجه إلى الفيوم وركب من ذات الصفا عائداً إلى مصر ، فسقطت شهوته فلم يأكل شيئاً ، ووصل الجيزة وقد تزّيدت به الحمى ، فتحامل وركب إلى داره ، واشتد به الكرب فتوفى ليلة الأحد العشرين من المحرم ، ونقل من دار الوزارة ، ودفن بالقرافة بجوار قبر الشافعى رحمه الله .[٦]

وفى تاريخ المؤيد : وكان قد طلع إلى الصيد ، فركض خلف ذئب فتقنطر وحُمّ فى سابع المحرم ، وكان فى جهة الفيوم فعاد إلى الأهرام وقد اشتدت به حمّاه ، ثم توجه إلى

---

(٥) المختصر ، جـ٣ ، ص٩٥ .
(١) وردت هذه الفقرة بتصرف فى السلوك ، جـ١ ، ق١ ، ص١٤٤ .
(٢) «قلّ» كذا فى الأصل والمثبت من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٩٥ .
(٣) «يازكش» كذا فى مرآة الزمان ، جـ٨ ، ق٢ ، ص٤٦٠ ، طبعة حيدرأباد ١٩٥٢ ، «باركيس» فى طبعة شيكاغو ، جـ٨ ، ص٢٩٥ .
(٤) مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٩٦ .
(٥) وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص٢٥١-ص٢٥٣ . ترجمة رقم ٤١٤ .

القاهرة فدخلها يوم عاشوراء ، وحدث به يرقان وقرحة فى المعا ، واحتبس طبعه ، فمات فى منتصف ليلة السابع والعشرين من المحرم[١] . وفى المرآة : وكان سبب وفاته أنه خرج إلى الفيوم متصيداً فلاح له ظبى فركض خلفه فكبى به الفرس فدخل قربوس السرج فى فؤاده فحمل إلى القاهرة فمات فى العشرين من المحرم ، ودفن عند الشافعى[٢] . وقال ابن القادسى : كان قد ركب وتبع غزالة فوقع فاندقت عنقه وبقى أربعة أيام ومات . قال السبط : وهذه من هنات ابن القادسى فإن الملك العزيز ما اندقت عنقه وإنما دخل قربوس السرج فى[٢٢٦] فؤاده وأقام بالقاهرة أسبوعين ومات .[٣]

الرابع فيمن خلّف من الأولاد : قال بيبرس : وخلف من الأولاد محمداً وهو القائم بعهده وعليا وعمر وإبراهيم وعيسى ومحموداً وفرخشاه ويوسف ويونس وآخران صغيران وثلاث إناث .[٤]

الخامس فى مراثيه : ورثاه جماعة من الشعراء منهم الشهاب بن الساعاتى[٥] فقال :

خلا الدست من ذاك الجناب الممّنع ... فسلم على الدنيا سلام مودع

مضى بعدما عمت سراياه والندى ... وسار مسير الشمس فى كل موضع

فُجعنا بأندى من بنان سحابة ... وأجرأ من ليث العرين وأشجع

هو الخطب لا المرء الفصيح بمدرة ... لديه ولا الحبر الخطيب بمصقع

ثوى الجود والملك العزيز بحفرة ... ومالهما من فرقه وتجمع

فمن ذا يرد الخطب تدمى شباته ... برأى جميع أو بقلب مشيع

ورثاه آخر بقصيدة منها قوله :

بعد فقد الملك العزيز عماد ... الدين عثمان لن ترانى سال

كان جيد الزمان حالى فأضحى ... ولآلئه لونها كالليال

---

(٦) ورد هذا الخبر بتصرف فى نهاية الأرب ، جـ٢٨ ، ص٤٥٥ .

(١) المختصر ، جـ٣ ، ص٩٥ .

(٢) مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٩٦ .

(٣) مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٩٦ .

(٤) نهاية الأرب ، جـ٨ ، ص٤٥٥-٤٥٦ .

(٥) الشهاب بن الساعاتى ، بالرجوع إلى كتب التراجم اتضح أن ابن الساعاتى الشاعر هو أبو الحسن على بن رستم بن هردوز ، الملقب بهاء الدين وليس شهاب الدين ، وكانت وفاته بالقاهرة سنة ٦٠٤هـ . انظر : وفيات الأعيان جـ٣ ، ص٣٩٥-٣٩٧ ؛ شذرات الذهب ، جـ٥ ، ص١٣-ص١٤ .

ذكر سلطنة الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن السلطان الملك العزيز عماد الدين عثمان ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بمصر

لما توفى العزيز فى التاريخ المذكور أقام فخر الدين جهاركس- وكان هو الغالب على دولة العزيز – ولد العزيز محمد وكان صغيراً مقام والده فى السلطنة ، وقال بيبرس : وركب بشعار السلطنة يوم الثلاثاء الثانى والعشرين من المحرم سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، ولقب أولاً بالناصر فكره مواطأة اسم الخليفة فغيره بالمنصور ، وشق القاهرة راكباً فى دسته ، وكتب كتاباً إلى عمه يعزيه ويخبره بانتصاب الولد منصب أبيه وأنه ومَنْ عنده من جماعته مستمرون على طاعته .[1]

وفى المرآة : كان الملك العزيز نص على ولده ناصر الدين محمد وكان أكبر أولاده[2] ، وكان عمره عشر سنين ، وقيل : تسع سنين وأشهراً ، وكان مقدم الصلاحية فخر الدين جهركس وأسد الدين سرا سنقر وزين الدين قراجا فاتفقوا على ناصر الدين محمد وحلّفوا له الأمراء ، وكان سيف الدين أزكش مقدم الأسدية غائباً بأسوان فقدم فصوّب رأيهم وما فعلوه ، إلا أنه قال : هو صغير السن لا ينهض بأعباء الملك ولابد من تدبير كبير يحسم الفساد[3] ويقيم الأمور ، والعادل مشغول فى الشرق بماردين ، وما ثم أقرب من الأفضل فجعله أتابك العساكر فلم يمكن الصلاحية مخالفة الأسدية وقالوا : افعلوا ، فكتب أزكش إلى الأفضل يستدعيه وهو بصرخد وكتبت الصلاحية إلى من فى دمشق من أصحابهم يقولون : قد اتفقت الأسدية على الأفضل وإن مَلَكَ حكموا علينا فامنعوه من المجىء ، فركّبوا عسكر دمشق ليمنعوا الأفضل ففاتهم ، وكان قد التقى نجاباً من عند جهركس إلى من فى دمشق بهذا المعنى ومعه كتب فأخذها منه [وقال ارجع فرجع إلى مصر][4] ، ولما وصل الأفضل إلى مصر التقاه الأسدية ورأى جهركس النجاب فقال : ما أسرع ما عدت .

(١) ورد هذا الحدث بتصرف فى نهاية الأرب ، جـ٢٨ ، ص٤٥٦ .

(٢) إلى هنا توقف العينى عن النقل من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٩٦ .

(٣) «المواد» فى مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٩٦ .

(٤) ما بين حاصرتين ساقط من العينى . انظر : مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٩٦ .

فأخبره الخبر فساق هو وقراجا إلى القدس فتحصنا به ، ثم أشارت الأسدية على الأفضل بقصد دمشق وأن العادل مشغول بماردين فيكتب إلى الظاهر صاحب حلب ، فأجابه وقال : أقدم حتى أساعدك[١] . وقال ابن كثير[٢] : لما أقام فخر الدين جهركس الملك المنصور محمداً موضع أبيه العزيز اتفقت الأمراء على إحضار أحد من بنى أيوب ليقوم بالملك ، واستشاروا القاضى الفاضل فأشار بالملك الأفضل وهو حينئذ بصرخد ، فأرسلوا إليه فسار محثاً ووصل إلى مصر على أنه أتابك الملك المنصور ابن الملك العزيز ، وكان عمر المنصور يومئذ تسع سنين وشهوراً ، وكان مسير الأفضل من صرخد لليلتين بقيتا من صفر فى تسعة عشر نفراً متنكراً خوفاً من أصحاب عمه الملك العادل ، فإن غالب تلك البلاد كانت له ، ووصل إلى بلبيس خامس ربيع الأول ثم سار إلى القاهرة فخرج الملك المنصور ابن العزيز للقائه ، وترجل له عمه الأفضل ودخل بين يديه إلى دار الوزارة وهى كانت مقر السلطنة ، ولما وصل الأفضل إلى بلبيس والتقاه العسكر تنكر منه فخر الدين جهركس وفارقه وتبعه عدة من العسكر وساروا إلى الشام ، فكاتبوا الملك العادل وهو محاصر ماردين .[٣]

ذكر توجه العادل من ماردين والأفضل من مصر وحصار دمشق

لما أشارت الأسدية على الأفضل بقصد دمشق نهض وسار بالعساكر إلى الشام واستناب بمصر سيف الدين أزكش ، ووصل إلى دمشق فى شعبان فأحدق بدمشق ، وبلغ العادل وهو على ماردين كما ذكرناه ؛ وكان أقام عليها عشرة أشهر فلم يبق إلا تسليمها ، وصعدت أعلامه إلى القلعة ، وسمعوا بوفاة العزيز فتوقفوا فرحل عنها ، وترك ولده الكامل محمداً عليها ، وجاء العادل ومعه دلدروم الياروقى وابن المقدم وجماعة من الأمراء ، وكان الأفضل نازلاً فى الميدان الأخضر ، فأشار عليه جماعة من الأمراء أن يتأخر إلى مشهد القدم حتى يصل الظاهر ، وصاحب حمص ، والأمراء ، وكان مكيدة منهم ، فتأخر

---

(١) مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٩٦-ص٢٩٧ .

(٢) نقل العينى هنا عن أبى الفدا المختصر على الرغم من أنه ذكر أنه نقل عن ابن كثير . انظر : المختصر ، جـ٣ ، ص٩٥ .

(٣) المختصر ، جـ٣ ، ص٩٥ .

إلى مشهد القدم ، ودخل العادل ومن معه من العسكر إلى دمشق ، وجاء الظاهر بعسكر حلب ، وجاء عسكر حماه وحمص وبشاره من بانياس ، وعسكر الحصون ، وسعد الدين مسعود صاحب صفد ، وضايقوا البلد وكسروا باب السلامة ، وجاء آخرون إلى باب الفراديس ، فيقال : إن الناصح بن الحنبلى وأخاه الشهاب وأصحابهما كسروا باب الفراديس .

وكان العادل فى القلعة قد استأمن إليه جماعة من المصريين مثل ابن كهدان ، ومثقال الجمدار[٢٢٨] الخادم ، وبلغ العادل فركب وخرج إليهم ، وجاء إليه جيرون[١] والمجد[٢] أخو الفقيه عيسى قائم على فرسه يشرب الفقاع فصاح العادل : «يا مغلة ، يا صنعة ، إلى ها هنا» . فخرجوا ، وأغلق باب السلامة ، وجاء إلى باب الفراديس فوجدهم قد كسروا الأقفال بالمرزبات ، فقال : «من فعل هذا؟» قالوا : الحنابلة . فسكت ولم يقل شيئاً .

قال : السبط : وحكى لى الملك المعظم عيسى رحمه الله قال : لما رجعنا من باب الفراديس ، ووصلنا إلى باب مدرسة الحنابلة ، أُرمى على رأس أبى جب الزيت فأخطاه ، ووقع فى رقبة الحصان فوقع الحصان ميتاً ، فنزل أبى وركب غيره ولم ينطق بكلمة ، وجاء جهاركس وقراجا فى الليل من جبل سنير فدخلا دمشق . وأما المواصلة فساقوا على الملك الكامل ، فرحَّلوه من ماردين ، فجاء يقصد دمشق ، وجمع التركمان .

وأما دمشق فإنه لما اشتد الحصار عليها ، وقطعوا أشجارها ومياهها الداخله إليها ، انقطعت عن أهلها الميرة وضجوا ، فبعث العادل إلى الظاهر يقول : «أنا أسلم إليك دمشق على أن تكون أنت السلطان ، وتكون دمشق لك ولا للأفضل» فطمع الظاهر وأرسل إلى الأفضل يقول : «أنت صاحب مصر فأثرنى بدمشق» فقال : «دمشق لى من أبى ، وإنما أُخذت منى غصباً ، فلا أعطيها لأحد» . فوقع الخلف بينهما ، ووقع التقاعد وخرجت السنة على هذا .[٣]

---

(١) جيرون : ورد فى معجم البلدان أن أحد أبواب الجامع بدمشق سمى باب جيرون نسبة إلى جيرون بن سعد بن عاد بن إرم بن سام بن نوح- وهو أول من بنى دمشق . وقيل أيضاً : إن حصن جيرون بدمشق بناه رجل من الجبابرة يقال له جيرون . ويذكر ياقوت أنه باب من أبواب الجامع بدمشق ، وهوبابه الشرقى . انظر : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص١٧٥-١٧٦ .

(٢) المجد أخو الفقيه عيسى : هو مجد الدين عمر بن محمد بن عيسى الهكارى . ولد سنة ٥٠٦هـ وتوفى سنة ٦٣٦هـ بالقاهرة ودفن بسفح المقطم . انظر : وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص٤٩٨ ، ترجمة (743) .

(٣) إلى هنا توقف العينى عن النقل من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٩٧ ، ٢٩٨ .

وقال أبو الفدا[١] : لما سار العادل من ماردين ، وسار الأفضل من مصر ، سبق [العادل][٢] الأفضل ودخل دمشق قبل نزول الأفضل بيومين ، ونزل الأفضل على دمشق فى ثالث عشر شعبان . وزحف من الغد على البلد ، وجرى بينهم قتال ، وهجم بعض عسكره المدينة حتى وصل إلى باب[٣] البريد ، ولم يمدهم العسكر ، فتكاثر أصحاب الملك العادل ، وأخرجوهم من البلد ، ثم تخاذل العسكر ، فتأخر الأفضل إلى ذيل عقبة[٤] الكسوة ، ثم وصل إلى الأفضل أخوه الملك الظاهر صاحب حلب ، فعاد إلى مضايقة دمشق ، ودام الحصار عليها ، وقلت الأقوات عند العادل وعند أهل البلد . وأشرف الأفضل والظاهر على ملك دمشق ، وعزم أهل البلد[٥] على تسليم البلد لولا ما حصل بين الأخوين الأفضل والظاهر من الخلف وخرجت السنة وهم على ذلك .[٦]

وفى تاريخ بيبرس : لما ولوا الملك المنصور محمدا عوض أبيه العزيز لم يلبث إلا هنيهة يسيرة حتى تحركت جماعة من الناصرية والأسدية وقالوا : لابد من مدبر يقوم بالأمر ، فإن ولد العزيز صغير ، والأولاد الناصرية ما فيهم من يدبر نفسه ، فضلاً عن غيره ، ولابد من العادل . واتصل بالأمراء أن العادل حالف بعض المماليك والحلقة على أن يكون الأمر له ، وتحدث يازكج مع الأمراء فيما هموا به من تسليم الأمر إلى العادل ، وقال لهم : الأولى أن لا يخرج الأمر عن بيت الملك الناصر ، فلم يوافق ذلك رأى كرجى ودرباس . ثم تقرر أن يولى الملك الأفضل بن الناصر أتابكية ابن أخيه العزيز ، وينوب عن الأفضل أخوه الظافر مظفر الدين خضر ، وكتبوا إلى الأفضل يستدعونه من صرخد ، وامتدت أطماع الأمراء والجند ، واستمر الظافر فى تنفيذ الأشغال وتدبير الأحوال ، إلى حين وصل الأفضل إلى بلبيس[٧] ، وتلقاه المؤيد أخوه وفخر الدين إياز جهركس ، واهتم كل منهما بعمل ضيافة واسعة ، وقصد جهركس أن يكون نزوله أولاً فى خيمته وحضوره

(١) فى الأصل «ابن كثير» وما أثبتناه هو الصحيح .
(٢) ما بين حاصرتين إضافة للتوضيح ، تنظر : المختصر فى أخبار البشر ، جـ٣ ، ص٩٥ .
(٣) باب البريد : أحد أبواب مدينة دمشق . ويقع فى غربى المسجد الأموى . انظر : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٥٩١ .
(٤) عقبة الكسوة : العقبة هو الجبل الطويل يعرض للطريق فيأخذ فيه وهو طويل صعب إلى صعود الجبل . معجم البلدان ، جـ٣ ، ص٦٩٢ . أما الكسوة فقد سبق التعريف بها .
(٥) فى المختصر : «وعزم العادل على تسليم البلد» . انظر : المختصر ، جـ٣ ، ص٩٦ .
(٦) نقل العينى هذا الحدث من المختصر ، جـ٣ ، ص٩٥-٩٦ .
(٧) ذكرت هذه الأحداث بتصرف فى نهاية الأرب ، جـ٢٨ ، ص٤٥٦ ، ٤٥٧ .

بدأ إلى ضيافته ، فنزل فى خيمة أخيه المؤيد لأنه أقسم عليه بالطلاق أنه لا يبدأ إلا به ، فأبر قسمه ونزل عنده أولاً ، وعند جهركس ثانياً . فغضب جهركس لذلك ، واستشعر سوء رأى فيه ، فأخذ دستوراً من الأفضل أن يتأخر بالشرقية ليصلح بين مختلفين من العرب . فلما انفصل من الأفضل ركب هو وزين الدين قراجا من فورهما ، ودخلا البرية فى عدة قليلة .[١]

وأما الأفضل فإنه وصل إلى ظاهر القاهرة ، فخرج إليه أهلها وتلقوه بالاحتفال ، وزينت البلد ، ودخل دار الوزارة ، ونزل بدار البستان التى كان العزيز عمّرها .[٢] وخرج سراسنقر من باب البرقية[٣] بخيله ورَجْله لاحقاً برفيقيه جهاركس وقراجا ، وشرع الأفضل فى الإطلاقات[٤] والحوالات واستكثر منها ، وجهز شمس الدولة عبدالرحمن بن منقذ[٥] رسولاً إلى عمه العادل ببذل الطاعة وأرسل صحبته جاولى المعظمى وخطب باسم الأفضل ، وحذف من الخطبة الترحم على الناصر والعزيز ، وامتدحه شعراء النصر[٦] وأدباء المصر ، فمما مدح به من أشعار الرشيد النابلسى قصيدة مطلعها :

رُويدَكم إن الهوى مسلكٍ وعر	يُضَلُّ به الهادى ويُستعبد الحرُّ
أثير الغوانى ليس بعد بمُفْتَدى	ومقتولها فى دينها دمُه هَدْرُ
وما هى إلا نظرةٌ سفكت دمى	وحاذرتها لو أنه نفع الحَذْرُ
وما كان لولا أن يظاهرها الهوى	لغانيه نهى على ولا أمرُ
فلله بالفُسطاط أرغدُ عيشة	حظيتُ بها لو عاد يوماً بها العمرُ
فيا حبذا مقر وساكنَ أرضِها	وساحتُها فالتحلُ فالنيلُ فالقصرُ

---

(١) وردت هذه الأحداث بتصرف فى نهاية الأرب ، جـ٢٨ ، ص٤٥٦-٤٥٧ ؛ مفرج الكروب ، جـ٣ ، ص٩١-٩٢ .

(٢) وردت هذه الأحداث بتصرف فى نهاية الأرب ، جـ٢٨ ، ص٢٥٧ ، ٢٥٨ . انظر أيضاً : مفرج الكروب ، جـ٣ ، ص٩١ ، ٩٢ .

(٣) باب البرقية : هذا الباب على حارة البرقية التى تنسب إلى قوم من أهل برقة قدموا صحبة جوهر الصقلى فعرفت بهم . صبح الأعشى ، جـ٣ ، ص٣٥٨ .

(٤) الإطلاقات : جمع إطلاق ، ومعناه إما تقرير عدل لما قرره أحد الملوك السالفة أو ابتداء فى معروف أو زيادة فى إحسان على ما كان مقرراً . ومن معانيه أيضاً قطعة أرض تمنح وتعفى من جميع أنواع الضرائب .
انظر : صبح الأعشى ، جـ١٣ ، ص٤١ ؛ Dozy:Supp.Dict.Ar

(٥) هو شمس الدولة أبو الحارث ، عبدالرحمن بن محمد بن مرشد بن منقذ . ت٦٠٠هـ بالقاهرة . ومولده فى شيزر سنة ٥٢٣هـ . وفيات الأعيان ، جـ٧ ، ص١٢ . ترجمة رقم (355) .

(٦) فى د «العصر» .

وليلة زارت والنجومُ كأنما على ... روضة خضراءِ من زهرها زَهْرُ
وعقد الثريا فى أنيق نظامه ... يطابقه من أنجم النُّثْرة النَّثْرُ
وللزهرة الغراء[1] فى الغرب رجفةٌ ... مخافة أن ينقض مُنْفَضَّها النَسرُ
وجنح الدُجى فى عُنفوان شبابه ... فما كذَّبَت عيناى أن طلع الفجرُ
أو الملكُ نورُ الدين أشْرق قادماً ... يُصاحبهُ الإقبال والفتح والنصرُ
طوى من أعالى مصرَ عِشْرين رحْلَةً ... فكان لِموتى الفَقر طيُّها نَشْرُ
فوافى إليها وهى ترقبُ قربَه ... وليسَ لها عن أن يُواصلها صَبرُ
وفى طرفِها إلا إلى وَجهِه قذىً ... وفى سَمعها إلا إلى ذكره وَقرُ[٢٣٠]
فَشّرفها منه أَغر مُتوجٌ ... به تَشْرفُ الأمصارُ جَمْعاء لا مِصْرُ
وقلدها سيفاً من العزِّ صارماً ... به حُقّ لو تاهَت لها التيه والفخرُ
وكانت عروسُ الدهرِ تطلب كُفؤَها ... فزُفَّ إليها الأمجدُ الأفضلُ الغمرُ
هو الغَيثُ وافاها على ظمأ بها ... فبَشّرها بالغَوثِ من وجهه البَشْرُ
حليمٌ عن الجانى وطوراً مُعاقِبٌ ... وخيرُ فتى من عنده الخيرُ والشرُ
تفرق طعماه لدى السخط والرضى ... فذا سائغ حُلو وذا سائغٌ مُرُ
يلين ويقسو للعُفاة وللعدى ... ففى راحتيه النفع للناس والضر
بليغ بقول الفصل ناطق فضله ... فمعروفه درٌ ومنطقه دُرٌّ
رحيب الذرى والباع والباس والندى ... وأرحب منها فضله الجمُ والصَدْرُ
يجود ولا وعدٌ فأما وعوده ... فحاشى وَفيًا من مَواقيتها غدر
ضلالاً لمن بالبحر قاس يمينه ... ومن جوده فى كل أنملة بحر
إليه بنى الآمال فى كل وجهه ... فإحسانه المد الذى ماله جذر
فتى يهب الجم الغفير وَظَنُّه ... بأن كثيراً من مواهبه نَزْرُ
هو الغَمْرُ قد أفنى الكنوزَ مواهباً ... أفى قلبه حقد على المال أو غِمْرُ
يميناً لو أنّ الدهر ملك يمينه ... لأصبح موهوباً وإن عظمُ الدهْرُ
أنجلَى صلاح الدين والملك الذى ... زكى[2] النحلُ من أولاده وزكا النِجْرُ

(١) فى د «الزهراء» .
(٢) فى د «زكا» .

عدلت فلا جورٌ وصُلْت فلا أذَى ... وقمتَ فلا زَيغٌ وجُدْتَ فلا فَقْرُ
ففى غضب الشيطانِ بَاسُك والندى ... وفى طاعةِ الرحمن سِرُّكَ والجَهْرُ
لأنتمُ بَنى أيوب خَيرُ عصابةٍ ... لها الحمدُ بعدَ الله والمَدحُ(١) والذكرُ
سماءُ عُلىً تَهْدى مَصابيحُ أُفقِها ... وتُهْدَى(٢) لنا من سُحَبها النَايل الدَثْرُ

وقال يمدحه أيضاً بقصيدة منها :

الأفضلَ ابن أبيه أفضَلُ ذو نَدى ... نسخت وُعودَ الجود منه نُقُودُ
مَلِكٌ إذا وقف الملوكُ بِبَابه ... لعايَنْت مولىً والملوكُ عَبِيدُ
غَيْثٌ إذا سحَّت سحايبُ جُوده ... جَزرَ الحَيا ولِراحَتيْه مُدُودُ
للبشر فى قسماته نُورٌ إلى ... ما يَرتجى الراجون منه بَريدُ
يَقظ تَنَبُّه للثناءِ وكسبه ... حين الملوكِ عن الثناءِ رُقُودُ
فإذا(٣) اقتنى المَلْكُ الكنوز رأيتَه ... خِرْقًا بما ملكَتْ يَداه يَجُودُ [٢٣١]
مَهلاً عَلىٌّ علوتَ حتى ما لِذِى ... شرفٍ إلى حيثُ ارتقَيْت صُعُودُ
كم لج جيش للفرنج فخضنته ... والدّارعون بحافتيه وُرُودُ
فنظمته بالرُمح وهو مُبدَّدٌ ... ونَثَرتَه(٤) بالسيف وهو عُقُودُ
صلّت سيوفَك حين صَلّتْ رُكعا ... فيهم فهامُهم إليك سُجُودُ
أشْرَفتَ فى الزمن البهيم كما بدا ... للصُبح من غسق الظلام عمُودُ
فألِيّة بِكَ يا ابن من لسيوفُه ... أبدا رِقابُ المشركين حَصِيدُ
لو كان حِلمُكَ للجبال مُوَطِّداً ... لم تُلْفَ بالزلزال وهى تميدُ
أو كانَ جُودكَ للسَّحاب مُظاهِرا ... ما زالت الأنواءُ وهى تَجُودُ
أو كان(٥) عزمك للصَّوارم لم تُحطْ ... يوما بهن ولو أحَطْنَ غمُودُ

(١) فى د «والحمد» .
(٢) فى د «وتهدى» .
(٣) فى د «وإذا» .
(٤) فى د «ونشرته» .
(٥) فى د «ولو كان» .

أو كان باسُك للأسُود لما احتمت من خوف باسُك بالعَرين أُسُودُ
فـتَـمـلَّ منِّى كل بكرٍ طائرُ المـعنى لهـا أنّى شـذا غـريدُ
شـعـر يَصُـوغُ ثناك فى أثنائه عَـبَـقًـا وخُـفَّـاقُ النسـيم رُكُـودُ
يُكْسى على مَـرِّ الزمـانِ طلاوةً وتُـمَـزّقُ الأيامُ وهو جَـديدُ
دُرٌّ تنظّم من عُـلاك فَـريدهُ فَمِنَ العجايب أن يُقال قَصيدُ
لا تَحسِبَنَّ لك فى الكمال مشاركاً ما عن صِفَاتِكَ للكمالِ مَجِيدُ

قال بيبرس : وفيها شرع الأفضل فى تجريد العساكر إلى القدس الشريف مع الظافر أخيه ، واجتمع جهاركس بميمون القصرى وأسامة ، ثم كتبوا إلى الأفضل كتاباً مضمونُه ؛ إنا مجتمعون على طاعة ولد الملك العزيز ، وإن استقر الملك العادل كنا فى طاعته ، وأما أنت فقد غررت بنفسك ، فلا تطمع فى مُلك مصر ؛ وأكثروا من هذا الخطاب ومثله .

وفيها وصل إلى الأفضل رسول أخيه الظاهر صاحب حلب ، ورسل ابن عمه أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص يحثانه على الخروج إلى دمشق ليغتنم الفرصة بغيبة العادل عنها ، فإن العادل قد سار لحصار ماردين ، فخرج الأفضل على عزم المسير إلى دمشق وتعوق بظاهر القاهرة وتشبط فى مسيرة ، ولو بادر وعجل المسير لربما كان قد ملكها لكنه تأخر ، ولما وصل نزل عند جسر الخشب على فرسخ ونصف من دمشق ، وكان نواب العادل قد أرسلوا إليه يخبرونه قصد الأفضل لهم ، ففارق ماردين وخلف ولده الكامل عليها ، وحضر جريدة فسبق الأفضل ودخل دمشق قبل وصوله بيومين ، وأما الأفضل فإنه تقدم إلى دمشق من الغد وهو رابع عشر شعبان ، فاجتمع الأمير مجد الدين أخو الفقيه عيسى الهكارى ببعض الأجناد[٢٣٢] الذين على أحد الأبواب ، واتفقوا معه على أنهم يفتحونه له وهو الباب الذى يسمى باب السلامة(١) ففتحوه ، ودخل مجد الدين وبعض من معه إلى المدينة ، فلما رآهم العامة والجند استسلموا ونزلوا عن الأسوار .(٢)

---

(١) باب السلامة : سمى بهذا الاسم تفاؤلاً لأنه لا يتهيأ القتال على البلد من ناحيته لما دونه من الأنهار والأشجار . انظر ابن شداد ، تاريخ مدينة دمشق ، ص٣٥ .

(٢) ورد هذا الحدث بتصرف فى الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٥٧-ص٢٥٨ . طبع المطبعة الأزهرية ؛ مفرج الكروب ، جـ٣ ، ص٩٢-٩٦ ؛ نهاية الأرب ، جـ٢٨ ، ص٤٥٨-٤٥٩ .

وبلغ الخبر الملك العادل فكاد يسلم لكنه تماسك ، وبلغ عسكر الأفضل باب البريد فلما رأى عسكر العادل قلة عسكر المصريين وثبوا عليهم فأخرجوهم ، وكان الأفضل قد نصب خيامه بالميدان الأخضر فأشير عليه بالانتقال إلى ميدان الحصى[١] ففعل ، وقويت نفوس الدمشقيين وضعفت نفوس المصريين ، وتعصبت الأكراد وصاروا شيئاً واحداً . فتأخر الأفضل قليلاً ، ثم وصل أسد الدين شيركوه صاحب حمص إلى الأفضل ، ووصل بعده الملك الظاهر صاحب حلب ، وأرادوا الزحف على دمشق فمنعهم الظاهر مكراً بأخيه الأفضل وحسداً له ، ولم يشعر أخوه بذلك منه ، ولما رأى العادل كثرة العساكر وتتابع الأمداد ، عظم عليه ذلك وأرسل إلى المماليك الناصرية الذين بالقدس يستدعيهم إليه ، وبلغ الأفضل أنهم ساروا إلى العادل ، فسير أسد الدين شيركوه صاحب حمص ومعه جماعة من الأمراء إلى طريقهم ليمنعوهم ، فساروا فى غير الجادة وعبروا دمشق ، فقوى العادل بهم وآيس الأفضل من دمشق ، ثم إن العادل سير خلف ابنه الكامل ليحضر إليه ، وكان على ماردين فسار على طريق البر ودخل دمشق ، وانقضت السنة والحال على مثل ذلك .[٢]

ذكر وفاة صاحب الغرب

والكلام فيه على أنواع :

هو السلطان الكبير أبو يوسف يعقوب بن أبى يعقوب يوسف بن أبى محمد عبد المؤمن بن على القيسى الكومى ، صاحب بلاد الغرب الملقب بالملك المنصور . ولد ليلة الأربعاء رابع شهر [ربيع][٣] الأول سنة أربع وخمسين وخمسمائة ، ولما مات أبوه فى سنة ثمانين وخمسمائة على ما ذكرناه اجتمع رأى أشياخ الموحدين وبنى عبدالمؤمن على تقديمه ، فبايعوه وعقدوا له الولاية ودعوه أمير المؤمنين كأبيه وجدّه ، ولقبوه المنصور .[٤]

---

(١) ميدان الحصى : قبلى دمشق . معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٥٩٥ .

(٢) ورد هذا الحدث بتصرف فى الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٥٧-ص٢٥٨ .

(٣) ما بين حاصرتين إضافة من النسخة د .

(٤) أبو يوسف يعقوب بن أبى يعقوب يوسف بن أبى محمد عبد المؤمن صاحب الغرب . وفيات الأعيان ، جـ٧ ، ص١٣٠-ص١٣٨ ، وقد ذكر أن مولده فى سنة ثمان عشر وخمسمائة . المرجع السابق .

الثانى فى صفته :

كان أسمر[١] صافى السمرة جداً إلى الطول ، جميل الوجه ، أفوه ، أعين ، شديد الكحل ، ضخم الأعضاء جهورى الصوت ، جزل الأعضاء ، من أصدق الناس لهجة وأحسنهم حديثاً وأكثرهم أصابه بالظن ، مجرباً للأمور ، ولى وزارة أبيه فبحث عن الأحوال بحثاً شافياً وطالع مقاصد العمال والولاة وغيرهم مطالعة حسنة .

الثالث فى سيرته :

لما ولى قام بالأمر أحسن قيام ، وهو الذى أظهر أبهة ملكهم ورفع راية الجهاد ونصب ميزان العدل ، وبسط أحكام الناس على حقيقة الشرع ، ونظر فى أمور الدين والورع والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأقام الحدود حتى فى أهله وعشيرته والأقربين ، كما أقامها فى سائر الناس أجمعين ، فاستقامت الأحوال فى أيامه ، وعظمت الفتوحات وغزا غزوات كثيرة ، وجال فى البلاد لأجل الجهاد .[٢]

وقال أبو شامة صاحب الذيل : كان ملكاً جواداً سمحاً عادلاً ، يكرم العلماء متمسكاً بالشرع ، يصلى بالناس الصلوات الخمس ، فيلبس الصوف ، ويقف للمرأة[٣][٢٣٣] والضعيف ويأخذ لهم بالحق ، حافظاً للسانه .

وقال ابن خلكان : وكان يشدد فى إلزام الرعية بإقامة الصلوات الخمس ، وقتل فى بعض الأحيان على شراب الخمر ، وقتل العمال الذين شكوا الرعايا منهم ، وكان محسناً محباً للعلماء ، مقرباً للأدباء ، مصغياً إلى المدح ، مثيباً عليه ، وله أَلَّفَ أبو العباس أحمد ابن عبد السلام الجراوى[٤] كتابه الذى سماه «صفوة الأدب وديوان العرب فى مختار الشعر» ، وهو مجموع مليح أحسن فى اختياره كل إحسان ، وإليه تنسب الدنانير اليعقوبية المغربية .

---

(١) ذكر ابن خلكان أنه كان «أبيض تعلوه حمرة» ، وفيات الأعيان ، جـ٧ ، ص١٣٤ .

(٢) ورد هذا الحدث بتصرف فى مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٩٨ .

(٣) ورد هذا الحدث فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٩ .

(٤) أحمد بن عبد السلام الجراوى : ويقال له الكواريى ، وكورايا قبيلة من البربر منازلهم بضواحى مدينة فاس ، توفى آخر أيام الأمير يعقوب بن الأمير يوسف . وفيات الأعيان ، جـ٧ ، ص٦٣٧ .

وفى المرآة : وهو الذى كسر ألفنش ملك الإفرنج على الزلاقة . ولم تكن للألفنش مع كثرة جيوشه طاقة ، ولم يكن فى ولاة المغرب من له سيرة كسيرته ، وقد أثنى عليه أرباب السير ، وذكره عبدالمنعم بن عمر فى تاريخه وأثنى عليه وقال : «لما توفى أبوه يوسف قام بالأمر أحسن قيام ، فأقر العيون بما قرر من قواعد الإسلام ، ونشر كلمة التوحيد ، وأذل من أهل الكفر كل جبار عنيد ، ورفع غاية الاجتهاد ، فتضرع باجتهاده كل نادْ ، وأمر بالمعروف ، ونهى عن المنكر ، ونشر نشره أذكى من العنبر ، وضوءُ كرمه أعلى من ضوء القمر الأنور . وأقام الحدود على العالمين . وخصوصاً على أهله وعشيرته الأقربين ، فاستقامت الأمور ببركاته ، وظهرت الفتوح العظيمة بعزماته ، وانتشرت الخيرات بكراماته» .

وقال السبط : حكى لى الشيخ الصالح الفاضل أبو العباس بن تامتنب المغربى اللواتى بالديار المصرية بالقرافة فى سنة أربعين وستمائة من فضائل الملك المنصور يعقوب بن يوسف المذكور ، وكان أبو العباس قد صحبه زماناً وانتفع به واستفاد منه ، قال : وكلما أحكيته عنه فهو على المشاهدة والعيان لا عن فلان وفلان . قال فى ذلك : إنه قدم بلدة فاس رجل شريف ، وكان فاضلاً لطيفاً ، وكان يعظ بصوت طيب ، فجلس بها فمال الناس إليه ، وأرادوا أن يبايعوه ، وبلغ خبره إلى يعقوب ، فكتب إليه كتاباً يقول فيه : «قد بلغنا قدومك البلاد ووصول بركتك إلى أهلها ، ونحن نسألك أن تقدم علينا لنأخذ حظنا منك ، كما أخذ أهل البلاد حظهم . وبعث إليه بعشرة آلاف دينار ، فخاف الشريف ، واجتمع إليه أهل البلاد ، وقالوا : متى وقعت فى يده قتلك ، فأظْهِر العصيان ، ونحن وأهل الجبال معك . فقال الشريف : معاذ الله أن أكون سبباً لإراقة دم مسلم ، ولكنى أسير إليه ، وأستعين بالله عليه . وبلغ يعقوب قوله ، فلما قرب من مراكش خرج يعقوب فاستقبله وأنزله معه فى قصره ، وحمل إليه المال والتحف ، وجلس يسمع كلامه ، وكان يجالسه . واتفق عبور يعقوب للقاء ألفنش ، ومن عادتهم يوم المصاف أن يصلى الخليفة بالناس الفجر ، ويركب معه خمسة آلاف من القراء مُلبسين الدروع ، حاملين الأسلحة ، فيقرءون سُبْعاً من القرآن ، ويدعو الخليفة ، لايدعو غيره ، وكان له طبال اسمه حماد - مقدم الطبّالين - وخلفه مائة كوس ، وليس فى العسكر من له طبل

سوى الخليفة ، فإذا فرغ من الدعاء بعد القراءة قال : يا حمّاد ، فيقول : لبيك ، فيقول : اضرب الطبل ، فيدق الكوسات ، وتحمل العساكر[٢٣٤] وهاتان الخصلتان لا يشارك الخليفة فيهما أحد الرعاء ، وقوله يا حمّاد اضرب الطبل . فلما كان فى هذا اليوم الذى التقى فيه يعقوب بألفنش ، صلى الخليفة بالناس ، وركب والشريف عن يمينه ، ولما فرغ من قراءة السبع ، التفت إلى الشريف وقال : يا شريف ادعُ ، فقال : الله الله يا أمير المؤمنين ، العفو ، هذه وظيفة أمير المؤمنين . فقال : لابد . فما أمكنه مخالفته ، خوفاً منه ، فمد يديه ودعى ، وعجب الناسُ ، ولما فرغ من الدعاء قال له : يا شريف قل لحمّاد يضرب الطبل . فقال : العفو يا أمير المؤمنين . فقال : لابد ، فقال : يا حماد اضرب الطبل ، فضرب ، وحملوا . ثم التفت إلى الشريف وقال : يا شريف إن كان خطر ببالك أنك تحكم فى البلاد ، وأطمعك أهل فاس والجبال فى هذا الأمر ، أو رأيت مناماً فهو هذا الذى رأيت ما يجعل لك من الخلافة سواه ، فنزل وقبل الأرض ، وكسر الله عز وجل ألفنش وأقام الشريف عنده فى أرغد عيش إلى أن توفى ، وما ظن أحد أنه يسلم منه ، فلله دَرّ هذه المكارم لو كان غير يعقوب لحل بالشريف العظائم .

ومنها ما حكاه لى أبو العباس أيضاً قال : كان ليعقوب ابن أُخت لم يكن بمراكش أحسن صورة منه ، له ثمان عشرة سنة ، فقدم مراكش رجل يُرقّصُ الدُبَّ ومعه امرأته ، فرآها ابن أخت يعقوب فأعجبته ، فأرسل إليها فأخذها ، فوقف زوجها ليعقوب فقال : يا أمير المؤمنين إنى رجل غريب وقد غصبنى ابن أختك وأخذ زوجتى . فقال له : اتبعنى . وجاء إلى قصر ابن أخته وقال للرجل قف ههنا ، ثم دخل القصر واستدعى ابن أخته وقال له : لِمَ أخذت زوجة هذا الرجل؟ فأنكر . فدعى بالرجل وقال له : قد أنكر . وقال : يا أمير المؤمنين لى كليبة قد ربتها المرأة تحضر كل امرأة فى القصر وأحضر الكلبة فهى تعرفها من بين ألف امرأة ، فإن وقفت عندها وإلا فاقتلنى . فقال للرجل : اخرج ، ثم قال لابن أخته : لا تَبقى امرأة فى القصر إلا وتخرج ، فأخرج النساء وخرجت المرأة بينهن وقد غير زيها وألبسها الحلى والجواهر والثياب الفاخرة ، وأطلق الكلبة فجاءت ووقفت عندها ، فاستدعى الرجل وقال : خذ زوجتك بما عليها . ثم التفت إلى ابن أخته وقال : قصرك مملوء بالجوارى المستحسنات وأنت تمد عينيك إلى امرأة رجل غريب جاء من بلاد بعيدة فتأخذها غصباً . ثم قال لغلمانه : اعطوه الرماح . وهذه قِتْلة المغاربة ، فخرجت أمه حاسرة فبكت بين يديه وقالت : مالى غيره . فقال : لأهذّبن ملوك الغرب وغيرهم ، فقتله .

ومنها ما حكاه لى أبو العباس أيضاً قال : اشتهرت امرأة بالزهد وأنها ما تأكل الخبز ، فبعث إليها يعقوب وقال : أقيمى عندى فى القصر أياماً لأتبارك بك ، فأقامت عنده مدة ، فدخلت بعض جواريه السقاية يوماً فرأت الزاهدة تأكل الخبز فى بيت الماء ، فبهتت وجاءت إليه فأخبرته فقال لها : والله لئن سمع هذا غيرى منك لأقتلنك ، ثم بحث عن ذلك فوجده صحيحاً ، فأرسل إلى الزاهدة خمسمائة دينار وثياباً ، وقال لها : قد حصلت لنا البركة بمقامك عندنا ، وقد سألنى بنو عمى أن تقيمى عندهم فى قصرهم[٢٣٥] لتصل إليهم بركتك . فانتقلت إليهم ولم يظهر أمر المرأة . قال : وكان جواداً سمحاً يهب مائة ألف دينار وخمسين ألفاً ، رحمه الله .

قال السبط : ويعقوب هذا هو الذى راسله السلطان صلاح الدين بشمس الدين بن منقذ يستنجد به فى سنة سبع وثمانين وخمسمائة . ومدحه ابن منقذ بأبيات من الشعر ، فأعطاه لكل بيت ألف دينار .(١)

قال ابن خلكان : وكان قد أرسل إليه السلطان صلاح الدين يوسف رسولاً من بنى منقذ فى سنة سبع وثمانين وخمسمائة يستنجده على الإفرنج الواصلين من بلاد المغرب إلى الديار المصرية وساحل الشام ، ولم يخاطبه بأمير المؤمنين بل خاطبه بأمير المسلمين ، فعز ذلك عليه ولم يجبه إلى ما طلب منه ، والرسول المذكور هو شمس الدولة أبو الحارث عبدالرحمن بن نجم الدولة أبى عبدالله محمد بن مرشد والله أعلم .(٢)

الرابع فى سريرته :

قال ابن كثير : قد كان ديناً حسن السيرة ، صحيح السريرة ، وكان مالكى المذهب ، ثم صار ظاهرياً خرمياً ، ثم مال إلى مذهب الشافعى ، واستقضى فى بلاده منهم .(٣) وقال ابن خلكان : أمر برفض فروع الفقه وأن العلماء لا يفتون إلا بالكتاب العزيز والسنة النبوية ، ولا يقلدون أحداً من الأئمة المجتهدين المتقدمين بل تكون أحكامهم بما يؤدى إليه اجتهادهم من استنباطهم القضايا من الكتاب والسنة والإجماع والقياس .(٤)

---

(١) نقل العينى هذا الخبر بتصرف من مراة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٩٨-٣٠١ .

(٢) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ٧ ، ص١٢ ، ترجمة رقم ٨٢٩ .

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٩ .

(٤) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ٧ ، ص١١ .

وقال المؤيد فى تاريخه : وكان يتظاهر بمذهب الظاهرية ، وأعرض عن مذهب مالك رحمه الله .[١]

الخامس فى وفاته :

قال علماء الأندلس : مرض يعقوب مرضاً أشفى منه على الموت ، فأوصى إلى ولده أبى عبدالله محمد[٢] ، وأن لا يخفوا موته ، وأن يصلى عليه المسلمون ويدفن على قارعة الطريق ، ليترحّم عليه من يمر به ، وتوفى فى ربيع الأول ، فكانت مدة أيامه خمس عشرة سنة ، وبايع الناس ولده محمداً ، واستمر على سيرة أبيه ، ثم اختلفت الأهواء ودخل النقص على البيت بموت يعقوب .[٣]

وقال ابن كثير : توفى السلطان أبو محمد يعقوب بن يوسف صاحب بلاد المغرب والأندلس بمدينة سلا[٤] . وكان قد ابتنى عندها مدينة[٥] مليحة سماها المهدية . وقال غيره من علماء التاريخ : لما فرغ من غزواته رجع إلى مراكش ، ثم اختلفت الروايات فى أمره ، فمنهم من يقول : إنه ترك ما كان فيه وتجرد وساح فى الأرض حتى انتهى إلى بلاد الشرق وهو مستخف لا يُعْرف ، ومات خاملا .

ومنهم من يقول : إنه لما رجع إلى مراكش توفى فى غُرّة سنة خمس وتسعين وخمسمائة . وقيل : فى شهر ربيع الآخر فى سابع عشره ، وقيل : فى غرة صفر .

وفى تاريخ المؤيد : توفى يعقوب صاحب المغرب والأندلس وعمره ثمان وأربعون سنة ، وملك بعده ابنه محمد بن يعقوب وتلقب بالملك الناصر ، ومولده فى سنة ست وسبعين وخمسمائة . وعبد المؤمن وبنوه جميعهم كانوا يسمون بأمير المؤمنين .[٦]

---

(١) المختصر فى أخبار البشر ، جـ٣ ، ص٩٦ .

(٢) عن ترجمته راجع وفيات الأعيان ، جـ٧ ، ص١٥ (351) .

(٣) مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠١ .

(٤) مدينة سلا : مدينة بأقصى المغرب . معجم البلدان ، جـ٣ ، ص١٠٩ .

(٥) «مدرسة» كذا فى الأصل والتصحيح من البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٩ .

(٦) أبو الفدا ، المختصر ، جـ٣ ، ص٩٦ .

وقال ابن خلكان : وكان يعقوب قد عظم ملكه واتسعت دائرة سلطنته ، حتى أنه لم يبق بجميع أقطار بلاد المغرب من البحر المحيط إلى برقة إلا من أطاعه ودخل فى ولايته إلى غير ذلك من جزيرة الأندلس .(١)

ذكر وفاة مجاهد الدين

هو الأمير الكبير مجاهد الدين قايماز الزينى نائب الموصل والمستولى على مملكتها[٢٣٦] فى أيام ابن أستاذه نور الدين أرسلان . وكان عاقلاً ذكياً فقيهاً حنفياً ، وقيل شافعياً ، يحفظ شيئاً كثيراً من التواريخ والحكايات ، وقد ابتنى عدة جوامع ، ومدارس ، وربط ، وخانات ، وله صدقات كثيرة دايرة .

وقال ابن الأثير : «وقد كان من محاسن الدنيا» .(٢) توفى فى ربيع الأول منها بقلعة الموصل .

وقال ابن خلكان : هو أبو منصور قايماز بن عبدالله الزينى ، الملقب مجاهد الدين الخادم ، كان عتيق زين الدين أبى سعيد على بن بكتكين ، والد الملك المعظم مظفر الدين صاحب إربل ، وهو من أهل شبختان(٣) ، أخذ منها صغيراً ، وكان أبيض اللون ، وكانت(٤) مخايل النجابة لائحة عليه ، فقدمه معتقه وجعله أتابك أولاده ، وفوض إليه أمور إربل فى خامس شهر رمضان سنة تسع وخمسين وخمسمائة ، فأحسن السيرة ، وعدل فى الرعية ، وكان كثير الخير والصلاح ، بنى بإربل مدرسة وخانقاه ، وأكثر وقفهما .

ثم انتقل إلى الموصل فى سنة إحدى وسبعين وخمسمائة ، وسكن قلعتها ، وتولى أمور تدبيرها ، وراسل الملوك وراسلوه ، وكان يبلغ منهم بكتبه مالا يبلغ سواه . وفوض إليه الأتابك سيف الدين غازى بن مودود - صاحب الموصل - الحكم فى سائر بلاده ، لما رأى منه من حسن مقاصده ، واعتمد عليه فى جميع أحواله ، وكان نائبه وهو السلطان فى الحقيقة ، وكان يحمل إليه أكثر أموال إربل ، وأثر بالموصل أثارًا جميلة(٥) ؛ منها أنه بنى

(١) وفيات الأعيان ، جـ٧ ، ص١٢ .
(٢) وردت هذه العبارة فى الكامل ، جـ١٢ ، ص٧٢ .
(٣) يقصد بها سجستان ، وفيات الأعيان ، جـ٤ ، ص٨٢ ، حاشية٢ .
(٤) «وكان» فى الأصل والتصحيح من وفيات الأعيان ، جـ٤ ، ص٨٢ ، ترجمة رقم ٥٤٠ .
(٥) «جملة» كذا فى الأصل والتصحيح من وفيات الأعيان ، جـ٤ ، ص٨٢ .

بظاهرها جامعاً كبيراً ومدرسة وخانقاه والجميع متجاور ، ووقف أملاكاً كثيرة على خبز الصدقات ، وأنشأ مكتباً للأيتام ، وأجرى لهم جميع ما يحتاجون إليه ، ومد على شط الموصل جسراً غير الجسر الأصلى ، ووجد الناس به رفقًا كثيراً ، وله شىء كثير من وجوه البر ، ومدحه جماعة من الشعراء منهم حيص بيص سبط ابن التعاويذى بقصيدته التى أولها :

عليل الشوق فيك متى يَصِحُّ ... وسكرانٌ بحبك كيف يَصْحو
وبين القلب والسلوان حَرْبٌ ... وبين الجفن والعبرات صلحُ

وسيرها إليه من بغداد فأجازه جائزة سنية وسير له معها بغلة ، فوصلت إليه وقد هزلت من تعب الطريق ، فكتب إليه :

مجاهد الدين دمت زخراً ... لكل ذى فاقة وكنزاً
بعثت لى بغلة ولكن ... قد مسخت فى الطريق عنزاً[(١)]

وكان مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير الجزرى صاحب جامع الأصول كاتباً بين يديه ومنشئاً عنه إلى الملوك . ولما مات الأتابك سيف الدين وتولى أخوه عز الدين مسعود سعى أهل الفساد إليه فى حقه وكثر ذلك منهم ، فقبض عليه سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، ثم ظهر له فساد رأيه فى ذلك فأطلقه وأعاده إلى ما كان عليه ، واستمر على ذلك إلى أن توفى فى نصف ربيع الأول وقيل فى سادسه . وقال ابن المستوفى فى تاريخ إربل : توفى فى صفر سنة خمس وتسعين وخمسمائة بقلعة الموصل ، والله أعلم .[(٢)]

ذكر بقية الحوادث

منها أنه شرع فى بناء سور لبغداد من الآجر والكلس ، وفرق على الأمراء فكملت عمارته بعد هذه السنة ، فأمنت بغداد من الغرق والحصار[٢٣٧] ولم يكن لها سور قبل ذلك .[(٣)]

---

(١) وفيات الأعيان ، جـ٤ ، ص٨٢-ص٨٣ .
(٢) وفيات الأعيان ، جـ٤ ، ص٨٤ .
(٣) البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٩ .

ومنها أن الملك الأفضل بن صلاح الدين يوسف أشهد على نفسه فى هذه السنة بوقف المطرية ومنية[١] الباسك والرباع المسوغة وغيرها على سور القاهرة ومصر والمارستان بالقاهرة .

ومنها أنه حضر إلى الأفضل رسل الموصل ، وسنجار ، والجزيرة ، وماردين ، ووصل صحبتهم ضياء الدين بن الأثير .

ومنها أنه سار خوارزم شاه علاء الدين تكش إلى الرِىّ وغيرها من بلاد الجبل ، لأنه بلغه أن نائبه مياجق قد تغيرت نيته وجعل يفر بين يديه وهو فى طلبه ، فحصل بقلعة من أعمال مازندران فحصره بها وأخذه فأمر بحبسه .[٢]

ومنها أن ركن الدين سليمان بن قليج أرسلان مَلَكَ مدينة ملطية ، وكانت بيد أخيه معز الدين قيصر شاه ، ثم سار منها إلى أرزن الروم ، فخرج إليه صاحبها على قاعدة أن يقرر الصلح ، فقبض عليه وتسلم البلد ، وهو من أولاد الملك محمد بن صرطن ، وهم ببيت قديم كانوا يملكون هذا البلد ، فكان هذا آخرهم .

منها أنه حضر التقليد من عند الخليفة الناصر ، والمنشور والخلع لخوارزم شاه بما بيده من البلاد ، فلبس الخلع ، واشتغل بقتال الملاحدة ، فافتتح منهم قلاعاً ، وقتل عليها صدر الدين محمد بن الوزان رئيس الشافعية . ثم عاد إلى خوارزم ، فوثب الملاحدة على وزيره نظام الملك مسعود بن على فقتلوه ، فسير ولده قطب الدين لحصار الملاحدة فحاصرهم ، فلما بلغه مرض والده تكش صالحهم على مائة ألف دينار وفارقهم .[٣]

ومنها أن الخليفة استدعى قاضى الموصل ضياء الدين بن الشهرزورى ، فولاه قضاء قضاة بغداد .[٤]

---

(١) منية الباسك أو منية الباساك أو منية الباسل ؛ من الأعمال الأطفيحية . وهى حالياً تابعة لمركز الصف بمحافظة الجيزة . انظر ابن الجيعان : التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية ، ص١٥٠ ؛ رمزى : القاموس الجغرافى ، جـ٣ق٢ ، ص٣١ .

(٢) ورد هذا الحدث فى الكامل ، جـ١٢ ، ص٧١ .

(٣) نقل العينى هذا الحدث بتصرف من الكامل ، جـ١٢ ، ص٧١-٧٢ .

(٤) ورد هذا الخبر فى مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٩٥ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٠ .

ومنها أنه وقع الرضى عن الشيخ جمال الدين أبى الفرج بن الجوزى ، شيخ الوعاظ فى زمانه وبعده ، وقد كان أخرج من بغداد إلى واسط ، فأقام بها خمس سنين ، فانتفع به أهلها واستفادوا . ولما عاد إلى بغداد خلع عليه ، وأذن له فى الجلوس[١] على عادته عند التربة الشريفة المجاورة لقبر معروف الكرخى ، رضى الله عنه ، فكثر الجمع جدّا ، وأخذ فى الرياب[٢] يومئذ فيها قال يخاطب الخليفة :

لا تُعطش الروض الذى نبته — بصَوب إنعامك قد روضا

لا تبر عوداً أنت رَيَّشْتَه — حاشى لبانى المجد أن يَنقضا

إن كان لى ذنب «تجرمته»[٣] — فاستأنف العفو «وهب ما مضى»[٤]

قد كنت أرجوك لنيل المنى — فاليوم لا أطلب إلا الرضى[٥]

وقال السبط : وفى هذه السنة وقف خالى محيى الدين أبو محمد يوسف للخليفة فى رجب ومعه قصته ببستان يقال له دولاب البقل ، فذكر فيها ما نال جدى وأهله من الضرر ، وكان نجاح الشرابى بين يدى الخليفة ، فجاء فأخذ الورقة وقال له الشرابى : تعال إلى باب البدرية ووقعوا له بالإفراج عنه ، فقدم جدى ببغداد فى شعبان ، وخلع عليه وجلس عند تربة أم الخليفة ، وكانت تتعصب له وساعدت فى خلاصه ، وأنشد جدى رحمه الله :[٢٣٨]

إن كان لى ذنب ولم آته — فاستأنف العفو وهَب ما مضى

وهذا الشعر للرضى الموسوى وقد ذكرناه فى ترجمته . وأنشد أيضاً :

سقينا[٦] بالنوى زمناً فلما — تلاقينا كأنا ما سقينا[٧]

سخطنا[٨] عندما جنت الليالى — فما زالت بِنَا حتى رضينا

(١) «الوعظ» فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٠ .
(٢) كلمة غير مقروءة فى الأصل ، ولعلها ما أثبتناه .
(٣) «قد جنيته» فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٠ .
(٤) «وهب لى الرضا» فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٠ .
(٥) ورد هذا الحدث فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٠ .
(٦) ، (٧) شقينا في نسخة دار الكتب .
(٨) «شطحنا» فى مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٩٥ .

سعدنا بالوصال وكم[١] شقينا	بكاسات الصدود وكم ضنينا
فمن لم يحى بعد الموت يوما	فإنا بعد ما مُتنا حيينا

ومنها أنه وقعت بدمشق فتنة بسبب الحافظ عبدالغنى المقدسى[٢] ، وذلك أنه كان يتكلم فى مقصورة الحنابلة بالجامع الأموى فذكر يوماً شيئاً من العقائد ، فاجتمع القاضى محى الدين بن الزكى ، وضياء الدين الخَطيب الدولعى بالسلطان الملك المعظم ابن الملك العادل ، والأمير صارم الدين بُرغش ، فعقد له مجلس فيما يتعلق بمسألة الاستواء[٣] والنزول ومسألة الحرف والصوت ، فوافق بنو النجم الحنبلى بقية الفقهاء . واستمر الحافظ عبدالغنى على ما يقوله ، واجتمع بقية الفقهاء على خلافه وألزموه بإلزامات شنيعة حتى قال الأمير بُرغش : كل هؤلاء على الضلالة وأنت على الحق . قال : نعم . فغضب الأمير عند ذلك وأمر بنفيه من البلد ، فاستنظر ثلاثة أيام فأنظر . وأرسل بُرغش مَن كسر منبر الحافظ وتعطلت صلاة الظهر يومئذ فى محراب الحنابلة ، وأخرجت الخزائن والصناديق التى هناك ، وجرت خبطة شديدة ، وكان عقد المجلس فى يوم الاثنين الرابع والعشرين من ذى الحجة ، فارتحل الحافظ عبد الغنى إلى بعلبك ، ثم سار إلى ديار مصر فأواه الطحانون فحنوا عليه وأكرموه .[٤]

وقال أبو شامة : كانت فتنة عبدالغنى الحافظ الحنبلى يوم الاثنين الرابع والعشرين من ذى القعدة[٥] . ذكر العز بن تاج الأمناء أنه اجتمع الشافعية والحنفية والمالكية عند المعظم عيسى والصارم بُرغش والى القلعة ، وكانا يجلسان بدار العدل للنظر فى المظالم ، فكان ما اشتهر من إحضار اعتقاد الحنابلة وموافقة أولاد الفقيه نجم الدين الحنبلى الجماعة ، وإصرار عبدالغنى على لزوم ما ظهر من اعتقاده ؛ وهو الجهة ، والاستواء ، والحروف ، وإجماع الفقهاء على الفتيا بكفره ، وأنه مبتدع لا يجوز أن يُترك بين المسلمين ، ولا يحل لولى الأمر أن يمكنه من المقام معهم . ثم ذكر مثل ما ذكرنا .

---

(١) «لم سقينا» فى مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٩٥ .
(٢) وفيات الأعيان ، جـ١ ، ص١٠٧ ، وانظر ترجمته فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٣٨- ص٣٩ ؛ مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٣٨-ص٣٤٠ .
(٣) «العلو» فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٣٩ .
(٤) ورد هذا الخبر فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٠-ص٢١ .
(٥) ذكر ابن كثير أن الفتنة كانت يوم الاثنين الرابع والعشرين من ذى الحجة ، البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢١ .

ومنها أنه كانت فتنة عظيمة فى عسكر غياث الدين ملك الغورية وهو بفيروزكوه[١] ، وسببها أن الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازى المعروف بابن الخطيب ، الإمام المشهور ، كان قد قدم إلى غياث الدين ، فبالغ غياث الدين فى إكرامه واحترامه ، وبنى له مدرسة بهراة بالقرب من الجامع ، فعظم ذلك على الكرامية[٢] ، وهم كثيرون بهراة ، ومذهبهم التجسيم والتشبيه . وكانت الغورية كلهم كرامية ، فكرهوا الإمام فخر الدين لأنه شافعى ، فاتفق أن فقهاء الكرامية ، وفقهاء الحنفية ، وفقهاء الشافعية ، حضروا بفيروزكوه عند غياث الدين للمناظرة ، وحضر فخر الدين الرازى ، والقاضى عبدالمجيد بن عمر المعروف بابن القدوة[٢٣٩] وهو من الكرامية الهيصمية[٣] ، وله عندهم محل كبير لتزهده وعلمه . فتكلم الرازى فاعترض عليه ابن القدوة وطال الكلام ، فقام غياث الدين واستطال فخر الدين الرازى على ابن القدوة وشتمه ، وبالغ فى أذاه ، وابن القدوة لا يزيد على أن يقول : لا يفعل مولانا ، لا وأخذك الله .[٤] فغضب على فخر الدين الملك ضياء الدين ، وهو ابن عم غياث الدين ، وزوج ابنته ، وشكى إلى غياث الدين ، وذم فخر الدين الرازى ، ونسبه إلى الزندقة ومذهب الفلاسفة ، فلم يصغ إليه غياث الدين . فلما كان من الغد وعظ الناس ابن عمر القدوة بالجامع ، وقال : بعد حمد الله ، والصلاة على رسول الله ﷺ ؛ ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول ، أيها الناس إنا لا نقول إلا ما صح عندنا عن رسول الله ﷺ ، وأما علم أرسطو وكفريات ابن سينا ، وفلسفة الفارابى فلا نعلمها ، فلأى حال يشتم بالأمس شيخ من شيوخ الإسلام يذب عن دين الله ، وسنة نبيه عليه السلام ، وبكى ، وبكى الكرامية فاستغاثوا ، وثار الناس فى كل جانب ، وامتلأ البلد فتنة . فبلغ السلطان غياث الدين ، فأرسل جماعة سكّنوا الفتنة ، ووعدهم إخراج فخر الدين الرازى من عندهم . وتقدم إليه بالعود إلى هراة[٥] . وأمر الملك بإخراج فخر الدين الرازى من البلد .

---

(١) فيروزكوه : هى قلعة حصينة فى جبال غورشستان بين هراة وغزنة وهى دار مملكة من يتملك تلك النواحى . وهى بلد شهاب الدين بن سام الذى ملك غزنة وخراسان وبلاد الهند ، وأخوه غياث الدين أكبر منه . معجم البلدان ، جـ٣ ، ص٩٣٠ .

(٢) الكرامية : نسبة إلى ابن كرام . البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٩ .

(٣) الهيصمية : نسبة إلى ابن الهيصم . البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٩ .

(٤) كذا فى الأصل وابن الأثير : الكامل ، جـ١٢ ، ص٧١ . أما نص العبارة في المختصر ، جـ٣ ، ص٩٦ فهو «لا يفعل مولانا إلا وأخذ الله» .

(٥) نقل العينى هذا الخبر من أبى الفدا : المختصر ، جـ٣ ، ص٩٦-٩٧ على الرغم من أنه لم يذكر ذلك . والنص موجود باختلاف بسيط فى الكامل ، جـ١٢ ، ص٧٠-٧١ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٩-٢٠ .

ولم يكن الملك مختاراً لذلك ، فعاد إلى هراة . فلهذا أشرب قلب الرازى بغض الكرامية فهو يلهج بهم فى كل أمة فى كل موطن[١] ، وكلما هبت الصبا .

وقال ابن الأثير[٢] : ومنها فارق غياث الدين ملك الغورية مذهب الكرامية وصار شافعى المذهب .

ومنها أن فى شهر رمضان قصد الملك المنصور صاحب حماة وبارين ، وبها نواب عز الدين إبراهيم بن شمس الدين محمد بن عبدالملك بن المقدم وحاصرها ، وكان عز الدين إبراهيم مع الملك العادل محصوراً معه بدمشق ، ونصب الملك المنصور عليها المجانيق ، وجرح الملك المنصور فى حالة الزحف ، وفتحها فى التاسع والعشرين من ذى القعدة ، وأقام ببارين مدة حتى أصلح أمورها .[٣]

وفيها ....[٤]

وفيها حج بالناس من بغداد مظفر الدين وجه السبع أميراً على الركب العراقى .

ذكر من توفى فيها من الأعيان

أبو الحسن محمد بن جعفر بن أحمد بن محمد بن عبدالعزيز بن إسماعيل بن على بن سليمان بن يعقوب بن إبراهيم بن إسماعيل بن على بن عبدالله بن العباس الهاشمى ، قاضى القضاة ببغداد بعد ابن النجارى . وقد كان من أعيان الشافعية ، تفقه على أبى الحسن بن الخل وغيره . وقد كان ولى القضاء والخطابة بمكة شرفها الله تعالى ، وأصله منها ، ولكن ارتحل إلى بغداد فنال بها ما نال ، وآل من أمره بها ما آل ، ثم أنه عُزل عن القضاء بسبب محضر رقم خطه عليه ، وكان فيما قيل مزوراً والله أعلم ، وجلس فى منزله حتى مات فى هذه السنة .[٥]

---

(١) ورد هذا النص بتصرف فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٠ .

(٢) فى الأصل «النويرى» . والصحيح ما أثبتناه حيث نقل العينى هذا الخبر من الكامل ، جـ١٢ ، ص٧٢ .

(٣) نقل العينى هذا الخبر من المختصر ، جـ٣ ، ص٩٦ . مفرج الكروب ، جـ٣ ، ص١٠١ .

(٤) بياض بمقدار سطر وكلمتين .

(٥) نقل العينى هذه الترجمة من البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢١ . انظر أيضاً : ابن الساعى : الجامع المختصر ، جـ٩ ، ص٩-١٠ (بغداد ١٩٣٤م) .

الشيخ جمال الدين أبو القاسم يحيى بن على بن الفضل بن بركة بن فضلان ، شيخ الشافعية ببغداد ، تفقه أولاً على سعيد بن محمد الرازى[1] مدرس النظامية ، ثم ارتحل إلى خراسان فأخذ عن الشيخ محمد بن يحيى الزبيدى تلميذ الغزالى ، وعاد إلى بغداد وقد أتقن علم المناظرة والأصلين ، فساد أهل بغداد ، وانتفع به الطلبة والفقهاء ، وبنيت له مدرسة ، فَدَرّسَ فيها ، وبَعُدَ صيته ، وكثرت تلامذته . وكان كثير التلاوة ، وإسماع الحديث ، وكان حسناً لطيفاً ظريفاً[٢٤٠] ومن شعره :

وإذا أردت منازل الأشـــــراف فعليك بالإسعاف والإنصاف
وإذا بغى باغٍ عليك فـــخلّه والدهر فهو له مكاف كاف[2]

وكان مولده سنة خمس عشرة وخمسمائة ، وكان مقطوع اليد ، وقع من الجمل فعملت يده ، فخيف عليه فقطعت . وكانت وفاته فى شعبان منها ، وحمل الفقهاء جنازته إلى الوردّية .

تقى الدين طرخان بن ماضى بن جوشن بن على بن معافى الضرير الشاغورى الشافعى ، مات فى ذى الحجة ، ومولده بدمشق سنة ثمان عشرة وخمسمائة . وكان إماماً للملك العادل نور الدين محمود بن زنكى ، رحمه الله .

ابنُ زُهْر[3] الشاعر ، أبو بكر محمد بن مروان بن عبدالملك بن أبى العلاء زهر بن أبى مروان عبدالملك بن أبى بكر بن محمد بن مروان بن زهر الأيادى الأندلسى الأشبيلى ، هو من أهل بيت كلهم علماء رؤساء حكماء وزراء ، نالوا المراتب العلية ، وتقدموا عند الملوك ، ونفذت أوامرهم ، وكان أبو بكر محمد المذكور فكان من اللغة مكين ، وكان يحفظ شعر ذى الرُمَّة وهو ثلث لغة العرب ، مع الإشراف على جميع أقوال أهل الطب ، والمنزلة العليا عند أصحاب المغرب ، مع سمو النسب وكثرة الأموال ، ذكره

---

(١) فى البداية والنهاية «الزار» ، وفى الجامع المختصر «الرزار» . انظر : البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢١ ؛ ابن الساعى : الجامع المختصر ، جـ٩ ، ص١١ .

(٢) نقل العينى هذه الترجمة إلى نهاية الشعر من البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢١ . انظر أيضًا : الجامع المختصر ، جـ٩ ، ١١-١٣ .

(٤) انظر ترجمته فى وفيات الأعيان ، جـ٤ ، ص٤٣٤-٤٣٧ .

ابن دحية فى كتابه المسمى «المطرب من أشعار أهل المغرب» وقال : صحبته زماناً طويلاً ، واستفدت منه أدباً جليلاً ، وأنشد من شعره ، رحمه الله :

ومُوَسِّدين على الأكُفِّ خدودَهم	قد غَالهم نوم الصباح وغالنى
ما زلتُ أسقيهم وأشربُ فضلهُم	حتى سكرتُ ونالهم ما نالنى
والخمرُ تعلم كيف[1] تأخذ ثأرها	أنى أمَلْتُ إناءها فأمالنى

ثم سألت عن مولده فقال : ولدتُ سنة سبع وخمسمائة ، وبلغتنى وفاته آخر سنة خمس وتسعين وخمسمائة .

وقال ابن خلكان[2] : وأوصى أنه إذا مات ، يُكتبُ على قبره هذه الأبيات ، وفيها إشارة إلى طبّه ومعالجته الناس .

تأمل بحقك يا واقفاً	ولاحظ مكاناً دُفِعنا إليه
تراب الضريح على وجنتى	كأنى لم أمش يوماً عليه
أداوى الأنام حذار المنون	وها أنا قد صرتُ [رهنا][3] لديه

وله وقد شاخ وغلب عليه الشيب :

إنى نظرتُ إلى المرآة إذ جُليت	فأنكرت مُقلتاى كلَّ ما رَأتا
رأيتُ فيها شيخاً لست أعرفه	وكنت أعهده من قبل ذاك فتى
فقلت أين الذى بالأمس كان هنا	متى تَرحّل عن هذا المكان متى؟
فاستضحكت ثم قالت وهى معجبة	إن الذى أنكرته مقلتاك أتى
كانت سليمى تنادى يا أُخىَّ وقد	صارت سليمى تنادى اليومَ يا أبتا

وقال ابن دحية فى جده أبى العلاء زُهْر : إنه كان وزيراً وفيلسوف عصره . وتوفى فى سنة خمس وعشرين وخمسمائة بمدينة قرطبة . وقال فى حق جد أبيه عبد الملك ، إنه

(١) «حين» فى وفيات الأعيان ، جـ٤ ، ص٤٣٤ .
(٢) انظر وفيات الأعيان ، جـ٤ ، ص٤٣٤-٤٣٧ .
(٣) كذا فى وفيات الأعيان ، جـ٤ ، ص٤٣٦ . وفى الأصل [رهينا] .

رحل إلى المشرق ، وبه تُطبب زماناً طويلاً ، وتولى رئاسة الطب ببغداد ، ثم بمصر ، ثم بالقيروان ، ثم استوطن مدينة دانية[1] . وطار ذِكره منها إلى أقطار الأندلس والمغرب . وتوفى بدانية . وقال فى حق[٢٤١] جد جده محمد بن مروان أنه كان بالرى حافظاً للأدب فقيهاً حاذقاً بالفتوى ، مقدماً فى الشورى ، متقناً فى العلوم . وتوفى بطليطلة سنة اثنتين وعشرين وأربع مائة ، وهو ابن ست وثمانين سنة ، حَدَّثَ عن جماعة من علماء الأندلس ، ووصفوه بالدين والفضل والجود والبذل . وزُهْر بضم الراء وسكون الهاء وبعدها راء . وذكر عماد الكاتب فى الخريدة لأبى الطيب بن القزاز فى بعض بنى زُهر :

قُلْ للوبا أنت وابن زُهر قد جزتما الحدَّ فى النكاية
ترفقا بالوَرى قليلا فى واحدٍ منكما كفاية

(١) دانية : مدينة بالأندلس من أعمال بلنسية على ضفة البحر شرقا . معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٥٤٠ .

فصل فيما وقع من الحوادث فى السنة السادسة والتسعين بعد الخمسمائة(*)

استهلت هذه السنة والخليفة الناصر لدين الله ، والملكان الأخوان الأفضل والظاهر - ابنا السلطان صلاح الدين - محاصران لمدينة دمشق ، وفيها عمهما الملك العادل ، وقد قطعت عنها الأنهار والميرة ، فلا يوجد خبز ولا ماء إلا قليلاً ، وقد تطاول الحال ، وقد خندقوا من أرض اللوان(١) إلى يلداً(٢) خندقاً لئلا يصل إليهم جيش دمشق ، وجاء فصل الشتاء ، وكثرت الأمطار والأوحال ، ولما دخل شهر صفر قدم الملك الكامل محمد بن الملك العادل(٣) من الشرق على أبيه ومعه خلق من التركمان ، وعساكر من بلاد الجزيرة والرُها وحران ، فعند ذلك انصرفت العساكر المصرية ، وتفرقوا أيادى سَبَا(٤) ، فرجع الملك الظاهر إلى حلب ، وأسد الدين إلى حمص ، والملك الأفضل إلى الديار المصرية ، وسَلَّمَ الملك العادل من كيد الأعادى ، بعد ما كان قد عزم على تسليم البلد(٥) واستسلم ، ولكن الله سلم .

وفى تاريخ أبى الفدا(٦) : ولما كان الأخوان الأفضل والظاهر محاصرين دمشق اتفق وقوع الخلف بينهما ، وسببه ؛ أنه كان للملك الظاهر مملوك يحبه اسمه أَيْبَك ، ففقده ووجد عليه الملك الظاهر وجداً عظيماً ، وتوهم أنه دخل دمشق ، فأرسل يكشف خبره ،

(*) يوافق أولها ٢٣ أكتوبر ١١٩٩م .

(١) أرض اللوّان : فى الغرب الجنوبى من دمشق .
الذهبى : العبر ، جـ٤ ، ص٢٩٠ ، حاشية١ ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، الكويت ، ١٩٦٣ .

(٢) اتفق الذهبى مع العينى فى أنها «يلدا» . العبر ، جـ٤ ، ص٢٩٠ ؛ ويلدا : قرية على بعد ثلاثة أميال من دمشق . معجم البلدان ، جـ٤ ، ص١٠٢٥ . أما ابن كثير الذى نقل العينى عنه هذا الخبر فقد وردت «اللد» . انظر البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢١ .

٣) الملك الكامل محمد : هو أبو المعالى محمد ابن الملك العادل ، توفى سنة ٦٣٥هـ ، ودفن بالقلعة بمدينة دمشق . وفيات الأعيان ، جـ٥ ، ص٧٩-٨٣ ، ترجمة ٦٩٤ .

(٤) أيادى سَبَا : العرب تقول تفرقوا كأيدى سَبَا ، وأيادى سَبَا نصبا على الحال . ولما كان سَيلُ العرم ، تفرق أهل هذه الأرض فى البلاد ، وسار كل طائفة منهم إلى جهة ، فضربت العرب بهم المثل ، فقيل : ذهب القوم أيادى سبا ، أى متفرقين ، فشبهوا بأهل سبا لما مزقهم الله تعالى كل ممزق فأخذت كل طائفة منهم طريقاً . والعرب لا تهمز سبا فى هذا الموضع لأنه كثر فى كلامهم . معجم البلدان ، جـ٣ ، ص٢٧-٢٨ .

(٥) نقل العينى هذا الخبر من ابن كثير إلى كلمة البلد . انظر البداية والنهاية ، جـ٣ ، ص٢١-٢٢ .

(٦) «النويرى» كذا فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه .

وأطلع الملك العادل- وهو محصور- على القضية ، فأرسل إلى الظاهر يقول له : «إن محمود بن الشكرى أفسد مملوكك ، وحمله إلى الملك الأفضل أخيك» ، فقبض الظاهر على ابن الشكرى ، فظهر المملوك عنده ، فتغير [الظاهر][١] على أخيه الأفضل ، وترك قتال العادل ، وظهر الفشل فى العسكر ، فتأخر الأفضل والظاهر عن دمشق ، وأقاما بمرج الصفر إلى أواخر صفر ، ثم سارا إلى رأس الماء[٢] ليقيما به إلى أن ينسلخ الشتاء ، ثم انثنى عزمهما وسار الأفضل إلى مصر ، والظاهر إلى حلب ، على القريتين .[٣]

وفى تاريخ بيبرس : وفى هذه السنة كان الحصار مستمراً على دمشق ، وغلت الأسعار ، وقلت الأقوات ، فوقع الحديث فى الصلح بين العادل والأفضل ، وقوى الشتاء ، فعاد الظاهر إلى بلاده ، وكره الأسدية عوده ، وهطلت الأمطار ؛ وصعب المقام ، وتفلل بعض العسكر المصرى إلى الديار المصرية بغير دستور ، وكان قصد العادل المماطلة والمطاولة إلى أن يضجر العسكر ، ويتوسط الشتاء فلا يمكن المقام ، ولما عظم الشتاء انتقل الأفضل إلى جسر الخشب وضاق[٢٤٢] على العادل الحال وهو يتجلد ، ثم أرسل إلى الأفضل يذكر له وصول ولده الكامل بمن معه من الجنود ، وأنه يشفق على المسلمين من استمرار الحصار ووقوع النفار ، وأشار عليه بالتأخير منزلة لئلا يَتَّقعَ العسكران ، فرحل الأفضل إلى مَرج الصَفرُ ، ثم عاد هو وأخوه الظاهر ومن معه من العسكر إلى الديار المصرية ؛ لصعوبة المقام بالشام ، ولما بلغ الرملة وصل إليه رسول عمّه العادل يلتمس الصلح ، فأكرمه وأجابه ، وأعاده مكرما . ولما تحقق العسكر الدمشقى عود العسكر المصرى إلى مصر ، خرج قراجا وسنقر ومَيمون القصرى وأياز جهركس فى أتباعهم ، فلحقوا غَزّه ، منصرف الأفضل عنها ، فتوجهوا إلى القدس .[٤]

---

(١) ما بين حاصرتين إضافة لتوضيح المعنى من المختصر ، جـ٣ ، ص٩٧ .

(٢) رأس الماء : ميدان فسيح للحرب فى حوران على بعد نحو عشرين ميلاً شمالى درعا . الفتح القسى ، ص٥٩ ، حاشية ٥ .

(٣) نقل العينى هذا الخبرمن المختصر ، جـ٣ ، ص٩٧ ؛ راجع أيضاً ، السلوك ، جـ١ ق١ ، ص١٥٠ . والقريتين : قرية كبيرة من أعمال حمص فى طريق البرية . انظر : معجم البلدان ، جـ٤ ، ص٧٧ .

(٤) ورد هذا الخبر بتصرف فى نهاية الأرب ، جـ٢٨ ، ص٤٦١-٤٦٢ .

وفى المرآة : ودخلت هذه السنة والحصار على دمشق ، وكان أتابك رسلان شاه صاحب الموصل قد رَحَّل الملك الكامل من ماردين ، فقدم دمشق ومعه خلق كثير من التركمان ، وعسكر الرُها وحران ، فتأخر الأفضل بالعساكر إلى عقبة شحورا[١] سابع عشر صفر ، ووصل الكامل تاسع عشر صفر ، فنزل بجوسق[٢] أبيه على الشرف ، ورحل الأفضل إلى مرج الصفّر ، ورحل الظاهر إلى حلب ، وأحرقوا ما عجزوا عن حمله ، وسار الأفضل إلى مصر ، وأحضر العادل ابنى الحنبلى الناصح وأخاه شهاب[٣] الدين وغيرهما ، وكان الأفضل قد وعد الناصح بقضاء دمشق ، وأخاه بالحسبة ، فقال لهم العادل : «ما الذى دعاكم إلى كسر باب الفراديس ، ومظاهرة أعدائى علىَّ ، وسفك دمى؟ فقال له الناصح : «أخطأنا وما ثم إلا عفو السلطان» . فقال العادل : فما بدا منى إليكم ما يوجب ذلك ، ولولا أن يقال عنى إنى شنقت فقيها ما أبقيت منكم أحداً ، ولكن البلد لكم هَبُوه لى» . فأخرجهم إلى حلب . وجرت بعد هذا واقعة عجيبة ، شفع فى الشهاب الحنبلى إلى العادل فردّه ، وكان يذكر الدرس فى حلقة الحنابلة ، ويأخذ مغلِ[٤] الوقف ، وكان فى الحنابلة رجل مصرى يقال له نصر ، يخدم الشيخ العماد ، فأقام الشهاب سنين لا يعطيهم شيئاً ، فاستغاثوا إلى العادل وهو فى دار العدل ، وكان الملك الأشرف والمعظم ابنا العادل وبقية أولاده وقوفاً فى الخدمة ، فقال نصرُ يا سلطان المسلمين[٥] ، هذا الرجل للوقف معه مدة «طويلة»[٦] ، يأكله ولا يوصل إلينا شيئاً ، وكان ذلك فى حدود سنة عشر وستمائة ، فقال العادل : كم له معه؟ سنة . فقال نصر : متى كسر باب الفراديس؟ فقال الملك الأشرف : «ذا تاريخ مشؤوم» . فضحك العادل والجماعة .

---

(١) «عقبة شحرورا» كذا فى الأصل ، والتصحيح من ابن عساكر : تاريخ دمشق ، المجلد الثانى ، ق١ ، ص١٤٣ . وأيضاً : السلوك ، جـ١ ، ق٣ ، ص٩٣٢ . وكذا : Le Strange Palst. Under Moslems, P.488.
أما سبط ابن الجوزى الذى ينقل عنه العينى هذه الفقرة فقد أوردها «شيزورا» . انظر مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٢ .
وعقبة شحورا : منزلة قبلى دمشق ، فى الطريق بين دمشق والكسوة .

(٢) جَوْسَق : جمع جواسق . وهو لفظ معرب من الفارسى على كلمة «كوسك» ، ومعناه القصر الصغير . المعجم الوسيط ، ص١٥٢-١٥٣ .

(٣) «شمس الدين» فى مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٢ . وهو خطأ . وقد صحح السبط هذا الاسم بعد قليل .

(٤) مغل : حاصل ما يغله الوقف .

(٥) «العالمين» فى مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٢ .

(٦) «طويلة» غير موجودة فى مرآة الزمان .

وأما الأفضل فإنه لما سار إلى مصر أرسل العادل وراءه أبا محمد نجيب الدين[(١)] ، وقال له : «قل للأفضل ترفق فأنا لك مثل الوالد ، وعندى كلما تريد ، فقال الأفضل : «قل له إن صح ما قلت ، فابعد عنك أعدائى الصلاحية ، وبلغ «ذلك»[(٢)] الصلاحية . فقالوا للعادل : «إش قعودنا ، قم بنا ، وساروا خلف الأفضل .[(٣)]

ذكر مسير العادل وراء الأفضل إلى مصر

قال السبط : ساروا وراءه مرحلة ، فنزل الأفضل بلبيس ، ونزل العادل السائح ، فرجع الأفضل وضرب معهم المصاف ، فكسروه وتفرق عنه أصحابه .

ودخل القاهرة وأغلق أبوابها ، وجاء العادل فنزل البركة[(٤)] ، ودخل سيف الدين أزكش بين العادل والأفضل واتفقوا على أن يعطيه[٢٤٣] العادل ميافارقين وجبل جور[(٥)] ، وديار بكر[(٦)] ، ويأخذ منه مصر . ورحل الأفضل من مصر في ربيع الآخر ودخل العادل القاهرة .[(٧)]

وفى تاريخ أبى الفدا[(٨)] : سار العادل فى إثر الملك الأفضل إلى مصر ، وتفرقت عساكر الأفضل فى بلادهم لأجل الربيع ، فأدركه عمه العادل ، فخرج الأفضل بمن بقى عنده من العسكر وضرب معه مصافاً بالسايح ، فانكسر الأفضل وانهزم إلى القاهرة ، وحاصر[(٩)] الملك العادل القاهرة ثمانية أيام ، فأجاب الأفضل إلى تسليمها على أن يُعوَّض عنها ميافارقين وحَانى[(١٠)] وشُمَيساط ، فأجابه العادل إلى ذلك ، ولم يَفِ له به .

---

(١) «نجيب الدين عدل» فى مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٢ .

(٢) «ذلك» غير موجودة فى مرآة الزمان .

(٣) نقل العينى هذا الخبر من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٢ .

(٤) البركة : هى بركة الجب ، وهى من النواحى القديمة ، اسمها القديم جب عميرة . ويقال لها بركة الجب أوبركة الحجاج وهى من ضواحى القاهرة من أعمال الشرقية . رمزى : القاموس الجغرافى ، ق٣/جـ٢ ، ص٣١ .

(٥) جبل جور : انظر ما سبق ، جـ١ ، ص١٢٣ ، حاشية (٩) .

(٦) ديار بكر : انظر ما سبق ، جـ١ ، ص٢١٩ ، حاشية (٣) .

(٧) نقل العينى هذا الخبر من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٢-٣٠٣ .

(٨) «النويرى» كذا فى الأصل ، والتصحيح ما أثبتناه . حيث نقل العينى هذا الخبر عن المختصر ، جـ٣ ، ص٩٨ . أما النويرى فقد أورد هذا الخبر بصورة مختلفة : انظر : نهاية الأرب ، جـ٢٨ ، ص٤٦٢ .

(٩) «نازل» فى المختصر ، جـ٣ ، ص٩٨ .

(١٠) حانى : انظر ما سبق ، جـ٢ ، ص٢٢٣ ، حاشية (٥) .

وكان دخول العادل فى القاهرة فى الحادى والعشرين من ربيع الآخر . ثم سار الأفضل إلى صرخد .

وفى تاريخ بيبرس : ولما سار العادل وراء الأفضل إلى مصر ، رتب بدمشق ولده المعظم عيسى وبعض الأمراء ، وَجّد نحو مصر ، فإن الأمراء الأسدّية والصلاحيّة الناصرية أشاروا عليه بقصدها ، وأن يكون ابن العزيز[١] مستمرًا فى السلطنة ، وهو المدبر له والمشير إلى أن يكبر ، فسار ووصل إلى قطيا[٢] ، وقد أخذ أمر الأفضل فى الضعف والتخاذل ، ولم يبق معه من العسكر إلا القليل ، وشرع فى الاستعانة بالعربان وأصلح قلوبهم ، ورتب الحرس على قلعة الجبل ، وانزعج الناس لذلك ، ورحل العادل من قطيا إلى العباسة[٣] وبها سيف الدين يَازكج[٤] ، فوقع المصاف ، فانكسر يازكج عليها ، وخرج الأفضل إلى بلبيس ، وتقاعد الجند عن الخروج معه ، فوعد العُربان بالنفقات وأعطاهم الإقطاعات . ولما اتفقت كسرة يازكج عاد الأفضل فدخل القاهرة ، وسار العادل إليها فنازلها وأغلقت أبوابها ، وترددت الرسل بينه وبين الأفضل فى الصلح ، فسأله الأفضل دمشق ، فلم يجبه ، فطلب حرّان والرُها فلم يعطه ، فطلب ميافارقين وما حولها فأجابه ، وتحالفا على ذلك ، فخرج حينئذ الأفضل إليه ، واجتمع به فى ظاهر القاهرة ، وسارا إلى صرخد يوم السبت ثانى عشر ربيع الآخر منها ، ولم يعد بعدها إلى الديار المصرية إلى يوم وفاته ، ولما مضى إلى صرخد سير إلى ميا فارقين من يتسلمها له ، فامتنع صاحبها نجم الدين أيوب بن الملك العادل من تسليمها ، ولم يسلم إليه إلا حَانِى وجبل جور ، وأرسل الأفضل إلى العادل بسببها فاعتذر ، وزعم أن ولده نجم الدين عصاه بامتناعه عن تسليمها .

---

(١) ابن العزيز : الملك المنصور محمد بن الملك العزيز عثمان بن الملك الناصر يوسف بن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ٦ ، ص١٥٧ .

(٢) قطيا : وتكتب أيضاً : «قَطَيه» وهى قرية من نواحى الجفار فى الطريق بين مصر والشام وفى وسط الرمل قرب الفرما ، وقد اندثرت هذه القرية ولم يبق إلا أطلالها فى الطريق بين القنطرة والعريش فى الجنوب الشرقى من محطة الرمانة .

رمزى : القاموس الجغرافى ، القسم الأول ، ٣٥٠-٣٥١ .

(٣) العباسة : هى بليدة من الديار المصرية أول ما يلقى القاصد لمصر من الشام بينها وبين القاهره خمسة عشر فرسخاً ، سميت بعباسة بنت أحمد بن طولون . انظر : معجم البلدان ، جـ٤ ، ص٨٤-٨٥ ؛ رمزى : القاموس الجغرافى ، ق١ ، جـ١ ، ص٦٩-٧٠ .

(٤) سيف الدين يازكج : انظر ما سبق ، جـ٢ ، ص١٥ ، حاشية (١) .

ذكر دخول العادل إلى الديار المصرية واستقراره سلطانا

كان دخوله القاهرة يوم السبت الثامن عشر من ربيع الآخر ، وأقام بها ، والخطبة باسم الملك المنصور بن الملك العزيز بن السلطان صلاح الدين يوسف .[١]

قال بيبرس : واستمر ذلك إلى أن اتفق وصول ولده الكامل إليه ، فقطع خطبة المنصور فى شهر شوال من هذه السنة ، وخطب لنفسه ولولده الكامل بولاية العهد بعده ، وزالت دولة صلاح الدين من مصر ، واستوزر العادل الصاحب صفى الدين عبدالله بن على بن[٢] شكر ، وكان قد حلف له بالقدس أنه إذا ملك مصر يُمكّنه من المصريين ويبسط يده فيهم لأنهم كانوا ينتقصونه .

وفى تاريخ ابن كثير : استقر العادل فى سلطنة الديار المصرية[٢٤٤] وأعاد القضاء إلى صدر الدين عبدالملك بن درباس الماردانى[٣] الكردى ، واستوزر صفى الدين بن شكر لصرامته وشهامته ، وسيادته وديانته ، ثم كتب إلى ولده الكامل يستدعيه من بلاد الجزيرة ليملكه على الديار المصرية ، فقدم عليه وأكرمه وعانقه والتزمه ، فخطب الخطباء بعد الخليفة للملك العادل ، ثم بعده للملك الكامل ، وضربت السكة باسمهما ، واستقرت دمشق باسم الملك المعظم عيسى بن الملك العادل ، كما أن مصر استقرت للكامل .[٤]

ولما استقرت المملكة للعادل ، أرسل إليه الملك المنصور - صاحب حماة - يعتذر إليه مما وقع منه بسبب أخذه بَارين من ابن المقدم[٥] ، فقبل العادل عذره ، وأمره بردّ بارين إلى ابن المقدم ، فاعتذر الملك المنصور عنها بقربها من حماه ، ونزل عن منبج وقلعة نجم الدين المقدم عوضاً عن بارين ، فرضى ابن المقدم بذلك ، لأنهما خير من

---

(١) لمزيد من التفاصيل راجع الكامل جـ١٢ ، ص٧٢-٧٣ .

(٢) الصاحب صفى الدين أبو محمد عبدالله بن المخلص أبى الحسن على ، بن الحسين بن عبدالخالق ، بن الحسين بن منصور الشَّيْبى القرشى المالكى ، المعروف بابن شكر مولده بالدَّمِيرة : بلدة من الأعمال الغَرْبيّة بالديار المصرية ٥٤٨هـ ، وزير الملك العادل توفى سنة ٦٢١هـ .
النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢٩ ، ص١٣٠ .

(٣) «المارانى» كذا فى الأصل والتصحيح من ابن كثير حيث نقل العينى هذا الخبر عنه . البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٢ .

(٤) نقل العينى هذا الخبر بتصرف من البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٢ .

(٥) هو عز الدين إبراهيم بن محمد بن عبدالملك بن المقدم . المختصر ، جـ٣ ، ص٨٩ .

بارين بكثير ، وتسلمهما ، وكان له أيضاً أفامية[١] ، وكفر طاب[٢] وخمس وعشرون ضيعة من المعرة ، وكذلك كاتَبَ الملك الظاهر - صاحب حلب - عمه الملك العادل وصالحه وخطب له بحلب وبلادها ، وضرب السكة باسمه ، وشرط العادل على الظاهر أن يكون خمسمائة فارس من خيار عسكر حلب فى خدمة الملك العادل ، كلما خرج إلى البيكار[٣] ، والتزم صاحب حلب بذلك .[٤]

وفى تاريخ السبط : لما استقر العادل فى مصر أحسن إلى أزكش وقدمه وحكمه فى البلاد ، وردّ القضاء إلى صدر الدين عبدالملك ، وشيخ الشيوخ ابن حمويه[٥] التدريس بالشافعى ومشهد الحسين والنظر فى خانقاه الصوفية ، وجلس أبو زيد صفى الدين فى دار السلطنة فى حجرة الفاضل ونظر فى الدواوين .[٦]

قال العماد : أعطى القوس باريها وأجرى الأمور على أحسن مجاريها ، وسار الأفضل إلى ميافارقين ، واستدعى العادل ولده الكامل إلى مصر ، فخرج من دمشق فى ثالث شعبان وودعه أخوه عيسى المعظم إلى رأس الماء .

قال العماد : وسرت معه إلى مصر وأنشدته هذه الأبيات :

دعتك مصر إلى سلطانها فأجبْ	دُعاءها فهو حقّ غير مكذوب
قد كان يَهيضُنى[٧] دهرى فأدركنى	محمد بن أبى بكر بن أيوب

ووصل الكامل إلى مصر فى عاشر رمضان[٨] والتقاه العادل من العباسة وأنزله دار الوزارة ، وكان قد زوجه العادل بنت أخيه صلاح الدين فدخل بها ، ولم يقطع العادل

(١) أفامية : ويسميها بعضهم فامية بغير همزة ، مدينة حصينة على سواحل الشام ، وكورة من كور حمص . معجم البلدان ، جـ١ ، ص٢٦٩ .
(٢) كفر طاب : انظر ما سبق ، جـ١ ، ص٢٠١ ، حاشية (٣) .
(٣) البيكار : لفظ فارسى معناه الحرب عامة : انظر Dozy: Supp. Dict. Ar. السلوك ، جـ١ ق١ ، ص١٣١ ، حاشية ٨ .
(٤) ورد هذا الخبر فى المختصر ، جـ٣ ، ص٨٩ .
(٥) ابن حَمُّويَه : صدر الدين بن حمويه . وفيات الأعيان ، جـ٧ ، ص٨٨ . .
(٦) ورد هذا الخبر فى الروضتين ، جـ٢ ، ص٢٣٧-٢٣٨ . .
(٧) فى سبط ابن الجوزى «قد كان ينهضنى دهرى فيوهمه» مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٣ ؛ وفى أبى شامة «يهضمنى» ، الروضتين ، جـ٢ ، ص٢٣٨ .
(٨) فى أبى شامة «الحادى والعشرين من رمضان» الروضتين ، جـ٢ ، ص٢٣٨ .

الخطبة لولد العزيز ، ثم أنه جمع الفقهاء وقال : هل يجوز ولاية الصغير على الكبير؟ فقالوا : الصغير مولىّ عليه . قال : فهل يجوز للكبير أن ينوب عنه؟ قالوا : لا ، لأن الولاية فى الأصل إذا كانت غير صحيحة فكيف تصح النيابة؟! فقطع خطبة [ابن][١] العزيز وخطب لنفسه ولولده الكامل محمد بن بعده[٢] ، وخرجت السنة والأمر على ما ذكرنا .

ذكر بقية الحوادث

منها أنه كان بديار مصر غلاء شديد ، فهلك الغنى والفقير ، وغم الجليل والحقير ، وهرب الناس منها نحو الشام ولم يصل منهم إلا القليل من الفئام وتخطفتهم الفرنج من الطرقات ، وأما بلاد العراق فكان مرخصا رخيًا هنيئاً مريئاً .[٣]

وفى تاريخ بيبرس : حصل الغلاء[٢٤٥] بالديار المصرية ، بسبب نقص النيل ، وتشريق البلاد ، وعدمت الأقوات وأكلت الناس الميتات ، وتبع ذلك الوباء ، فمات خلق كثير .[٤]

ومنها أنه باض ديك ببغداد ، قالهُ ابن الساعى فى تاريخه .[٥]

ومنها أنه ولد بالقاهرة مولود له جسد واحد ، ورأس فيه وجهان ، فى كل وجه منهما عينان ، وأذنان وأنفان وحاجبان .[٦]

وولد فيها أيضاً مولود له غُرَّة بيضاء كغرة الفرس ، ويداه ورجلاه محجلتان ، وإليته ملمعّة ، وولد أيضاً مولود أشيب الرأس .[٧]

ومنها أنه ظهر عجمى بدمشق ، داع ادعى أنه عيسى بن مريم ، فأفسد جمعاً من العوام ، فقبض عليه صارم الدين برغش العادلى ، وصلبه بعد استفتاء الفقهاء فى أمره ، وكان صلبه ظاهر باب الفرج على الصفصاف المجاور لحمام العماد الكاتب ، على حافة

---

(١) ما بين حاصرين إضافة من سبط ابن الجوزى لتوضيح المعنى ، مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٣ .

(٢) ورد هذا الخبر فى سبط ابن الجوزى نقلاً عن العماد : مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٣ ؛ أيضاً راجع أبو شامة : الروضتين ، جـ٢ ، ص٢٣٨-٢٣٩ .

(٣) ورد هذا الخبر بتصرف فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٢ .

(٤) ذكر النويرى أن الغلاء كان ابتداء من استقبال شوال - وقيل ذى القعدة سنة ست وتسعين وخمسمائة . لمزيد من التفاصيل راجع نهاية الأرب ، جـ٢٩ ، ص١٢-١٣ ؛ مفرج الكروب ، جـ٣ ، ص١١٥ ؛ مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٣ .

(٥) انظر ابن الساعى : الجامع المختصر فى عنوان التواريخ وعيون السير ، جـ٩ ، ص٢١ .

(٦) فى المقريزى « . . . وأنف وحاجب» السلوك ، جـ١/ق١ ، ص١٨٥ .

(٧) ورد هذا الخبر فى السلوك ، جـ١/ق١ ، ص١٨٥ .

بَرَدا[١] ، وقد خُرِّب الحمام وما يجاوره من العمران فى هذا الزمان ، وكان غربى جسر الصّفى ، مقابل الطاحونة المستجدة ، خارج باب الفرج ، بين البابين .

ومنها أنه كان قيام العامة على الشيعة ، وخروجهم إلى باب الصغير[٢] ونبشهم وثاب المرحّل من قبره وتعليقهم رأسه مع كلبين ميتين وذلك فى ثالث عشر ربيع الآخر بعد صلب العجمى بيومين .[٣]

وفيها قُصر النيل تقصيراً عظيماً حتى أنه لم يبلغ أربعة عشر ذراعاً .[٤]

وفى تاريخ بيبرس : كانت غايته اثنى عشر ذراعاً واحداً وعشرين إصبعاً ، وشرقت البلاد وحصل الغلاء .[٥]

وفيها حج بالناس من العراق سُنقر[٦] المسمى بوجه السبع ، ومن الشام أسامة الجبلى .[٧]

ذكر من توفى فيها من الأعيان

الشيخ المسند المعمّر رحلة الوقت أبو الفرج عبدالمنعم بن عبدالوهاب بن صَدَقَة بن الخضر بن كُلَيْب ، الحرّانى الأصل ، البغدادى المولد والدار والوفاة ، عن ست وتسعين سنة ، سمع الكثير وأسمع ، وتفرد بالرواية عن جماعة من المشايخ ، وكان من أعيان التجار وذوى الثروة[٨] ، وكانت وفاته فى ربيع الأول ، ودفن بباب حرب ، وكان ثقة صحيح السماع ، وكان يأخذ على إسماعه جزء ابن عرفة ديناراً ، وهو آخر من حدّث عنه .[٩]

---

(١) بردا : انظر ما سبق ، جـ٢ ، ص٣١ ، حاشية ٨ ، ٩ .

(٢) باب الصغير : بظاهر دمشق ، وهو أحد أبواب دمشق . انظر : صبح الأعشى ، جـ٤ ، ص٩٢ ؛ وفيات الأعيان ، جـ٦ ، ص٢٩٥ .

(٣) نقل العينى هذا الحدث من أحداث سنة ٥٩٥هـ فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٩ .

(٤) فى النويرى : ..... وبلغ غايته إلى اثنى عشر ذراعاً وإحدى وعشرين إصبعاً» ، نهاية الأرب ، جـ٢٩ ، ص١٢ ؛ وفى سبط ابن الجوزى «فلم يبلغ ثلاثة عشر ذراعاً» مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٣ .

(٥) ورد هذا الخبر فى نهاية الأرب ، جـ٢٩ ، ص١٢ .

(٦) فى سبط ابن الجوزى «اسقنقر» ، مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٣ .

(٧) مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٣ .

(٨) ورد هذا الخبر فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٣ .

(٩) وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص٢٢٧-٢٢٨ ، ترجمة ٤٠٤ ؛ راجع الذهبى : العبر ، جـ٤ ، ص٢٩٣ .

الفقيه مجد الدين أبو محمد طاهر بن نصر الله بن جَهْبل[١] ، مدرس القدس الشريف ، وهو أول من درَّس بالصلاحية ، وهو أبو الفقهاء بنى الجهبل ، الذين كانوا بالمدرسة الجاروخية[٢] ، ثم صاروا إلى العمادية[٣] والدماغية[٤] فى هذا الزمان ، ثم ماتوا ولم يبق إلا شرحهم . ومولد مجد الدين بحلب فى نَيِّف وثلاثين وخمسمائة .

قلت : بنو الجهبل هم بهاء الدين نصر الله ، وتاج الدين إسماعيل ، وقطب الدين . والمدرسة الجاروجية بدمشق مشهورة ، وكان مجد الدين فاضلاً فى علم الوصايا والفرائض ، رحمه الله .[٥]

الشيخ الإمام الفقيه العلامة شهاب الدين أحمد الطوسى ، شيخ الشافعية بديار مصر ، وشيخ المدرسة المنسوبة إلى تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب التى يقال لها منازل[٦] العز ، وهو من أصحاب محمد بن يحيى تلميذ الغزالى ، وكان له قدر ومنزلة عند ملوك مصر ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر إلى أن توفى فى هذه السنة .[٧]

وقال سبط ابن الجوزى[٨] : قيل : كان لما قدم بغداد يركب بالسنجق والسيوف المسلله والغاشية[٩] المرفوعة والطوق فى عنق البغلة ، فمنع من ذلك ، فسافر إلى مصر

---

(١) فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٣ «جميل» وهو خطأ .

(٢) المدرسة الجاروخية : داخل بابى الفرج والفراديس . بانيها جاروخ التركمانى . انظر النعيمى : الدارس ، جـ١ ، ص٢٢٥-٢٣٢ .

(٣) المدرسة العمادية : داخل بابى الفرج ، بانيها عماد الدين إسماعيل بن نور الدين ، والواقف عليها صلاح الدين ، وأول من درس بها عماد الدين الكاتب الأصبهانى . انظر : النعيمى : الدارس ، جـ١ ، ص٤٠٦-٤١٣ .

(٤) المدرسة الدماغية : داخل باب الفرج غربى الباب الثانى الذى قبلى باب الطاحون ، تنسب إلى شجاع الدين محمود بن الدماغ العادلى . وابن الدماغ هذا كان من أصدقاء العادل ، فلما توفى بدمشق جعلت زوجته داره مدرسة للشافعية والحنفية . انظر النعيمى : الدارس ، جـ١ ، ص٢٣٦-٢٤٢ .

(٥) انظر ترجمته فى الذهبى : العبر ، جـ٤ ، ص٢٩٢ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٣ .

(٦) منازل العز : انظر ما سبق ، جـ١ ، ص٦٣ ، حاشية (٣) .

(٧) نقل العينى هذا الخبر من البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ٢٤ ؛ كما وردت هذه الترجمة فى الروضتين ، جـ٢ ، ص٢٤٠ ؛ وفيات الأعيان ، جـ٤ ، ص٢٢٤ ، ترجمة (169) ؛ العبر : الذهبى ، جـ٤ ، ص٢٩٤ .

(٨) «أبو شامة» فى الأصل والصحيح ما أثبتناه ، حيث نقل العينى هذا الحدث من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٧ .

(٩) الغاشية : أصل الغاشية الجل والغطاء يوضع على ظهر الفرس . انظر (Dozy: Sup.aux.Dict.Arab) وكان سلاطين الأيوبيين يخرجون فى الموكب وبين أيديهم غاشية سرج من أديم مخروزة بالذهب . صبح الأعشى ، جـ٤ ، ص٧ .

ووعظ وأظهر مذهب الأشعرى ، وثارت[عليه][١] الحنابلة ، وكان يجرى بينه وبين الزين بن نجية[٢] العجائب فى السباب والتكفير .

قال السبط[٣][٢٤٦] وبلغنى أنه سئل أيما أفضل دم الحسين أم دم الحلاج؟ فاستعظم ذلك ، وقال : كيف يجوز أن يقال هذا؟! قطرة من دم الحسين ﵁ أفضل من مائة ألف دم مثل دم الحلاج . فقال السائل : دم[٤] الحلاج كتب على الأرض اللّه ، ولا كذلك دم الحسين . فقال الطوسى : المبهم يحتاج إلى التزكية . قلت : وهذا جواب فى غاية الحسن فى مثل هذا الوضع ، على أنه لم يصح ما ذكر عن دم الحلاج . وكانت وفاته فى الحادى والعشرين من ذى القعدة .[٥] وكان يوماً مشهوداً ركب فيه الملك العادل وكبراء الدولة ، وخرج أهل مصر والقاهرة جميعاً مشيّعين جنازته إلى حيث دفن فى القرافة .

الشيخ ظهير الدين عبد السلام الفارسى شيخ الشافعية[٦] بحلب ، أخذ الفقه عن محمد بن يحيى وتلّمذ للفخر الرازى ، وقد رحل إلى مصر فعرض عليه أن يدرس بتربة الشافعى فلم يقبل ، وصار إلى حلب فأقام بها إلى أن توفى فى هذه السنة .[٧]

الشيخ العلامة بدر الدين بن عسكر مدرس الحنفية بدمشق . قاال أبو شامة : يعرف بابن [العقادة] .[٨]

محمد بن عبد المنعم بن أبى الفضائل الصوفى الميهنى ، شيخ رباط البسطامى ويلقب بالركن[٩] ، كان جواداً سمحاً ، لم يكن من أبناء جنسه من يضاهيه فى الكرم ؛

(١) ما بين حاصرتين إضافة من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٧ .
(٢) فى الأصل «نجيبة» وما أثبتناه هو الصحيح . وهو زين الدين على بن إبراهيم بن نجا الأنصارى . وفيات الأعيان ، جـ٢ ، ص٥٢٧ (530) .
(٣)«أبو شامة» كذا فى الأصل والصحيح ما أثبتناه حيث نقل العينى هذا الحدث من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٧ .
(٤) «قدم» فى مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٧ .
(٥) مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٧ .
(٦) انظر ترجمته فى السبكى ، طبقات الشافعية ، جـ٤ ، ص٢٥٤ طبعة الحسينية المصرية .
(٧) نقل العينى هذا الحدث بتصرف من الروضتين ، جـ٢ ، ص٢٤٠ .
(٨) «العاقدة» فى الأصل والتصحيح من الروضتين ، جـ٢ ، ص٢٤٠ ؛ أيضاً البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٤ .
(٩) انظر ترجمته فى مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٦-٣٠٧ ؛ الجامع المختصر ، جـ٩ ، ص٣٧-ص٣٨ .

ماطلب منه أحد شيئاً فمنعه حتى كان يخرج وفى رجلة مداس فيرجع حافياً ، ويخرج وعليه ثوبان فيرجع عرياناً ، وكانت له خلوات ومحاضرات ، وسمع الحديث من شهدة[١] وغيرها . وتوفى فى ذى الحجة ودفن فى الشونيزية عند والده أبى الفضائل .

البلخى الواعظ ، واسمه محمد بن عبد الله ، ويلقب بالنظام وبابن الظريف . ولد ببلخ سنة ست وعشرين وخمسمائة ، وقدم بغداد فوعظ بها فى النظامية وباب بدر وجامع القصر ومدرسة أبى النجيب ودار ابن حديدة الوزير ، وكان فصيحاً مليح الصوت ، وكان متشيعاً ، وأنشد يوما فى النظامية :

سقاهم الليل كاسات الثُّرى فغدت[٢] منه سَكَارى كـأن الليل خـمـارُ
وصيّر[٣] الشوق أطواقاً عمائمهم لا يعـقلون أقـام الحى أم سـاروا
ونسمة الفجر إن[٤] مرّت بهم سحرا تمـــايلوا وبدا للسُكر آثار[٥]

فلم يبق فى المجلس إلا من قام ، وصاح وتواجد ، وأنشد أيضاً :

مددت يدى فى الحب نحوك سائلا وقلت لجفنى أدر دمعك[٦] سائلا
تفقهت فى علم الصبابة والهوى فمن شـاء فليلق علىَّ المسـائلا

وحكى أنه نقل إلى الخليفة عنه أنه يعاشر النساء ويرتكب المحرمات . فأرسل إليه الوزير وهو على المنبر فقال : قد رسم أن تخرج من البلد فأنشد :

أبابك لا واديك بالجـود مُـفـعم لدى ولا ناديك بـالرفـــد آهل
لئن ضقت عنى والبلاد فسيحةً وحسبك عاراً أننى عنك راحلُ
وإن كنت بالسحـر الحرام مُـدَلّه فعندى من السحر الحلال دلائل
فواف بغير الأعين النُجل حُسنها فـأى مكان خيـمت فـهـو بابلُ

---

(١) شهدة بنت أحمد بن الفرج بن عمر الإبرى ، انظر ما سبق ، جـ١ ، ص٢٨١ .
(٢) «فغدوا» فى مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٦ .
(٣) «وسيروا» فى مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٦ .
(٤) «الشوق إذ» فى مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٦ .
(٥) «أوتار» فى مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٦ .
(٦) «الدمع» فى مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٦ .

وأخرج إلى الجانب الغربى من بغداد فمات ، ودفن فى مقابر قريش فى صفر من هذه السنة ، رحمه الله .[١]

عبداللطيف بن[٢] إسماعيل بن شيخ الشيوخ أبى سعد ، وعبداللطيف أخو أبى القاسم عبدالرحيم شيخ الشيوخ ، وكنيته عبداللطيف أبو الحسن ، ولقبه صفى الدين ، ولد سنة ثلاث وعشرين وخمسائة ، وسمع الحديث ، وكان شيخ الرباط الذى بالمشرعة شرقى بغداد ، خرج حاجاً من بغداد ثم ركب البحر إلى مصر فتاه بهم المركب أياماً ثم أرسى بالعيذاب ، فزار الشافعى ثم زار الخليل[٢٤٧] عليه السلام والقدس ، وقدم دمشق فتوفى بها فى ذى القعدة ودفن بمقابر الصوفية .[٣]

كامل بن الفتح أبو تمام الضرير ويلقب بالظهير النحوى ، بغدادىّ اشتغل بالأدب والشعر فبرع فيهما ومن شعره :

وفى الأوانس من بغداد[٤] آنسة ... ولها من القلب ما تهوى وتختار
ساومتها نفثة من ريقها بدمى ... وليس إلا خفى الطرف سمَسار
عند العذول اعتراضات ولائمة ... وعند قلبى جوابات وأعذار

وكانت وفاته فى جمادى الآخر ، ودفن بباب حرب .

الشيخ أبو جعفر[٥] أحمد بن على بن أبى بكر بن إسماعيل القرطبى ، إمام الكلاسّة الزاهد العابد ، توفى يوم الإثنين تاسع عشر رمضان ، قرأ بالموصل القرآن بالروايات على يحيى بن سَعدون القرطبى[٦] .

---

(١) نقل العينى هذا الخبر من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٦ ؛ أيضاً راجع ابن الساعى : الجامع المختصر ، جـ٩ ، ص٢٥ .
(٢) «ابن» فى مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٥ .
(٣) نقل العينى هذا الخبر من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٥ ؛ راجع أيضاً الذهبى : العبر ، جـ٤ ، ص٢٩٣ ، كذا ترجمته فى ابن الساعى ، الجامع المختصر ، جـ٩ ، ص٣٧ .
(٤) «نعمان» كذا فى الأصل والتصحيح من ابن الساعى ، الجامع المختصر ، جـ٩ ، ص٣٠ .
(٥) انظر ترجمته فى ابن الساعى ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص٣٠–ص٣١ .
(٦) انظر ترجمته فى الذهبى ، العبر ، جـ٤ ، ص٢٩١ .

العَبْدىّ الشاعر الهمام[١] **أبو الحسن على بن نصر بن عَقيل بن أحمد بن على ابن عبد القيس بن ربيعة بغدادىّ** ، قدم دمشق سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، ومعه ديوان شعر له فيه درر حِسان ، وفرائد وعقيان ، وقد تصدى لمدح الملك الأمجد صاحب بَعلْبكّ ، ومن شعره :

وما الناسُ إلا كاملُ الحظِّ ناقصُ وآخـر منهم ناقصُ الحظِّ كـامِلُ
وإنىِّ لَمُـثْـرٍ من حـيـاءٍ وعِـفّـةٍ وإن لم يكن عِندى من المالِ طائلُ[٢]

وذكر القوصى فى معجمه أنه دخل على قاضى القضاة محيى الدين محمد بن على القرشى وهو يملى رسالته المحيوية فى التعزية الفاضلية فأنشده :

ألا قل لنا عن الفاضل أقصر فإنّنى تيـقنت حـقـاً أن نعْـتك باطل
إذا كان محيى الدين فى الدست[٣] جالساً فما مات فى الدنيا من الناس فاضل

القاضى الفاضل ، والكلام فيه على أنواع :

(الأول) فى ترجمته :

هو أبو على عبد الرحيم بن القاضى الأشرف بهاء الدين [أبى][٤] **المجد على بن القاضى السعيد أبى محمد الحسن [بن الحسن بن أحمد]**[٥] **بن الفرج بن أحمد اللخمى العسقلانى المولد المصرى الدار ، المعروف بالقاضى الفاضل مجير الدين ؛ وزير السلطان الملك الناصر صـلاح الدين يوسف بن أيوب**[٦] . وكـانت ولادته يوم

---

(١) «الماهر» فى الأصل . والتصحيح طبقاً لما ورد فى ترجمته بالمصادر التالية : الروضتين ، جـ٢ ، ص٢٤٠ ؛ مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٥ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ٦ ، ص١٥٨ .

(٢) نقل العينى هذا الشعر من الروضتين ، جـ٢ ، ص٢٤١ . وقد ورد هذا الشعر فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٤ مع اختلاف فى البيت الثانى كالآتى :

وإنـى لمـثر من خيـار أعفـة وإن لم يكن عندى من المال كامل

(٣) الدست : هى مرتبة جلوس السلطان . صبح الأعشى ، جـ١ ، ص١٣٧-١٣٨ .

(٤) ما بين حاصرتين إضافة من وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص١٥٨ ترجمة ٣٧٤ .

(٥) ما بين حاصرتين إضافة من وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص١٥٨ .

(٦) انظر ترجمته فى وفيات الأعيان جـ٣ ، ص١٥٨ ترجمة رقم ٣٧٤ .

الإثنين خامس عشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة[١] بمدينة عسقلان ، وتولى أبوه القضاء ببيسان أيضاً فلهذا نُسِبوا إليها .

وفى المرآة : ولد القاضى ببَيسْان ونشأ بمصر .[٢]

(الثانى) فى بدء أمره ونشأته :

قدم الديار المصرّية واشتغل على الموفق يوسف بن الخلال فى صناعة الإنشاء . ثم تعلق بالخِرَم فى ثغر الإسكندرية وأقام به مدة[٣] ، ثم خدم شاور الوزير ، وكان يكتب له ثم كتب فى ديوان المكاتبات العاضدية ، ولما وصل أسد الدين شيركوه إلى مصر اتخذه كاتباً ، ثم خدم الملك الناصر صلاح الدين يوسف .

وقال ابن كثير[٤] : وآل به الأمر إلى أن وزّر لصلاح الدين يوسف بن أيوب ، وتمكن عنده غاية التمكن حتى [أن][٥] صلاح الدين رحمه الله كان يقول فى ملأ من الناس : «لا تظنوا أنى ملكتُ البلاد بسيوفكم ، بل بقلم الفاضل» .[٦] وكان يستشيره فى أموره ، وكان كاتبه وصاحبه ووزيره ومشيره وجليسه وأنيسه ، وكان أعز عليه من أهله وأولاده ، وأكرم عليه من طرفه[٧] وتلاده[٨][٢٤٨] . وتساعدا على فتح الأقاليم والبلدان ، والحصون والمعاقل ، هذا بحسامه وسنانه ، وهذا بلسانه وقلمه وبنانه . وبعد وفاة صلاح الدين رحمه الله استمر على ما كان عليه عند ولده الملك العزيز فى المكانة والرفعة ونفاذ الأمر ، ولما توفى العزيز وقام ولده الملك المنصور بالملك – بتدبير عمه الملك الأفضل نور الدين – كان أيضاً على حاله . ولم يزل كذلك إلى أن وصل الملك العادل وأخذ الديار المصرية ، وعند دخوله القاهرة توفى الفاضل[٩] على ما نبينه إن شاء الله تعالى .

---

(١) ذكر ابن كثير أن مولد القاضى الفاضل كان سنة ٥٠٢ .

(٢) مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٤ .

(٣) الموفق يوسف بن الخلال : أبو الحجاج يوسف بن محمد المعروف بابن الخلال ، الملقب بالموفق ، صاحب ديوان الإنشاء بمصر ، توفى سنة ٥٤٦ . انظر وفيات الأعيان ، جـ٧ ، ص٢١٩–٢٢٥ ، ترجمة ٨٤٧ .

(٤) نقل العينى هذا الخبر بتصرف من البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٤ ، ص٢٥ .

(٥) ما بين الحاصرتين إضافة يتطلبها السياق .

(٦) نقل العينى هذا الخبر من سبط بن الجوزى ولم ينقله من ابن كثير . انظر مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٤ .

(٧) نقل العينى هذا الخبر بتصرف من البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٤–ص٢٥ .

(٨) التلاد : المال الأصلى القديم . انظر ، المعجم الوجيز ، ص٧٦ .

(٩) وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص١٦٢ ترجمة رقم ٣٧٤ .

(الثالث) : فى سيرته :

كان الفاضل رحمه الله مع كثرة أمواله وجاهه ورئاسته كثير الصدقات والصلات والصيام والصلاة ، مواظباً كل يوم وليلة على ختمة كاملة ، مع ما يزيد عليها من نافلة ، رحيم القلب حسن السيرة ، طاهر الظاهر والباطن والسريرة .(١) وفى المرآة : وكان كثير العبادة تالياً للقرآن .(٢) وله مدرسة بديار مصر على الشافعية والمالكية وأوقاف على تخليص الأسارى من النصارى .(٣)

وقال ابن خلكان : وبنى بالقاهرة مدرسة بدرب ملوخيا . رأيت بخطه أنه استفتح التدريس بها يوم السبت مستهلَّ المحرم سنة ثمانين وخمسمائة .(٤)

ومنها قيسارية تنسب إليه ، و[هى](٥) داخل باب زويلة يُسْرة الخارج منها . واليوم هى وقف على المارستان المنصورى بالقاهرة وبحذاها حمام للرجال ، وحمام للنساء ينسبان إليه أيضا(٦) ، وقد اقتنى من الكتب نحواً من مائة ألف كتاب ، وهذا شىء لم يفرح به أحد من الوزراء ولا العلماء ولا الملوك ، ولا الكتاب .

(الرابع) فى فضائله :

برز فى صناعة الإنشاء ، وفاق المتقدمين ، وله فيه الغرائب مع الأكبار .

وقال ابن خلكان(٧) : أخبرنى شخص من الفضلاء الثقات المطلعين عليه وعلى حقيقة أمره أن مسودَّات الفاضل إذا جمعت ما تقصر عن مائة مجلد ، وله تعليقات فى الأوراق .

وقال ابن كثير(٨) : كان والده(٩) قاضياً بعسقلان فأرسل ولده فى الدولة الفاطمية إلى الديار المصرية ، فاشتغل بها بكتابة الإنشاء على الشيخ أبى الفتح بن قادوس وغيره ، فساد أهل البلاد حتى بغداد ، شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً .

---

(١) البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٤ .
(٢) مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٤ .
(٣) نقل العينى هذا الخبر بتصرف من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٥٦ .
(٤) وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص١٦٢ .
(٥) ما بين الحاصرتين فى الأصل «على» . وهو خطأ .
(٦) نقل العينى هذا الخبر عن البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٤ .
(٧) نقل العينى هذا الخبر بتصرف من وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص١٥٨-١٥٩ .
(٨) نقل العينى هذا الخبر بتصرف من البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٤ .
(٩) «أبوه» فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٤ .

ولم يكن له فى زمانه نظير، ولا عديل، ولا فيما بعده إلى وقتنا هذا مماثل، ولا مناظر ولا نديد.

وفى المرآة[١] : وقد استعان بآيات الكتاب فى كثير من رسائله، ورسائله عشر مجلدات. وسمع قائلاً يقول بيت شعر وهو هذا البيت :

لقد ضاع شعرى على بابكم	كما ضاع در على خالصه[٢]

فقال : لو فعلت عَينا هذا البيت، لأَبْصر، وقال العماد : كان الفاضل ممّدحا مدح بمائة ألف بيت من الشعر.

وقال ابن كثير : امتدحه الشعراء فأكثروا. وله أشعار كثيرة جداً، فمن ذلك قوله :

سبقتم بإسداء الجميل تكرّماً	وما مثلكم فيمن تحدّث أو حكى[٣]
وقد كان ظنى أن أسابقكم به	ولكن بكت[٤] قبلى فهيج لى البكا

وله فى بدء أمره :

أرى الكتاب كلهم جميعاً	بأرزاق تعمّهم سنيناً
ومالى بينهم رزق كأنى	خلقت من الكرام الكاتبينا

وسأل الملك العزيز عثمان بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف عن جارية من حظاياه أرسلت[٢٤٩] زراً من ذهب مغلف بعنبر أسود فأنشأ الفاضل يقول :

أهدت لك فى العنبر فى وسطه	زرٌ من التبر خفى[٥] اللحام
الزرّ[٦] فى العنبر معناهما	زُرْ هكذا مختفيا[٧] فى الظلام

فعلم العزيز أنها أرادت زيارته فى الليل.

---

(١) نقل العينى هذا الخبر من مرآة الزمان، جـ٨، ص٣٠٤.
(٢) «صالحه» فى مرآة الزمان، جـ٨، ص٣٠٤.
(٣) «فيمن يحدث أو يحكى» كذا فى البداية والنهاية، جـ١٣، ص٢٥.
(٤) «بكت» كذا فى الأصل، البداية والنهاية، جـ١٣، ص٢٥.
(٥) «رقيق» فى البداية والنهاية، جـ١٣، ص٢٦ ؛ «دقيق» فى وفيات الأعيان، جـ٣، ص١٦١.
(٦) «فالزر» فى البداية والنهاية، جـ١٣، ص٢٦ ؛ وفيات الأعيان، جـ٣، ص١٦١.
(٧) «مستتراً» فى وفيات الأعيان، جـ٣، ص٢٦١.

وقال ابن كثير : والعجب أن القاضى الفاضل مع براعته وفصاحته التى لا تدانى ولا تجازى ، لا تعرف له قصيدة طويلة طنانة ، بل له ما بين بيت وبيتين فى أثناء الرسائل وغيرها شئ كثير جداً . قلت : والعجب من غفلة ابن كثير عن البرق الشامى للعماد الكاتب ، مع أنه ينقل منه وأن فيه من القصائد الطنانة من نظم القاضى الفاضل ما يُسْحر العقول ويُزرى بكل مقول ، وقد جمع ديوان نظمه القاضى محيى الدين بن عبدالظاهر ، ثم اختار منه كتاباً سمّاه «الدر النظيم من شعر القاضى الفاضل عبدالرحيم» ، وذكر له صلاح الدين الصفدى فى تذكرته من القصائد ما يخجل الدُرَر الفرائد . وقال بيبرس فى تاريخه : وكان الفاضل فريد الزمان ، ومالك أزمّة البيان ، وله الرسائل المعجزة والمكاتبات البليغة الموجزة ، والنظم البديع والشعر المجيد ، فمن شعره قصيده قالها متمدّحاً للملك العزيز ابن صلاح الدين .

الحُسنُ جاد على الأحباب فازدادُوا ... لكن أحبَابنا فى الحسن ما جادوا
فيهن من شبه الغزلان أربعةٌ ... ثغر[1] وطيب وأحداق وأجيادُ
وقد بكت لضنى العُشاق أربعةٌ ... طب وفرش وسُمَّار وعُوادُ
همىّ بهم زائد زادته أربعةٌ ... ينمى ويهنى ويستشرى ويزدادُ
وكيف تبقى على العينين أربعةٌ ... عدى ودمع وأطراف وسهادِ
هيهات يصدق منك الصَبُّ أربعةٌ ... عهد ووُدّ وأقوال وميعاد
له من الغصن الريان أربعةٌ ... عال وبَاه وميال ومَيَّاد
له من الكوكب الدرى أربعةٌ ... نشر وسُكر وإصدار وإيراد
له إذا سُل سيف المزح أربعةٌ ... غيظ ووَثب وإيقاد وإزباد
ولى من الدهر عما رمت أربعةٌ ... كدٌّ وردّ وإقصاءٌ وإقصادُ
ولى عن السعى فى المرجوّ أربَعةٌ ... يَأسٌ وبأسٌ وإخلالٌ وإخلاَدُ
وللعزيز من الملوك أربعةٌ ... قلبٌ ونطق وأخلاق وإحمادُ
تجمعت فى مديحى فيه أربعةٌ ... سَبكٌ ونظمٌ وإنشاء وإنشادُ
حرابُ راوى ثنائى فيه أربعةُ ... نسخ ودَرسٌ وتكرير وإيرادُ
أيامنا والليالى فيه أربعةُ ... نسك[٢٥٠] وأنس وإعراسٌ وأعْياد
فلم يُطِف باعتقاد الخلق أربعةٌ ... نصب ورفض وإشراك وإلحاد

(١) «نفر» كذا فى الأصل وهو خطأ ، والتصحيح من نسخة دار الكتب ص٣٢٩ .

الأمن ما سُلكت فى الأرض أربعةٌ بَرٌ وبحرٌ وأغوارٌ وأنْجادُ
مادون منقطع فى الأرض أربعةٌ ليث وذئب وقطاع ومُرّاد
تُحْمَى به من بلاد الله أربعةٌ مصر وشام خراسان وبغداد
إن تبق فيها بقايا فهى أربعةٌ عزم وحزمٌ وأفكارٌ وأرْصاد
يثنى عليه من الأوقات أربعةٌ يوم وشهر وأعوام وآبادُ
تندى بجودك عام المحل أربعةٌ أفق وأرض وأنفاس وأكباد
وفيه من صادقات السحب أربعةٌ فيض وسيل وإبراق وإبراد
أوصاف إنعامه الموصوف أربعةٌ سَار وثاوٍ ومنفض ومعتاد
أعطى العزيز عزيزُ النصر أربعة عدل وبأس وإرفاق وإرفاد
وبشرت عزمَهُ بالنصر أربعةٌ سعى وسَعد ورايات وأعواد
به لنار العدى فى الحرب أربعةٌ رفع وخفض وإطفاء وإيقاد
أما الملوك لمولانا فأربعةٌ رق وجُند وأنصار وأعضادُ
هذا وفيك لهم بالحق أربعةٌ لطف وعطف وتثقيف وإرشاد
لك الرعية يوم العَرض أربعةٌ راءٍ وراوٍ وَمُدّاحٌ وأشهاد
كما هم بك فى دنياك أربعةٌ راض وَراج وقوام وسجّادُ
وعندهم من ندى نُعماك أربعةٌ كنز وحرز وأبزَال وأمداد
فما يصيبهم ما عشت أربعةٌ همّ وغمّ وأوجال وأنْكاد
يأوى إلى بابك المفتوح أربعةٌ ضعفى ولهفى ورواد وورادُ
قَلّتْ عُدَاتك فهى اليوم أربعةٌ قتلى وأسرى وهراب وحُيّاد
يشقى بساعدك المسعود أربعةٌ هام وأيْد وأسياف وأغماد
وحُكمت بك فى الكفَّار أربعةٌ بيض وسمر وأغلال وأصفاد
لله فى الأرض من ذا البيت أربعةٌ سحب وروض وأقمار وأطوادُ
توارثت منك مُلك الأرض أربعةٌ نجل وصنو وآباء وأجداد
سيماء حال بنى أيوب أربعةٌ بيضٌ وسمرٌ وأمجادٌ وأنْجادٌ
وفيهم من خلال الأسد أربعةٌ وثب وضخم وإعجال وإلباد[٢٥١]
يا من تحدث عن جدواه أربعةٌ نطق وحال وأرواح وأجساد
يسرنى ويسوء القوم أربعةٌ أهل وصحب وأعداء وحُسّاد

الخامس وفى وفاته :

قال السبط : لما تيقن الفاضل استيلاء الملك العادل على القاهرة ، دعى على نفسه بالموت ؛ خوفاً من ابن شكر وزير العادل ، فإنه كانت بينه وبينه وحشة ، فخاف أن يستدعيه ويهينه ، فقام تلك الليلة يبكى ويتضرع ويُصلى فأصبح ميتاً . وحكى عن الملك المحسن بن صلاح الدين [أنه][(١)] قال : اتفق يوم وفاة الفاضل يوم دخول العادل إلى القاهرة ، فإنه دخل من باب النصر وخرجنا بجنازته من باب زويلة ، ودفن بتربته فى القرافة .[(٢)]

وقال ابن كثير : وقد كانت وفاته يوم دخل العادل إلى قصر مصر بمدرسته فجأة ، يوم الثلاثاء سادس ربيع الآخر ، واحتفل الناس بجنازته ، وزار قبره فى اليوم الثانى الملك العادل وتأسف عليه .[(٣)] ويقال : توفى ليلة الأربعاء سابع شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسمائة بالقاهرة فجأة ، ودفن فى تربته من الغد بسفح المقطم فى القرافة الصغرى ، رحمه الله رحمة واسعة .

السلطان علاء الدين خُوَارَزْم شاه تكش بن أرسلان بن أتسِز بن محمد بن أنوشتكين ، من ولد طاهر بن الحسين ، صاحب خوارزم وبعض خراسان والرىّ وغيرها من البلاد الجبليّة . توفى فى العشرين من رمضان من هذه السنة ، ودفن بتربة بناها له بخوارزم .[(٤)]

وفى تاريخ بيبرس : وكان قد سار من خوارزم طالباً خراسان ، وكان به خوانيق ، فأشار عليه الأطباء بترك الحركة ، فلما قارب شهرستانه اشتّد مرضه ، فمات وحمل إلى خوارزم ، فدفن بها ، وهو الذى قطع دولة السلاجقة من هذه البلاد . وكان عادلاً حسن السيرة ، له معرفة جيدة بالموسيقى ، حسن المعاشرة ، فقيهاً على مذهب أبى حنيفة رضي الله عنه ، ويعرف الأصول ، وبنى مدرسة عظيمة للحنفية .[(٥)]

---

(١) ما بين حاصرتين إضافة من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٥ .

(٢) نقل العينى هذا الخبر من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٥ ؛ أيضاً راجع الروضتين ، جـ٢ ، ص٢٤٤ .

(٣) نقل العينى هذا الخبر من البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٤-٢٥ .

(٤) نقل العينى هذا الخبر بتصرف من البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٢٣ ، راجع أيضاً الخبر فى الجامع المختصر ، جـ٩ ، ص٣٤-٣٥ ؛ النجوم الزاهرة ، جـ٦ ، ص١٥٥ .

(٥) ورد هذا الخبر بالتفصيل فى الكامل ، جـ١٢ ، ص٧٣ ؛ كذا راجع البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٢-٢٣ ؛ الجامع المختصر ، جـ٩ ، ص٣٥ ؛ العبر فى خبر من غبر ، جـ٤ ، ص٢٩٢ ؛ النجوم الزاهرة ، جـ٦ ، ص١٥٥ .

وفى المرآة : كان شجاعاً ، ملك الدنيا من الصين والهند وما وراء النهر إلى خراسان إلى باب بغداد . كان نوابه فى حلوان ، وكان ديوانه مائة ألف مقاتل ، وهو الذى كسر مملوكه مَيانجق عسكر الخليفة ، وأزال دولة بنى سلجوق . وكان حاذقاً بعلم الموسيقى ؛ لم يكن فى زمانه ألعب منه بالعود ، وحكى أن الباطنية جهزوا إليه رجلاً ليقتله ، وكان محترزاً كثيراً ، فجلس ليلة يلعب بالعُود وشَرَّع الخيمة ، فاتفق أنه غَنَّى بيتاً بالعجمية وفيه تزاد يذم[1] ومعناه قد أبصرتك ، فخاف الباطنى منه وارتعد وهرب ، فأُخذ وحمل إليه ، فقرره ، فأمر بقتله . وكان يباشر الحروب بنفسه حتى ذهبت إحدى عينيه فى الحرب ، وكان يقول : المَلك إذا لم يباشر الحرب بنفسه لا يصلح للمُلك ، لأنه يكون مثل المرأة . وكان قد عزم على قصد بغداد ، فجمع وحشد ، فوصل إلى دِهسْتان[2] فتوفى بها فى رمضان ، فحمل تابوته إلى خوارزم فدفن عند أهله .[3]

ذكر تولية ولده قطب الدين محمد بن علاء الدين تكش

لما مات علاء الدين خوارزم شاه المذكور أرسلوا إلى قطب الدين محمد ولده يستدعونه ، فحضر فملّكوه ، ولقب علاء الدين محمد بن تكش بن أرسلان ، وكان على شاه بن تِكش بأصبهان ، فأرسل إليه خوارزم شاه محمد أخوه يستدعيه ، فلما وصل إليه[٢٥٢] ولاه حرب خراسان وسلم إليه نيسابور ، وكان هندوخان بن ملكشاه بن خوارزم شاه تكش يخاف عمّه محمداً فهرب منه إلى جِدّه ، وكان معه عند موته ، ونهب كثيراً من خزائن جده ، ثم أنه جمع جمعًا كثيراً بخراسان ، وسيَّر إلى عمه جيشًا مقدمهم جَقر التركى فدخل مدينَة مرو ، وبها والدة هندوخان وأولاده ، فأمر بإرسالهم إلى خوارزم ، ولحق هندوخان بغياث الدين صاحب غزنة فأكرمه ووعده النصرة ، وأرسل إلى محمد بن جبريل[4] صاحب الطالقان يأمره بالمسير إلى مرو الروذ[5] فسار إليها فأخذها ، ثم أرسل إلى جَفر بأمره بإقامة الخطبة بمرو لغياث الدين أو يفارق البلد ، فكتب إليه يسأله أن

---

(١) «تنسم» فى مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٤ ؛ «بَبِيتَم» فى النجوم الزاهرة ، جـ٦ ، ص١٥٥ .

(٢) دهسْتَان : بلد مشهور فى طرف مازندان قرب خوارزم . معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٥٥٩ .

(٣) نقل العينى هذا الخبر من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٣-٣٠٤ .

(٤) «جربك» فى الكامل ، جـ١٢ ، ص٧٤ . .

(٥) مرو الروذ : مدينة قريبة من مرو الشاهجان ، وهى على نهر عظيم ، فلهذا سميت بذلك . معجم البلدان ، جـ٤ ، ص٥٠٦ .

يأخذ له أماناً من غياث الدين ليحضر إلى خدمته ، فلما قرأ كتابه كتب إلى شهاب الدين أخيه يأمره بالخروج إلى خراسان ؛ ليتفقا على أخذ البلاد التى بيد علاء الدين محمد بن تكش .[١]

الأمير صارم الدين قايماز بن عبدالله النجمى ، من أكابر الدولة الصلاحية ، توفى فى هذه السنة ، وكان عند السلطان صلاح الدين بمنزلة الأستاذ دار ، وهو الذى تَسَلَّم القصر حين مات العاضد ، آخر خلفاء الفاطميين ، فحصل له أموال جزيلة جداً ، وكان كثير الصدقات والأوقاف ، وقد تصدق فى يوم بسبعة آلاف دينار عينا ، وهو واقف المدرسة القيمازية ، شرقى القلعة بدمشق ، وقد كانت دار الحديث الأشرفية داراً لهذا الأمير ، وله بها حمام ، فاشترى ذلك فيما بعد الملكُ الأشرف موسى بن الملك العادل ، وبناها دار حديث ، وأخرب الحمام وبناه مسكناً للشيخ المدرس بها ، ولما توفى الأمير قايماز فى هذه السنة ودفن فى قبره نبشت دورُه وحواصله ؛ وكان متهماً بمال جزيل ، فكان متحصل ما جمع من ذلك مائة ألف دينار ، وكان يظن أن عنده أكثر من ذلك ، ولكن كان يدفن أمواله فى الخرائب من أرض ضياعه وقراه .[٢]

وقال بيبرس : وكان لقب قايماز المذكور صارم الدين ، وكان من أكابر مماليك نجم الدين أيوب والد صلاح الدين ، وكان عظيم القدر عند صلاح الدين ؛ إذا فتح بلداً سلمه إليه واستأمنه عليه ، وكان كثير الصدقات وأفعال الخير ، بنى القنطرة بين خسقين ونوى وغيرها ، والمدرسة المجاورة لداره بدمشق عند باب القلعة . وكان الملك العادل قد جعله بدمشق مع ولده الملك المعظم عيسى ثقةً به ، فتوفى بدمشق فى جمادى الأولى من هذه السنة . وظهرت له أموال عظيمة ؛ فيقال : إنه وجد له فى أسفل البركة مائة ألف دينار .[٣]

الأمير الكبير لؤلؤ : أحد الحجاب بالديار المصرية ، ومن أكابر الأمراء فى الدولة الصلاحية ، وهو الذى كان يتسلم الأصطول فى البحر ، فيكون كالشجى فى حلوق

---

(١) ورد هذا الخبر فى الكامل ، جـ١٢ ، ص٧٤ .

(٢) نقل العينى هذا الخبر من البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٣ ؛ أيضاً راجع بالتفاصيل ، الروضتين ، جـ٢ ، ص٢٣٩-٢٤٠ .

(٣) نقل العينى هذا الخبر من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٥-٣٠٦ ؛ راجع أيضاً الروضتين ، جـ٢ ، ص٢٣٩-٢٤٠ .

الإفرنج فى البحر ، وقد كان مع كثرة جهاده كثير الصدقات ، والنفقات ، وكان بديار مصر غلاء شديد[١] وكان يتصدق فى كل يوم باثنى عشر ألف[٢] رغيفاً[٣] ، لاثنى عشر ألف فقير ، وتوفى فى هذه السنة .[٤]

وفى المرآة : قال العماد : وقع الغلاء بمصر فى السنة الماضية وهذه ، ، فكان يخبز كل يوم أربعة وعشرين ألف رغيف يفرقها على الفقراء ، وفى غير الغلاء كان يخبز كل يوم اثنى عشر ألف رغيف ، وكان صائماً قائماً متعبداً ، وكانت وفاته بالقاهرة[٢٥٣] فى جمادى الأولى من هذه السنة .[٥]

الوزير نظام الدين[٦] **مسعود بن على** وزير السلطان خوارزم شاه ، قتل فى هذه السنة ، وكان حسن السيرة ، شافعى المذهب ، له مدرسة عظيمة بخوارزم ، وجامع هائل ، وبنى بمرو جامعاً عظيماً للشافعية ، فحسدتهم الحنابلة ، وشيخهم يقال له : شيخ الإسلام ، فيقال : إنهم أحرقوه فأغرمهم السلطان خوارزم شاه ما عزم الوزير عليه والله أعلم .[٧]



(١) ذكر أبو شامة نقلاً عن العماد أن القحط والغلاء الشديد وقع بمصر سنة ٥٩١هـ . راجع الروضتين ، جـ٢ ، ص٢٤٠ .

(٢) «أربعة وعشرين ألف رغيف» فى مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٦ .

(٣) «رغيف» كذا فى الأصل والتصحيح من الروضتين ، جـ٢ ، ص٢٤٠ . .

(٤) نقل العينى هذا الخبر بتصرف من البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٣-٢٤ ؛ الروضتين ، جـ٢ ، ص٢٤٠ .

(٥) نقل العينى هذا الخبر من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٦ .

(٦) «الملك» فى الكامل ، جـ١٢ ، ص٧٤ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٣ .

(٧) نقل العينى هذا الخبر من الكامل ، جـ١٢ ، ص٧٤ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٣ .

فصل فيما وقع من الحوادث فى السنة السابعة والتسعين بعد الخمسمائة(*)

استهلت هذه السنة والخليفة هو الناصر لدين الله ، وسلطان مصر والشام الملك العادل أبوبكر بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين ، ونائبه بالديار المصرية ابنه الملك الكامل محمد بن العادل ، ونائبه بدمشق ابنه الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل ، وسلطان حلب الملك الظاهر غازى ابن السلطان صلاح الدين ، وهو مجد فى تحصين حلب خوفاً من عمه الملك العادل ، ونائب الملك العادل بالشرق ابنه الملك الفائز إبراهيم[1] ، وبميافارقين ابنه الملك الأوحد نجم الدين أيوب ابن الملك العادل ، وصاحب الروم السلطان ركن الدين سليمان بن قليج أرسلان السلجوقى ، وصاحب آمد وحصن كيفا سقمان بن محمد بن قرا أرسلان بن داود بن سقمان بن أرتق ، ولكنه مات فى هذه السنة ، وملك الغورية سلطان غزنة وغيرها غياث الدين . وصاحب خوارزم وغيرها الملك علاء الدين محمد بن تكش ، وصاحب أذربيجان وبلادها وغيرها الأمير أبو بكر ابن البهلوان ، وصاحب مكة قتادة الحسنى ، وصاحب المدينة سالم بن قاسم ، وصاحب المغرب السلطان محمد الناصر بن السلطان يعقوب المنصور بن يوسف بن عبدالمؤمن بن على القيسى الكومى ، وصاحب اليمن سيف الإسلام ، وصاحب الموصل وغيرها السلطان الملك العادل نور الدين أبو الحارث أرسلان شاه بن عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكى ، وصاحب جزيرة ابن عمر معز الدين سنجر شاه بن سيف الدين غازى بن مودود بن زنكى ، ابن عم نور الدين المذكور .

ذكر ماجريات الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين صاحب حلب

وفى هذه السنة سار الملك الظاهر إلى منبج وبها شمس الدين عبدالملك بن محمد ابن عبدالملك بن المقدم[2] ، وكان ملكها بعد موت أخيه عز الدين إبراهيم بن محمد فى هذه السنة ، كما نذكره عن قريب إن شاء الله تعالى . ولما أتى الملك الظاهر إلى منبج

(*) يوافق أولها ١٢ أكتوبر ١٢٠٠م .

(١) الملك الفائز إبراهيم : هو الملك الفائز سابق الدين إبراهيم ابن الملك العادل الأيوبى . وفيات الأعيان ، جـ١ ، ص١٨٥ ، ص٤٠٨ .

(٢) انظر أبو الفدا ، المختصر ، جـ٣ ، ص٩٩ .

حاصرها وملكها وعصى عبدالملك بالقلعة فحصره ، فنزل عبد الملك بالأمان ، فاعتقله الملك الظاهر بقلعة حلب ، وملك قلعة منبج ، ثم سار إلى قلعة نجم ، وبها نائب ابن عبدالمقدم ، فحصرها وملكها فى آخر رجب ، ثم أرسل إلى الملك المنصور صاحب حماة يبذل له منبج ، وقلعة نجم ، على أن يصير معه على عمه العادل ، فاعتذر صاحب حماة باليمين التى فى عنقه للعادل ، ولما أيس الظاهر منه سار إلى المعرة وأقطع بلادها ، واستولى على كفر طاب ، وكانت لابن المقدم ثم سار إلى أفامية وبها قراقوش نائب ابن المقدم ، فامتنع من[٢٥٤] تسليمها فأرسل الظاهر إلى حلب وأحضر عبدالملك بن المقدم من حلب وكان معتقلاً بها كما ذكرنا ، وأحضر معه أصحابه الذين اعتقلهم وضربهم قدام قراقوش ليسلم أفامية فامتنع من ذلك ، فأمر الظاهر بضرب عبدالملك بن المقدم فضرب ضرباً شديداً وبقى يستغيث ، فأمر قراقوش بضرب النقارات على قلعة أفامية لئلا يسمع أهل البلد صراخه ، ولم يسلم القلعة فرحل عنها الظاهر وتوجه إلى حماة وحاصرها لثلاثة بقين من شعبان ، ونزل شمالى البلد ، وزحف[١] من جهة الباب الغربى ، وقاتل قتالاً شديداً ، ثم زحف فى آخر شعبان من الباب الغربى ، والباب القبلى وباب العُميان ، وجرى قتال شديد وجرح الملك الظاهر بسهم فى ساقه واستمرت الحرب إلى أيام من رمضان ، فلما لم يحصل على غرض ، صالح الملك المنصور على مال يحمله إليه ، قيل : إنه ثلاثون ألف دينار[٢] صورية[٣] .

وقال بيبرس : وكان الظاهر قد أرسل رسلاً إلى عمه العادل فى الصلح قبل أن يجرى ما ذكرنا ، فلما وصلت رسله إلى بلبيس رسم العادل أن لا يدخلوا إلى القاهرة فرجعوا ولم يقض لهم شغلا ، فوجدوا ميمون القَصْرِىَّ نازلاً على باب بلبيس فاجتمعوا به ورغبوه فى الخدمة الظاهرية ، ومضى إلى صرخد وبها الظافر أخو الأفضل ، ولحق به جماعة من الأمراء الصلاحية ووافقوه على رأيه ، واعتزل عنه فخر الدين جهركس فى قلاعه ، وكان بيده بانياس وهونين وتبنين وشقيف أرنون ، ووافقه على الاعتزال زين الدين قراجا ، وكان باطنهما مع الملك العادل .

---

(١) «زحف» كذا فى الأصل والمثبت من المختصر ، جـ٣ ، ص٩٩ ؛ مفرج الكروب ، جـ٣ ، ص١٢٢ ، ص١٢٣ .

(٢) ذكر المقريزى «خمسين ألف دينار» السلوك ، جـ١ ، ص١٨٧ .

(٣) نقل العينى هذا الخبر بتصرف من المختصر ، جـ٣ ، ص٩٩ .

ولما وصلت مكاتبات ميمون إلى الظاهر والأفضل وهو يحرضها على المجيء ، ويبذل لهما من نفسه المواثيق والعهود على المناصرة والمظافرة ، خرج الظاهر من حلب وقدم عليه أخوه الأفضل ، وسارا إلى أن نزلا أفامية وبها قراقوش مملوك عز الدين بن المقدم(١) فامتنع من تسليم البلد كما ذكرناه الآن ، ثم إن الظاهر لما انفصل أمره من جهة حماة بالمصالحة على المال كما ذكرناه ، رحل إلى دمشق ومعه أخوه الأفضل ، وحضر إليهما ميمون القصرى صاحب نابلس ومن كان اجتمع إليه من عساكر مصر ، واتفقوا جميعاً ، وجاءوا إلى دمشق وبها الملك المعظم عيسى بن الملك العادل وهو صبى صغير ، والقيم بأمره فلك الدين سليمان أخو العادل لأمه ، وعز الدين أسامة ، فلما اجتمعوا عليها حاصروها حصاراً شديداً ، واستقرت القاعدة بين الأخوين الظاهر والأفضل أنهما متى ملكا دمشق يتسلمها الملك الأفضل ، ثم يسيران ويأخذان مصر من العادل ويتسلمها الأفضل وتسلم دمشق حينئذ إلى الظاهر ، بحيث تبقى مصر للأفضل ، ويصير الشام جميعه للظاهر ، وكان قد تخلف من أكابر الأمراء الصلاحية عنهما فخر الدين جهركس وزين الدين قراجا ، فأرسل الأفضل ، وسلم صرخد إلى زين الدين قراجا ، ونقل الأفضل ، والدته وأهله إلى حمص عند شيركوه ، ولما بلغ العادل حصار الأخوين دمشق خرج بعساكر مصر وجاء إلى نابلس وأقام بها ولم يجسر على قتالهما . واشتدت مضايقة الأخوين الأفضل والظاهر لدمشق وتعلق النقابون[٢٥٥] بأسوارها .(٢)

وفى المرآة(٣) : فوصلوا إلى باب الفراديس وأحرقوا فندق تقى الدين ، وقاتلهم المعظم وحفظ البلد فأقاموا شهرين وقيل شهر ذى القعدة ، واختلف أصحاب التواريخ فى أمرهم بعد ذلك .

فقال صاحب المرآة : بعث الملك العادل إلى الأخوين الأفضل والظاهر فأوقع بينهما الخلف فرحلوا سلخ ذى القعدة(٤) ، وجاء العادل فدخل دمشق ومضى المعظم وجهركس

---

(١) «شمس الدين المقدم» فى النويرى وهو خطأ إذ أن شمس الدين بن المقدم توفى عام ٥٨٣هـ انظر نهاية الأرب جـ٢٩ ، ص٢٢ .

(٢) ورد هذا الخبر بتصرف فى نهاية الأرب ، جـ٢٩ ، ص١٩-ص٢٤ ، مفرج الكروب ، جـ٣ ، ص١٢٣- ص١٢٥ .

(٣) مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٩ .

(٤) «ذى الحجة» كذا فى الأصل والتصحيح من سبط ابن الجوزى حيث ينقل العينى عنه ، مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٩ . أيضاً راجع الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٧٠ .

وقراجا فحاصروا بانياس وبها حسام الدين بشارة فقاتلهم فقتل ولده وأخرجوه من البلاد وتسلمها جهركس وتسلم قراجا صرخد .[١]

وفى تاريخ بيبرس : لما جاء العادل إلى نابلس خاف العاقبة وجعل يعمل الحيل والمكائد فى التفريق بين الظاهر والأفضل ، ويستفسد قلوب الأمراء الذين معهما ، ووعد الظاهر إن هو فارق أخاه أن يملكه قطعة من بلاد الشرق التى بيده ، وكاتب الظاهر زين الدين قراجا ، وفخر الدين جهركس ، واستمالهما وأرغبهما ، واستقر الأمر أن يسلم الأفضل إلى قراجا صرخد وعشرة آلاف دينار وأن يعطى الأمير فخر الدين إياز [جهركس][٢] عشرين ألف دينار ، فسلم الأفضل صرخد إليهما كما تقرر ، فغضب الظافر على أخيه الأفضل ، وجرت بينهما بسببها منازعات اقتضت مفارقته وانفصاله عن الأفضل والظاهر .

وأما فخر الدين جهركس وزين الدين قراجا ، فإنهما لما تسلما حصن صرخد سارا إلى الظاهر والأفضل وانحازا إليهما ، فطابت قلوبهما وقوى عزمهما على فتح دمشق ، فأخذ حينئذ فخر الدين جهركس ، وقراجا ، فى التفنيد والتوقيف عن قتال دمشق ، وظهر للظاهر والأفضل ذلك منهما ، وهما أيضاً علما أن الظاهر والأفضل اطلعا على ذلك فهربا بالليل ، وتوجها إلى بانياس فأرسل الظاهر إليهما وقبح فعلهما ، فأعادا جوابه بأنه متى فتح دمشق كانا فى خدمته . ثم إن الظاهر جد فى حصار دمشق وقاتل بنفسه وأصابه فى رجله سهم ، وخرج جماعة من عسكره فانحل عزمه عن دمشق ، ورجع إلى بلاده والأفضل معه ولم ينالا غرضا ، ثم إن الأفضل أرسل إلى عمه العادل فطلب منه شميساط وسروج ورأس العين ، فأنعم له بها . وحلف له عليها . وأرسل الظاهر إليه يطلب منه منبج وأفامية وكفر طاب ، فأنعم له بها أيضاً ، فمضى الأفضل إلى شميساط وتسلمها وبقى بها إلى أن مات .[٣]

وأما ميمون القصرى صاحب نابلس فإن العادل كان قد لاطفه قبل خروجه من مصر ، فلم يلتفت إليه ولا أجابه وصار مع الظاهر ، ولما رحل الظاهر عن دمشق رحل فى

---

(١) مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٩ .

(٢) [جهركس] ما بين حاصرتين إضافة من الروضتين ، جـ٢ ، ص٢٤٤ .

(٣) ورد هذا الخبر بالتفصيل فى الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٧١ ؛ نهاية الأرب ، جـ٢٩ ، ص٢٣-ص٢٥ .

خدمته ، فأكرمه وأقطعه إقطاعاً عظيماً ، وهو أعزاز وقلعتها ، ونهر الجوز[١] وبلاده وجسر الحديد وبلادها وأماكن أخر متفرقة ، وأعطاه مالاً وخلعاً وبقى فى خدمته إلى أن مات فى ستة عشر وستمائة .

وسار الملك العادل إلى دمشق وتقرر الصلح بينه وبين المنصور صاحب حماه وزوجه[٢] ابنته ، وأقطع الأمير فخر الدين جهركس بلاد حسام الدين بشارة تبنين وهونين ، فامتنع بشارة من تسليمها[٢٥٦] وكاتب الملك الظاهر يستنجده ، فأجابه وأرسل إليه نجدة الأمير عز الدين كرز أخا أبى الهيجاء السمين ، وبلغ ذلك العادل ، فجهز صحبة جهركس عسكراً وافراً لحصار تبنين ، فساروا إليها وحاصروها مدةً ثم عجزوا وتركوها .

وفى تاريخ المؤيد وغيره : لما اشتدت مضايقة الأخوين الأفضل والظاهر لدمشق وتعلق النقابون بأسوارها ، حسد الظاهر أخاه الأفضل على ملك دمشق وقال له : أريد أن تسلم إلىَّ دمشق الآن ، فقال له الأفضل : إن حريمى مثل حريمك وهم على الأرض وليس لنا موضع نقيم فيه ، فهب هذه البلدة لى حتى تملك مصر وتأخذها ، فامتنع الظاهر من ذلك ، وكان قتال العسكر والأمراء الصالحية إنما كان لأجل الأفضل ، فقال لهم الأفضل : إن كان قتالكم لأجلى فاتركوا القتال وصالحوا الملك العادل ، وإن كان قتالكم لأجل أخى الظاهر فأنتم وإياه . فقالوا : إنما قتالنا لأجلك . وتخلوا عن القتال وأرسلوا وصالحوا الملك العادل ، وخرجت السنة وهم محاصرون دمشق ، وقد تفرقت العساكر ، فرحل الظاهر عن دمشق فى أول المحرم سنة ثمانى وتسعين وخمسمائة ، وسار الأفضل إلى حمص .[٣]

وفى تاريخ ابن كثير : وقد كان الظاهر وأخوه الأفضل كتبا إلى صاحب الموصل نور الدين أرسلان الأتابك أن يحاصر مدن الجزيرة التى مع عمهما الملك العادل ، فركب فى جيشه وأرسل إلى ابن عمه قطب الدين صاحب سنجار ، واجتمع معهما صاحب ماردين الذى كان العادل قد حاصره وضيق عليه مدة طويلة - كما ذكرنا - فقصدت العساكر

---

(١) نهر الجوز : ناحية ذات قرى وبساتين ومياه بين حلب والبيرة التى على الفرات ، ياقوت ، معجم البلدان ، جـ٣ ، ص١٦٨ .

(٢) نهاية الأرب ، جـ٢٩ ، ص٢٥-ص٢٦ .

(٣) نقل العينى هذا النص بتصرف من المؤيد ، المختصر ، ج٣ ، ص١٠٠ .

حرّان وبها الملك الفائز بن العادل فحاصروه مدة ، ثم لما بلغهم وقوع الصلح بين العادل وبين ابنى أخيه الأفضل والظاهر عدلوا إلى المصالحة أيضاً ، وذلك بعد طلب الفائز ذلك منهم ، وتمهدت الأمور واستقرت على ما كانوا عليه .(١)

وفى هذه السنة اعتقل الملك العادل المؤيد والمعز ولدى أخيه الناصر صلاح الدين(٢) ، ونفى من مصر عز الدين أيبك فطيس ، والبِكْى الفارسى ، وخزبك الفارسى ، فمضوا إلى حلب .

ذكر مسير غياث الدين ملك الغورية من غزنة إلى هراة

لما سار من غزنة فى عساكره وجنوده ووصل إلى هراة وكان بها نائبه الأمير عمر بن محمد المرغنى ، استشاره فأشار عليه بالكف عن قصد البلاد ، ثم حضرا أخوه شهاب الدين وصحبته عساكر سجستان وغيرها وقصدوا مرو ، فخرج إليهم جقر وفتح البلد وسلمها إلى هندوخان بن ملكشاه بن تكش ، ثم سار إلى مدينة سرخس فتملكها صلحا وسلمها إلى الأمير زنكى بن مسعود ، وأقطعه معها نسا(٣) وأبيورد(٤) ، ثم سار بالعساكر إلى طوس فأخذها صلحاً ، وخرج إليه مستحفظها فخلع عليه ، ثم أرسل إلى على شاه بن خوارزم شاه وهو إذ ذاك بنيسابور فأَمّره على صاحب أمد ، وكانت فى مُلك أخيه محمود - ولقبه قطب الدين واسمه سقمان بن محمد بن قرا أرسلان بن داود ، وكان صاحب آمد وحصن كيفا فسقط من سطح جوسق عال بحصن كيفا فمات ، وكان شديد الكراهية لأخيه محمود فأبعده وأنزله حصن منصور[٢٥٧](٥) آخر بلاده ، واتخذ مملوكاً اسمه أياس وكان يحبه حباً شديداً ، فزوجه أخته وجعله ولى عهده . فلما اتفقت وفاته ملك أياس بعده أياماً يسيرة ، فوقعت الوحشة بينه وبين وزير سقمان ، فسير استدعى محموداً سراً فملكه وقبض على أياس ثم أطلقه فسارا إلى بلاد الروم وأقام بها .(٦)

---

(١) نقل العينى هذا الخبر بتصرف من البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٧ .

(٢) المؤيد مسعود ، والمعز إسحاق ولدا صلاح الدين . انظر : الروضتين ، جـ٢ ، ص٢٤٤ .

(٣) نسا : مدينة بخراسان بينها وبين سرخس يومان أو سبعة . معجم البلدان ، جـ٤ ، ص٧٧٦-٧٧٨ .

(٤) أبيورد : مدينة بخراسان بين سرخس ونسا . معجم البلدان ، جـ١ ، ص١١١ .

(٥) ورد هذا الخبر بالتفصيل فى الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٧١-٢٧٣ ؛ الجامع المختصر ، جـ٩ ، ص٥١-٥٢ ؛ المختصر ، جـ٣ ، ص١٠٠-١٠١ .

(٦) ورد هذا الخبر بتصرف فى المختصر ، جـ٣ ، ص١٠١ ؛ الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٧٥ .

وفى تاريخ ابن الأثير[١] : وفى رمضان من هذه السنة ملك ركن الدين سليمان بن قليج أرسلان صاحب بلاد الروم مدينة ملطية ، وكانت لأخيه معز الدين قيصر شاه بن قليج أرسلان ، ثم سار ركن الدين إلى أرزن الروم وكانت للملك محمد بن صلتق وهو من بيت قديم ملكوا أرزن الروم مدة طويلة ، فطلع صاحب أرزن الروم ليصالح ركن الدين فقبض عليه وأخذ البلد منه وكان هذا محمد آخر الملوك من أهل بيته .[٢]

ذكر ما وقع من الأمور المزعجة الغريبة

منها أنه كانت زلزلة عظيمة امتدت من بلاد الشام إلى الجزيرة وبلاد الروم والعراق ، وكان جمهورها وعظيمها بالشام ، تهدمت منها دور كثيرة ، وقرية من أرض بصرى ، وأما السواحل فهلك منها شيء كثير ، وخربت محال كثيرة من طرابلس وصور وعكا ونابلس ، ولم يبق بنابلس سوى حارة السامرة ومات بها ثلاثون ألفاً تحت الردم ، وسقطت طائفة كبيرة من المنارة الشرقية بجامع دمشق وأربع عشرة شرفة وغالب الكلاسة والمارستان النورى ، وخرج الناس إلى الميادين يستغيثون ، وسقط غالب قلعة بعلبك مع وثاقة بنيانها[٣] ، وانفرق البحر إلى قبرس وقذف بالمراكب إلى ساحله ، وتعدت الزلزلة إلى ناحية الشرق فسقطت بسببها دور كثيرة ومات أمم لا يحصون كثرة[٤] . وفى مرآة الزمان : جاءت فى شعبان زلزلة عظيمة من الصعيد فعمت الدنيا فى ساعة واحدة ، فهدمت بنيان مصر ، فمات تحت الردم خلق كثير ، ثم امتدت إلى الشام والساحل فهدمت مدينة نابلس فلم يبق بها جداراً قائماً إلا حارة السمرة ، ومات تحت الهدم ثلاثون ألفا ، وهدمت جميع قلاع الساحل وامتدت إلى دمشق فرمت بعض المنارة الشرقية بجامع دمشق وأكثر الكلاسة والمارستان النورى وعامة دور دمشق إلا القليل ، وسقط من الجامع ست عشرة شرفة وشققت قبة النسر وخسف بالكلاسة ، وتهدمت بانياس وهونين وتبنين ، وخرج قوم

---

(١) لم يذكر ابن الأثير هذا الحدث وإنما نقل العينى هذا الحدث من ابن الأثير ، وذكر لابن كثير كان على سبيل الخطأ ، والصحيح ما أثبتناه فى المتن . انظر : الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٧٥ .

(٢) الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٧٥ ؛ المختصر ، جـ٣ ، ص١٠٠-ص١٠١ ، الجامع المختصر ، جـ٩ ، ص٥٣ .

(٣) «بابها» كذا فى الأصل والتصحيح من البداية والنهاية ، جـ١٣ ، جـ٢٨ .

(٤) البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٧-ص٢٨ .

من بعلبك بجنون الربياس من جبل لبنان ، فالتقى عليهم الجبلان وماتوا[١] بأسرهم ، وهدمت قلعة بعلبك مع عظيم حجارتها ووثيق عمارتها وامتدت إلى حمص وحماة وحلب والعواصم ، وقطعت البحر إلى قبرس وانفرق البحر فصار أطواداً وقذف بالمراكب إلى الساحل ، فتكسرت ثم امتدت إلى خلاط وأرمينية وأذربيجان والجزيرة ، وأحصى من هلك فى هذه السنة على وجه التقريب فكان ألف ألف إنسان ومائة ألف إنسان ، وكانت قوة الزلزلة فى مبدأ الأمر بمقدار ما يقرأ الإنسان سورة الكهف ثم دامت بعد ذلك أياماً .[٢]

ومنها هبوط النيل ولم يعهد ذلك فى الإسلام إلا مرة واحدة فإنه بقى منه شىء يسير فوقع[٣] بسببه غلاء عظيم على ما نذكره .

ومنها وقوع غلاء عظيم بالديار المصرية[٢٥٨] فهرب الناس إلى المغرب والحجاز واليمن والشام ، وتفرقوا تفرق أيدى سبأ ، ومزقوا كل ممزق أعظم من سنة اثنتين وستين وأربع مائة فى أيام المستنصر[٤] ، فإنه كان الناس فى هذه السنة فى أمر عظيم كان الرجل يذبح ولده الصغير وتساعده أمه على طبخه وتشويه ، وأحرق السلطان جماعة فعلوا ذلك ولم ينتهوا ، وكان الرجل يدعو صديقه وأعز الناس عليه إلى منزله ليضيفه فيذبحه ويأكله ، وفعلوا بالأطباء كذلك وكانوا يدعونهم ليبصروا المرضى فيقتلونهم ويأكلونهم ، ونفذت الميتات والجيف من كثرة ما أكلوها ، وكانوا يخطفون الصبيان من الشوارع فيأكلونهم ، ثم وقع فناء عظيم على ما نذكره .[٥]

وحكى أبو شامة أنه أُكلت الكلاب فى هذه السنة والميتات بمصر ، وأكل من الأطفال والصغار خلق كثير ، يشوى الصغير والداه ويأكلانه ، وكثر هذا فى الناس حتى صار لا ينكر بينهم ، ثم صاروا يحتالون على بعضهم بعضاً فيأكلون من يقدرون عليه . ومن غلب من قوى ضعيفاً ذبحه وأكله ، ووجد عند رجل أربعة مائة رأس من بنى آدم وهلك كثير من الأطباء الذين يستدعون إلى المرضى ، فيذبحون ويؤكلون وقد استدعى رجل

(١) «واتوا» كذا فى الأصل والتصحيح من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٨ .
(٢) إلى هنا وقف العينى عن النقل من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٨-ص٣٠٩ .
(٣) مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٧ .
(٤) «المنتصر» كذا فى الأصل والصحيح ما أثبتناه .
(٥) ورد هذا الخبر بتصرف فى الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٧٥ ؛ الجامع المختصر ، جـ٤٧-ص٥٠ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٦ ؛ مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٨-ص٣٠٩ .

طبيب فخاف الطبيب وذهب معه على وجل ، فجعل الرجل يتصدق على من وجده فى الطريق ويذكر ويسبح ويكثر من ذلك ، فارتاب به الطبيب وتحيل ، ومع هذا حمله الطمع على الاستمرار معه فلما وصلا إلى الدار إذا هى خربة ، فارتاب أيضاً فخرج رجل من الدار فقال لصاحبه : ما هذا البُطؤ جئت لنا بصيد؟ فلما سمعه الطبيب هرب فما خلص إلا بعد جهد جهيد .(١)

وقال الشيخ موفق الدين عبد اللطيف فى كتاب أخبار مصر : ثم دخلت سنة سبع وتسعين وخمسمائة وقد يئس الناس من زيادة النيل وارتفعت الأسعار وقحط الناس ، وخرجوا من خوف الجوع ، وانكرش أهل السواد والريف إلى أمهات البلاد ، وانجلى كثير منهم إلى الشام ، ودخل إلى القاهرة ومصر منهم خلق كثير ، واشتد بهم الجوع ووقع فيهم الموت وعند نزول الشمس الحمل وبئ الهواء ووقع المرض والموتات ، واشتد بهم الجوع حتى أكلوا الميتات والجيف والكلاب والبعر والروث ، ثم تعدوا ذلك إلى أن أكلوا صغار بنى آدم ، فكثيراً ما يعثر عليهم ومعهم صغار مشويون ومطبوخون فيأمر السلطان بإحراق الفاعل لذلك . قال : ورأيت صغيراً مشوياً فى زنبيل وقد أحضر إلى دار السلطان مع رجل وامرأة زعم الناس أنهما أبواه ، فأمر بإحراقهما . ووجد بمصر فى رمضان رجل وقد جردت عظامه عن اللحم وأكل كما يفعل الطباخون بالغنم .

وأما الأعمال الغريبة فأخبرنى الثقة أن أكل بنى آدم قد استفاض فيها . وأما أهل الصعيد فإنه استفاض فيهم بيع الأحرار بالثمن البخس حتى تباع الجارية الحسناء بالدراهم النزر .

وقال أيضاً : وأحرق فى مصر وحدها من الآكلين لبنى آدم رجال كثيرة ، وإن[٢٥٩] الآكلين إذا أحرقوا أصبحوا وقد أكلوا لأنهم يصيرون شواءً ، وأحرقت من النساء الآكلات نحوٌ من ثلاثين امرأة ، وكل امرأة من هؤلاء تقر عندما تؤخذ أنها أكلت جماعة كثيرة . وكان قوم من الفقراء قد آووا قرب الجزيرة وتستروا ببيوت من طين ، فاطلع عليهم وطلب قتلهم ، فهربوا فوجدوا فى بيوتهم من عظام بنى آدم شيئاً كثيراً . وأخبرنى الثقة أنهم وجدوا فى بيوتهم أربع مائة جمجمة ، ثم وجد بعد هذا كثيرٌ من المساتير يأكلون بنى آدم

---

(١) انظر الذيل على الروضتين كما أورد هذا الخبر ، ابن كثير نقلاً عن الذيل على الروضتين ، راجع البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٦ .

للتشهى لا للضرورة ، وأعجبُ ما شاهدتُ من ذلك أن الرعاع والصبيان ظفروا بامرأة قد شوت صغيراً فحملوه على أيديهم فى السوق والمرأة معهم مسحوبة مشجّجة والناس فى غفلة ذاهلون ، وأهل السوق مقبلون على شؤونهم لم أر فيهم مَنْ يتعجب لذلك ولا ينكر عليه ، وما ذلك إلا لشدة أنسهم به وألفتهم لأمثاله وخروجه عندهم عن حد العجب ، وربما نبشوا القبور وأكلوا الموتى الطرية ، وشهد جماعة أنهم عاينوا حمالين الموتى يبيعون الميت بدرهم ودرهمين ونحو ذلك لقوم يتسترون فى المقابر ويختفون فى المغائر ، وأحضر بين يدى الوالى فى بعض الأيام قِدْر كبير وفيها عشرة أيدى مطبوخة كما يفعل بالأكارع من الغنم ، وأحضر يوماً آخر قِدْر فيها عدة رؤوس من بنى آدم مطبوخة بقمح .

وقد شاع ذلك فى جميع بلاد مصر حتى فى الإسكندرية ؛ فإنه من جملة ما روى أنهم وجدوا فيها قدراً فيها خمسة صغار ، وقد ظفر بجماعة فى نواحيها وعندهم من لحوم الآدميين قديد مُدّخر ، وبعضه فى خوابى مملح ، وبعضه طبخ وبعضه طرى .

قال : وقد استفاض بيع الأحرار بالصعيد كما ذكرنا ، ثم إنه سرى إلى مصر والقاهرة وحلب منها خلق عظيم ، امتلأت بهم أسواق النَّخْس تباع الجارية منهم بدينار ونصف وبربع ، ولقد عرضت على جاريتان حسناوتان[1] مراهقتان أحدهما بكر فَسِيمَ فيهما دينار واحد ، وأوسقت بهم المراكب والجمال ، وسار[2] بهم التجار بحراً وبراً إلى الشام وبلاد الروم والإفرنج وغيرها من البلاد المتاخمة .

وأهل المحرّم من سنة ثمان وتسعين وخمسمائة والأمر باق على ما ذكر ، والناس مستمرون على هذه الحالة ، وبالله المستعان .

ومنها وقوع فناء عظيم فى الديار المصرية حتى حكى الشيخ أبو شامة فى الذيل أن السلطان الملك العادل كَفَّنَ من ماله فى مدة يسيرة فى هذه السنة نحواً من مائتى ألف وعشرين ألف ميت ، وكثر موت الفقراء بمصر والقاهرة وسائر النواحى ، وكثرت الطرحاء ، وكان بطرفى القاهرة ميضأتان يحمل إليهما من مات بها ، فكان عدد من أحصى بالميضأتين فى شهر شعبان خاصة ست[3] آلاف وثلثمائة نفس سوى من مات منهم بمصر والجزيرة والجيزة والمَقس والقرافتين والطرقات وسائرِ النواحى ، وسوى من أكلته

(١) «حسنا آن» فى الأصل والصحيح ما أثبتناه .
(٢) «وساروا» فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه .
(٣) «ستة» فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه .

الكلاب والناس ، ومن لم يشعر به فى أصول الحيطان ، وكان فى شهر رمضان نحواً من ذلك ، وفى شوال تسعة آلاف ، وفى ذى القعدة اثنا[1] عشر ألفاً ، وفى ذى الحجة[٢٦٠] نحوٌ منه . وكان ووقوع الموتان فيهم منذ شوال من سنة ست وتسعين وخمسمائة .[2]

وقال ابن كثير : وفى هذه السنة وقع وباء شديد ببلاد عنزة بين الحجاز واليمن ، وكانوا يسكنون فى عشرين قرية ، فبادت ثمانى عشرة قرية لم يبق فيها ديار ولا نافخ نار ، وبقيت أنعامهم وأموالهم لاقانى لها ، ولا يستطيع أحد أن يَسكن تلك [القرى][3] ولا يدخلها بل كان من اقترب إلى شىء من هذه [القرى] هلك من ساعته . وأما القريتان الباقيتان فإنه لم يمت [منهما][4] أحد ولا عندهم شعور بما جرى على ما حولهم من القرى ، بل هم على ما كانوا عليه لم يفقد منهم أحد .

وفى المرآة[5] : وصلى إمام جامع الإسكندرية فى يوم على سبع مائة جنازة . وقال العماد الكاتب : وفى سنة سبع وتسعين وخمسمائة اشتد الغلاء والبلاء وخرج الناس حذر الموت من الديار ، وتفرق فريق مصر فى الأمصار . ولقد رأيت الأرامل على الرمال والجمال باركة تحت الأحمال ومراكب الفرنج واقفة بساحل البحر على اللقم يَسترق الجياع باللقم[6] ، وقالوا : إن الغلاء والفناء [اللذين][7] وقعا فى هذه السنة لم يقعْ مثلهما فى السنين الماضية فى الإسلام إلا ما وقع فى أيام المستنصر العلوى العبيدى .

قال ابن كثير[8] : ونهاية ما بلغ القمح فى هذه السنة أعنى سنة سبع وتسعين وخمسمائة إلى سلخها الإردب بستة دنانير . وقال العز بن تاج الأمناء : كان اشتداد الغلاء والوباء بالديار المصرية بحيث بلغ ثمن الإردب ستة دنانير مصرية ، وخلا أهل الأعمال المصرية عنها فتفرقوا فى البلاد ، وصار إلى بلاد الفرنج منهم جمعٌ حُملوا إلى

---

(١) «اثنى» فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه .
(٢) ورد الخبر بتصرف فى السلوك ، جـ١ ، ق١ ، ص١٨٨ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ٦ ، ص١٧٣-ص١٧٤ .
(٣) «القرايا» كذا فى الأصل ، والتصحيح من البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٦ .
(٤) «فيها» كذا فى الأصل ، والتصحيح من البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٦ .
(٥) نقل العينى هذا الخبر بتصرف من البداية والنهاية ، جـ٣ ، ص٢٦ ، الكامل ، جـ١٢ ، ص٨٠ .
(٦) مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٨ .
(٧) «الذى» كذا فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه .
(٨) ورد هذا الخبر بتصرف فى السلوك ، جـ١ ، ق١ ، ص١٩٠ ، ولم يرد فى سنة ٥٩٧ هـ فى ابن كثير كما ذكر العينى . انظر : البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٦-ص٣٢ .

الجزائر البحرية ، وأقر كثير ممن تفرق فى البلاد الإسلامية بالعبودية لمن يؤويه ويطعمه ، وأشرفت الأعمال المصرية على الخراب الكلى لولا تدارك لطف الله تعالى بما جرى فيها ، والإسعاد بما كان للملك العادل فيها من الغلال التى صرفها فى تقاوى البلاد ومؤن أهلها إعانةً لهم ممن كان مُقراً بها ، وتراجع إليها مَنْ قدر على الرجوع من أهلها .

ومنها من الأمور العجيبة كائنة غريبة جداً وقعت فى اليمن ، وهى أن رجلاً يقال له عبدالله بن حمزة العلوى كان قد تغلب على كثير من بلدان اليمن وجمع نحواً من اثنى عشر ألف فارس ، ومن الرجالة جمعاً كثيراً ، وخافه ملك اليمن المعز إسماعيل بن سيف الإسلام طغتكين بن أيوب ، وغلب على ظنه زوال ملكه على يدى هذا المتغلب ، وأيقن بالهلكة لضعفه عن مقاومته واختلاف أمرائه عليه ، وميلهم إلى هذا العلوى خوفاً منه ، فقصده العلوى المذكور ، فلما كان بينهم مراحل اجتمع خاصة أمرائه معه فى المشورة ، فأرسل الله تعالى صاعقة فنزلت عليهم فلم يبق منهم واحداً ، فاضطرب الجيش فيما بينهم ، وأقبل المعز بعسكره فغشيهم وقتل منهم ستة آلاف قتيل ، واستقر فى ملكه آمناً .(١)

ذكر بقية الحوادث

منها أن الخليفة استناب نصير الدين ناصر بن مهدى فى الوزارة ، وأذن للقاضى ابن الشهرزورى فى الخروج من بغداد .

ومنها أنه حصل فساد الأمراء الصلاحية على الملك العادل ، وكان السبب[٢٦١] فى ذلك أنه لما دخل مصر شدّد عليهم وناقشهم على ما بأيديهم ، فساءت فيه ظنونهم وتغيرت قلوبهم . ثم إن فارس الدين ميمون القصرى عظم عليه استيلاء العادل على ديار مصر وعزل المنصور بن العزيز منها ، وأنكر ذلك ، وكان حينئذ مقيماً بنابلس ، فكتب إلى العادل : إنا إنما دخلنا فى طاعتك ونصرناك على موالينا أولاد الملك الناصر صلاح الدين لأجل الملك العزيز وولده ؛ لكيلا يتطرق إليه ضرر ، ولا يزول عنه ملكه ، ولابد أن نعيده إلى حاله وإلا فسدت بواطن الأجناد ودخل الوهن ، فأجابه العادل جواب مغالط .(٢)

وفيها كان النيل فى نقص عظيم كما ذكرنا .(٣)

---

(١) ابن الساعى ، الجامع المختصر ، جـ٩ ، ص٥٤ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٧ .
(٢) ورد هذا الخبر بتصرف فى السلوك ، جـ١ ، ق١ ، ص١٨٦ .
(٣) النجوم ، جـ٦ ، ص١٧٣ .

وفيها حج بالناس طاشتكين . وكان الخليفة قد حبسه ثم أطلقه ورد إليه إقطاعه وماله .[١]

ذكر من توفى فى هذه السنة من الأعيان

أبو طاهر بركات بن طاهر الخشوعى ، سند الشام ، شارك بن عساكر فى كثير من مشايخه ، وطالت حيوته بعد وفاته بسبع وعشرين سنة ، فألحق الأحفاد بالأجداد .[٢]

توفى فى هذه السنة عمر بن على بن عمر الواعظ الحربى[٣] ، ولد سنة أربع عشرة وخمسمائة ، وسمع الحديث الكثير ، وتوفى فى شوال بالحربية ، ودفن بباب حرب ، وكان بين وفاته وبين وفاة ابن الجوزى شهر ، سمع ابن الحصين ، وقاضى المارستان ، وابن السمرقندى وغيرهم .

قال أبو المظفر السبط : وفيها توفى عمر بن على شيخنا ، وكان صالحاً ثقة ، وأنشدنا لنفسه :

من داوَم العزلة[٤] فى دهره ، كان له تصحيفها دائماً

فجانب الخلق جميعاً «وثق[٥] ، بخالق» الخلق تعش سالما

الشيخ أبو الفرج بن الجوزى ، والكلام فيه على أنواع :

(الأول) فى ترجمته : هو عبدالرحمن بن على بن محمد بن على بن عبيدالله بن حمادى بن أحمد بن محمد بن جعفر بن عبدالله بن عبدالرحمن بن النصر بن القاسم ابن عبدالله بن عبدالرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رضي الله عنه ، أبو الفرج بن أبى الحسن القرشى التيمى .

قال السبط : ورأيت [بخط][٦] ابن دحية المغربى قال : وجعفر هو الجوزى منسوب إلى فرضة من فُرَض البصرة يقال لها جوزة . وقال الجوهرى فُرضة النهر ثلمته التى يُستقى منها ، وفُرضة البحر مَحطّ السُفن ، والجمع : الفِراض .

---

(١) مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٠٩-ص٣١٠ .
(٢) البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٣٢ .
(٣) عمر بن على بن عمر الواعظ الحربى . انظر الجامع المختصر ، جـ٩ ، ص٧٠ .
(٤) فى الأصل «العزّله» والتصحيح من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٢٦ .
(٥) فى سبط ابن الجوزى «وثق وخالف» ، جـ٨ ، ص٣٢٦ .
(٦) فى الأصل «بخطه» وهو خطأ فى النسخ . والمثبت هو الأصح للسياق .

قال السبط : ولد جَدّى ببغداد بدرب حبيب فى سنة عشر وخمسمائة ، وتوفى أبوه وله ثلاث سنين ، وكانت له عمة صالحة ، وكان أهله تجاراً فى النحاس ولهذا رأيت فى بعص سماعاته .

وكتب عبدالرحمن الصَفّار ، فلما ترعرع حملته عمته إلى مسجد أبى الفضل بن ناصر فاعتنى به وأسمعه الحديث ، وقرأ القرآن وتفقه . وقد ذكر من مشايخه فى المشيخة نيفاً وثمانين شيخاً ، وعنى بأمره شيخه ابن الزاغونى وعلمه الوعظ ، واشتغل بفنون العلوم وأخذ اللغة عن أبى منصور الجواليقى ، وصنف الكتب فى فنون ، قيل بلغت مصنفاته نحو ثلثمائة مصنف ، وقال ابن كثير : نحوًا من أربعمائة[١] مصنف على ما نذكره إن شا ءالله . وحضر مجالسه الخلفاء والوزراء والعلماء والأعيان[٢٦٢] وأقل ما كان يحضر مجلسه عشرة آلاف ، وربما حضر عنده مائة ألف ، وأوقع الله له فى القلوب القبول والهيبة ، وكان يجلس بجامع القصر والرصافة والمنصور وباب بدر وتربة الخليفة وغيرها . وقال ابن كثير : وربما تكلم من خاطره على البديهة نظماً ونثراً ، وقد كان فيه تيه[٢] وترفع فى نفسه ويسمو بنفسه أكثر من مقامه ، وذلك ظاهر فى نثره ونظمه فمن ذلك قوله :

ما زلت أدرك ماغلا بل ما علا	وأكابد النهج القويم[٣] الأطولا
وتجر[٤] بى الآمال فى حلباته	جرى السعيد مدى ما أملا[٥]
يقضى بى التوفيق فيه إلى الذى	أعيا[٦] سواى توصلا وتغلغلا
لو كان هذا العلم شخصاً ناطقاً	وسألته هل زُرت مثلى قال لا

(الثانى) فى سيرته : قال ابن كثير : كان صيّنا دينا مجموعاً على نفسه ، لا يخالط أحداً ، ولا يأكل ما فيه شبهة ، ولا يخرج من بيته إلا للجمعة .[٧]

---

(١) فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٨ «ثلاثمائة» .
(٢) فى الأصل «تاه» والصحيح ما أثبتناه أما العبارة فى ابن كثير «كان فيه بهاء وترفع» . . . . . .
(٣) العسير» فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٩ ؛ الجامع المختصر ، جـ٩ ، ص٦٧ .
(٤) «تجرى» فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٩ ؛ الجامع المختصر ، جـ٣ ، ص٦٧ .
(٥) «طلق السعيد جرى أبداً ما أملا» كذا فى الأصل والمثبت من البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٩ .
(٦) «أعمى» كذا فى الأصل والمثبت من البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٩ .
(٧) نقل العينى هذا الخبر بتصرف من البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٩ .

وقال السبط : كان زاهداً فى الدنيا متقللاً منها ، وكان يختم القرآن فى كل سبعة أيام . وما مازح أحداً ، ولا لعب مع صبى ، ولا أكل من جهة لا يتيقن حلّها ، وما زال على ذلك الأسلوب حتى توفاه الله عز وجل . وقد امتحن بما زاحم بها الأنبياء والعلماء والفضلاء والأولياء ، وتلقى ذلك بالصبر والحمد والشكر ، وقد أثنى عليه العلماء ؛ فذكره أبو محمد بن الدبيثى فى «الذيل» الذى ذيله على «ذيل ابن السمعانى» فقال شيخنا الإمام جمال الدين بن الجوزى صاحب التصانيف فى فنون العلوم فى التفاسير والفقه والحديث والتواريخ وغير ذلك : وإليه انتهت معرفة الحديث وعلومه ، والوقوف على صحيحه و [سقيمه][١] ، وله من المصنفات فى المسانيد ، والأبواب ، والرجال ، ومعرفة الأحاديث الواهية والموضوعة ، والانقطاع والاتصال ، وكان من أحسن الناس كلاماً ، وأتمهم نظاماً ، وأعذبهم لساناً ، وأجودهم بياناً . تفقه على أبى بكر الدنيورى ، وقرأ الوعظ على الشريف أبى القاسم العلوى ، وأبى الحسن بن الزاغونى ، وبورك له فى عمره وعلمه ، فروى الكثير وسمع الناس منه أكثر من أربعين سنة ، وحدَّث بمصنفاته مراراً .[٢]

وقال ابن كثير : أحد أفراد العلماء ، برز فى كثير من العلوم ، وجمع المصنفات الكبار والصغار نحواً من [ثلاثمائة[٣]] مصنف ، وكتب بيده نحوا من [مائتى[٤]] مجلدة ، وتفرد بفن الوعظ الذى لم يسبق إلى مثله ، ولا يلحق شأوه [فيه][٥] وفى طريقته وشكله ، [و] فى فصاحته وبلاغته ، وعذوبة لفظه ، وحلاوة ترصيعه ، ونفوذ وعظه ، وغوصه على المعانى البديعة ، وتقريب الأشياء البعيدة الغريبة بما يشاهد من الأمور الحسنة بعبارة وجيزة سريعة [الفهم والإدراك][٦] ، وله فى غيره من العلوم اليد الطولى جداً ، والمشاركات فى سائر أنواع العلوم فى التفسير ، والتاريخ ، والحساب ، والنظر فى النجوم .[٧]

وقال السبط : وسمعته يقول على المنبر فى آخر عمره : كتبت بإصبعىَّ هاتين ألفى مجلدة ، وتاب على يدى مائة ألف ، وأسلم على يدى ألف يهودى ونصرانى .

---

(١) فى الأصل «ومن سقيمه» . والتصحيح من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣١١ .
(٢) نقل العينى هذا الخبر من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣١١ .
(٣) انظر ما سبق حاشية رقم (١) ، ص١٧٢٥ .
(٤) فى الأصل «ألفى» . والمثبت من البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٨ . حيث ينقل عنه العينى .
(٥) ما بين الحاصرتين زيادة من ابن كثير لتوضيح المعنى . انظر : البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٨ .
(٦) ما بين الحاصرتين إضافة من ابن كثير لتوضيح المعنى . انظر : البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٨ .
(٧) نقل العينى هذا الخبر بتصرف من البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٨ .

(الثالث) فى ذكر مصنفاته : التى اشتهرت وعرضت فى فنون العلوم فى علم التفسير كتاب «العين» بخطه أحد وثمانون جزءاً ، إلا أنه لم يُبَيضه ولم يشتهر كتاب «زاد المسير [فى علم التفسير]»[١] أربع مجلدات ، كتاب «التلخيص» مجلد ، كتاب «تذكرة الأديب فى علم الغريب» - مجلدة ، كتاب تيسير البيان فى تفسير القرآن - مجلد ، كتاب ناسخ القرآن ومنسوخه - مجلد ، ومختصره جزء - كتاب فنون الأفنان فى علوم القرآن[٢] مجلد- [٢٦٣] كتاب الوجوه والنظائر مجلد ، ومختصره[٣] مجلد ، كتاب السبعة فى القراءات السبعة أربعة أجزاء ، كتاب الإشارة فى القراءات المختارة جزء ، كتاب تذكرة المتنبه فى عيون المشتبه جزء ، كتاب غريب الحديث أربعة أجزاء ، فذلك خمسة عشر كتاباً ، وفى علم الحديث كتاب جامع المسانيد [بالحصى الأسانيد][٤] سبع مجلدات ، كتاب غرز الأثر خمس مجلدات ، كتاب الكشف عن معانى الصحيحين أربع مجلدات ، كتاب غريب الحديث مجلدان ، كتاب الحدائق مجلدان ، كتاب الضعفاء والمتروكين مجلدان ، كتاب الصلف فى المؤتلف والمختلف مجلدان ، كتاب العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية مجلدان ، كتاب الموضوعات مجلدان ، كتاب الخطأ والصواب من أحاديث الشهاب مجلدان ، كتاب تلقيح فهوم أهل الأثر فى علم التواريخ والسير مجلد ، كتاب الفوائد المنتقاة مجلدان ومختصره مجلد ، كتاب نفى النقل ستة وخمسون جزءاً مجلدة ، كتاب ناسخ الحديث ومنسوخه مجلدة ومختصره جزء ، كتاب أسود الغابة فى معرفة الصحابة مجلدة ، كتاب النقاب عن الأسماء والألقاب مجلد ، كتاب المحتسب فى النسب مجلد ، كتاب المديح مجلد ، كتاب السلسلات مجلد ، كتاب أخاير الذخائر مجلد ، كتاب المجتبى مجلد ، كتاب المشيخة جزءان ، كتاب روضة النائل جزء ، كتاب تنوير السدف فى المؤتلف والمختلف جزء ، كتاب آفة أصحاب الحديث جزء ، كتاب المغلق أربعة أجزاء ، فذلك ثمانية وعشرون كتاباً ، وفى علم التواريخ كتاب المنتظم فى تواريخ الملوك والأمم عشر مجلدات ، كتاب سلوة المحزون مجلدان ، كتاب مناقب بغداد مجلد ، كتاب المجد العضدى مجلد ، كتاب الطرائف مجلد ، كتاب المفاخر فى أيام الناصر مجلد ، كتاب شذور العقود مجلد ، كتاب المصباح المضىء بفضائل المستضىء

---

(١) ما بين حاصرتين إضافة من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣١٢ ؛ الزركلى : كشف الظنون ، جـ٢ ، ص٩٤٧ ، ط١٩٤٣ .
(٢) حاجى خليفة : كشف الظنون ، جـ٢ ، ١٢٩٢ .
(٣) حاجى خليفة : كشف الظنون ، جـ٢ ، ٢٠٠١ .
(٤) ما بين حاصرتين إضافة من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣١٢ ؛ كشف الظنون جـ٥ ، ص٥٢١ .

مجلد ، كتاب الأعاصر فى ذكر الإمام الناصر مجلد ، كتاب الفخر النورى مجلد ، كتاب المجد الصلاحى مجلد ، فذلك اثنا عشر كتاباً .

وفى علم العربية : كتاب فضائل العرب مجلد ، وكتاب الأمثال مجلد ، كتاب تقويم اللسان جزءان ، كتاب ملح الأعاريب جزءان ، كتاب فتوى فقيه العرب جزء ، كتاب نزهة أهل الأدب جزء ، كتاب المألوف [دون الغريب](١) جزء ، فذلك تسعة كتب .

وفى علم الأصول : كتاب منهاج الوصول إلى علم الأصول مجلد ، كتاب دفع التشبيه بألف التنزيه أربعة أجزاء ، كتاب البدائع الدالة على وجود الصائغ أربعة أجزاء ، كتاب منتقد المعتقد جزء ، كتاب شرف الإسلام جزء ، كتاب ما لا يسع الإنسان جهله جزء ، كتاب السر المصون والغوامض ، وشفاء علل الأمراض ، ومسلك العقلاء ، ومنهاج أهل الإصابة فى محبة القرابة والصحابة كل واحد جزء جزء ، فذلك اثنا عشر كتاباً .

وفى علم الفقه : كتاب المُذهب فى المذهب جزءان ، كتاب التحقيق فى أحاديث التعليق مجلدان ، كتاب الدلائل فى مشهور المسائل مجلدان ، كتاب مسبوك الذهب مجلد ، كتاب التلخيص مجلد ، كتاب البلغة مجلد ، كتاب الأنصاف فى مسائل الخلاف ، كتاب البازى الأشهب مجلد ، كتاب لفظه[٢٦٤] العجلان مجلد ، كتاب كشف الظلمة عن الضياء فى الرد على الكيا مجلد ، كتاب تهيئة العمل فى الجدل ثلاثة أجزاء ، كتاب در اللوم والضيم فى تحريم الصوم يوم الغيم جزء ، كتاب مناسك الحج جزء ، كتاب تعظيم الفتوى جزء ، كتاب الرد على القائلين بجواز المتعة جزء ، كتاب المسائل المفردة جزء ، كتاب العدة فى أصول الفقه جزء ، كتاب الفرائض للوازم الفقيه جزء ، فذلك عشرون كتاباً .

وفى المناقب : كتاب الوفا فى فضائل المصطفى مجلدان ، كتاب مناقب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - مجلد ، كتاب مناقب عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - مجلد ، كتاب مناقب ابن المسيب مجلد ، كتاب مناقب الحسن البصرى - رحمه الله - مجلد ، كتاب مناقب سفيان الثورى مجلد ، كتاب مناقب إبراهيم بن أدهم مجلد ، كتاب مناقب الفضيل بن عياض مجلد ، كتاب مناقب بشر الحافى مجلد ، كتاب مناقب أحمد بن حنبل مجلد ، كتاب شرف أصحاب الحديث مجلد ، كتاب فضائل معروف الكرخى

(١) ما بين حاصرتين إضافة من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣١٣ .

جزءان ، كتاب مناقب رابعة - رضى الله عنها - جزءان ، كتاب فضائل الفقه جزء ، كتاب فضائل القدس جزء ، كتاب فضائل ليلة الجمعة جزء ، كتاب النساء مجلد ، كتاب تقريب الطريق الأبعد بفضل مغفرة أحمد[1] جزءان ، كتاب تنوير العبّش فى فضل السود والحبش مجلد ، كتاب قيام الليلة ثلاثة أجزاء ، كتاب الستر الرفيع جزء ، كتاب أسرار الموالى جزء ، كتاب مناجزة العمر جزء ، فذلك ثلاثة وعشرون كتاباً .

وفى الرقائق : كتاب صفوة الصفوة أربع مجلدات ، كتاب عيون الحكايات مجلدان ، كتاب ملتقط الحكايات مجلد ، كتاب أسباب الهداية مجلد ، وصولة العقل مجلد ، والعزلة جزء ، والصلوات والأدعية جزء ، والبر والصلة جزء ، والأنس والمحبة جزء ، والوصية جزء ، وذم الحسد جزء ، والرياضة جزء ، وذم المسكر جزء ، والمحاضرات جزء ، فذلك أربعة عشر كتاباً .

وفى الرياضيات : كتاب ذم الهوى مجلدان ، كتاب صيد المخاطر ثلاث مجلدات ، كتاب القصاص مجلد ، كتاب مثير العزم الساكن مجلد ، كتاب الأذكياء مجلد ، كتاب المصلين مجلد ، كتاب المختار من كلام ابن العقيل ثلاث مجلدات ، كتاب الحفاظ مجلد ، كتاب الآثار العلوية مجلد ، كتاب الظراف والمتماجنين مجلد ، كتاب السهم المصيب جزءان ، كتاب عجالة المنتظر فى الحضر جزءان ، كتاب الثبات عند الممات جزءان ، كتاب أعمار الأعيان جزءان ، كتاب الطب الروحانى جزءان ، كتاب عطف الأمراء على العلماء جزءان ، كتاب فتوح الفتوح ثلاثة أجزاء ، كتاب إعلام الأحياء بأغلاط الأحياء جزءان ، كتاب الحث على طلب العلم مجلد ، كتاب فى الحلاج ، وتنبيه النائم ، العمر على مواسم العمر ، والحث على طلب الأولاد ، والوداع والمقاسم لأبى القاسم ، والمستدرك على ابن عقيل ، ولعنة الكند ، والنصر على مصر ، والعبيده[2] والعبيد ، والعطف والأخذ على ابن نباته . هذه كلها جزء جزء ، فذلك اثنان وثلاثون مصنفاً .

وفى علم الطب : كتاب لقط المنافع مجلدان ، ومختصره فى جزءان ، كتاب الشيب والخضاب مجلد ، كتاب الحقير النافع جزءان ، وطب الأسباخ جزء ، والباه جزء ، فذلك ستة كتب .

---

(١) مغفرة أحمد : كشف الظنون جـ٥ ، ص٥٢١ .

(٢) هكذا فى الأصل وفى مرآة الزمان . وهى غير مقروءة ، جـ٨/٣١٥ .

وفى الأشعار : كتاب أحكام الأشعار بإحكام الأشعار مجلدان ، والمختار من الأشعار[٢٦٥] عشر مجلدات .

وفى الوعظ : كتاب التبصرة ثلاث مجلدات ، كتاب المنتخب مجلدان ، كتاب المنتجب مجلد ، كتاب الذخيرة ثلاثون جزءاً ، كتاب المستنجد والمستنجد مجلدان ، كتاب روس القوارير مجلدان ، كتاب الدين من روس القوارير مجلد ، كتاب المُدهش مجلد ، كتاب مواقف المرافق مجلد ، كتاب المقتبس مجلد ، كتاب نسيم الرياض مجلد ، كتاب محض المحض مجلد ، كتاب منتهى المشتهى مجلد ، كتاب المرتجل مجلد ، كتاب زين القصص مجلدان ، كتاب اللطائف مجلد ، كتاب اللطف مجلد ، كتاب الوعظ النفيس مجلد ، كتاب النور مجلد ، كتاب المقامات مجلد ، كتاب مجالس اليوسيفيه مجلد ، كتاب احتباس المجالس مجلد ، كتاب المقعد المقيم مجلد ، كتاب شاهد ومشهود مجلد ، كتاب الأرواح أربعة أجزاء ، كتاب نسيم السحر ثلاثة أجزاء ، كتاب صبا نجد جزءان ، كتاب الملهب جزءان ، كتاب الزند المورى فى الوعظ الناصرى ثلاثة أجزاء ، كتاب المعلق ثلاثة أجزاء ، كتاب الفصول الوعظية على حروف المعجم ثلاثة أجزاء ، كتاب مغانى المعانى ثلاثة أجزاء ، كتاب الوعظ العنوى جزءان ، كتاب لقط[1] الجمان جزءان ، كتاب زاهر الجواهر[2] أربعة أجزاء ، كتاب الخواتيم جزءان ، كتاب المجالس البدرية أربعة أجزاء ، كتاب اليواقيت فى الخطب جزءان ، كتاب اللآلى فى الخطب جزءان ، كتاب المقتضب جزءان ، كتاب شعب اللمع فى خطب الجمع ثلاثة أجزاء ، كتاب إيقاظ الوسنان فى الرقدات بأحوال الحيوان والنبات والزهر المحوف والطرب والوعظ الملوكى جزءان ، وأغانى مغانى المعانى ، والمواعظ السلجوقية ، ومختصر لقط الجمان ، وواسطات العقود ، والمحادثة والمناجاة ، واللؤلؤة والملح والياقوتة ، والتصديقات لرمضان ، وكنز المذكر ، والتعازى الملوكية ، وروح الروح ، والمقاطع ، وكنوز الرموز ، كل واحد من هذه فى جزء جزء ، فذلك نيف وستون كتاباً ، ومجموعاته يعنى مجموعات تصانيفه مائتان ونيف وخمسون كتاباً .

(الرابع) فيما جرى فى مجالسه من النوادر المستطرفة والجوابات المستملحة : ومن ذلك قال يوماً فى مجلس وعظه : الدنيا نهر طالوت فاعبروها ولا تعمروها ، فقام سائل

---

(١) لقط الجمان : كشف الظنون جـ٥ ، ص٥٢٢ .

(٢) زاهر الجواهر : كشف الظنون جـ٥ ، ص٥٢١ .

فقال : كيف أصنع وحبها مجبول[١] فى طباعى فى يوم زين للناس حب الشهوات؟ فقال الشيخ : إلا من اغترف معى قطرة من القطرات ، وقال : والله ما اجتمع لأحد أمله إلا سعى فى تفريقه أجله ، وقال : عقارب المنايا تلسع وخدران جسم الأمل يمنع الإحساس ، وقال : الرواحل فى ضى المراحل والأنام نيام ، وقال : ماء الحياة فى أناء العمر ترشح بالأنفاس .[٢]

وقرأ بين يديه قارىء حسن الصوت فأطرب الجماعة ، ثم قرأ بعده آخر مزعج الصوت فنغص الجماعة ، فقال الشيخ : كان لبعضهم جاريتان مغنيتان إحداهما تغنى طيباً والأخرى مزعجاً ، فكان إذا غنت الطيبة الصوت يمزق ثيابه ، وإذا غنت القبيحة الصوت يقعد يخيط ما مزّق . قال السبط : حضر مجلسى بجامع دمشق فى سنة عشر وخمسمائة القضاة والأشراف والأعيان ، والملك المعظم عيسى - رحمه الله - وشيوخنا جمال الدين الخضرى ، وتاج الدين الكندى ، والقاضى شمس الدين[٢٦٦] بن سنا الدولة ، وكان مجلساً عظيماً احتوى على عشرة آلاف وزيادة على باب مشهد على (رضي الله عنه) . وكان بدمشق قارئان أحدهما يقال له النجيب البغدادى صوته طيب ، والاخر يقال له الشرف بن محى صوته مزعج ، فكان النجيب إذا قرأ طربنا ، وابن محى إذا قرأ تنغصنا ، فحكت الجماعة حكاية الجاريتين المغنيتين ، وكان تاج الدين [الكندى][٣] قاعداً فى القمة التى فى وسط المجلس فصاح : يا ابنى كلنا اليوم نخيط ، وقال رجل لابن الجوزى : إن فلاناً أوصى عند الموت فقال : طين سطوحه فى كانون . وقال له قائل : أنا أفضل أسبح وأستغفر . فقال : الثياب الوسخة أحوج إلى الصابون من البخور . وقال : من قنع طاب عيشه ، ومن طمع طال طيشه . وقال : الطاعة تبسط اللسان والمعاصى تذل الإنسان . ووعظ الخليفة يوماً وقال : يا أمير المؤمنين إن تكلمت خفت منك ، وإن سكت خفت عليك ، فأنا أقدم خوفى عليك على خوفى منك لمحبتى لدوام أيامك ، إن قول القائل : اتق الله خير من قول القائل : إنكم أهل بيت مغفور لكم . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه - يقول : إذا بلغنى عن عامل ظالم أنه قد ظلم الرعية ولم أغيره فأنا الظالم يا أمير المؤمنين . كان يوسف عليه السلام لايشبع فى زمان القحط لئلا ينسى الجياع ، وكان عمر- رضي الله عنه - يضرب

(١) «مطبوع» فى مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣١٦ .
(٢) نقل العينى هذا الخبر بتصرف من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣١٢-٣١٦ .
(٣) ما بين حاصرتين إضافة من سبط ابن الجوزى لتوضيح الخبر ، مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣١٧ .

بطنه عام الرمادة ويقول : قرقر أو لا تقرقر ، فوالله لا شبعت والمسلمون جياع . فتصدق الخليفة ، وكان المستضىء يتصدق بصدقات كثيرة ويشبع الجياع ويطلق الحبوس .(١)

قال ابن خلكان : فى مجالس وعظة أجوبة نادرة ، فمن أحسن ما يحكى عنه ، أنه وقع النزاع ببغداد بين أهل السُنة والشيعة فى المفاضلة(٢) بين أبى بكر وعلى- رضى الله عنهما- فرضى الكل بما يجيب به الشيخ أبو الفرج ، فأقاما شخصاً وسأله عن ذلك وهو على الكرسى فى مجلس وعظه ، فقال : أفضلهما من كانت ابنته تحته ، ونزل فى الحال حتى لا يراجع فى ذلك ، فقالت السنة [هو](٣) أبو بكر -رضي الله عنه- فإن ابنته عائشة -رضى الله عنها- تحت رسول الله(ﷺ) . وقالت الشيعة : هو على -رضي الله عنه- لأن فاطمة ابنة رسول الله -عليه السلام- تحته ، وهذا من لطائف الأجوبة(٤) ، وقال فى قصة الذين عبدوا العجل : لو أن الله خاذلهم ، ما خاذلهم ، وما يعبد العجل إلا الثور . وقال يوماً وقد طرب أهل المجلس : فَهِمْتم فهمتم .(٥) وقال : قال جبريل للرسول ، عليهما السلام : سلم على عائشة ، ولم يواجهها بالخطاب احتراماً لزوجها ، وواجه مريم لأنه ما كان لها زوج ، فمن يحترمها جبريل -عليه السلام- كيف يجوز فى حقها الأباطيل؟!

وسئل عن لعنة يزيد بن معاوية ، فقال : قد أجاز أحمد بن حنبل لعنته ، ونحن نقول : ما نحبه لما فعل بابن بنت نبينا عليه السلام ، وحمله آل رسول الله-عليه السلام- سبايا إلى الشام على أقتاب الجمال ، وتجرئه على الله ورسوله ، فإن رضيتم بهذه المصالحة فى قولنا ما نحبه ، وإلا رجعنا إلى أصل الدعوى ، يعنى جواز لعنته . ثم قال : أما أبوه ففى خفارة الصحبة فدعوه من أيديكم ، وأنتم فى حل من الابن .(٦) وذكر يوماً حديث داود-عليه السلام- ووهبه آدم له من عمره ستين سنة . وأن الله أتم لداود مائة ، ولآدم عليه السلام ألفا ، ثم قال : المتوسط بين اثنين ، إذا كان كريماً غُرِم . وله أشعار كثيرة(٧) قيل : إنها نحو عشر[٢٦٧] مجلدات فمن الأشعار المنسوبة إليه قوله :

---

(١) نقل العينى هذا الخبر بتصرف من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣١٧- ٣١٨ .
(٢) الفاضليه فى الأصل وما أثبتناه من ابن خلكان حيث ينقل عنه ، وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص١٤١ .
(٣) ما بين حاصرتين إضافة من ابن خلكان لتوضيح الخبر ، وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص١٤١ . .
(٤) إلى هنا توقف العينى عن النقل من وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص١٤١ ، ص١٤٢ .
(٥) نقل العينى هذا الخبر من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣١٩ .
(٦) الذيل على الروضتين ، ص٢٣ ؛ مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٢٣١ .
(٧) القصد هنا أشعار أبو الفرج بن الجوزى .

يا صاحبى إن كنت لى أو معى — فعج على وادى الحمى نرتع
وسل عن الوادى وسُكانه — وأنشِد فؤادى من زبى المجمع
حى كُثيب الرمل رمل الحمى — وقف وسلم لى على لعلع
واسمع حديثاً قد روته الصَّبا — تَسنُده عن بانه الأجرع
وابك فما فى العين من فضلة — وَنب فدتك النفس عن مدمعى
وانزل على الشيخ بواديهم — وقل ديار الظاعنين اسمعى
رفقاً بنضو قد براه الأسى — يا عاذلى لو كان قلبى معى
لهفى على طول[1] ليال خلت — عودى تعودى مدنفاً قد نعى
إذا تذكرت زماناً مضى — فويح أجفانى من أدمعى[2]
يا نفس كم أتلو حديث المنى — ضاع زمانى بالمنى فاقطعى

ومن أشعاره :

تملكوا واحتكموا وصار قلبى لهم — تصرفوا فى ملكهم فلا يقال ظلموا
إن واصلوا مجيهم أو قطعوا فهم هم — أصبر لما شاؤا وإن شاء الذى حكموا[3]
يا أرض سِلْع[4] خبرى وحدثينى عنهم — يا ليت شعرى اذغدوا انجدوا أم اتهموا

تشتاقهم أرض منى وتشكيهم زمزمُ[5]

(الخامس) فى وفاته : توفى ليلة الجمعة بين العشاءين ثانى عشر شهر رمضان ، فى سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، وله سبع وثمانون سنة ، وحملت[6] جنازته على رؤوس الناس ، ودفن بباب حرب عند أبيه بالقرب من قبر الإمام أحمد - رضي الله عنه - وكان يوماً

(١) «طيب» فى الذيل على الروضتين ، ص٢٤ .
(٢) «مدمعى» فى الذيل على الروضتين ، ص٢٤ .
(٣) ورد نص البيت هكذا فى أبى شامة :
«اصبر على ما شاءوا — شاء الذى قد حكموا
انظر الذيل على الروضتين ، ص٢٤ .
(٤) أرض سلع : واد فى ديار باهلة ، وهناك سلع الكلدية وهو واد أو جبل . معجم البلدان ، جـ٣ ، ص٢٣٧ . طبعة بيروت (بدون) .
(٥) ورد نص البيت هكذا فى أبى شامة :
«تشتاقهم أرض منى ومكه وزمزم»
انظر ، الذيل على الروضتين ، ص٢٥ .
(٦) «وحمل» كذا فى الأصل والمثبت عن البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٩ .

مشهوداً حتى قيل : إنه أفطر جماعة من الناس بسبب شدة الحر وكثرة الزحام[١] وقال : السبط : جلس جدى يوم السبت سابع شهر رمضان تحت تربة الخليفة المجاورة لمعروف الكرخى ، وكنت حاضراً ، فأنشد أبياتاً قطع عليها المجلس ولكن :

الله أســـأل أن يطول مـــدتى وأطال بالإنعـام مـا فى نيـتى[٢]

من أبيات ونزل عن المنبر فمرض خمسة[٣] أيام وتوفى ليلة الجمعة المذكورة فى داره بقطعنا ، وحضر غسله شيخنا ضياء الدين بن سكنه ، وضياء الدين بن الخبير وقت السحر ، فاجتمع أهل بغداد ، وغلقت الأسواق ، وجاء أهل المحال وشددنا التابوت بالحبال ، وسلمناه إليهم فذهبوا به إلى تحت التربة مكان جلوسه ، فصلى عليه ابنه أبو القاسم على اتفاقاً لأن الأعيان لم يقدروا على الوصول إليه ، ثم ذهبوا به إلى جامع المنصور فصلوا عليه ، وضاق بالناس وكان يوماً مشهوداً[٤] ، ونزل فى الحفرة والمؤذن يقول : الله أكبر . وحزن الناس عليه حزناً كبيراً ، وبكوا بكاءً شديداً ، وباتوا عند قبره طول شهر رمضان يختمون الختمات بالشموع والقناديل والجماعة ، وزاره فى تلك الليلة رجل من أهل الحربية محدث اسمه أحمد بن سليمان ويلقب بالسكر ، فرآه فى منامه ، وهو على منبر من ياقوت مرصع بالجواهر وهو جالس فى مقعد صدق ، والملائكة جلوس بين يديه ، والحق سبحانه وتعالى حاضر يسمع كلامه ، قال : وأصبحنا يوم السبت[٢٦٨] وعملنا عزاء وتكلمت فيه ، وحضر خلق عظيم ، وقام الناصر العلوى الموسوى من مشهد موسى بن جعفر -رضى الله عنهما- فأنشد :

الدهر عن طمع يغـــر ويخـــدع وزخـارف الدنيـا الدنيـة تُطمع
وأعنة الآمـال يطلقـهـا الرجـا طمـعـاً وأسـيـاف المنيـة تُقطع
والمـرء مع علم بهـا متـشـوف أبداً إلى نيل المُنى مُـــتطلع
يا لاهيــاً أمن الحـــوادث غِـرة تعـدو بصـفـو زمـانه تتـمـتع

---

(١) نقل العينى هذا الخبر بتصرف من البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٣٠ .

(٢) «الله أسأل أن تَطُول مدتى ولطال بالإنعام ما فى نيتى»
كذا فى الأصل والتصحيح من سبط ابن الجوزى حيث ينقل عنه ، العينى عنه . انظر مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٤٣ ، وقد ورد هذا البيت فى الذيل على الروضتين مع اختلاف فى بعض الألفاظ ، انظر أبى شامة ، الذيل ، ص٢٥ .

(٣) ذكر أنه توفى بعد خمسة أيام إلا أن هذا ليس بالشيء الذى يوافق الواقع أو أن عدد الأيام ستة .

(٤) إلى هنا توقف العينى عن النقل من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٢٤ .

ألست يا مغرور يا ثقة الردى … أأمنت من حدثانه ما تفزع؟
والموت آت والحياة مريرة … والناس بعضهم لبعض تتبع
وأخو البصيرة من لخير زارع … والمرء يحصد فى غدٍ ما يزرعُ
واعلم بأنك عن قليل صائرٌ … خبراً فكن خبراً لخير تسمع[١]
لعلا أبى الفرج الذى بعد التقى … والعلم يوم حَواه هذا المضجع

من أبيات ومنها :

قد كنت كهفاً للشريعة والهدى … خيراً بأنوار الهداية تلمع
يا قبره جازتك كل غمامة هطالة … رَكانة لا تقلع

الأبيات . قال السبط : وأوصى جدى أن يكتب على قبره :

يا كثير العفو عمن … كثر الذنوب لديه
جاءك المُذنُب يرجو … الصفح عن جرم يديه
أنا ضيف وجزاء … الضيف إحسانُ إليه

وكان له من الأولاد الذكور ثلاثة : عبدالعزيز وهو أول أولاده وكنيته أبو بكر ، تفقه على مذهب أحمد ، وسمع أبا الوقت وابن ناصر وآخرين من مشايخ والده ، وسافر إلى الموصل ووعظ وحصل له القبول التام . فيقال : إن بنى الشهرزورى حسدوه فدسوا إليه من سقاه السم ، فمات شاباً بالموصل سنة أربع وخمسين وخمسمائة[٢] .

(والثانى) أبو القاسم على وقد كتب كثيراً وسمع الحديث ، وهو الذى أظهر مصنفات والده وباعها بيع العبيد ، ولما مضى أبوه إلى واسط كانت كتبه فى داره بدرب دينار[٣] ، فتحيل عليها بالليل والنهار حتى أخذ منها ما أراد وباعها ولا بثمن المداد . وكان أبوه قد هجره مدة سنين ، وتوفى فى سنة ثلاثين وستمائة ، وله ثمانون سنة .

---

(١) وردت هذه الأبيات فى مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٢٤ .

(٢) نقل العينى هذا الحدث بتصرف من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٢٥ .

(٣) درب دينار : من دروب باب الجابية بدمشق . انظر : تاريخ دمشق ، ص٥٩ ، المجلدة الثانية ، ق١ (خطط دمشق) .

(والثالث) أبو محمد يوسف ولقبه محيى الدين ولد فى سنة ثمانين وخمسمائة ، وسمع الحديث الكثير وتفقه وناظر ، ونشأ على الطريق الرشيدة والخلائق الحميدة ، وهو كان السبب فى خلاص والده من واسط ، ووعظ بعد وفاة أبيه تحت تربة والدة [الخليفة][1] وقامت بأمره أحسن قيام ، وولى حسبة بغداد ، وسلك طريق العقل والسداد ، وترسل عن الخلفاء إلى الملوك وتقلبت به الأحوال إلى سنة أربعين إلى أن ولى أستاذ دارته الإمام المعتصم بالله أمير المؤمنين وأول ترسله عن الملك الظاهر فى سنة ثلاث وعشرين وستمائة إلى أولاد العادل : الأشرف ، والمعظم ، والكامل ، وآخر ما انفصل عن الشام فى سنة خمس وثلاثين وستمائة إلى بغداد .

وفى تلك السنة توفى صاحب الروم ، والكامل ، والأشرف ، وكان للشيخ أبى الفرج عدة بنات منهن : والدة أبى المظفر صاحب مرآة الزمان واسمها رابعة ، وشرف النساء ، وزينب ، وجوهرة ، وست العلماء الكبرى ، وست العلماء الصغرى ، وكلهن[٢٦٩] سمعن الحديث من والدهن أبى الفرج وغيره .[2]

العماد الكاتب : أبو عبدالله محمد بن صفى الدين أبى الفرج محمد بن نفيس الدين ، أبو الرجاء حامد بن محمد بن عبدالله بن على بن محمود بن هبة الله ، المعروف بأَلُهْ الملقب عماد الدين الكاتب الأصفهانى ، المعروف بابن أخى العزيز[3] ، وكان فقيهاً شافعى المذهب ، تفقه بالمدرسة النظامية زماناً ، وأتقن الخلاف وفنون الأدب ، وله من الشعر والرسائل ما يغنى عن الإطالة فى شرحه ، وكان قد نشأ بأصبهان ، وقدم بغداد فى حداثته ، وتفقه على الشيخ أبى منصور سعيد بن محمد بن الرزاز ، مدرس النظامية ، وسمع بها الحديث من بنى[4] أبى الحسن على بن هبة الله بن عبدالسلام ، وأبى منصور محمد بن عبدالملك بن جيرون ، وأبى المكارم المبارك بن على السمرقندى ، وأبى بكر أحمد بن على بن الأشقر ، وغيرهم ، وأقام بها مدة .

---

(١) ما بين حاصرتين إضافة من أبى شامة لاستقامة المعنى . الذيل على الروضتين ، ص٢٦ .

(٢) نقل العينى هذا الخبر بتصرف من سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٢٥-٣٢٦ .

(٣) وفيات الأعيان ، جـ٥ ، ص١٤٧ ، ص١٥٢ .

(٤) ذكر ابن خلكان أن العماد الكاتب سمع الحديث من الشيخ أبى الحسن على بن هبة الله بن عبد السلام وليس من بنيه . انظر ، وفيات الأعيان ، جـ٥ ، ص١٤٨ .

ولما تخرج ومهر تعلق بالوزير عون الدين يحيى بن هبيرة ببغداد ، فولاه النظر بالبصرة ، ثم بواسط ، ولم يزل ماشى الحال مدة حيوته ، فلما توفى تشتت شمل أتباعه والمنتسبين إليه ، ونال المكروه [بعضهم][1] وأقام العماد مدة فى عيش منكر ، وجفن مسهد ، ثم انتقل إلى مدينة دمشق فوصلها فى شعبان سنة اثنتين وستين وخمسمائة ، وسلطانها يومئذ الملك العادل نور الدين محمود الشهيد ، وحاكمها ومتولى أمورها ومدبر دولتها القاضى كمال الدين أبو الفضل محمد بن الشهرزورى ، فتعرف به وحضر مجالسه ، وذكر لديه مسألة فى الخلاف ، وعرفه الأمير الكبير نجم الدين أيوب والد السلطان صلاح الدين يوسف ، وكان يعرف عمه العزيز من قلعة تكريت ، فأحسن إليه وأكرمه وميزه عند الأعيان والأماثل ، وعرَفه السلطان صلاح الدين من جهة والده ، ومدحه فى ذلك الوقت بدمشق ، وذكر العماد ذلك فى كتابه «البرق الشامى» وأورد القصيدة التى مدحه بها يومئذ ، ثم إن القاضى كمال الدين نوّه بذكره عند السلطان نور الدين الشهيد ، وعدد عليه فضائله ، وأهله لكتابة الإنشاء . قال العماد : فبقيت متحيراً فى الدخول فيما ليس من شأنى ولا وظيفتى ، ولا تقدمت لى به دربة[2] ، ولقد كانت مواد هذه الصناعة عقيدة[3] عنده لكنه لم يكن قد مارسها ، فجبن عنها فى الابتداء ، فلما باشرها هانت عليه وأجاد فيها وأتى فيها بالغرائب ، وكان ينشىء الرسائل باللغة العجمية أيضاً ، وحصل بينه وبين صلاح الدين فى تلك المدة مودة أكيدة ، وامتزاج تام ، وعلت منزلته عند نور الدين - رحمه الله- وصار صاحب سره ، وسيّره إلى بغداد رسولاً فى أيام المستنجد ، ولما عاد فوض إليه تدريس المدرسة المعروفة بدمشق بالعمادية ، وذلك فى رجب سنة سبع وستين وخمسمائة ، ثم رتبه فى أشراف الديوان فى سنة ثمان وستين ، ولم يزل مستقيم الحال رضىّ البال إلى أن توفى نور الدين الشهيد ، وقام ولده الملك الصالح مقامه ، وكان صغيراً ، فاستولى عليه جماعة كانوا يكرهون العماد ، فضايقوه وأخافوه إلى أن ترك جميع ما هو فيه ، وسافر قاصداً بغداد فوصل إلى الموصل ، ومرض بها مرضاً شديداً .

---

(١) ما بين حاصرتين إضافة من وفيات الأعيان ، جـ٥ ، ص١٤٨ ، لتوضيح المعنى .

(٢) دربة : الدربة عادة وجراءة على الحرب . انظر الرازى ، مختار الصحاح ، ص٢٠١-٢٠٢ .

(٣) «عقيدة» كذا فى الأصل والتصحيح من وفيات الأعيان ، جـ٥ ، ص١٤٨ ، حيث يتسق مع السياق .

ثم بلغه خروج السلطان صلاح الدين يوسف من الديار المصرية لأخذ دمشق ، فانثنى عزمه عن قصد العراق ، وعزم على العود إلى الشام ، وخرج من الموصل رابع جمادى الأولى سنة سبعين وخمسمائة ، وسلك[٢٧٠] طريق البرية ، فدخل دمشق ثامن جمادى الآخرة ، وصلاح الدين يومئذ نازل على حلب ، ثم قصد خدمته وقد تسلم قلعة حمص فى شعبان من السنة المذكورة ، فحضر بين يديه ، وأنشد قصيدته أطال فيها ، ثم لزم الباب ، فرحل لرحيل السلطان ، وينزل لنزوله ، واستمر على عطلته مُديدة ، وهو يغشى مجالس السلطان ، وينشده فى كل وقت ، ويعرض بصحبته القديمة ، ولم يزل على ذلك حتى نظمه فى سلك جماعته واستكتبه واعتمد عليه وقرب منه ، وصار من جملة الصدور المعدودين ، الأماثل المشهورين ، يضاهى الوزراء ، ويجرى فى مضامرهم . وكان القاضى الفاضل فى أكثر الأوقات ينقطع عن خدمة السلطان ، ويتوفر على مصالح الديار المصرية ، وكان العماد يلازم الباب بالشام وغيره ، وهو صاحب السر المكتوم ، وصنف التصانيف النافعة من ذلك : كتاب «خريدة القصر وجريدة العصر» ، جعله ذيلاً على «زينة الدهر» تأليف «أبى المعالى سعد بن على الوراق الخطيرى» والخطيرى جعله ذيلاً على دمية القصر وعصره أهل العصر» للباخرزى ، جعله ذيلاً على «يتيمة الدهر للثعالبى ، والثعالبى جعل كتابه ذيلاً على كتاب «البارع» لهارون بن على المنجم . وقد ذكر العماد الشعراء الذين كانوا بعد المائة الخامسة إلى سنة اثنتين [وسبعين](١) وخمسمائة ، وجمع شعراء العراق والعجم والشام والجزيرة ومصر والمغرب ولم يترك إلا النادر الخامل ، وأحسن فى هذا الكتاب وهو فى عشر مجلدات ، وصنف كتاب «البرق الشامى» فى سبع مجلدات ، وهو مجموع تاريخ ، وبدأ فيه بذكر نفسه وصورة انتقاله من العراق إلى الشام ، وما جرى له فى خدمة السلطان نور الدين محمود بن زنكى ، وكيفية تعلقه بخدمة السلطان صلاح الدين يوسف ، وذكر شىء من الفتوحات بالشام ، وهو من الكتب الممتعة ، وإنما سماه البرق الشامى لأنه شبه أوقاته فى تلك الأيام بالبرق الخاطف ؛ لطيبها وسرعة انقضائها ، وصنف كتاب «الفتح القسى فى الفتح القدسى» فى مجلدين يتضمن كيفية فتح البيت المقدس ، وصنف كتاب «السيل على الذيل» جعله ذيلاً على الذيل لابن السمعانى الذى ذيل به «تاريخ بغداد» تأليف الخطيب البغدادى الحافظ ،

---

(١) ما بين حاصرتين إضافة من وفيات الأعيان ، جـ٥ ، ص١٥٠ .

وصنف كتاب «نصرة الفطرة وعصرة الفطرة فى أخبار الدولة السلجوقية» وله ديوان رسائل وديوان شعر فى أربع مجلدات ، ونفسه فى قصائده طويل ، له ديوان صغير جمعه دوبيت .

وكان بينه وبين القاضى الفاضل مكاتبات ومحاورات لطاف ، فمن ذلك ما يحكى عنه أنه لقيه يوماً وهو راكب على فرس فقال له : سر فلا كبى بك الفرس . فقال له الفاضل : دام علا العمادُ . وهذا مما يقرأ مقلوباً وصحيحاً سواء . واجتمعا يوماً فى موكب السلطان وقد انتشر من الغبار لكثرة الفرسان ما سد الفضاء[1] ، فتعجبا من ذلك ، فأنشده العماد فى الحال :

أما الغبار فإنه ... مما أثارته السنابك

والجو منه مظلم ... لكن أنارته السنابك

يا دهر لى عبد الرحيم ... فلست أخشى مسّ نابك

قد اتفق له الجناس فى الأبيات الثلاثة ، وهو فى غاية الحسن ، ولم يزل العماد على مكانته ورفعته إلى أن توفى صلاح الدين ، فاختلت أحواله وتقطعت أوصاله ، ولم يجد فى وجهه باباً مفتوحاً فلزم بيته ، وأقبل على الاشتغال بالتصانيف إلى أن توفى يوم الإثنين مستهل رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة بدمشق ، ودفن بمقابر الصوفية خارج[٢٧١] باب النصر - رحمه الله- وكان مولده يوم الإثنين ثانى جمادى الآخر ، وقيل : فى شعبان تسع عشرة وخمسمائة بأصفهان . وأَلُهْ : بفتح الهمزة ، وضم اللام ، وسكون الهاء ، اسم عجمى معتاد بالعربى ، العقاب وهو الطائر المعروف ، وقد قيل : إن العقاب لا يوجد فيه ذكر بل جميعه أنثى ، وإن الذى يسافده طائراً آخر من غير جنسه ، وقد قيل : إن الثعلب يسافده ، وهذا من العجائب ، ولابن عنين الشاعر فى هجو شخص يقال له ابن سيده :

ما أنت كالعقاب فأمه ... معروفة وله أب مجهول

وهذا إشارة إلى ما نحن فيه .[2]

(١) إلى هنا نقل العينى بتصرف من وفيات الأعيان ، جـ٥ ، ص١٤٧-ص١٥١ .

(٢) نقل العينى هذه الترجمة بتصرف من وفيات الأعيان ، جـ٥ ، ص١٤٧- ص١٥٣ .

مكلبة بن عبدالله المستنجدى ، كان تركيا زاهداً عابداً ، سمع المؤذن وقت السحر وهو ينشد على المنارة :

يا رجـــال الـليـل جـــدوا رب صـــــوت لا يُــردَ
مــــا يقـــوم الـليـل إلا من لـه عـــــزم وجـــــدُ

فبكى مكلبة وقال للمؤذن : زدنى . فقال المؤذن :

قد مضى الليل وولى وحبيبى قد تجلى

وصرخ مُكلبة صرخة كان فيها حتفه ، فأصبح أهل البلد قد اجتمعوا على بابه ، فالسعيد من وصل إلى نعشه . وكان يوماً عظيماً لم تر بغداد مثله[1] . وفى المرآه : وكان مكلبة خازناً بدرب دينار الكبير ، وكان صالحاً يقوم الليل ، ودفن بالورديه .[2]

أبو منصور بن أبى بكر بن شجاع المزكلش ببغداد : ويعرف بابن نقطة[3] . كان يدور فى أسواق بغداد بالنهار ينشد ، كان ، وكان المواليا ، ويُسحّر الناس فى ليالى رمضان ، وكان مطبوعاً ظريفاً خليعاً ، وكان أخوه الشيخ عبد الغنى الزاهد من أكابر الصالحين ، له زاوية ببغداد يزار فيها ، وكان له أتباع ومريدون ، ولا يدخر شيئاً يحصل له من الفتوح ، تصدق فى ليلة بألف دينار ، وأصحابه صيام لم يدخر لهم شيئاً ولا عشاء ، وزوّجته أم الخليفة بجارية من خواصّها ، وجهزتها بعشرة آلاف دينار ، فما جاء الحول وعندهم من شىء بل جميع ذلك يؤثر به ويتصدق به حتى لم يبق عندهم منه شىء سوى هاون ، فوقف سائل فلح فى الطلب على الباب ، فأخرج إليه الهاون ، وقال : خذ هذا وكُل به فى ثلاثين يوماً ولا تشنع على الله عز وجل . وكان من خيار الصالحين ، والمقصود أنه قيل لأخيه أبى منصور هذا : ويحك أنت تدور فى الأسواق وتنشد الأشعار وأخوك من قد عرفته . فأنشأ يقول فى جواب ذلك بيتين مواليا :

---

(١) البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٣١ .

(٢) نقل العينى هذا الخبر بتصرف من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٣٠ .

(٣) انظر ترجمته ، الجامع المختصر ، جـ٩ ، ص٦٨ ؛ الذيل على الروضتين ، ص٢٨ ؛ مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٣٠ .

قد خاب من شبه الجزعة إلى درة		وسام قحبة إلى مستحسنة حرة[١]

أنا مـغنى وأخى زاهد إلى عـرة		فى الدار بثران[٢] ذى حلوة وذى مرة

وكان منحرفاً ، عن على - رضي الله عنه - ، جرى حديث قتل عثمان ، وأن عليا كان بالمدينة ، ولم يقدر على الوصول إليه ، فقال ابن نقطة : ومن قتل فى جواره مثل ابن عفان ، واعتذر يجب عليه أن يقبل فى الشام عذر يزيد ، فأراد الشيعة قتله .[٣] وقال السبط : قبحه الله وأين وجه المشابهة بين الحالين! وابن زياد إنما أقدم بكتاب يزيد على قتل الحسين - رضي الله عنه - وقد خرج على رضي الله عنه يوم الدار ؛ لنصرة عثمان وفعل ما استطاع بقدر الإمكان ، وقد كان يسحر الناس فى رمضان ، فوثبوا عليه ليلة ، وكان الإمام الناصر فى المنظرة وهو واقف يسحر ، فعطس الخليفة[٢٧٢] فشمته ابن نقطة ، فبعث له الخليفة مائة دينار ، وحماه من الشيعة ، فمات بعد قليل من هذه السنة .[٤]

قراقوش بن عبدالله الفحل الخصى الأسدى الملقب ببهاء الدين المكنى بأبى سعيد . كان خادم السلطان صلاح الدين ، وقيل : خادم أسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين ، فأعتقه . وقيل : من خدام العاضد آخر خلفاء العبيديين ، ولما استقل صلاح الدين بالديار المصرية جعله زمام القصر ، ثم ناب مدة بالديار المصرية وفوض أمورها إليه واعتمد فى تدبير أحوالها عليه ، وكان رجلاً مسعوداً ، وصاحب همة عالية ، وهو الذى بنى السور المحيط بالقاهرة ومصر وما بينهما ، وبنى قلعة الجبل ، وبنى القناطر التى بالجيزة على طريق الأهرام ، وهى آثار دالة على علو الهمة ، وعمر بالمقْس[٥] رباطاً

(١) ورد هذا البيت فى أبى شامة كالآتى :

قد خاب من شبه الجزعة إلى الدرة

وشابه قحبة إلى مستجنة حرة

انظر الذيل على الروضتين ، ص٢٨ .

كما ورد فى ابن كثير الشطرة الثانية كالآتى :

وقاسى قحبة إلى مستحيية حرة

البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٣٢ .

(٢) «بثرين» فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه .

(٣) نقل العينى هذا النص بتصرف من الذيل على الروضتين ، ص٢٨ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٣١-ص٣٢ .

(٤) نقل العينى هذا الخبر بتصرف من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٣١ .

(٥) المقْسْ : أحد الموانئ على النيل ، وكان يسمى أم دنين ، فيه حصن ومدينة قبل بناء الفسطاط . ياقوت ، معجم البلدان ، جـ٤ ، ص٦٠٦ .

وعلى باب الفتوح بظاهر القاهرة خان السبيل ، وله وقف كثير لا يعرف مصرفه ، وكان حسن المقاصد جميل النية ، ولما أخذ السلطان صلاح الدين مدينة عكا من الفرنج سلمها إليه ، ثم استولى الفرنج عليها ، ووقع أسيرا[١] فى أيديهم ، يقال : إنه أفتك نفسه بعشرة آلاف درهم . وقيل : أفتكه صلاح الدين بستين ألف دينار . وكانت له حقوق كثيرة على السلطان صلاح الدين وعلى الإسلام والمسلمين .[٢] وقال ابن خلكان : والناس ينسبون إليه أحكاماً عجيبة فى ولايته ، وأن كاتباً يقال له الأسعد المماتى له جزء لطيف سماه «كتاب الفاشوش فى أحكام قراقوش» وفيه أشياء يبعد وقوعها منه ، والظاهر أنها موضوعه ، فإن صلاح الدين كان معتمداً فى أحوال المملكه عليه ، ولولا وثوقه بمعرفته وكفايته ما فوضها إليه ، وكانت وفاته فى مستهل رجب من هذه السنة بالقاهرة ، ودفن فى تربته المعروفة به بسفح المقطم ، بقرب البئر والحوض اللذين أنشأهما على شفير الخندق .[٣] وقال ابن كثير : ولما توفى احتاط الملك العادل على تركته ، وصارت أملاكه وإقطاعه للملك الكامل محمد بن الملك العادل ، وفى القاهرة داخل باب الفتوح الحارة المسماة بحارة بهاء الدين منسوبة إليه ، وقراقوش لفظ تركى ومعناه بالعربى العقاب الطائر المعروف ، وسمى به لشهامته وشجاعته .[٤]

عز الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الملك بن المقدم ، صاحب بلاد منبج ، وقلعة نجم ، وأفامية ، وكفر طاب ، وغيرها ، توفى فى هذه السنة وصارت البلاد بعده لأخيه شمس الدين عبدالملك بن محمد بن عبدالملك .[٥] وقال السبط : وأبوه محمد المقتول بعرفات ، وكان إبراهيم شجاعاً عاقلاً ، وله قلعة بارين ، وأفامية ، ومنبج ، والراوندان ، وعدة حصون . وكانت وفاته بدمشق[٦] فى العقيبة .

---

(١) «أسير» فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه .

(٢) ورد هذا الخبر بتصرف فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٣١ ، راجع أيضاً ترجمته فى وفيات الأعيان ، جـ٤ ، ص٩١-ص٩٢ .

(٣) وفيات الأعيان ، جـ٤ ، ص٩٢ .

(٤) البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٣١ ؛ نهاية الأرب ، جـ٢٩ ، ص٣٠-ص٣١ .

(٥) الذيل على الروضتين ، ص٢٠ .

(٦) ورد هذا الخبر بالتفصيل فى مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣١٠ .

فصل فيما وقع من الحوادث فى السنة الثامنة والتسعين بعد الخمسمائة(*)

استهلت هذه السنة والخليفة هو الناصر لدين الله ، وقد استقرت الممالك الشامية والشرقية والديار المصرية كلها للملك العادل(١) ، وانتظم جميعها فى سلك مُلكه ، وخطب له على منابرها ، وضربت السكة فيها باسمه ، وكان العادل قد قدم دمشق فى هذه السنة بعد رحيل الملكين الأخوين الأفضل والظاهر ، ابنا السلطان صلاح الدين ، وكان الميمون(٢) القَصَّرى قد سار مع الظاهر كما ذكرنا ، فأقطعه أعزاز(٣) ، ثم سار الملك العادل من دمشق إلى حماه ونزل على تل صفرون[٢٧٣] ونزل إليه صاحبها الملك المنصور وقام بجميع وظائفه وكلفه ، وبلغ الظاهر صاحب حلب وصول عمه إلى حماه بنية قصده ومحاصرته ، فاستعد للحصار بحلب وراسل عمّه ولاطفه وأهدى إليه ، ووقعت بينهما مراسلات ، ووقع الصلح ، وأخذ من الملك الظاهر قلعة نجم(٤) وأعطاها للملك الأفضل ، وكانت له سروج ، وشميساط وكان الأفضل حينئذ بحمص [عند](٥) شيركوه فجاء إلى عمه العادل [فالتقاه عند(٦) ثنيه] العقاب وأكرمه ، ثم سلم العادل حران وما معها لولده الملك الأشرف مظفر الدين موسى(٧) ، وسيّره إلى الشرق ، وكان بميافارقين الملك الأوحد ابن العادل(٨) ، وكان بجعبر الملك الحافظ نور الدين أرسلان شاه بن العادل ، ثم لما استقر الصلح بين العادل والظاهر رجع العادل إلى دمشق(٩) ، وأقام بها وأرسل الظاهر إلى قلعة منبج ، وأخربها خوفاً من انتزاعها منه ، وأقطع منبج بعد ذلك عماد

(*) يوافق أولها ١ أكتوبر ١٢٠١م

(١) انظر ترجمته فى وفيات الأعيان ، جـ٥ ، ص٧٤ .

(٢) الميمون القصرى : كان من زعماء الأمراء الصالحية . انظر : نهاية الأرب ، جـ٢٩ ، ص١٩ ، حاشية ٢ .

(٣) أعزاز : حصن مشهور وقلعة بالقرب من حلب . انظر أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص٢٣١ .

(٤) قلعة النجم ، قلعة جبلية مطلة على الفرات عندها جسر تعبر عليه القوافل من حران إلى الشام ، وكانت تعرف قبل ذلك بقلعة منبج ، وعرفت كذلك بجسر منبج . معجم البلدان ، جـ٤ ، ص١٦٥ .

(٥) ما بين حاصرتين فراغ بالمخطوطة بمقدار كلمة . أكمل من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٣١ .

(٦) ما بين حاصرتين فراغ بمقدار ثلاث كلمات بالمخطوط أكمل من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٣١ ؛ الذيل على الروضتين ، ص٢٩ .

(٧) الأشرف مظفر الدين موسى : هو أبو الفتح موسى بن الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب ، ملك الرها ٥٩٨هـ ثم أضيف له حران ، وتوفى بدمشق ٦٣٥هـ . وفيات الأعيان ، جـ٥ ، ص٣٣٣ . .

(٨) الملك الأوحد : هو نجم الدين أيوب صاحب خلاط وميافارقين ، توفى فى شهر ربيع الأول سنة ٦٠٩هـ بملازكرد من أعمال خلاط . وفيات الأعيان ، جـ٤ ، ص١٢١ ؛ جـ٥ ، ص٧٦ ، ٣٣٠ .

(٩) ورد هذا الحدث بتصرف فى السلوك ، جـ١ ، ق١ ، ص١٩٢ .

الدين بن سيف الدين على بن أحمد المشطوب[١] وأرسل قراقوش نائب عبدالملك بن محمد بن عبدالملك المقدم بأفاميه إلى الظاهر يبذل له أفاميه بشرط أن يعطيه أقطاعاً يرضاها ، فأقطعه الظاهر الراوندان وكفر طاب ، ومفردة المعرّة ، وهى عشرون ضيعة معّينة من بلاد معرة النعمان ، وتسلم أفاميه ، ثم أن عبدالملك المذكور عصى بالراوندان فسار إليه الظاهر واستنزله منها وأبعده ، فلحق عبدالملك بعد ذلك بالملك العادل فأحسن إليه .[٢]

ذكر أمر خوارزم شاه

وفيها ملك خوارزمشاه ما كان أخذه الغورّيه من بلاده ، وقد ذكرنا أن غياث الدين وأخاه شهاب الدين استوليا على خراسان ومرو ونيسابور وغيرها من بلاد خوارزم شاه ، فلما اتصل الخبر بالسلطان محمد بن تكش سيّر إلى غياث الدين يعاتبه ويقول له : كنت أعتقد أنك تحلف علىَّ بعد أبى وتنصرنى على الخطا ، فحيث لم تفعل فلا أقل من أن لا تؤذينى ولا تأخذ بلادى فإن لم تعد إلى ما أخذت منها وإلا انتصرت عليك بالخطا وغيرهم من الأتراك إن عجزت عن أخذ بلادي . فغالطه غياث الدين بالجواب والمراسلات حتى يخرج أخوه من الهند بالعسكر ، فجمع خوارزم شاه عساكره وسار إلى خوارزم نصف ذى الحجة سنة سبع وتسعين ، فلما قارب نسا هرب هندوخان ابن أخى ملكشاه[٣] من مرو إلى غياث الدين ، فملك خوارزم شاه مرو وسار إلى نيسابور وبها علاء الدين نائب غياث الدين فحصره مدة شهرين ، ثم نزل بالأمان ، فأرسله إلى غياث الدين بسبب الصلح والاتفاق ، وأحسن إلى أمراء الغورية ، وسار إلى سرخس وبها الأمير زنكى فحصره أربعين يوماً ثم رحل عنها ، فلما بلغه اجتماع الغورية أرسل إليهم عسكراً مع خاله فلقيهم عسكر الغورية ومقدمهم محمد بن حَرْبك ، فهزم عسكر خوارزم شاه ، فعادوا إلى خوارزم ثم أرسل إلى غياث الدين فى الصلح فأجابه عن رسالته صحبه الأمير الحسن بن محمد المرغنى ، فلما وصله قبض عليه وسار إلى هراة ، وبلغ غياث الدين فسار بعساكره ونزل برباط رزين بالقرب من هراة ولم يقدم على خوارزم شاه لقلة ما معه من العسكر ؛ فإن

---

(١) هو أبو العباس أحمد بن سيف الدين أبى الحسن على بن أحمد بن أبى الهيجاء بن عبدالله بن أبى الخليل بن مارزبان الهكارى المعروف بابن المشطوب . وفيات الأعيان ، جـ١ ، ص١٨٠ .

(٢) المختصر فى أخبار البشر ، جـ٣ ، ص١٠١ .

(٣) ورد هذا الحدث بتصرف فى المختصر فى أخبار البشر ، جـ٣ ، ص١٠٠ .

أكثر عساكره مع أخيه شهاب الدين بالهند ، فأرسل خوارزم شاه[٢٧٤] إلى أمير البلد فصالحه على مال حمله إليه ، فرحل عن هراه ، ولما بلغ شهاب الدين بن خوارزم شاه عاد إلى البلاد وأخذها سار من غزنة إلى خراسان ، ومنها إلى بلخ ، ومنها إلى باميان ، ومنها إلى مرو ، عازماً على حرب خوارزم شاه ، والتقت أوائل عسكريهما فقتل بينهما جماعة ، ثم ارتحل خوارزم شاه وقطع القناطر وقتل الأمير سنجر صاحب نيسابور ، وتوجه شهاب الدين إلى طوس فأقام بها تلك الشتوة على عزم المسير إلى خوارزم شاه فأتاه الخبر بوفاة أخيه غياث الدين ، فقصد هراة وترك العزم .[١]

ذكر بقية الحوادث

منها أن الخليفة ولىَّ عبداللطيف بن نصر الكيال الواسطى قضاء واسط[٢] ، وخلع على أبى الربيع الواسطى ، ودرس بالنظامية .

ومنها أن السعايات قد كثرت ببغداد ففسدت الأمور ، فنادى الخليفة من سعى بأحد أبيح ماله ودمه ، فصلحت الأحوال .

ومنها أنه جاءت زلزلة عظيمة فى شعبان وشقت قلعة حمص ورمت المنظرة التى على القلعة ، وأخربت حصن الأكراد ، وتعدت إلى جزيرة قبرس ، وامتدت إلى نابلس فأخربت ما بقى[٣] . وقال العز بن تاج الأمناء : هذه الزلزلة العظمى التى هدمت بلاد الساحل صُور وطرابلس وعَرقة ، وشعثت كثيراً من البلاد الإسلامية الشاملية ، ورميت بدمشق رؤس منابر الجامع وبعض شراريفه من شماله ، فقتلت رجلاً مغربياً بالكلاسة ، ومملوكاً تركياً لرجل صيرفى ساكناً فى درب الشمَيساطى عند تنفس الصبح فى يوم الإثنين السادس والعشرين من شعبان الموافق للعشرين من آب ، فأعقبها زلزلة حقيفة فى صحوة الغد .[٤]

ومنها أن هذه السنة استهلت والغلاء مستمر فى تناقص لاستقبال جمادى الآخرة لما ظهر من زيادة نيلها وأقلع فى آخرها .[٥]

---

(١) ورد هذا الحدث مفصلاً فى الكامل ، جـ١٢ ، ص٧٦- ص٧٨ .
(٢) الجامع المختصر ، جـ٩ ، ص٨٠ .
(٣) مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٣١ ؛ الذيل على الروضتين ، ص٢٨ .
(٤) الذيل على الروضتين ، ص٢٩ .
(٥) الذيل على الروضتين ، ص٢٩ .

ومنها أنه ولى قضاء القضاة ببغداد أبو الحسن على بن سليمان الحلى ، وخلع عليه .[١]

ومنها أن الشيخ أبا عمر محمد بن قدامة المقدسى شرع فى بناء المسجد الجامع بجبل قاسيون ، فأنفق عليه رجل يقال له الشيخ أبو داود محاسن الغامى حتى بلغ البناء إلى قامته ونفذ ما كان معه ، فأرسل الملك المظفر كوكبرى بن زين الدين صاحب إربل مالاً جزيلاً لتتميمه فكمل ، وأرسل ألف دينار ليساق إليه الماء من برزة ، فلم يمكّن ذلك الملك المعظم بن العادل صاحب دمشق ، واعتذر بأن هذا يشوش قبوراً كثيرة للمسلمين ، فصنع له بئرا وبغلا[٢] يدور وأوقف عليه .

وفيها حج بالناس من العراق وجه السبع ومن الشام خشتر بن الهكارى .[٣]

ذكر من توفى فيها من الأعيان

الإمام حسام الدين على بن أحمد بن مكى الرازى الفقيه الحنفى ، ذكره بن عساكر فى تاريخه ، وقال : قدم دمشق وسكنها ، وكان يدرس بالمدرسة الصادرية[٤] ، ويفتى على مذهب أبى حنيفة ﷺ ويناظر فى مسائل الخلاف . قال : وما أظنه حدث . وقال ابن عديم فى تاريخه : لما قدم حلب عقدوا له مجلساً للمناظرة فجعل يذكر مسألة مسألة من مسائل الخلاف ، ويذكر أدلة كل فريق ويجيب عنها فأذعنوا له ، وتفقه بحلب عليه أبو غانم وجماعة[٢٧٥] وله مصنفات منها : خلاصة الدلائل فى تنقيح المسائل][٥] ، ومنها «سلوة الهموم[٦]» جمعه . وقد مات له ولد . وكان وروده إلى حلب فى أيام نور الدين الشهيد وأقام بالمدرسة النورية فى أيام العلاء الغزنوى ، فلما توفى الغزنوى وولى المدرسة بعده ابنه محمود ، وكان أبو الحسن الرازى يدبر حاله وتوفى سنة ثمان وتسعين وخمسمائة بدمشق ، ودفن خارج باب الفراديس .

---

(١) الجامع المختصر ، جـ٩ ، ص٨٠ . ولمعرفة المزيد . راجع ترجمته فى كتاب إنسان العيون ، ص١٢٨ .

(٢) «بئر وبغل» فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه .

(٣) الذيل على الروضتين ، ص٢٩ ؛ مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٣١ ؛ نهاية الأرب ، ص٣٢ .

(٤) المدرسة الصادرية : هى بدمشق داخل باب البريد على باب الجامع الأموى الغربى أنشأها شجاع الدولة صادر بن عبدالله سنة ٤٩١هـ انظر النعيمى ، الدارس فى تاريخ المدارس ، تحقيق جعفر الحسنى ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ١٩٨٨ ، جـ١ ، ص٥٣٧-ص٥٣٩ ترجمة رقم ١١١ .

(٥) حاجى خليفة ، كشف الظنون ، مجلد١ ، ص٧١٨ .

(٦) حاجى خليفة ، كشف الظنون ، مجلد٢ ، ص٩٩٩ .

القاضى ابن الزكى محمد بن على بن محمد بن يحيى بن على بن عبد العزيز أبو المعالى القرشى محيى الدين[١] قاضى قضاة دمشق ، وكذا كان أبوه وجدّه يحيى بن على المذكور ، وهو أول من ولى دمشق منهم ، وكان جد الحافظ أبى القاسم بن عساكر لأمه ، وقد ترجمه فى تاريخه ولم يزد على القرشى . وقال أبو شامة : ولو كان أموياً عثمانياً كما يزعمون لذكر ذلك ابن عساكر ، وكان فيه شرف لجده وخاليه محمد وسلطان ، ولو كان ذلك صحيحاً لما خفى عليه[٢] . اشتغل [ابن زنكى][٣] على القاضى شرف الدين أبى سعد عبدالله بن محمد بن أبى عصرون وناب عنه فى الحكم ثم ترك النيابة . وهو أول من خطب بالقدس لما فتحه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب كما ذكرنا فى سنة ثلاث وثمانين ، ثم ولاه قضاء دمشق وأضاف إليه قضاء حلب أيضاً ، وكان ناظر أوقاف الجامع ثم عزل عنها قبل وفاته بشهر ووليها شمس الدين ابن التبنينى ضماناً .[٤] وقد كان القاضى محيى الدين بن الزكى ينهى الطلبه عن الاشتغال بالمنطق والكلام ويحرق كُتب من كان عنده شيء من ذلك بالمدرسة التقوية[٥] ، وكان يحفظ العقيدة المسماة بالمصباح[٦] للغزالى[٧] ويحفظها أولاده أيضاً ، وكان له درس فى التفسير يذكره الكلاسية تجاه تربة الملك الناصر صلاح الدين يوسف ، وقد كان وقع بينه وبين الإسماعيلية فاتخذ له باباً من داره إلى الجامع ليخرج إلى الصلاة منه ، ثم خولط فى عقله فكان يعتريه شبه الصرع إلى أن توفى فى سابع شعبان من هذه السنة ، ودفن بتربته فى سفح قاسيون[٨] . وقال ابن خلكان : أبو المعالى محمد بن أبى الحسن على بن محمد بن يحيى بن عبدالعزيز بن على بن الحسين بن محمد بن عبدالرحمن بن القاسم بن عبدالعزيز بن أبان بن عثمان بن عفان القرشى ، الملقب محيى الدين المعروف بابن زكى

---

(١) انظر ترجمته فى وفيات الأعيان ، جـ٤ ، ص٢٢٩-ص٢٣٦ .

(٢) يقصد هنا ابن عساكر . البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٣٣ .

(٣) ما بين حاصرتين إضافة من البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٣٣ ، لتوضيح الخبر .

(٤) «شمس الدين بن الليثى» ، كذا ورد فى البداية والنهاية . جـ١٣ ، ص٣٣ .

(٥) المدرسة التقوية : إحدى مدارس دمشق داخل باب الفراديس شمال شرقى الظاهرية والإقباليتين بناها تقى الدين عمر بن شاهنشاه ٥٧٤هـ ، النعيمى ، الدارس فى تاريخ المدارس ، جـ١ ، ص٢١٦-ص٢٢٥ .

(٦) عن «المصباح» للغزالى ، انظر السبكى ، طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٤ ، ص١١٦ .

(٧) انظر ترجمة الغزالى فى وفيات الأعيان ، جـ٤ ، ص٢١٦-ص٢٢٨ ، ترجمة رقم ٥٨٨ .

(٨) وردت هذه الترجمة بتصرف فى الذيل على الروضتين ، ص٣٢ .

الدين الدمشقى الفقيه الشافعى ، كان ذا فضائل عديدة فى الفقه والأدب وغيرهما ، وله النظم المليح والخطب والرسائل ، وتولى القضاء بدمشق فى شهر ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، يوم الأربعاء العشرين من الشهر المذكور ، وكذلك أبوه وجده وولداه كانوا قضاتها ، وكانت له عند السلطان صلاح الدين المنزلة العالية والمكانة المكينة ، ولما فتح السلطان صلاح الدين حلب يوم السبت ثامن عشر صفر ، سنة تسع وسبعين وخمسمائة أنشده القاضى محيى الدين المذكور قصيدة بائيه ، أجاد فيها كل الإجادة ، وكان من جملتها بيت هو متداول بين الناس وهو :

وفتحك القلعة الشهباء فى صفر   مبشرة بفتوح القُدس فى رجب

فكان كما قال ، وقد ذكرنا هذا فى موضعه ، وكانت ولادته فى سنة خمسين وخمسمائة بدمشق ، وتوفى فى التاريخ المذكور .[١]

وكان والده أبو الحسن على الملقب زكى الدين على القضاء بدمشق . وكان كثير الخير والدين ، فاستعفى من القضاء فأعفى ، فخرج إلى مكة حاجاً ، وعاد إلى بغداد فى صفر سنة ثلاث وستين وخمسمائة فأقام بها ، وكان عالى الطبقة فى سماع الحديث . سمع خلقاً كثيراً ، ولم يزل بها إلى أن توفى يوم الخميس الثامن والعشرين من شوال سنة أربع وستين وخمسمائة ، ودفن بمقبرة الإمام أحمد رحمه الله .[٢] ثم فى صفر من سنة أربع وستمائة عزل الشمس بن التبنينى عنها وتولاها الرشيد ابن أخته ضماناً بزيادة ثلاثة آلاف دينار ، ثم فى تاسع شعبان من سنة أربع وستمائة أبطل ضمانها وتولاها المعتمد والى دمشق[٢٧٦] .

الخطيب الدولعى ضياء الدين أبو القاسم عبدالملك بن زيد بن ياسين التغلبى الدولعى ، نسبة إلى قرية بالموصل يقال لها الدولعية ، ولد بها سنة ثمان عشرة وخمسمائة[٣] ، وتفقه ببغداد على مذهب الشافعى ، وسمع الحديث ، ثم قدم دمشق فولى بها الخطابة وتدريس الغزالية ، وكان زاهداً متورعاً حسن الطريقة مهيباً فى الحق ،

---

(١) وفيات الأعيان ، جـ٤ ، ص٢٢٩ ، ص٢٣٦ .

(٢) انظر ترجمته فى وفيات الأعيان ، جـ٤ ، ص٢٣٦ . ترجمة عارضة (171) فى نفس ترجمة ابن الزكى ، الذهبى ، العبر ، جـ٤ ، ص٣٠٣-ص٣٠٤ .

(٣) أشار سبط بن الجوزى أنه الخطيب الدولعى ، ولد سنة ٥٠٧هـ ، مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٣٢ .

وكانت وفاته يوم الثلاثاء ثانى عشر ربيع الأول من هذه السنة[١] ، ودفن بمقبرة باب الصغير عند قبور الشهداء ، وتولى بعده الخطابة ولده كمال الدين محمد[٢] سبعاً وثلاثين سنة . وقال أبو شامة : سمع جامع الترمذى من أبى الفتح الكروخى ، وكتاب السنين للنسائى من أبى الحسن على بن أحمد اليزدى ، وسمع من الحافظ أبى القاسم بن عساكر والقاضى أبى سعد بن أبى عصرون ، وقرأ عليه الفقه[٣] ، وطلبه شرف الدين بن عصرون أن ينوب عنه فى القضاء فأبى فاستناب جمال الدين أبى الحرستانى . وقال فى ترجمته : ابن الزكى ابن أبى عصرون طلب من يستنيبه فأشير عليه بالخطيب ضياء الدين الدولعى ، فأرسل إليه خلعة مع البدر بن يونس الفارقى فرده وشتمه ورمى الخلعة ، فأرسل إلى جمال الدين أبى الحرستانى فناب عنه وعن ابنه المحيى إلى أن عزل .

ابن غليس الزاهد الشيخ على بن محمد بن غليس اليمنى ، العابد الزاهد ، كان مقيماً بشرقى الكلاسة ، وكانت له أحوال ومقامات نقلها الشيخ علم الدين السخاوى عنه ، وساقها عنه أبو شامة فى الذيل . منها أنه قال : سمعت أبا[٤] غليس يقول : كنت مسافراً مع قافلة فرأيت فى المنام كأن سبعاً اعترضهم فقطع الطريق عليهم ، فوقفوا حائرين فتقدمت إليه وقلت له : يا كلب الله أنت كلب «الله»[٥] وأنا عبدالله فاخضع وارجع[٦] لمن سكن له ما فى السموات والأرض وهو السميع العليم ، فذهب وانفتحت الطريق للقافلة ، ثم انبهت فسرنا قليلاً وإذا بالقافلة قد وقفت ، فسألته ما الخبر؟ فقيل : السبع على الطريق . فتقدمت إليه وهو مقع على ذنبه ، فقلت ذلك الكلام وتقدمت إليه ، فأدخلت يدى فى فمه وقلبت أسنانه وشممت من فيه رائحه كريهه[٧] . قال الشيخ السخاوى : أنه يأكل اللحم وما يتخلل . قال : وأدخلت يدى بين أفخاذه فقلبت خصيته

---

(١) الذيل على الروضتين ، ص٣١ ، وفيات الأعيان ، جـ٧ ، ص٢٠٣ ، ترجمة عارضة ٣٩١ . أما ابن كثير فقد أشار إلى أن وفاته كانت تاسع عشر ربيع الأول . انظر البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٣٣ .

(٢) ذكر أبو شامة أن الذى تولى الخطابة ابن أخيه «جمال الدين محمد» الذيل على الروضتين ، ص٣١ ، أما ابن كثير ، فذكر أن الذى تولى الخطابة بعده ولد أخيه «محمد بن أبى الفضل بن زيد وقيل ولده جمال الدين محمد . انظر البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٣٣ .

(٣) إلى هنا توقف العينى عن النقل من الذيل على الروضتين ، ص٣١ .

(٤) «أبى» فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه .

(٥) «الله» لم يرد اسم الجلالة هنا ، أبو شامة ، الذيل ، ص٣٠ .

(٦) «اخنع» كذا فى الأصل والتصحيح من الذيل ، ص٣٠ .

(٧) «نتنه» كذا فى الأصل والتصحيح من الذيل ، ص٣٠ .

وإذا هما مثل خصيتى القط . قال أبو شامة : وكان يقول عن نفسه : ابن غليس ما يسوى ، فليس رحمه الله .[١]

الصدر الحرانى أبو الثناء حماد بن هبة الله بن حماد الحرانى التاجر . ولد سنة إحدى عشرة وخمسمائة ، عام ولد نور الدين الشهيد ، وسمع الحديث ببغداد ومصر وغيرهما من البلدان ، وحدث ، وتوفى بحران فى ذى الحجة من هذه السنة ، ومن شعره قوله :

تنقل المرء فى الآفاق يكسبه محاسناً لم يكن فيها ببلدته
أما ترى بيدق الشطرنج أكسبه حُسنُ التنقل فيها فوق رتبته[٢]

وفى المرآة : سمع بمصر أبا محمد بن رفاعة السعدى ، وبالإسكندرية الحافظ السلفى ، وببغداد ابن السمرقندى وغيرهم[٣] ، وأثنى عليه الموفق الحرانى .

أبو الشكر[٤] محمود بن سليمان بن سعيد الموصلى ويعرف بابن المحتسب ، تفقه ببغداد ثم سافر إلى البلاد ، وصحب ابن الشهرزورى ، وقدم معه حتى ولى قضاء بغداد ، فولاه نظر أوقاف النظامية ، وكان فاضلاً ، يقول الشعر الرائق ، فمن ذلك قوله :

أسلف لنا فى سلافة العِنب جميع ما يقْتَنى من الذهب[٢٧٧]
وانشب مع النفس[٥] فى معاملة فيها بما عندنا من النشب
جميع ما فى الهميان يحقره الـ عاقل فى لثم ثغرها النشب[٦]
لاسيما إن أتتك كالذهب قد قلدوها عقداً من الحَبَب
تُحرق كف المدير إن وقف الرو ربها ساعة من اللهب
إذا بدا ههنا ليسرق السمع برفق اللهو واللعب[٧]

(١) نقل العينى هذه الترجمة بتصرف من الذيل على الروضتين ، ص٣٠-ص٣١ .
(٢) الذيل على الروضتين ، ص٢٩-٣٠ ؛ مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٣٢ .
(٣) مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٣٢ .
(٤) عن ترجمة أبى الشكر راجع الجامع المختصر ، جـ٩ ، ص٩٠-٩٢ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٣٤ .
(٥) «القس» كذا فى الأصل والتصحيح من الجامع المختصر ، جـ٩ ، ص٩١ .
(٦) «جميع ما فى الوجود يحتقر العا قل فى لثم ريقه الشنب»
هكذا ورد البيت فى الجامع المختصر ، جـ٩ ، ص٩١ .
(٧) إذا بدا ههنا ليسترق السمـ ـع برفق اللهو واللعب
هكذا ورد هذا البيت فى الجامع المختصر ، جـ٩ ، ص٩١ .

يتبعها[١] من سماء راؤوقها		الرائق رجماً بالأنجم الشهب
ما قط تبت يد لشاربها		وحق تبت يدا أبى لهب
أمر بالكرم خلف حائطه		تأخذنى نشوة من الطرب
أسكر بالأمس إن[٢] عزمت على الشر		ب غدا أن ذا من العجب
جنبها سكرها وصحبتها		تحريم شرع لسيد العرب
تركتها جانباً ولذت إلى		ظل أمام ينجى من النوب
الطاهر الطهر وابن خير فتى		وطاهر الخلق طاهر النسب
ماذا يقول المداح فى رجل		خليفة الله وابن عم النبى[٣]

هبة الله بن الحسن بن المظفر أبو القاسم الهمذانى[٤] ويقال له : ابن السبط . هوجد المظفر ، كان سبطاً لأحمد بن على بن لال الفقيه الهمذانى ، ولد هبة الله فى سنة عشر وخمسمائة ، وهو محدث ابن محدث ابن محدث ، وكانت وفاته بباب المراتب ببغداد فى المحرم ، ودفن بالريان[٥] ، سمع أبا القاسم بن الحصين وقاضى المارستان وابن السمرقندى . قال صاحب المرآة : وسمعنا عليه بباب المراتب . وأنشدنا لغيره :

إذا الفتى ذمّ عيشًا فى شبيبته		فما يقول إذا عصر الشباب مضى
وقد تعوضت عن كل بمشبهه		فما وجدت لأيام الصبا عوضا[٦]

هبة الله بن على بن مسعود بن ثابت المنستيرى[٧] ، بضم الميم وفتح النون وسكون السين المهملة وكسر الياء المثناه من فوق وسكون الياء آخر الحروف وبعدها راء ، ومنستير بليدة بإفريقية ، وكان هبة الله المذكور عالى الإسناد ، ولم يكن فى عصره من هو فى درجته ، سمع إبراهيم بن حاتم الأسدى ، وسمع جماعة من الأكابر ، وسمع الناس

(١) «تتبعه» هكذا وردت الكلمة عند ابن الساعى ، الجامع المختصر ، جـ٩ ، ص٩١ .
(٢) «إذ» الجامع المختصر ، جـ٩ ، ص٩١ .
(٣) ورد هذا الشعر مع شىء من الاختلاف فى الجامع المختصر ، جـ٩ ، ص٩١ .
(٤) الذيل على الروضتين ، ص٣٠ ؛ مرآة الزمان . جـ٨ ، ص٣٣٣ .
(٥) الريان : محلة مشهورة ببغداد . انظر معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٨٨٢ .
(٦) مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٣٣ .
(٧) وفيات الأعيان ، جـ٦ ، ص٦٧-٦٨ ؛ شذرات الذهب ، جـ٤ ، ص٣٣٨ .

على هبة الله المذكور وسافروا إليه من البلاد لعلو إسناده ، وكان جده مسعود قد قدم من منستير إلى بوصير فعرف هبة الله المذكور بالبوصيرى ، وكانت ولادته سنة ست وخمسمائة ، وتوفى فى هذه السنة رحمه الله .[1]

الست الجليلة المصونة بنفشا بنت عبدالله عتيقة الإمام ، المستضىء ، وكانت من أكبر خطاياه ، ثم كانت بعده من أكثر النساء صدقة ، وإحساناً إلى العلماء والفقهاء[2] ولها بطريق الحجاز معروف كثير ، ووقفت على الحنابلة مدرسة وأوقافاً دارة ، توفيت فى هذه السنة ودفنت فى تربة لها ببغداد عند قبر معروف الكرخى رضي الله عنه . وفى المرآة : عمرت الرُبُط والمساجد والجسر ببغداد ، وهى التى اشترت دار الوزير بن جهير بباب الأزج ووقفتها على الحنابلة .

(١) المختصر فى أخبار البشر ، جـ٣ ، ص١٠٢ .
(٢) مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٣٢ .

فصل فيما وقع من الحوادث فى السنة التاسعة والتسعين بعد الخمسمائة(*)

استهلت هذه السنة والخليفة هو الناصر لدين الله ، والسلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب مقيم فى دمشق ، وأرسل إلى ولده الملك الأشرف ، وأمره بمحاصرة ماردين ، فحاصرها وضايقها ، ثم سعى الملك الظاهر صاحب حلب إلى العادل فى الصلح ، فأجاب على أن يحمل إليه صاحب ماردين مائة ألف وخمسين ألف دينار ، ويخطب له ببلاده ويضرب السكة باسمه ويكون بخدمته متى طلبه ، فأجيب إلى ذلك واستقر الصلح عليه ، وأرسل العادل وانتزع ما كان بيد الملك الأفضل ، وهى رأس عين ، وسروج ، وقلعة نجم[1] ، ولم يترك بيده غير شميساط[2] فقط ، فأرسل الأفضل والدته ودخلت على الملك المنصور صاحب حماه ليرسل معها من يشفع فى الأفضل عند الملك العادل فى إبقاء ما كان بيده ، وتوجهت أم الأفضل وتوجه معها من حماه القاضى زين الدين بن هندى إلى الملك العادل ، فلم يجبها العادل ورجعت خائبة ، وقال ابن الأثير مؤلف الكامل : وقد عوقب البيت الصلاحى مثل ما فعله والدهم السلطان صلاح الدين لما خرجت إليه نساء الأتابكى وفى جملتهن بنت نور الدين الشهيد يشفعن فى إبقاء الموصل على عز الدين مسعود فردهن ولم يجب إلى سؤالهن ، ثم ندم رحمه الله على ردهن ، فجرى للأفضل بن صلاح الدين مع عمه العادل مثل ذلك ، ولما جرى ذلك أقام الأفضل بشميساط وقطع خطبة عمه الملك العادل ، وخطب للسلطان ركن الدين سليمان بن قليج أرسلان بن مسعود السلجوقى صاحب الروم .[3]

وفيها أخرج الملك العادل الملك المنصور محمد بن العزيز بن صلاح الدين من مصر إلى الشام فسار بوالدته وأقام بحلب عند عمه الملك الظاهر[4] . وقال ابن كثير :

(★) يوافق أولها ٢٠ سبتمبر ١٢٠٢م .

(١) قلعة النجم : قلعة حصينة مطلة على الفرات على جبل تحتها ربض عامر وعندها جسر يسمى جسر منبج ، انظر معجم البلدان ، جـ٤ ، ص١٦٥ .

(٢)ورد هذا الخبر بتصرف فى الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٨١ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٣٤ ؛ نهاية الأرب ، جـ٢٩ ، ص٣٦ .

(٤) ورد هذا الحدث باقتضاب فى الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٨٣ . ولمعرفة المزيد من التفصيل ارجع إلى المختصر ، جـ٣ ، ص١٠٤ .

(٥) ورد هذا الحدث باقتضاب فى نهاية الأرب ، جـ٢٩ ، ص٣٥ .

وفيها احتجز الملك العادل على محمد بن الملك العزيز وأخوته وسيرهم إلى الرها خوفاً من إقامتهم بالديار المصرية .[١]

وفيها بعث الخليفة الخلع وسراويلات الفتوة[٢] إلى الملك العادل وأولاده ، فلبسوها فى شهر رمضان ، وأمر العادل بعمارة قلعة دمشق وابتدئ ببرج الزاوية الغربية والقبلية المجاورة لباب الصغير .[٣]

ذكر غزوة الملك المنصور صاحب حماه

وفيها سار الملك المنصور إلى بعرين مرابطاً للإفرنج وأقام بها ، وكتب الملك العادل إلى صاحب بعلبك وإلى صاحب حمص بأنجاده ، فاجتمعت الإفرنج من حصن الأكراد وطرابلس وغيرهما ، وقصدوا الملك المنصور ببعرين واتفقوا معه فى ثالث شهر رمضان ، فانهزمت الإفرنج وقتل منهم جماعة ، وأسر[٤] آخرون ، وكان يوماً مشهوداً ، وفى ذلك يقول بهاء الدين أسعد بن يحيى السنجارى قصيدة[٥] :

ما لذة العيش إلا صوت معمعة ... يُنال فيها المُنَى بالبيض والأسلِ
يا أيها الملك المنصور نصح فتى ... لم يلوه عن ما جاء[٦] كثرة العذل
أعزم ولا تترك الدنيا بلا ملك ... وجد فالملك محتاج إلى رجل
يا أوحد العصر ياخير الملوك ومن ... فاق البرية من حاف ومنتعل

ثم خرج من حصن الأكراد والمرقب الاستبار والإفرنج وانضم إليهم جموع من السواحل ، واتقعوا مع الملك المنصور صاحب حماه وهو نازل ببارين فى الحادى والعشرين من رمضان[٢٧٩] بعد الوقعة الأولى بثمانية عشر يوماً فانتصر ثانياً ، وانهزمت الإفرنج هزيمة قبيحة ، وقتل المنصور منهم عدة وأسر جماعة .[٧]

(١) البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٣٨ .
(٢) الفتوة : نظام رياضى شبه عسكرى ، وجده الخليفة الناصر وله ملابس خاصة به . نهاية الأرب ، جـ٢٩ ، ص٣٦ ، حاشية١ .
(٣) مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٣٣ ؛ الذيل على الروضتين ، ص٣٣ ، نهاية الأرب ، جـ٢٩ ، ص٣٦ .
(٤) «وأسرت» فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه .
(٥) راجع ترجمته فى وفيات الأعيان ، جـ١ ، ص٢١٤-ص٢١٧ ، الخريدة ، قسم الشام ، جـ٢ ، ص٤٠١ .
(٦) فى أبى الفدا «لم ينوه عن فاء» .
(٧) المختصر ، جـ٣ ، ص١٠٣ ؛ السلوك ، جـ١ ق١ ، ص١٩٤ .

وفيها استولت الكرج على مدينة دوين من أذربيجان ونهبوها وقتلوا أهلها ، وكانت هى وجميع أذربيجان للأمير أبى بكر بن البهلوان ، وكان مشغولاً ليلاً ونهاراً بشرب الخمر ولا يلتفت إلى تدبير مملكته ، ووبخه أمراؤه ونوابه على ذلك فلم يلتفت .(١)

ذكر ما جرى فى اليمن

وفى هذه السنة جرى خباط عظيم فى اليمن ، وذلك أنه كان قد ملك اليمن المعز إسماعيل شمس الإسلام بن سيف الإسلام طغتكين بن أيوب كما ذكرنا ، وكان فيه هوج وخبط فادعى أنه قرشى وأنه من بنى أمية ولبس الخضرة ، وخطب لنفسه بالخلافة ، وخطب بنفسه ، ولبس ثياب الخلافة فى ذلك الزمان - وكان طول الكم نحو عشرين شبراً ، وخرج عن طاعته جماعة من مماليك أبيه واقتتلوا معه فانتصر عليهم ، ثم اتفق معهم جماعة من الأكراد وقتلوا المعز إسماعيل ، وأقاموا فى مملكة اليمن أخاً له صغيراً ، وسموه الناصر ، وأقام بأتابكيته مملوك والده سيف الدين سنقر ، وأقام مدة ثم مات سيف الدين سنقر بعد أربع سنين ، وتزوج بأم الناصر أمير من أمراء الدولة يقال له غازى بن جبريل وأقام بأتابكية الناصر ، ثم سم الناصر فى كوز فقاع على ما قيل وبقى غازى متملكاً للبلاد ثم قتله جماعة من العرب بسبب قتله للناصر ، فغلبت أم الناصر المذكور على زبيد وأحرزت عندها الأموال ، وكانت تنتظر وصول أحد من بنى أيوب فتتزوج به وتملكه البلاد ، وكان للملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ولد اسمه سعد الدين شاهنشاه ، وكان له ابن اسمه سليمان فخرج سليمان بن شاهنشاه بن عمر فى صورة فقير يحمل الركوة(٢) على كتفه وينتقل من مكان إلى مكان ، وكانت أم الناصر قد أرسلت بعض غلمانها إلى مكة - شرفها الله- فى موسم الحاج ليأتيها بأخبار مصر والشام ، فوجد سليمان المذكور فأحضره إلى اليمن ، فاستحضرته أم الناصر وخلعت عليه وتزوجت به وملكته اليمن فملأ اليمن ، ظلماً وجوراً وأطرح ، زوجته التى ملكته البلاد وأعرض عنها ، وكتب إلى السلطان الملك العادل وهو عم جده كتاباً جعل فيه من أوله :

---

(١) الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٨٣-ص٢٨٤ .

(٢) الركوة : هى دلو صغير ، والجمع ركاء ، المصباح المنير ، ص٢٨٢ مادة (ركو) .

«إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم» فاستقل العادل عقله ثم كان من سليمان المذكور ما سنذكره إن شاء الله .[١] تعالى .

ذكر ابتداء ملك جنكيز خان ملك التتار[٢]

وفى هذه السنة كان ابتداء ملكه وهو صاحب اليسق[٣] ، وضمها لتحاكم التتار ومن تبعهم من أمراء الترك ومن يتبع حكم الجاهلية وهو والد طولى[٤] وجد هلاون الذى قتل الخليفة المستعصم بالله[٥] وأهل بغداد فى سنة ست وخمسين وستمائة على ما سنذكره إن شاء الله . واعلم أنى أبين لك أصل هذا اللعين ، وكيف ملك التتار ، وكان مُلك الصين مُلكاً عظيماً ، دوره ستة أشهر ، وقد قيل : إنه يحويه سور واحد لم ينقطع إلا عند الجبال المنيعة والأنهار الواسعة ، وكان فى قديم الزمان ستة أجزاء ، كل جزء منها مسيرة شهر ، وكان يتولى كل جزء خان بعد خان أى سلطان بعد سلطان ، نيابة عن خانهم الأعظم وهو الطون خان ، توارث المملكة كابراً عن كابر ، بل كافراً عن كافر ، وكان هو عاصر السلطان[٢٨٠] الأعظم علاء الدين أبا الفتح محمد بن تكش بن أرسلان بن أتسر بن محمد أنوشتكين الخوارزمى[٦] ، الذى كان كرسى مملكته خوارزم ، وكانت عادة هؤلاء الملوك الستة الإقامة بطوغاج ، وهى واسطة الصين ونواحيها منتقلين من مصيف إلى مصيف ومن ريف إلى ريف ، وكان فى زمرتهم شخص يسمى دوشى خان ، وكان قد تزوج بعمة جنكيزخان ، وهى من قبيلة معروفة بتمرجى سكان البرارى ، منشأهم موضع يسمى

---

(١) ورد هذا الخبر بتصرف فى المختصر ، جـ٣ ، ص١٠٢ ، ١٠٣ .

(٢) لمعرفة المزيد عن حياة جنكيز خان ، انظر نهاية الأرب ، جـ٢٧ ، ص٣٠١- ص٣٠٦ . توفى عام ٦٢٤ ، زانباور ، معجم الأسرات الحاكمة ، جـ٢ ، ص٣٦٠ .

(٣) «الباسق» كذا فى الأصل والمثبت من أبى المحاسن ، النجوم الزاهرة ، جـ٦ ، ص٢٦٨ «أن جنكيزخان هو صاحب التوراه واليسق والتوراة باللغة التركية هو المذهب واليسق هو الترتيب وأصل كلمة اليسق سى ياسا وهو لفظ مركب من أعجمى وتركى ومعناها التراتيب الثلاثة والثلاثون لأن «سى» كلمة فارسية بمعنى العدد ثلاثين . انظر أيضاً السلوك ، جـ٢ ، ص٢٢٠ تحت عنوان ذكر أحكام السياسة . انظر نهاية الأرب ، جـ٢٧ ، ص٣٣٧ حاشية (١) .

(٤) طولى : ونكتب تولوى وهو الابن الرابع لجنكيز خان . انظر الهمذانى . مؤرخ المغول الكبير ، تحقيق فؤاد عبد المعطى الصياد ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص٣٥٩ ، وقد أورد هذه الأحداث فى سنة ٦١٦هـ . راجع ص٣٥٩ .

(٥) لمعرفة المزيد من التفاصيل عن هذا الحدث ، راجع البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢١٣-ص٢١٧- طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٣ ، ص١٩٨٧ .

(٦) زانباور ، معجم الأسرات الحاكمة ، جـ٢ ، ص٣١٧ .

أرغون وهم مشهورون بالشر والغدر ، فاتفق أنه مات دوشى خان زوج عمة جنكيز خان ، والطون خان غائب فى مشتاه وقد حضرها جنكيز خان معزياً ، فبعثت إلى كشلوخان ودوشى خان وهما متاخمان لأعمال المتوفى من الجهتين تنعى إليهما زوجها ، وتعلم أنه لم يخلف ولداً وأن جنكيز خان يقوم مقامه ويكون فى معاضدتهما ، فاستصوبا رأيها وأشار عليها بتقليد الأمر إلى جنكيز خان ، ثم لما عاد الطون خان إلى مدينة طوغاج شرع يستعرض من حجابه القضايا التى وقعت مدة غيبته إلى أن جاءت تقدمة جنكيز خان وخبره بتوليته موضع دوشى خان ، فغضب غضباً شديداً حيث تولى بغير أمره ، وأمر بقطع أذناب الخيل التى أرسلها جنكيز خان فى جملة التقدمة ويردها إليه فلما بلغ ذلك جنكيز خان استظهر بمن انضم إليه من عشيرته ، وخرج عن الطاعة ، فلما سمع بذلك الطونى خان أرسل إليهم يعتذر لهم مما صدر منه فلم يزدهم ذلك إلا نفوراً ، فحين جرى ذلك وآيس منهم جمع عسكره وسار إليهم ، فالتقى هو وإياهم فكسروه أقبح كسرة وقتلوا من عسكره مقتلة عظيمة ، ونجى الطون خان بنفسه وهرب إلى ما وراء كنك[1] وأخلى لهم البلاد ، فتمكنوا فيها وتملكوها وانضم إليهم من الترك وأوباشها كل طامع فى مال ، وأخذ أمر الطون خان يتضاعف ضعفاً إلى أن راسلهم قانعاً بما تحت يده من الملك الحقير ، فأجابوه إلى ما سأل إلى أن مات كشلوخان وقام ابنه مقامه ، فاستحقره جنكيز خان ، لصغر سنه ، وأخل بالقواعد التى المقررة بينه وبين أبيه ، ثم لم يزل يشتد أمره ويكثر جيشه إلى أن ملك البلاد وخضعت له قبائل الترك ببلاد طمغاج[2] كلها حتى صار يركب فى نحو ثمان مائة ألف مقاتل ، ويقال : كان فى ابتداء أمره خصيصاً عند ملك من ملوك بلاد طمغاج يسمى أوبك خان ، وكان إذ ذاك شاباً حسناً وكان اسمه أولاً تمرجى ، ثم لما عظم سمى نفسه جنكيز خان ، وكان هذا الملك قربه وأدناه ، فحسده عظماء الملك ووشوا به إليه حتى أخرجوه عليه ، ولم يقتله ، ولم يجد له طريقاً فى ذنب يتسلط عليه ، فهو فى ذلك إذ تغضب الملك على مملوكين صغيرين فهربا منه ولجآ إلى جنكيز خان ، فأكرمهما وأحسن إليهما ، فأخبراه بما أضمر الملك من أوبك خان من القتل والهم به ، فأخذ حذره وتحيز إلى مكان واتبعه طوائف من التتار ، ثم صار كثير من أصحاب أوبك خان منفرون

---

(١) «كِنْك» بالكسر ثم السكون وآخره كاف أيضاً اسم واد فى بلاد الهند ، معجم البلدان ، جـ٤ ، ص٣١٢ . .

(٢) طمغاج : كذا فى الأصل والنسوى ، سيرة جلال الدين منكوبرتى ، تحقيق حمدى حافظ ، ص٣٣ ، وتكتب فى بعض المصادر طوغاج ، انظر نهاية الأرب ، جـ٢٧ ، ص٢٤٠ .

إليه ، فيكرمهم ويعطيهم حتى قويت شوكته وكثرت جنوده ، ثم حارب بعد ذلك أوبك خان فظفر به وقتله واستحوذ على مملكته وملكه ، وانضاف إليه عَدَده وعُدَده وعظم[٢٨١] جارياته

أمزج بمسبوك اللجين ذهبا حكته دموع عينى
لما نعى ناعى الفراق بين من أهوى وبينى
خفقت لنا شمسان من لآلاتها فى الخافقين
وبدت لنا فى كأسها من لونها فى حلتين

وشميم على وزن فعيل مصغر من الشم .

أبو نصر محمد بن سعدالله بن نصر بن سعيد الدجاجى[١] ، كان شيخاً بهياً واعظاً حنبلياً فاضلاً شاعراً ، فمن شعره قوله :

نفس الفتى إن أصلحت أحوالها كان إلى نيل المنى أحوى لها
وإن ترى[٢] سددت أقوالها كان على حمل العلى أقوى لها
فإن تبدت حال من لهالها فى قبره عند البلى لها لها

ومولده سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، ومات فى ربيع الأول ، ودفن بباب حرب ، سمع أبا منصور القزاز وغيره .[٣]

أبو العباس أحمد بن مسعود بن محمد القرطبى الخزرجى ، كان إماماً فى التفسير ، والفقه ، والحساب ، والفرائض ، والنحو ، واللغة ، والعروض ، والطب ، وله تصانيف حسان وشعر رائق ، فمنه قوله :

وفى الوجنات ما فى الروض لكن لرونق زهرها معنى عجيب
وأعجب ما التعجب عنه أنى أرى البستان يحمله قضيب[٤]

---

(١) الذيل على الروضتين ، ص٥٢ ؛ الجامع المختصر ، جـ٩ ، ص١٥٥-ص١٥٦ ، النجوم ، جـ٦ ، ص١٨٧ .
(٢) «تراها» فى الذيل ص٥٢ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٤٢ .
(٣) البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٤٢ ، الذيل ، ص٥٢ .
(٤) الجامع المختصر ، جـ٩ ، ص٦٠٠- ص٦٠١ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٤٢ .

أبو الفدا إسماعيل بن بُرُتقش السنجارى مولى عماد الدين زنكى بن مودود بن زنكى ، كان جندياً حسن الصورة مليح النظم كثير الأدب .(١)

توفى فى هذه السنة أبو الفضل إلياس بن جامع بن على الإربلى(٢) ، تفقه بالنظامية ، وسمع الحديث ، وصنف التاريخ وغيره ، وتفرد بحسن كتابة الشروط ، وله فضل ونظم حسن ، فمنه قوله :

أممرض قلبى ما لهجرك آخر ومسهر طرفى هل خيالك زائر
ومستعذب التعذيب جوراً بصده أمالك فى شرع المحبة زاجر
هنيئاً لك القلب الذى قد وقفته على ذكر أيامى وأنت مسافر
فلا فارق الحزن المبرح خاطرى لبعدك حتى يجمع الشمل قادر
فإن مت فالتسليم منى عليكم يعاودكم ما كبر الله ذاكر(٣)

أبو السعادات التاجر البغدادى الرافض ، كان فى كل جمعة يلبس لأمة الحرب ويقف خلف باب داره وهو مجاف عليه والناس فى صلاة الجمعة ، وهو ينتظر أن يخرج صاحب الزمان من سرداب سامرا يعنى محمد بن الحسن العسكرى ليميل بسيفه فى الناس نصرة للمهدى .(٤)

القاضى أبو محمد مختار المعروف بابن قاضى داراً(٥) ، قتل فى الرابع والعشرين من ذى القعدة فى هذه السنة ، وسببه أنه كان وزير الملك الكامل بمصر حين كان ينوب عن والده الملك العادل ، وكان ابن شكر وزير العادل يبغضه ، فقرح فيه عند العادل فخاف عليه الكامل ، فأمره بالخروج من مصر ، فخرج هو [وولداه](٦) فخر الدين وشهاب

---

(١) وردت هذه الترجمة فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٤٢ ؛ الجامع المختصر ، جـ٩ ، ص١٦٤-ص١٦٥ .
(٢) الجامع المختصر . جـ٩ ، ص١٦٥ .
(٣) ورد هذا الخبر فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٤٢-ص٤٣ .
(٤) ورد هذا الخبر فى البداية والنهاية ، جـ٢٣ ، ص٤٣ ؛ وانظر ترجمته فى الجامع المختصر ، جـ٩ ، ص١٦٢ .
(٥) الذيل على الروضتين ، ص٥٢ .
(٦) [ووالداه] كذا فى الأصل .

الدين ، وساروا إلى حلب ، فأكرمهم الملك الظاهر صاحب حلب ، ثم ورد مرسوم الملك العادل يطلبه ، فخرج من حلب يريد التوجه إلى مصر[٢٨٢] وبات بعين المباركة[١] وإذا [بخمسين][٢] فارساً قد أحاطوا بخيمته ليلاً وقالوا : نريد القاضى . فخرج إليهم فنزل منهم ثلاثة فقتلوه وقالوا لغلمانه : أحبطوا متاعكم فما كان لنا غرض سواه . واتصل الخبر بالملك الظاهر فخرج وفرق الرجال فى الطرقات فلم يقع لهم خبر ، وكان كما قيل هرب من القتل إلى القتل .[٣]

أبو العباس الحربى أحمد بن سلمان ويلقب بالسكر ، قرأ القرآن بالروايات وسمع الحديث الكثير ، ومولده سنة أربعين وخمسمائة ، وكان صالحاً زاهداً عابداً ، أقام فى الحربية[٤] ، يختم القرآن كل ليلة فى صلاة التراويح . قال السبط : وكنت أصلى خلفه[٥] ، وكان قنوعاً صبوراً على الفقر ، وتوفى فى صفر ، ودفن بباب حرب ، سمع أبا الوقت وابن البطى وغيرهما ، وسمعنا عليه الحديث وكان ثقة صدوقاً .[٦]

أبو محمد الحرانى عبدالمنعم بن على بن الصيقل ولقبه نجم الدين ، قدم بغداد أول مرة فى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، وتفقه على أبى الفتح بن المنى وسمع الحديث الكثير من أبى الفتح بن الشاتل وأبى السعدات بن زريق وابن الجوزى وغيرهم ، وعاد إلى حران ووعظ بها وحصل له القبول التام ، وعاد إلى بغداد فاستوطنها ووعظ بها . قال السبط : وحضرت مجلسه بمسجد باب المشرعة وسمعته ينشد :

واشتاقكم يا أهل ودى وبيننا ... كما زعم البينُ المشت فراسخ
فأما الكرى عن ناظرى فمشرد ... وأما هواكم فى فؤادى فراسخ

---

(١) عين المباركة : مكان ظاهر حلب ، راجع السلوك ، جـ١ ، ق١ ، ص١٩٧٠ .
(٢) «بخمسون» كذا فى الأصل .
(٣) ورد هذا الخبر بتصرف فى السلوك ، جـ١ ، ق١ ، ص١٩٨ .
(٤) الحربية : محلة كبيرة مشهورة ببغداد ، عند باب حرب تنسب إلى حرب بن عبدالله البلخى . انظر معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٤٣٤ .
(٥) «وراءه» كذا فى الأصل والتصحيح من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٤١ حيث ينقل عنه .
(٦) مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٤١ ؛ وانظر ترجمته فى ابن عماد الحنبلى ، شذرات الذهب ، جـ٥ ، ص٢ .

وكان صالحاً ديناً نزهاً عفيفاً كيساً لطيفاً متواضعاً كثير الحياء . قال السبط : وكان يزور جدى وسمع معنا الحديث وكانت وفاته يوم الخميس سادس عشر ربيع الأول[1] ، وصلى عليه بالنظامية ، ودفن بباب حرب ، وخلف ولدين النجيب عبداللطيف ، والمعز عبدالعزيز ، فأما عبداللطيف فكان يسمع معنا الحديث على جدى بقطفتا[2] وأما المعز فكان صغيراً ، ثم تقلبت بهما الأحوال حتى أفضى أمرهما إلى أن صارا تاجرين لديوان الخليفة ، وظهر منهما الثقة والأمانة والعفة والديانة والنهضة والصيانة .[3]

أبو غالب بن كمونة اليهودى الكاتب ، كان يزوِّر على خط ابن مقلة من قوة خطه ، توفى لعنه الله فى هذه السنة بمطمورة بواسط .[4]

أبو غالب بن أبى طاهر بن شبّر ، كان عاملاً على دار الضرب ببغداد ، توفى فى هذه السنة «ذكره ابن الساعى الخازن فى تاريخه .[5]

الأمير علم [الدين][6] الكرجى الأسدى ، مات بدمشق فى الثالث عشر من ربيع الآخر ، وصلى عليه الملك العادل بمرج باب الحديد ، ودفن بالجبل .

بوريا التقوى ، مات فى هذه السنة غريقاً ببلاد المغرب فى خدمة بنى عبد المؤمن .[7]

الملك ابن بكتمر صاحب خلاط ، كان شاباً لم يكن فى الدنيا أحسن منه ، ولم يبلغ عشرين سنة ، قتله الهزار دينارى ، وقيل : بل غرقه فى بحر خلاط ثم قتل الهزار دينارى بعده .[8]

---

(١) اتفقت المصادر التى وقعت بين أيدينا على أن الوفاة كانت فى ربيع الأول ، وهو الأقرب إلى الصواب ، إلا أن سبط ابن الجوزى ذكر أن الوفاة كانت فى ربيع الآخر ، راجع الذيل على الروضتين ، ص٥٢ ، الشذرات ، جـ٥ ، ص٤ ؛ الجامع المختصر ، جـ٩ ، ص١٥٧ .

(٢) قطفتا : محلة كبيرة ذات أسواق بالجانب الغربى من بغداد مجاورة لمقبرة الشيخ معروف الكرخى ، معجم البلدان ، جـ٤ ، ص١٣٧ .

(٣) مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٤١-ص٣٤٢ .

(٤) الجامع المختصر ، جـ٩ ، ص١٦٥ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٤٧ .

(٥) الجامع المختصر ، جـ٩ ، ص١٦٦ .

(٦) [ ] ما بين حاصرتين إضافة من الذيل على الروضتين ، ص٥٢ .

(٧) الذيل على الروضتين ، ص٥٢ .

(٨) مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٤٢ ، النجوم الزاهرة ، جـ٦٧ ، ص١٨٨ .

فصل فيما وقع من الحوادث فى السنة الثانية بعد الستمائة(*)

استهلت هذه السنة والخليفة هو الناصر لدين الله ، وأصحاب البلاد على حالهم[٢٨٣] غير أن صاحب غزنة وغيرها توفى فى هذه السنة قتيلاً وهو الملك أبو المظفر شهاب الدين محمد بن سام بن الحسن الغورى ، وذلك أنه لما كان قد اتقع مع الخطا ونال منهم كروا عليه فهزموه ، وبقى فى نفر يسير فدخل إلى خوىّ(١) فيمن معه ، فحصره الكفار ونهبوا خزائنه ، وشاع الخبر فى جميع بلاده أنه عدم ، ثم وصل إلى الطالقان(٢) فى سبعة نفر فأخرج له الحسين بن حرميل صاحب الطالقان الخيام وجميع ما يحتاج إليه ، فسار إلى غزنة وسار معه ابن حرميل فى صحبته وجعله أمير حاجب .

ولما اشتهر خبر عدمه فى البلاد ثار المفسدون فى كل الأطراف ، فكان ممن ثار بَنُو [كوكر](٣) فقطعوا الطريق وخرجوا عن الطاعة ، فعند ذلك تجهز شهاب الدين وسار بعساكره إليهم ، ولقيهم وهزمهم وغنم المسلمون منهم خلقاً كثيراً حتى بيع كل خمسة نفر بدينار ، وهرب بن كوكر بعد أن قتل أخوته وأهله ، وفتح شهاب الدين قلعة جودى(٤) فلما فرغ منهم سار نحو لهاور(٥) وأمر الناس بالرجوع إلى بلادهم ، ثم عاد إلى غزنة ، وكان من جملة الخارجين البراهنة(٦) فإنهم خرجوا إلى حدود سوران(٧) ومكران(٨) للإغارة على الإسلام ، فأوقع بهم [نائب](٩) تاج الدين يلدز وقتل منهم خلقاً كثيراً ، وحملت رؤسهم فعلقت ببلاد الإسلام .

(★) يوافق أولها ١٨ أغسطس سنة ١٢٠٥م .

(★★) السنتان ٦٠٠ ، ٦٠١هـ ساقطتان من نسخ المخطوط .

(١) خُوَيٌّ : بلد مشهور من أعمال أذربيجان كثيرة الخير والفواكه . معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٥٠٢ .

(٢) طالقان : بلده بخراسان بين مرو الروذ ، وبلخ ، معجم البلدان ، جـ٣ ، ص٤٩١–ص٤٩٣ .

(٣) «كولر» فى الأصل . والمثبت من الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٠٠ ؛ الجامع المختصر ، جـ٩ ، ص١٦٩ .

(٤) لهاور : إحدى المدن المشهورة بالهند . معجم البلدان ، جـ٤ ، ص٣٧١ .

(٥) «التيراهية» فى الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٠٢ .

(٦) سوران = صبران : بليدة بها قلعة عالية . وراء نهر سيحون ، فى طرف البرية . انظر : معجم البلدان ، جـ٣ ، ص٣٦٦ ؛ بلدان الخلافة الشرقية ، ص٥٢٩ .

(٧) مكران : ولاية بين كرمان من غربيها وسجستان شماليها والبحر جنوبيها والهند شرقيها ، معجم البلدان ، جـ٤ ، ص٦١٤ .

(٨) [ ] ما بين حاصرتين إضافة للتوضيح . الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٠٢ .

ثم إن شهاب الدين لما عاد من لهاور قتل بمنزل يقال له : دميك[١] وقت[٢] صلاة العشاء فى أول ليلة من شعبان من هذه السنة ، وكان سبب قتله أن نفراً من الكوكرية لزموا عسكره عازمين على قتله لمّا فعل بهم من القتل والسبى ، فلما كانت الليلة التى قتل فيها تفرق عنه أصحابه ، وبقى وحده ، فهجموا عليه وهو من الخركاه[٣] فضربوه بالسكاكين اثنتين وعشرين ضربة فقتلوه . وبنو كوكر طائفة من [أهل][٤] الجبال مفسدون ، ولما قتل اجتمع الأمراء عند الوزير مؤيد الملك[٥] بن خواجا [سجستان][٦] فتحالفوا على حفظ الخزانة والملك لزوم السكينة إلى أن يظهر من يتولى الملك ، فأجلسوا شهاب الدين وخيطوا جراحه ، وأشاعوا أنه حىٌ وجعلوه فى محفة وساروا به ، وسكن الناس ، وكانت الخزانة التى فى صحبته ألفين ومائتى جمل ، وعرفوا أنه سيكون بين غياث الدين محمود ابن أخى شهاب الدين وبين بهاء الدين سام ابن أخته وهو صاحب باميان[٧] حروب على الملك ، وكان ميل الوزير والأتراك إلى غياث الدين محمود ، والأمراء الغورية يميلون إلى بهاء الدين سام ، فأرسلت كل طائفة منهما إلى الذين يميلون إليه يخبرونه بقتل شهاب الدين ، فلما وصل العسكر والوزير إلى فرشابور[٨] اختلفوا ، فقالت طائفة : نسير إلى غزنة على طريق مكران . وقال الأتراك : نسير على طريق سوران . وكان مقصودهم أن يكونوا قريباً من تاج الدين وهو مملوك شهاب الدين[٢٨٤] وكرمان أقطاعه ، ومقصودهم أن يحفظ تاج الدين الخزانة فى البلد ، ويراسلوا من كرمان إلى غياث الدين يستدعونه إلى غزنة فيُملّكونه ، فلما وصلوا إلى كرمان بعد مشقة قاسوها فى طريق الجبال خرج إليهم تاج ، وفى نيته أن يملك غزنة ، فسأل الوزير عن الأموال فأخبره بما معه ، وقال له الوزير : إن الغورية قد كاتبوا غياث الدين محموداً وبهاء الدين سام صاحب باميان . ثم قال للوزير : إنهم أمرونى أن أتسلم الخزانة منك ، فلم يقدر على الامتناع وساروا بالمحفة والمماليك

---

(١) «دمبل» المختصر ، جـ٣ ، ص١٠٦ .

(٢) «قبل صلاة العشاء» فى المختصر ، جـ٣ ، ص١٠٦ ؛ ويبدو أن العينى نقل هذا الخبر من الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٠٣ ، حيث أن الخبر يتفق مع ما ورد فى الكامل .

(٣) الخركاة : (خيمة) انظر السلوك ، جـ١ ، ص٣٢ .

(٤) [ ] ما بين حاصرتين إضافة من المختصر ، جـ٣ ، ص١٠٦ .

(٥) «مولد الدين» فى الأصل ، والمثبت من الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٠٣ .

(٦) ما بين حاصرتين إضافة للتوضيح من الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٠٣ .

(٧) باميان : بلده وكوره فى الجبال بين بلخ وهراة وغزنة بها قلعة حصينة ، معجم البلدان ، جـ١ ، ص٤٨١ .

(٨) فرشابور : يطلق عليها عامة تلك البلاد «برشاوور» وهى مدينة وولاية واسعة من أعمال لهاور . معجم البلدان ، جـ٣ ، ص٨٧٤ .

والوزير إلى غزنة ، فدفن شهاب الدين بالتربة ، في المدرسة التي أنشأها ، ولما بلغ الخبر بهاء الدين سام كتب إلى من بغزنة من الأمراء الغورية يأمرهم بحفظ البلد وأنه سائر إليهم عن قريب ، وكان مستحفظ قلعتها يعرف بأمير دار[١] ، وقد سير ولده إلى بهاء الدين سام يستدعيه إلى غزنة ثم كتب بهاء الدين إلى علاء الدين محمد بن أبي على ملك الغور يستدعيه إليه وإلى غياث الدين محمود وإلى أبي خرميل ، وإلى هراة[٢] يأمرهما بإقامة الخطبة له ، وحفظ ما بأيديهما من الأعمال ، ولم يظن أن أحدا يخالفه ، فسار من باميان برحلتين فوجد صداعاً في رأسه ، فنزل ليستريح فعظم الأمر عليه ، فأيقن بالموت ، فأحضر ولديه وعهد إلى علاء الدين وأمرهما بقصد غزنة ، وأن يصالحا غياث الدين على أن يكون له خراسان وبلاد الغور ويكون لهما غزنة وبلاد الهند ، ولما فرغ بهاء الدين من الوصية توفى ، فسار ولداه إلى غزنة ودخلا البلد وملكاه ، فلما بلغ ذلك تاج الدين يلدز سار بعساكره وجموعه ، وسير إلى علاء الدين وجلال الدين أن أخرجا من غزنة وعودا إلى باميان على عادة أبيكما ، فإن غياث الدين أمرني بالمسير إلى غزنة وإنما أراد أن يجعل طريقاً إلى ملك غزنة لنفسه ، ثم سار إلى غزنة فحاصرها ، فترددت الرسل بينه وبين ولدى بهاء الدين سام ، ففارقا غزنة ولحقا بباميان ، فدخل تاج الدين يلدز إلى غزنة وقعد فيها أربعة أيام ، فعند ذلك طلب القضاه والأمراء والأتراك وقبض على أميردار والى غزنة ، ودخل إلى دار السلطان وجلس فيها على مرتبته ، فتغيرت لذلك نيات الأتراك وغيرهم لأنهم كانوا يظنون أنه يُملك غياث الدين ، فأرسل إليه غياث الدين الخلع وطلب منه الخطبة له ، فغالطه ولم يفعل ، فطلب منه أن يخاطبه بالملك وأن يتزوج ابنه من ابنته ، فلم يُجبه ، وامتنع عن الخطْبَه كامتناعه عن الخُطْبَه ، وأجرى يلدز بغزنة رسوم شهاب الدين ، وفرق في أهلها أموالاً جليلة المقدار وألزم مؤيد الملك بالوزارة . فامتنع وأكره على ذلك .

وأما غياث الدين فإنه بمدينة بست[٣] لم يتحرك في شيء انتظاراً لما يكون من أمر صاحب باميان لأنهما كانا تعاهدا في أيام شهاب الدين أن تكون خراسان لغياث الدين ،

---

(١) أمير دار : هو أمير المظالم عند الروم . صبح الأعشى ، جـ١٤ ، ص١٦٠ .

(٢) هراة : مدينة كبيرة مشهورة بين أمهات مدن خراسان . انظر : معجم البلدان ، جـ٤ ، ص٩٥٨-٩٥٩ ؛ رحلة بن بطوطة ، ص١٧٩ ؛ بلدان الخلافة الشرقية ، ص٥٧١ .

(٣) بُسْت : مدينة بين سجستان وغزنين وهراة ، معجم البلدان ، جـ١ ، ص٦١٢ .

وغزنة والهند لصاحب باميان، فلما بلغه موت بهاء الدين جلس على التخت وخطب لنفسه[٢٨٥] بالسلطنة، وحلف للأمراء الذين قصدوه، وهم: إسماعيل الخلجي وسونج أمير شكار[١] وغيرهما، وتلقب بألقاب أبيه غياث الدين، وكتب إلى علاء الدين محمد بن أبي علي وهو بفيروزكوه يستدعيه إليه، ثم رحل غياث الدين إلى فيروزكوه فملكها وقبض على جماعة من أصحاب علاء الدين محمد، فنجا علاء الدين هرباً ودخل دار أبيه فسكنها، واستوزر عبد الجبار بن محمد الكيزاني وزير أبيه، وسلك طريق والده في الإحسان والعدل، ولما فرغ غياث الدين من علاء الدين محمد، ولم يكن له همه إلا ابن خرميل صاحب هراة واجتذابه إلى طاعته، فراسله وكاتبه، فلما وصله كتابه خاف ميل الناس إليه فغالطه في الجواب وكاتب خوارزم شاه وطلب منه أن يرسل إليه عسكراً ليكون في طاعته، ويمتنع به من الغورية، فكتب خوارزم شاه إلى عسكره الذي بنيسابور وغيرها من بلاد خراسان بالتوجه إلى هراة، وأن يمتثلوا أمر ابن خرميل، فلما وصل عسكر خوارزم شاه أنزلهم ابن خرميل على باب هراة، وبلغ ذلك غياث الدين فبرز عن فيروزكوه نحو هراة وأقر عسكره بالتقدم إلى هراة، وجعل المقدم عليهم علي بن أبي علي، وبلغه أن خوارزم شاه على بلخ[٢] فسار وكان علي يزكه صاحب الطالقان، وكان منحرفاً على غياث الدين، فأرسل إلى ابن خرميل يعرفه أنه على اليزك ويأمره بالمجيء إليه وأنه لا يمنعه، فسار ابن خرميل في عسكره فكبس عسكر غياث الدين على غرة منهم فهزمهم، وغنم أموالهم وأسر ابن إسماعيل الخلجي، وأرسل عسكره فشنوا الغارة على البلاد، وعظم الأمر على غياث الدين فأزمع المسير إلى هراة فأتاه الخبر أن علاء الدين صاحب باميان قد عاد إلى غزنة، فأقام ينتظر ما يكون منهم ومن يلدز، وأما خوارزم شاه فاستمر على حصار بلخ حتى فتحها وسلمها إلى جغر التركي، وسار مجدا إلى مدينة ترمذ[٣] وبها ولد عماد الدين صاحب بلخ فسير إليه، أماناً فسلمها إليه فلما تسلمها منه سلمها إلى الخطا، وإنما أعطاهم ذلك ليتمكن من ملك خراسان، وأما يلدز فإنه أقام في

---

(١) أمير شكار: يتحدث صاحب هذه الوظيفة على الجوارح السلطانية من الطيور وغيرها، وعلى سائر أمور الصيد. وشكار لفظ فارسي معناه الصيد، فيكون المراد أمير الصيد. انظر: صبح الأعشى، جـ٤، ص٢٢، جـ٥، ص٤٦١.

(٢) بَلْخُ: مدينة مشهورة بإقليم خراسان، معجم البلدان، جـ١، ص٧١٣.

(٣) تَرْمِذُ: مدينة مشهورة من أمهات المدن، تقع على الجانب الشرقي من نهر جيحون. معجم البلدان، جـ١، ص٨٤٣.

غزنة كما ذكرنا ولم يخطب لأحد إلا لنفسه ، وكان يعد الناس أن رسولى عند غياث الدين فإذا عاد خطبت له ، وكان يفعل ذلك مكراً فإنه لو لم يظهر ذلك لفارقه أكثر الأتراك وسائر الرعايا ، فجمع علاء الدين وجلال الدين ولدا بهاء الدين سام جيشاً وسارا إليه طالبى غزنة فلما بلغ يلدز مسيرهما جهز من عسكره طائفة فالتقوا هم وعسكرهما ، فانهزم عسكر يلدز من بين أيديهم إلى غزنة فساروا فى أثره ، فلما قاربوا البلد انهزم يلدز أيضاً فتبعوه إلى كرمان وملكوها وعاد المذكوران إلى غزنة ومعهما الخزانة التى أخذها يلدز ، وقبضا على مؤيد الملك الوزير ، وقسما الخزانة بينهما ، وسار جلال الدين إلى باميان وبقى علاء الدين بغزنة فاستوزر عماد الملك ، فأساء السيرة مع الجند والرعية ونهب أموال الأتراك حتى أنهم باعوا أمهات أولادهم وهن يبكين وهو لا يلتفت إليهم ، ثم أن يلدز جمع جموعاً من الأتراك وغيرهم وعاد إلى غزنة فوصلوا إلى كلوا[1][٢٨٦] فملكوها وقتلوا جماعة من الغورية ووصل المنهزمون إلى كرمان ، فسار يلدز إليهم وجعل على مقدمته مملوكاً كبيراً من مماليك شهاب الدين اسمه إيدكز الشرقى فى ألفى فارس من الخليج والأتراك والغز والغورية وغيرهم ، وكان بكرمان عسكر لعلاء الدين مع أمير يقال له ابن المؤيد ، ومعه جماعه من الأمراء منهم أبو على بن سليمان ، وهو وأبوه عن أعيان الغورية ، وكانا مشتغلين باللهو والشرب لا يفتران عنه ، فهجم عليهم إيدكز ومن معه من الأتراك وعاجلوهم عن ركوب خيلهم فتقلوهم عن آخره ، فمنهم من قتل فى المعركة ومنهم من قتل صبراً ، ولم ينج إلا من تركه الأتراك عمداً . ولما وصل يلدز ورأى أمراء الغورية كلهم قتلى لام إيدكز ووبخه وأحضر رأس ابن المؤيد بين يديه ، فسجد شكراً لله تعالى . وأمر بالمقتولين فغسلوا ودفنوا . وكان من القتلى أبو على بن سليمان بن شيْشر[1] . ووصل الخبر إلى غزنة فى العشرين من ذى الحجة من هذه السنة ، فصلب علاء الدين الذى جاء بالخبر ، فمطر الناس مطراً شديداً حتى خرب بعض غزنة وجاء بعده بردٌ كبار مثل بيض الدجاج ، فضج الناس إلى علاء الدين بإنزال المصلوب فأنزله آخر النهار فانكشفت الظلمة وسكن ما كانوا فيه .

---

(١) «سيسر» كذا فى الكامل ، جـ١٠ ، ص٣١٦ .

وملك يلدز كرمان وأحسن إلى أهلها ، وكانوا فى ضر شديد مع أولئك ولما صح الخبر عند علاء الدين أرسل وزيره إلى أخيه جلال الدين فى باميان يخبره بحال يلدز ويستنجده ، وكان قد أعد العساكر ليسير إلى بلخ ليُرحل عنها خوارزم شاه ، فلما أتاه هذا الخبر ترك بلخ وسارا إلى غزنة وكان أكثر عسكره من الغورية قد فارقوه وفارقوا أخاه وقصدوا غياث الدين ، فلما كان أواخر ذى الحجة وصل يلدز إلى غزنة ونزل هو وعسكره بإزاء قلعتها وحضر علاء الدين وجرى بينهم قتال شديد ، وأمر يلدز فنودى فى البلد بالأمان وتسكين الناس ، وحاصر يلدز القلعة فوصل جلال الدين فى أربعة آلاف من عسكر باميان وغيرهم ، فرحل يلدز إلى طريقهم وكان فى مقامه إلى أن سار إليهم أربعين يوماً ، فلما سار أرسل علاء الدين من كان عنده من العسكر وأمرهم أن يأتوا يلدز من خلفه ويكون أخوه من بين يديه ، فلما خرجوا من القلعة سار سليمان بن على الغورى إلى غياث الدين بفيروزكوه ، فأكرمه وجعله بها أمير دار ، وساريلدز فى طريق جلال الدين فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً صبروا فيه ، فانهزم جلال الدين وعسكره وأخذ أسيراً وأتى به إلى يلدز ، فرحل إلى غزنة وهو معه وأرسل إلى علاء الدين أن سلم القلعة وإلا قتلت من معى من الأسرى ، فلم يسلمها فقتل منهم أربع مائة أسير بإزاء القلعة ، فأرسل علاء الدين يطلب الأمان فأمنه فلما خرج إليه قبض عليه ووكل به وبأخيه من يحفظهما وقبض على وزيره عماد الملك لسوء سيرته ، وكان هندوخان[1] ملكشاه بن خوارزمشاه تكش مع علاء الدين بن سام بقلعة غزنة ، فلما قبض عليه أمسكه معه وكتب إلى غياث الدين[٢٨٧] بالفتح وأرسل إليه الأعلام وبعض الأسرى .

ذكر ترجمة شهاب الدين المذكور

كان شجاعاً كثير الغزو ، عادلاً فى الرعية ، وكان الإمام فخر الدين الرازى رحمه الله يعظُه فى داره ، فحضر يوماً ووعظه وقال فى آخر كلامه : يا سلطان لا سلطانك يبقى ولا تلبيس الرازى . فبكى شهاب الدين حتى رحمه الناس ، وكان فخر الدين الرازى فى صحبته حين قتل ، فاتهمه بعض الخاصكين بقتله ، فخاف من ذلك والتجأ إلى الوزير مؤيد الملك بن خواجا ، فسيره إلى حيث يأمن .

---

(١) فى الأصل : هندوخان بن ملكشاه . والصحيح ما أثبتناه من الكامل ، جـ١٠ ، ص٥٠٣ . وهو ناصر الدين ملكشاه بن تكش ، المتوفى سنة ٥٩٣هـ بخراسان . انظر : أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة ، ص٣٧٦ .

ذكر اتفاق مظفر الدين كوكبرى وصاحب مراغة على قصد أذربيجان

وفى هذه السنة اتفق كوكبُرى صاحب إربل مع صاحب مراغة على قصد أذربيجان وأخذها من صاحبها أبى بكر بن البهلوان لاشتغاله بالشرب ليلاً ونهاراً ، وتركه النظر فى أحوال المملكة وتركه حفظ العساكر والرعايا ، فسار صاحب إربل إلى مراغة واجتمع هو وصاحبها علاء الدين وتقدما نحو تبريز ، فلما علم صاحبها أبو بكر أرسل إلى أيتغمش صاحب بلاد الجبل همذان وأصفهان والرى وما بينهما من البلاد ، وهو مملوك أبيه البهلوان ، وهو فى طاعة أبى بكر ، فأرسل إليه أبو بكر يستنجده ويعرفه الأحوال وكان ببلاد الإسماعيلية ، فلما أتاه الخبر سار إليه فى العساكر الكثيرة ، فلما حضر عنده أرسل إلى صاحب إربل يقول له : إنا كنا نسمع عنك أنك تحب أهل العلم والخير وتحسن إليهم فكنا نعتقد فيك الخير والدين ، والآن ظهر لنا منك ضد ذلك لقصدك بلاد المسلمين وقتالهم ونهب أموالهم وإثارة الفتنة ، فإذا كنت كذلك فلا عقل لك إذ تجىء إلينا وأنت صاحب قرية ونحن لنا من باب خراسان وإلى خلاط وإلى إربل ، وأحسب أنك هزمت السلطان أما تعلم أن له مماليك أنا أحدهم ، ولو أخذ من كل قرية شحنة ومن كل مدينة عشرة رجال لاجتمع له أضعاف عسكرك ، فالمصلحة أنك ترجع إلى بلدك ، وإنما أقول لك هذا إبقاء عليك . ثم سار إليه عقيب هذه الرسالة ، فلما سمع رسالته وبلغه مسيره عزم على العود ، فألزمه صاحب مراغة أنه يقيم بمكانه ويسلم إليه عسكره ، وقال : إن جميع أمرائه قد كاتبنى ، ليكونوا معى إذا قصدتهم . فلم يقتل مظفر الدين من قوله وعاد إلى بلده ثم إن أبا بكر وأيتغمش قصداً مراغة وحاصروها ، فصالحهم صاحبها على تسليم قلعة من حصونه إلى أبى بكر ، فأقطعه أبو بكر مدينتى أستوا[1] وأرميه[2] وعاد عنه ، وكان أيتغمش قد سار إلى بلاد الإسماعيلية المجاورة لقزوين فقتل منهم مقتلة عظيمة ونهب وأسر وسبى وحاصر قلاعهم ، ففتح منها خمس قلاع وصمم العزم على حصر الموت واستئصال أهلها ، فاتفق ما ذكرنا من حركة صاحب إربل وصاحب مراغة فاستدعاه الأمير أبو بكر ففارق بلادهم وسار إليه كما ذكرنا .

---

(١) أُسْتُوَا : كورة من نواحى نيسابور ، وقصبتها خبوشان . معجم البلدان ، جـ١ ، ص٢٤٣ .

(٢) أُرْمِيَة : مدينة كبيرة قديمة بأذربيجان . معجم البلدان ، جـ١ ، ص٢١٨-٢١٩ .

وفى هذه السنة(١) سار من عسكر خوارزم شاه عشرة آلاف فارس بأهليهم وأولادهم إلى بلاد الجبل فوصلوا إلى زنكان(٢) ، وكان أيتغمش صاحبها مشغولاً مع صاحب إربل وصاحب مراغة ، واغتنموا خلو البلاد ، فلما عاد مظفر الدين إلى بلده وانفصل الحال بين أيتغمش وصاحب مراغة سار أيتغمش نحو الخوارزمية[٢٨٨] فلقيهم وقاتلهم فاشتد القتال بين الطائفتين ، وانهزم الخوارزميون وأخذهم السيف ، فقتل منهم وأسر خلق كثير ، ولم ينج منهم إلا الشريد .

ذكر غارة ابن لاون على أعمال حلب

وفى هذه السنة(٣) توالت الغارة من ابن لاون الأرمنى صاحب الدروب على ولاية حلب ، فنهب وحرق وسبى وأسر ، فجمع الملك الظاهر غازى صاحب حلب عساكره ، واستنجد غيره من الملوك وجمع كثيراً من الفارس والراجل ، وسار عن حلب نحو بلد ابن لاون ، وقد نزل المذكور من طرف بلاده مما يلى بلد حلب ، وليس إليه طريق لأن جميع بلاده لا طريق إليها ، إلا من جبال وعرة ، ومضايق صعبة ، والطريق متعذر ، فنزل الظاهر على خمسة فراسخ من حلب ، وجعل على مقدمته جماعة من عسكره مع أمير كبير من مماليك أبيه يعرف بميمون القصرى ، وأنفذ ميرة وسلاحاً إلى حصن له مجاور لبلاد ابن لاون اسمه دربساك ، وأنفذ إلى ميمون ليرسل طائفة من العسكر الذين عنده إلى طريق هذه الذخيرة ليسيروا معها إلى دربساك ، ففعل ذلك وسير جماعة كثيرة من عسكره وبقى فى قلة ، فبلغ الخبر ابن لاون فجد نحوه ، فوافاه وهو مخف فى العسكر فاشتد القتال بينهم ، فأرسل ميمون إلى الظاهر يعرفه وكان بعيداً عنه فطالت الحرب بينهم ، وحمى ميمون نفسه وأثقاله على قلة من المسلمين وكثرة من الأرمن ، فانهزم المسلمون ونال العدو منهم ونالوا من العدو ، وعاد العدو إلى بلادهم واعتصموا بجبالهم وحصونهم .

---

(١) نقل العينى هذا الخبر من الكامل ، جـ١٠ ، ص٣١٩ .

(٢) زَنْكان =زَنْجان : بلد كبير مشهور من نواحى الجبال ، بين أذربيجان وبينها . وهى قريبة من أَبْهَر وقزوين . والعجم يقولون : زنكان . معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٩٤٨ ؛ بلدان الخلافة الشرقية ، ص٢٥٦ .

(٣) نقل العينى هذا الخبر بتصرف من الكامل ، جـ١٠ ، ص٣١٩-٣٢٠ .

وفى المرآة[١] : وفى هذه السنة أغار ابن لاون على بلد حلب وأخذ الجشار[٢] من نواحى حلب ، فبعث الملك الظاهر فارس الدين ميمون القصرى ، وأيبك فطيس ، وحسام الدين بن أمير تركمان ، فنزلوا على حارم فقال لميمون : كن على حذر ، فتهاون ، فكبسهم ابن لاون وقتل جماعة من المسلمين ، وثبت أيبك فطيس وابن تركمان وقاتلا قتالاً شديداً ، ولولاهما لأخذ ميمون ، وبلغ الظاهر فخرج من حلب ونزل مرج دابق[٣] وجاء إلى حارم ، فهرب[٤] ابن لاون إلى بلاده وكان قد بنى قلعة فوق دربساك فأخربها الظاهر ، وعاد إلى حلب .

ذكر قصد الكرج بلاد الإسلام

وفى هذه السنة[٥] قصدت الكرج فى جموعها ولاية خلاط من أرض أرمينية ، ونهبوا وقتلوا وسبوا من أهلها كثيراً وجاسوا خلال الديار آمنين ، ولم يخرج إليهم من خلاط من يمنعهم ، فبقوا متصرفين فى النهب والسبى ، والبلاد شاغرة لا مانع لها ، لأن صاحبها صبى والمدبر لدولته ليست له تلك الطاعة من الجند ، فلما اشتد البلاء على الناس تذامروا وحرض بعضهم بعضا ، واجتمعت العساكر الإسلامية من تلك البلاد جميعها ، وانضاف إليهم من المتطوعة كثير ، فساروا جميعهم نحو الكرج وهم خائفون ، فرأى بعض الصوفية الأخيار الشيخ محمد البُستى وكان من أكابر الصالحين ، وكان قد مات ، فقال له ذلك الصوفى : أراك ههنا . فقال : جئت لمساعدة[٢٨٩] المسلمين على عدوهم . فاستيقظ فرحاً لمحل البستى من الإسلام ، وأتى إلى مدبر العسكر وقص عليه رؤياه ، ففرح بذلك وقوى عزمه على قصد الكرج ، وسار بالعساكر إليهم ، ونزل منزلاً قريباً منهم فوصلت الأخبار إلى الكرج فعزموا على كبس المسلمين ، فانتقلوا من موضعهم بالوادى إلى أعلاه ليكبسوا المسلمين إذا أظلم الليل ، فأتى المسلمين الخبر فقصدوا الكرج ، وأمسكوا عليهم رأس الوادى وأسفله وهو واد ليست له طريق غير هذين الطريقين ، فلما

(١) نقل العينى هذا الخبر من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٤٢-٣٤٣ .

(٢) الجشار ، جمعها : الجشارات والجشير ، ويقال الدشار أيضاً . وهى الخيل والأبقار التى تساق مع الجيش . انظر : السلوك ، جـ١ق٢ ، ص٤٩٠ ، جـ١ق٣ ، ص٩٠٩ .

(٣) مرج دابق : هو مرج بقرية دابق بالقرب من حلب ، من أعمال عزاز ، معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٥١٣ .

(٤) «فهزم» كذا فى مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٤٣ .

(٥) نقل العينى هذا الخبر من الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٢٠-ص٣٢١ .

رأى الكرج ذلك أيقنوا بالهلاك وسُقط فى أيديهم ، وطمع المسلمون فيهم وقاتلوهم أشد قتال ، فقتلوا كثيراً وأسروا مثلهم ولم يفلت من الكرج إلا القليل .

وفى هذه السنة[١] تزوج أبو بكر بن البهلوان صاحب أذربيجان [وأرّان][٢] بابنة ملك الكرج ، وسبب ذلك أن الكرج كثرت غاراتهم على بلاده لما رأوا من عجزه وانهماكه فى الشرب واللعب وتغفله عن تدبير الملك وحفظ البلاد ، فلما رأى الحال قد تزايدت من جهة الكرج ، وأنه لا يقدر على الذب عن البلاد ، خطب ابنة ملكهم فتزوجها ، فكف الكرج عن الغارة والنهب والقتل . وقال ابن الأثير :[٣] فكان كما يقال : أغمد سيفه وسل إيره .

ذكر بقية الحوادث

منها أن الخليفة استوزر نصير الدين ناصر بن مهدى العلوى الحسنى ، وخلع عليه للوزارة ، وضربت الطبول بين يديه وعلى بابه فى أوقات الصلوات : الفجر والمغرب والعشاء .

وفى المرآة[٤] خلع عليه خلعة الوزارة القميص والدراعة[٥] والعمامة والسيف ، وخرج من باب الحجرة فقدم له فرساً من خيل الخليفة ، وبين يديه دواة فيها ألف مثقال[٦] ذهب ، ووراءه المهد الأصغر وألوية الجند وطبول النوبة ، والكوسات تخفق والعهد منشور بين يديه ، وجميع أرباب الدولة مشاة بين يديه ، وضربت الطبول والبوقات له بالرحبة فى أوقات الصلوات الثلاث المغرب والعشاء والفجر ، فقال الناس : ياليت شعرنا ماذا أبقى الخليفة لنفسه؟!

---

(١) نقل العينى هذا الخبر من الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٢٢ .

(٢) ما بين حاصرتين إضافة من الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٢٢ ، وأرّان : ولاية واسعة وبلاد كثيرة منها جنزة ، وهى التى تسميها العامة كنجة وبرذعة وشمكور وبيلقان ، وبين أذربيجان وأرّان نهر الرس . انظر : معجم البلدان ، جـ١ ، ص١٨٣ .

(٣) الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٢٢ .

(٤) مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٤٢ .

(٥) الدراعة : هى الفرجية ، أى الجُبة . انظر : الملابس المملوكية ، ص٢٩-٣٠ .

(٦) المثقال : أساس نظام الأوزان الإسلامية عامة هو الدرهم ، الذى يرجع أصله إلى الدراخمة اليونانية ، وكان من الفضة ، وتسكه فارس ، والمثقال الذى يرجع إلى السوليدوس (Solidus) الرومى البيزنطى ، وكان من الذهب ، وتسكة بيزنطة . ونسبة وزن المثقال إلى الدرهم من الوجهة الشرعية كنسبة (٧ : ١٠) ، بينما وصلت فى بعض الأحيان من الوجهة العملية (٢ :٣) . انظر : على جمعة : المكاييل والموازين الشرعية ، ص٧ ، ط . الأولى ، دار الرسالة ، القاهرة ٢٠٠٢م .

ومنها أنه هرب أبو جعفر محمد بن حديدة الوزير الأنصارى من دار الوزارة - دار ابن المهدى - وكان محبوساً بدرب المطبخ عند ابن مهدى ليعذبه ، فحلق ابن حديدة رأسه ولحيته وخرج فلم يظهر خبره إلا من مراغة بعد مدة وعاد إلى بغداد .

ومنها أن ناصر الدين صاحب ماردين توجه إلى خلاط بمكاتبة أهلها ، فجاء الملك الأشرف ونزل على دنيسر[١] وأقطع بلاد ماردين ، فعاد ناصر الدين إلى بلده بعد أن غرم مائة ألف دينار ولم يسلموا إليه خلاط .

ومنها أن فى شعبان هدمت القنطرة الرومانية التى كانت عند الباب الشرقى ونشرت حجارتها ليبلط بها الجامع الأموى بسفارة الوزير صفى الدين بن شكر وزير الملك العادل ، فكمل تبليطه[٢] فى سنة أربع وستمائة . وفى أول شوال غيروا من قبة الجامع عدة أضلاع من شماليها ، وفى يوم الجمعة سابع ذى القعدة وجد التقى الأعمى مشنوقاً بالمئذنة الغربية . قال أبو شامة[٣] : هذا التقى اسمه عيسى بن يوسف بن أحمد الغرافى ولد بالغراف من أرض العراق ، وكان ضريراً عفيفاً فقيهاً ، مفتياً شافعياً مدرساً بالمدرسة الأمينية[٤] خارج باب الجامع القبلى ، وكان يسكن [٢٩٠] فى أحد بيوت منارة الجامع الغربية ، وكان ابتلى بأخذ مال له من بيته واتهم به شخصاً كان يقرأ عليه ويطلع معه إلى البيت يقضى حاجته ، ويقوده من المدرسة إلى البيت ، ومن البيت إلى المدرسة ، فأنكر الشخص المتهم ذلك وتعصب له أقوام عند والى المدينة ، فوقع الناس فى عرضه من اتهامه من ليس من أهل التهم ، ومن كونه جمع ذلك المال وهو وحيد غريب ، ونسبوه إلى أنه غير صادق فيما ادعاه . فزاد عليه الهم من ضياع ماله والوقوع فى عرضه ، ففعل بنفسه ما فعل . قال : وبلغنى أن جماعة من المتفقهة امتنعوا من الصلاة عليه وقالوا : قتل نفسه ، فتقدم شيخنا فخر الدين أبو منصور[٥] عبدالرحمن بن عساكر فصلى عليه ، فاقتدى الناس به .

---

(١) دنيسر : انظر ما سبق ، جـ١ ، ص٢٣٠ .

(٢) أبو شامة ، الذيل على الروضتين ، ص٥٤ .

(٣) انظر الذيل على الروضتين ، ص٥٤-ص٥٥ .

(٤) المدرسة الأمينية : هى أول مدرسة بنيت بدمشق للشافعية ، بناها أتابك العساكر بدمشق ، أمين الدولة كمشتكين والى صرخد وبصرى . انظر : الدارس ، جـ١ ، ص١٧٧-١٧٨ .

(٥) هو فخر الدين أبو منصور عبدالرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله بن الحسين الدمشقى ، المعروف بابن عساكر ، الفقيه الشافعى ، وهو ابن أخى الحافظ أبى القاسم على بن عساكر صاحب «تاريخ دمشق» . توفى سنة ٦٢٠هـ بدمشق . انظر : وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص١٣٥ .

ودرس بالأمينية بعده الجمال المصرى وكيل بيت المال ، قلت : مذهب أبى يوسف رحمه الله من أصحابنا أن لا نصلى على قاتل النفس .

وفيها . . . .[١]

وفيها حج بالناس من العراق مظفر الدين وجه السبع ، ومن الشام الشجاع على بن السلار كذا فى المرآة .[٢]

وذكر ابن تاج الأمناء قال : وفى السابع والعشرين من رمضان سنة اثنتين وستمائة نادوا الحج على أيلة صحبة ابن الجراحى .[٣]

ذكر من توفى فيها من الأعيان

شرف الدين أبو الحسن على بن محمد بن على ، جمال الإسلام بن الشهرزورى[٤] ، توفى فى هذه السنة بمدينة حمص ، وقد كان أخرج إليها من دمشق ، وكان قبل ذلك مدرساً بالأمينية والحلقة بالجامع تجاه البرادة ، وكان لديه علم جيد بالمذهب والخلاف وكانت وفاته فى رابع عشر جمادى الآخرة .

أبو الحسن على بن على بن سعادة الفارقى[٥] ، تفقه ببغداد وأعاد بالنظامية وناب فى تدريسها واستقل بتدريس المدرسة التى أنشأتها أم الخليفة ، وأزيد على نيابة القضاء عن أبى طالب على بن على البخارى فامتنع من ذلك فألزم به فباشره قليلاً ، ثم دخل يوماً إلى المسجد فلبس على رأسه مئزر[٦] صوف وأمر الوكلاء والجلاوزة[٧] أن ينصرفوا عنه ، وشهد على نفسه بعزلها عن نيابة القضاء ، واستمر على التدريس والإعادة .

(١) بياض بمقدار نصف سطر .
(٢) مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٤٣ ؛ الذيل على الروضتين ، ص٥٣ .
(٣) الخزاعى ، كذا فى الذيل على الروضتين ، ص٥٣ .
(٤) البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٤٨ ؛ الذيل على الروضتين ، ص٥٤ .
(٥) أبو الحسن على بن على بن سعادة الفارقى ، انظر الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٢٢ .
(٦) المئزر : هو القميص القصير يرتديه الرجال . انظر : ماير : الملابس المملوكية ، ص١٢٤ حاشية (٤) .
(٧) الجلواز : الشرطى . والجلواز عند الفقهاء أمين القاضى أو الذى يقال له صاحب المجلس . انظر : محيط المحيط ، مادة «جلز» ؛ انظر أيضاً : لسان العرب ، جـ١ ، ص٤٤٤ .

حمزة بن على بن حمزة ، أبو يعلى الحرانى المقرى ، ويعرف بابن القبيطى[١] ، ولد سنة أربع وعشرين وخمسمائة ببغداد ، وقرأ القرآن بالروايات على الشيخ أبى محمد سبط الشيخ أبى منصور الخياط وغيره ، وسمع الحديث ، وكان حسن الصوت بالقراءة ، يصلى إماماً بالمسجد الذى بجانب البدرية[٢] فكان الناس يأتون إليه من أقطار بغداد ويسمعون قراءته وتوفى فى ذى الحجة وصلى عليه بالنظامية ، ودفن بباب حرب ، وكان صالحاً عفيفاً زاهداً ثقة .

مسعود وممدود ابنا الحاجب مبارك بن عبدالله . فمسعود لقبه سعد الدين صاحب صفد ، وممدود لقبه بدر الدين شحنة دمشق ، وأمهما أم فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب ، وأصل أمهما من المنظرة[٣] ففرخشاه أخوهما لأمهما ، وأختهما لأمهما الست عذراء صاحبة المدرسة[٤] المجاورة لقلعة دمشق ، وكانا أميرين كبيرين لهما مواقف كثيرة مع السلطان صلاح الدين . وتقدمت وفاة بدر الدين ممدود فإنه توفى بدمشق يوم الأحد خامس شهر رمضان . وتوفى سعد الدين بصفد يوم الإثنين خامس شوال ، بينهما شهر واحد .[٥]

وقال أبو شامة : وكانت دار مسعود مجاورة لرباط[٦] زهرا خاتون قريب حمام جاروخ[٧] ، هى الآن لجمال الدين موسى بن يغمور . ودار ممدود بحارة[٢٩١] البلاطة[٨] هى الآن لنجم الدين بن الجوهرى .

(١) انظر الذيل على الروضتين ، ص٥٤ ؛ مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٤٣ .
(٢) المدرسة البدرية : انظر ما سبق ، جـ١ ، ص٣٢٩ .
(٣) المنظرة : ذكر ياقوت أنه يوجد منظرتان ببغداد : منظرة الحلبة فى وسط السوق فى آخر محلة المأمونية ببغداد ، ومنظرة الريحانيين فى السوق الذى يباع فيه الريحان والفواكه وتشرف على سوق الصرف ببغداد . انظر : معجم البلدان ، جـ٤ ، ص٦٦٥-٦٦٦ .
(٤) المدرسة العذراوية : هذه المدرسة بحارة الغرباء بباب دار السعادة بدمشق . انظر : الدارس ، جـ١ ، ص٣٧٣-٣٨٢ .
(٥) انظر الذيل على الروضتين ص٥٤ ؛ مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٤٤ .
(٦) انظر : الدارس ، جـ٢ ، ص١٩٣ .
(٧) حمام جاروخ : هذا الحمام ينسب إلى سيف الدين جاروخ التركمانى ، انظر الدارس ، جـ١ ، ص٢٢٥ ، ص٣٧٥ .
(٨) حارة البلاطة بدمشق ، وتعرف فى وقتنا الحالى بزقاق المحكمة . انظر : الدارس ، جـ١ ، ص٤٩٨ ، حاشية (٦) .

الأمير مجير الدين طاشتكين[١] **المستنجدى** ، أمير الحاج وزعيم بلاد خراسان ، وكان شيخاً خيراً حسن السيرة كثير العبادة غالياً فى التشيع ، توفى بتستر[٢] فى ثانى جمادى الآخرة من هذه السنة ، وحمل تابوته إلى الكوفة فدفن بمشهد على عليه السلام بوصية منه ، هكذا ترجمه ابن الساعى فى تاريخه . وذكر أبو شامة فى الذيل : مجير الدين طاشتكين بن عبدالله المقتفوى أمير الحاج ، حج بالناس ستاً وعشرين سنة وكان يكون فى طريق الحج مثل الملوك ، فحسده ابن يونس الوزير ، وقال للخليفة : إنه يكاتب صلاح الدين وزور عليه كتاباً فحبسه الخليفة مدة ، ثم تبين له أنه برىء من ذلك فأطلق وأعطاه خوزستان ثم أعاده إلى أمره الحج . وكانت الحله [الشيعية][٣] أقطاعه ، وكان شجاعاً جواداً سمحاً قليل الكلام يمضى عليه الأسبوع ولا يتكلم ، استغاث إليه رجل يوماً فلم يكلمه ، فقال الرجل : الله كلم موسى . فقال : وأنت موسى!! فقال الرجل : وأنت الله!! فقضى حاجته ، وكان حليماً ، التقاه رجل فاستغاث إليه من نوابه فلم يجبه ، فقال له الرجل : أحمار أنت؟ فقال طاشتكين : لا . وفى قلة كلامه يقول ابن التعاويذى :

وأمـيـر على البـلاد مـولى	لا يجب الشاكى بغير سكوت
كلما زاد رفـعـةً حطناً	الله بتغفيله إلى البهموت

وقام يوماً إلى الوضوء فحل حياصته وتركها موضعه ودخل ليتوضأ ، وكانت الحياصة تساوى خمسمائة دينار ، فسرقها الفراش وهو يشاهده ، فلما خرج طلبها فلم يجدها ، فقال أستاذ داره : أجمعوا الفراشين وأحضروا المعاصير[٤] . فقال له طاشتكين : لا تضرب أحداً فالذى أخذها ما يردها والذى رآه ما يعمز عليه . فلما كان بعد مدة رأى على الفراش الذى سرق الحياصة[٥] ثياباً جميلة وبزة ظاهرة . فاستدعاه سراً وقال له بحياتى هذه من زيك

---

(١) البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٤٩-ص٥٠ ؛ الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٢٠ ؛ مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٤٣ .

(٢) تستر : انظر ما سبق ، جـ١ ، ص١١٧ .

(٣) «السيفية» كذا فى الأصل ، ومرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٤٣ . والمثبت بين الحاصرتين من الذيل على الروضتين ، ص٥٣ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٤٩ .

(٤) المعاصير أو المعاصر ، مفردها المعصرة . وهى آلة من آلات التعذيب وتتكون من خشبتين موبوطتين بجبل ، ويوضع بينهما وجه المعاقب أو رأسه أو رجلاه أو عقباه ، ثم تشد الخشبتان شداً وثيقاً مما يؤدى فى كثير من الأحيان إلى كسر العظام المعصورة بين الخشبتين . انظر عاشور ، المجتمع المصرى ، ص٩٩ .

(٥) الحياصة : تعنى حزام العسكريين ، وكان يطلق عليها أولاً المنْطَقة ، ثم أطلق عليها فيما بعد الحياصة ، وتصنع من معدن ثمين ، وأفخمها ما كان من الفضة المطلية بالذهب ، وأحيانا من الذهب الخالص المرصع بالأحجار الكريمة . انظر : الملابس المملوكية ، ص٤٧-٤٨ .

فخجل ، فقال : لابأس عليك . فاعترف فلم يعارضه ، وكان طاشتكين قد جاوز تسعين سنة ، فاستأجر أرضاً وقفاً ثلثمائة سنة على جانب دجلة ليعمرها داراً ، وكان ببغداد رجل محدث فى الخلق يقال له فتيحة المحدث ، فقال : يا أصحابنا نهنئكم مات ملك الموت . قالوا : وكيف؟ قال طاشتكين . عمره مقدار تسعين سنة وقد استأجر أرضاً ثلثمائة سنة فلو لم يعلم أن ملك الموت قد مات ما فعل هذا فتضاحك الناس .

الست خاتون أم السلطان الملك المعظم ابن السلطان الملك العادل ، توفيت يوم الجمعة العشرين من ربيع الأول من هذه السنة ، ودفنت فى القبة التى بالمدرسة المعظمية[1] سفح قاسيون ، وفى تلك القبة معها ابناها المعظم عيسى والعزيز عثمان ، ابنا الملك العادل ، وأخوهما المتوفى قبلهما الملك المغيث عمر بن الملك العادل .

---

(١) المدرسة المعظمية : تقع بالصالحية بسفح قاسيون الغربى جوار المدرسة العزيزية . أنشئت سنة ٦٢١هـ . أنشأها الملك المعظم عيسى بن العادل ، الفقيه الأديب . انظر : الدارس ، جـ١ ، ص٥٧٩-٥٨٧ .

فصل فيما وقع من الحوادث فى السنة الثالثة بعد الستمائة(*)

استهلت هذه السنة والخليفة هو الناصر لدين الله ، والسلطان الملك العادل سار من مصر إلى الشام ، ونازل فى طريقه عكا وصالحه أهلها على إطلاق جمع من الأسرى[١] ، ثم وصل إلى دمشق ثم سار عنها ، ونزل بظاهر حمص على بحيرة قدس[٢] ، واستدعى[٢٩٢] بالعساكر فأتته من كل جهة ، وأقام على البحيرة حتى خرج رمضان . ثم سار ونازل حصن الأكراد ، وفتح برج أغياز وأخذ منه سلاحاً ومالاً وخمسمائة رجل ثم سار ونازل طرابلس ، ونصب عليها المجانيق ، وغار العسكر فى بلادها وقطع قناتها ، ثم عاد فى أواخر ذى الحجة إلى بحيرة قدس فظاهر حمص ، وخرجت السنة وهو مقيم هناك .

وفى تاريخ بيبرس : وفى هذه السنة خرج العادل بعساكره لقصد مدينة عكا فصالحه أهلها ، وجرت بينه وبين الظاهر صاحب حلب - ابن أخيه - أمور اقتضت تغيّر البواطن واستشعار كل منهما من الآخر . وحصر ناصر الدين الملك المنصور صاحب حماة إلى خدمة العادل ، واجتمع به وشكى إليه سوء معاملة الظاهر له . فكان ذلك مما زاده تغيّراً .

واتفق خروج الفرنج من طرابلس وقصدوا حمص وأغاروا عليها فعظم ذلك على العادل وسار من دمشق ونزل بظاهر حمص وحضرت إليه عساكر البلاد ، وأقام إلى آخر شهر رمضان ، وعيّد فى مكانه وسار متوجهاً إلى حصن الأكراد ، وذكر إلى آخر ما ذكرنا .

وقال أبو شامة[٣] : وفيها نزلت الفرنج على حمص ، وكان الظاهر بعث إليها المبارز يوسف بن خطلج الحلبى نجدة لأسد الدين شيركوه الأصغر ، وأُسِر فى هذه السنة الصمصام بن العلائى وخادم صاحب حمص .

ذكر ماجريات ملوك البلاد

منها أن[٤] غياث الدين محمود بن غياث الدين محمد ملك الغورية أرسل يستميل يلدز مملوك أبيه المستولى على غزنة فلم يجبه يلدز إلى ذلك ، وطلب يلدز من غياث

(*) يوافق أولها ٨ أغسطس سنة ١٢٠٦م .

(١) ورد هذا النص فى المختصر فى أخبار البشر ، جـ٣ ، ص١٠٧-١٠٨ .

(٢) بحيرة قَدَسَ : قرب حمص ، بينها وبين جبل لبنان ، يخرج منها نهر العاصى ، انظر معجم البلدان ، جـ١ ، ص٥١٦ .

(٣) الذيل على الروضتين ، ص٥٧ .

(٤) نقل العينى هذا الخبر من الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٢٥ .

الدين أن يعتقه ، فأحضر الشهود وأعتقه ، وأرسل مع عتاقته هدية عظيمة ، وكذلك عتق أيبك المستولى على الهند ، وأرسل إليه نحو ذلك فقبل كل منهما ذلك ، وخطب له أيبك ببلاد الهند التى تحت يده ، وأما يلدز فلم يخطب له ، وخرج بعض العساكر عن طاعة يلدز لعدم طاعته لغياث الدين مولاه .

وفى تاريخ بيبرس : لما أرسل غياث الدين إلى يلدز وطالبه بالخطبة ولم يجب إليه أعاد عليه الرسالة وقال : إما أن تخطب لنا وإما أن تعرفنا ما فى نفسك . فلما وصل الرسول بهذا أحضر يلدز الخطيب وأمره أن يخطب له ، ويترحم على شهاب الدين ، فَخُطِبَ ليلدز بغزنة ، فلما رأى الناس ذلك ساءهم إسقاط اسم غياث الدين ، وتغيرت نياتهم ليلدز ونيات الأتراك الذين معه ، ولم يروه أهلاً أن يخدموه ، وإنما كان يطيعونه لما كانوا يرون أنه يقيم دولة غياث الدين . فلما خطب لنفسه ، أرسل إلى غياث الدين يقول له : إنه قد اجتمع عندك الذين هم أساس الفتنة وأقطعتهم الإقطاعات ، ووعدتنى أموراً لم تقف[1] عندها ، فإن أنت عتقتنى خطبتُ لك وحَلَتْ إلىّ خدمتك . فأجابه غياث الدين إلى ذلك وأشهد عليه بعتقه ، وعتق قطب الدين أيبك نائبه ببلاد الهند ، وأرسل إليهما تشاريف ومناطق ذهب وستراً . فقبل يلدز الخلع والمناطق ، ورد الستر وقال : نحن عبيد ومماليك ، والجتر[2] له أصحاب .

وسار رسول غياث الدين إلى أيبك وكان ببلاد الهند ، فلما علم قرب الرسول لقيه على بعد وقَبّل حافر الفرس ولبس الخلعة ، وقال : أما الجتر فلا يصلح للمماليك ، وأما العتق فمقبول ، وسوف أجازيه[٢٩٣] بعبودية الأبد .

ومنها[3] أن خوارزم شاه ملك طالقان ، وذلك أنه لما سَلَّم ترمذ إلى الخطا سار عنها ، فأرسل إلى سونج أمير شكار نائب غياث الدين محمود بالطالقان رسولاً يستميله إليه ، فلم يجبه سونج وعاد الرسول خائباً ، وجمع سونج عساكره وخرج لمحاربة خوارزم شاه فالتقوا بالقرب من طالقان ، فلما تقابل العسكران حمل سونج وحده مجداً حتى قارب عسكر خوارزم شاه وألقى نفسه إلى الأرض ورمى سلاحه وقبل الأرض وسأل العفو ، فظن

(١) تعنى فى الكامل جـ١٠ ، ص٣٢٥ .

(٢) جتر ، جمع جتور ، وهو المظلة ، ويطلق عليها أيضاً الستر . صبح الأعشى ، جـ٣ ، ص٤٦٩ ، ص٥٠٢ .

(٣) ورد هذا الخبر فى الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٢٣-٣٢٤ .

خوارزم شاه أنه سكران ، فلما علم أنه صاح ذَمّه وسَبّه ولم يلتفت إليه ، وأخذ بالطالقان من سلاح ومال ودواب وأنفذه إلى غياث الدين مع رسول برسالة تتضمن التقرب إليه والملاطفة له ، واستناب بالطالقان بعض أصحابه وسار إلى قلاع كالوين[١] وبَيْوَار[٢] ، فخرج إليه حسام الدين على صاحب كالوين وقابله على رؤوس الجبال ، فأرسل إليه خوارزم شاه يتهدده إن لم يسلم إليه فقال : أما أنا فمملوك وهذه الحصون بيدى أمانة ولا أسلمها إلا إلى صاحبها . فاستحسن خوارزم شاه ذلك منه وذم سونج . ولما بلغ غياث الدين خبر سونج وتسليمه الطالقان إلى خوارزم شاه عظم ذلك عنده وشق عليه كثيراً ، فهوَّن الأمر عليه أصحابه .

ولما فرغ خوارزم شاه من الطالقان سار إلى هراة فنزل بظاهرها ، ولم يمكن ابن خرميل من هراة أحداً من الخوارزميين أن يتطرق إلى أحد من أهلها ، وإنما كانوا يقطعون الطريق وهذه عادة الخوارزميين . ووصل رسول غياث الدين إلى خوارزم شاه بالهدايا ، ورأى الناس ذلك عجباً لما كان بينهما من التباين ، وسار ابن خرميل من هراة فى جمع من عساكر خوارزم شاه ، فنزل على أسفزار[٣] فحاصرها وأخاف أهلها فسلموها ولم يعرض لهم بسوء ، ولما أخذها أرسل إلى محمد بن حرب صاحب سجستان يدعوه إلى طاعة خوارزم شاه والخطبة له ببلاده ، فأجابه إلى ذلك ، وكان خوارزم شاه يطالبه بذلك مدة ولم يجبه إليه .

ولما سمع يلدز بالصلح مع خوارزم شاه أرسل إلى غياث الدين أن ما الذى حملك على هذا؟ فقال : عصيانك لى وخلافك على . فجمع يلدز عساكره وسار إلى تكيا باذ وإلى بُست فملكهما وقطع خطبة غياث الدين منها ، وأرسل إلى صاحب سجستان يأمره بإعادة الترحم على شهاب الدين وقطع خطبة خوارزم شاه . وأرسل إلى ابن خرميل صاحب هراة بذلك ، ويتهددهما بقصد بلادهما إن لم يفعلا ، فخافوه . ثم إنه أخرج جلال الدين بن بهاء الدين سام من الأسر ، وذلك أنه لما هزم عسكر باميان أسر جلال

---

(١) قلعة كالوين : ذكرها ياقوت «كالوان» وهى قلعة حصينة بين باذغيش وهراة بين الجبال . معجم البلدان ، جـ٤ ، ص٢٢٩ .

(٢) بَيْوَار ، مدينة قصبة غرشستان ، ولاية بين غزنة وهراة ومرو الروذ والغور فى وسط الجبال ، معجم البلدان ، جـ١ ، ص٨٠٣ .

(٣) أَسْفُزَار : مدينة من نواحى سجستان من جهة هراة . انظر معجم البلدان ، جـ١ ، ص٢٤٨ .

الدين وأخاه علاء الدين أيضاً . ثم إنه لما أخرج جلال الدين من الأسر سير معه خمسة آلاف فارس ، وقدّم عليهم أيدكز التترى مملوك شهاب الدين ليعيدوا جلال الدين إلى باميان ، ويزيلوا ابن عمه عباس ، وكان قد ملك باميان لما رأى خلوها من ابنى أخيه جلال الدين وعلاء الدين ، وزوج يلدز ابنته من جلال الدين ، وخلع عليه فسار هو ومن معه . ولما خلا به أيدكز قال له : عزّ على لبسك خلعة يلدز ، وكيف وأنتم ما رضيتم تلبسون خلعة غياث الدين وهو أكبر سناً منكم وأشرف بيتاً[٢٩٤] وتلبس خلعة هذا المأبون – يعنى يلدز– ودعاه إلى العود معه إلى غزنة ، وأعلمه أن الأتراك كلهم يجمعون على خلاف يلدز ، فلم يجبه إلى ذلك . فقال أيدكز : إننى لا أسير معك . وعاد إلى كابُل وهى إقطاعه . فلما وصل إليها لقّبه رسول قطب الدين أيبك إلى يلدز يقبح فعله ، ويأمره بإقامة خطبة غياث الدين ، ويخبره أنه قد خطب له فى بلاده . [فلما][1] علم أيدكز قويت نفسه على محاربة يلدز ، وصمم على قصد غزنة ووصل رسول أيبك إلى غياث الدين بالهدايا والتحف ويشير عليه بإجابة خوارزم شاه إلى ما طلب الآن ، وعند الفراغ ، من غزنة تسهل أمور خوارزم شاه .

فسار أيدكز إلى غزنة ، وكان جلال الدين قد كتب إلى يلدز يخبره بخبر أيدكز وما عزم عليه ، فكتب يلدز إلى نوابه بغزنة يأمرهم بالاحتياط منه . فلما وصلها أيدكز أمر أصحابه بنهب البلد ، فتوسط القاضى الحال بأن يَحْمِل إليه خمسين ألف دينار ، وخطب أيدكز لغياث الدين ، وقطع خطبة يلدز ، ففرح الناس بذلك . وسير المال إلى غياث الدين ، ولقب بملك الأمراء .

ومنها أن فى ثالث شعبان ملك غياث الدين كيخسرو صاحب بلاد الروم أنطالية[2] باللام وهى مدينة للروم على ساحل البحر ، وكان قد حاصرها قبل هذا الوقت فأرسل صاحبها إلى الفرنج الذين بجزيرة قبرس ، فاستنجدهم فأرسلوا إليه جماعة منهم ، فرحل كيخسرو وترك طائفة من عسكره بالقرب منها مع الجبال ، فلما رحل اختلف الروم والفرنج فتسلمها وقتل من كان بها من الفرنج الذين جاءوا للنجدة .[3]

---

(١) «فلم» فى الأصل . والصحيح ما أثبتناه . انظر : الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٢٦ .

(٢) أنطَالِية : بلد كبير من مشاهير بلاد الروم ، وهى حصن للروم على شاطىء البحر . انظر : معجم البلدان ، جـ١ ، ص٣٨٨ ؛ بلدان الخلافة الشرقية ، ص١٨٣–١٨٤ .

(٣) ورد هذا الخبر فى الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٢٨–٣٢٩ .

ومنها أنه قبض عسكر خلاط على صاحبها ولد بكتمر ، وملّكوها لبلبان مملوك شاهرمن بن سكمان ، وكتب قوم من الجند إلى ناصر الدولة أرتق بن إيلغازى يستدعونه . وسبب ذلك أن ولد بكتمر كان جاهلاً ، فلما ملك بعد أبيه قبض على الأمير شجاع الدين قتلغ ، وكان أتابكه ومدبر بلاده ، فقتله . واختلفت الكلمة عليه من الجند والعامة ، واشتغل باللهو وإدمان الشرب . فساءت نياتهم له ، وسار بلبان إلى ملاذكرد(١) وملكها ، واجتمع أكثر الجند إليه ، وسار راجعاً إلى خلاط . واتفق وصول صاحب ماردين إلى خلاط معتقداً أن أحداً لا يمتنع عليه ، فنزل قريباً منها ، فأرسل إليه بلبان يقول له : إن أهل خلاط قد اتهمونى بالميل إليك ، والرأى أنك ترحل [عائداً](٢) مرحلة ، فإذا تسلمت البلد سلمته إليك . فرحل صاحب ماردين راجعاً ، فلما أبعد عن خلاط ، وكان فى قلة من الجند ، أرسل إليه بلبان أن تعود إلى بلدك ، وإلا جئت أوقعت بك . فعاد إلى ماردين .

وأما بلبان فإنه حاصر خلاط ، وضيق على أهلها ، فقبضوا على ابن بكتمر وسلموها إليه .

ومنها(٣) أنه كانت الحرب بين عسكر الخليفة وبين صاحب كرّستان مع مملوكه سنجر ، وكان المتولى لتلك الأعمال ، وصاحب كرّستان يعرف بأبى طاهر ، وهى جبال منيعة بين فارس وأصفهان وخوزستان ، فقاتلوا أهلها وعادوا منهزمين . وسبب ذلك أن مملوكاً للخليفة الناصر لدين الله يسمى قشتمر من أكبر مماليكه ، كان قد فارق الخدمة لتقصير رآه فى حقه من الوزير نصير الدين العلوى ، فاجتاز بخوزستان وأخذ ما[٢٩٥] أمكنه ولحق بأبى طاهر صاحب كرّستان ، فأكرمه وزوجه ابنته ، ثم توفى أبو طاهر فقوى أمر قشتمر الناصرى ، وأطاعه أهل تلك الولاية ، فأمر الخليفة سنجر بجمع العساكر وقتال قشتمر ، ففعل سنجر ما أُمر به وجمع العساكر وسار إليه ، فأرسل قشتمر يعتذر ويسأل أن لا يُقصد ، ويُحْوَج إلى الخروج عن الطاعة والعبودية ، فلم يقبل عذره . فجمع أهل تلك الأعمال ونزل إلى العسكر الذين مع سنجر ، فلقيهم وهزمهم ، وأرسل إلى أيتغمش

(١) ملازكرت = منازكرد : انظر ما سبق ، جـ٢ ، ص١٦٩ .
(٢) ما بين الحاصرتين مثبت من الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٢٩ .
(٣) ورد هذا النص فى الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٣٠-٣٣١ .

صاحب أصفهان والرى وإلى صاحب [فارس][1] يعرفهما الحال ، ويقول : إننى لاقوة لى بعسكر الخليفة ، وقد أضيف إليهم عساكر أخرى ، وعادوا إلى حربى ولا أقدر لهم . وطلب منهما النجدة ، فأجاباه إلى ما طلب ، فاستمر على حاله وقوى جنانه .

ذكر بقية الحوادث

منها أن الخليفة ولّى قضاء القضاه ببغداد لعماد الدين بن أبى القاسم عبدالله بن الدامغانى .

ومنها أن[2] الخليفة قبض على عبدالسلام بن عبدالوهاب بن الشيخ عبدالقادر الكيلانى[3] بسبب فسقه وفجوره ، وقد احترقت كتبه وأمواله قبل ذلك لما فيها من كتب الفلاسفة وعلوم الأوائل ، وأصبح يستعطى من الناس ، وهذا بخطيئة قيامه على الشيخ أبى الفرج بن الجوزى فإنه هو الذى كان وشى به إلى الوزير ابن القصاب حتى أحرق بعض كتب ابن الجوزى ، وختم ببقيتها ونفى إلى واسط خمس سنين كما تقدم بيان ذلك ، والناس يقولون : فى الله كفاية وفى القرآن ، وجزاء سيئة سيئة مثلها ، والصوفية يقولون : الطريقة بأخذ حقها . والأطباء يقولون : الطبيعة مكافئة .[4]

وقال أبو شامة[5] : وكان إحراق كتب عبدالسلام المذكور فى سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، وسببه أنه كان بين ابن يونس الوزير وبين أولاد الشيخ عبدالقادر عداوة قديمة ؛ لأنه كان جارهم بباب الأزج فى حال خموله وفقره ، وكانوا يؤذونه بحيث أنهم ربوا كلباً ولقبوه جُليل يعنون جلال الدين وهو لقب ابن يونس ، وكان لابن يونس أخ صالح يقال له العماد فسموا بغلاً للطحن العماد ، وكان للشيخ عبدالقادر ولد لصلبه طحان اسمه سليمان ، كان أشر خلق الله وهو الذى فعل هذه الأفاعيل ، فلما ولى ابن يونس الوزارة ثم أستاذية الدار ، أظهر ما كان فى قلبه منهم ، فبدد شملهم وبعث ببعضهم إلى

---

(١) بياض فى الأصل . والمثبت بين الحاصرتين من الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٣١ .

(٢) انظر مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٤٤ ؛ كما ورد فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٥٠ ؛ الذيل على الروضتين ، ص٥٥- ص٥٧ .

(٣) الجيلانى فى البداية والنهاية جـ١٣ ، ص٥٠ ؛ شذرات الذهب ، جـ٥ ، ص١١ ؛ وهى نسبة إلى «جيلان» أو «كيلان» معجم البلدان ، جـ٢ ، ص١١ .

(٤) نقل العينى هذا الخبر من البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٥٠ . .

(٥) الذيل على الروضتين ، ص٥٦ .

المطامير إلى واسط ، فماتوا بها ، وكان عبدالسلام المذكور مداخلاً للدولة ، وكانت عنده كتب كثيرة ، فبعث ابن يونس فكبس داره وأخرج منها كتباً فى فنون منها : «الشفا» لابن سينا ، والنجاة ، ورسائل إخوان الصفا ، وكتب الفلاسفة والمنطق ، وتسخير الكواكب ، والنارنجيات ، والسحر . فاستدعى ابن يونس - وهو يومئذ أستاذ الدار للخليفة - ، العلماء والفقهاء والقضاة والأعيان ، وكان جد السبط الشيخ أبو الفرج بن الجوزى منهم وقرئ من بعضها مخاطبة زحل يقول : أيها الكوكب المضىء المنير الفرد أنت تدير الأفلاك وتحيى وتميت وأنت إلهنا ، وفى حق المريخ من هذا الجنس ، وكان عبد السلام حاضراً فقال له ابن يونس : هذا خطك؟ قال : نعم . قال : لم كتبته؟ قال لأرد على قائله ومن يعتقده . فسألوه فيه فقال : لابد من حريق الكتب . فلما كان يوم الجمعة ثانى عشر صفر جلس قاضى القضاة[٢٩٦] والعلماء وفيهم ابن الجوزى على سطح المسجد المجاور لجامع الخليفة وأضرموا تحت المسجد ناراً عظيمة ، وخرج الناس من الجامع فوقفوا على طبقاتهم والكتب على سطح المسجد بين أيديهم ، فقام رجل يقال له ابن المارستانية فجعل يقرأ كتاباً كتاباً ويقول : العنوا من كتبه ومن يعتقده . فضج العوام باللعن وعبدالسلام حاضر ، وتعدى اللعن إلى الشيخ عبدالقادر وأحمد بن حنبل فظهرت الأحقاد البدرية . وقال الخصوم أشعاراً منها قول المهذب الرومى ساكن النظامية :

لى شعر رق من دين ركن الد	ين عبدالسلام لفظاً ومعنى
زحلياً يشنا عليًّا ويهوى	آل حرب حقدا عليه وضغنا
منحته النجوم إذ رام سعداً	وسروراً نحسا وهما وحُزنا
سار إحراق كتبه سير شعرى	فى جميع الأقطار سهلاً وحَزْناً
أيها الجاهل الذى جهل الحـ	ـق ضلالاً وضيع العُمر غبناً
رمت جهلاً من الكواكب بالتبخـ	ـير عزاً فنلت ذلاً وسجناً
ما زحل وما عطارد والمر	يخ والمشترى ترى يا مُعَنَّى
كل شىء يؤدى ويفنى سوى اللـ	ـه إلهى فإنه ليس يفنى[1]

(١) وردت هذه الأبيات فى الذيل على الروضتين ، ص٥٦-ص٥٧ .

ثم حكم القاضى بتفسيق عبدالسلام ، ورمى طيلسانه ، وولى ابن الجوزى مدرسة الشيخ عبدالقادر ، فذكر التدريس بها فى ربيع الأول .

ومنها(١) أنه قدم البرهان محمد بن عمر بن مازه البخارى ويلقب بصدر جهان حاجاً إلى بغداد ، وتلقاه جميع من ببغداد ماعدا الخليفة والوزير ، وأنزل فى دار زبيدة على نهر عيسى ، وحمل إليه الإقامات والضيافات ، وكان معه ثلاثمائة من الفقهاء ، وجرى له فى حجه ما سنذكره فى السنة الآتية إن شاء الله تعالى .

ومنها أنه قال السبط فى المرآة(٢) : وفى هذه السنة فارقت دمشق قاصداً إلى حلب وجلست بقاسيون وودعت الناس فلم يتخلف بدمشق إلا اليسير ، وامتلأ جامع الجبل بالناس فصاحوا علينا من الشبابيك والأبواب لالالا ، يعنى قوموا فاخرجوا فخرجنا إلى المصلى ، وكان شيخنا تاج الدين الكندى حاضراً ، فلما خرج من الباب رجموه فانكشف رأسه ، ووقعت عمامته ، فعز علىّ وسألته أن يمضى إلى دمشق ، ولا يحضر فى المصلى ، فامتنع فقال : لا والله حتى يتم المجلس . وتاب فى ذلك اليوم زيادة على خمسمائة شاب وقطعوا شعورهم ، وكان سيف الدين بن ميرك حاضراً وجرى الكلام فى المغناطيس وأنه يعشق الحديد ، قلت : والحبارى(٣) يعشق الشمس ، ولهذا كلما مالت الشمس إلى جهة مال الحبارى إليها ، فصاح شمس الدين بن ميرك كلنا اليوم حبارى .

قال : ووصلت إلى حلب فى ذى الحجة واجتمعت بالنقاش الحلبى ولقبه تاج الدين واسمه مسعود بن أبى الفضل أبو الفتح ، فأنشدنى مقطعات من شعره وكتبها لى بخطه . ومولده سنة أربعين وخمسمائة ، ومدح الملك الأمجد صاحب بعلبك ، وهجى مسعوداً صاحب شيزر ببيتين هما عينا الذم ، وسبب ذلك أنه حكى عن نفسه قال : اشتريت من دمشق[٢٩٧] فاكهة بأربعين درهماً وقوسين بأربعين درهماً ، وقصدت شيزر فنزلت بخان فى الربض ، وأُخبر مسعود صاحبها بى فاستدعانى ، فدخلت عليه وقدمت له الهدية وأنشدته أبياتاً غزلاً ومديحاً ، فلما انتهينا أخرج من تحت طراحته خمسة دراهم وقال : أنفق عليك هذه الليلة فطباخنا مريض ، فنزلت إلى الخان .

---

(١) انظر : الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٣١ ؛ مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٤٤–ص٣٤٥ ؛ الذيل على الروضتين ، ص٥٧ .

(٢) مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٤٥–ص٣٤٦ .

(٣) الحُبَارَى : طائر يقع على الذكور والأنثى ، وجمعها حُباريات ، ويقال للحبارى بالفارسية جوز ، يضرب بها المثل فى البلاهة والحمق . انظر محيط المحيط ، جـ١ ، ص٣٣٢ مادة «حَبَرَ» .

فلما كان صبيحة ذلك اليوم جاءنى أستاذ داره وقال : الأمير يسلم عليك ويقول لك : كم ثمن الفاكهة والقوسين؟ فقلت : معاذ الله أن أذكر لهما ثمناً وإنما أهديتهما للأمير . فقال : لابد . فقلت : اشتريتهما من دمشق بثمانين درهماً ، واكتريت لى ولها بغلاً بعشرين درهماً ، فمضى وعاد ومعه مائة درهم ، فقال : هو يعتذر إليك وما فى الخزانة شىء . فامتنعت من أخذها وخرجت من شيزر ولم أبت بها . وقال :

ما أليق البخس بمسعودكم على الورى يا ساكنى شيزر
فيا ملوك الأرض هموا به فإنه والله شىء زرى

قال : وعهدى بالنقاش فى سنة ثمان وستمائة فى الحياة ، وقدم دمشق فى سنة تسع وستمائة ، وأنشد للجماعة قطعاً من قصائده وأفادهم من فرائد فوائده ، إلا أنه كان باطنه كالزناد الوقاد ، وظاهره كالجليد والجماد ، ومن رآه نسبه إلى البلاهة وعدم الذكاء والفقاهه ، فإذا أنشد تساقط من ألفاظه مثل الجمان . وقد شاهدته وليس الخبر كالعيان ، ولم أقف على تاريخ وفاته .

وذكر أبو شامة[1] من قصائده قطعاً منها :

مالى سوى حبكم مذهب ولا إلى غيركم مذهب
ناشدتك الله نسيم الصبا من أين هذا النفس الطيب
أأودعت برداك وقت الضحى مكان ألقت عقدها زينب
أم باسمت رياك روض الحمى وذيلها من فوقه يسحب
فهات أتحفنى بأخبارها فعهدك اليوم بها أقرب

ومنها :

أى يد عندى وأى مِنَّة للركب أن بشرنى بهنة
صاحوا الرحيل فظلت والها أنشد قلبى بين عيسهنة
كأننى بالحى قد شدوا العرى لبيتهم وأرخوا الأعنة
وما سمعت قبل أن ترحلوا بمطلع الشهب من الأسنة
يا حادى الأظعان رب فرح أحدثه طيب حد بثهنة
فاسلم وقل للراحلين إن يكن بين فرقا بقتيلكن

(١) الذيل على الروضتين ، ص٥٧ .

ومنها قصيدة فى مدح صاحب بعلبك الأمجد بن فرخشاه :

زار وطرف النجم لم يرقـــد مـؤتزر من حسنه مـرتد[٢٩٨]
أحـور يحكى الخـال فى خـده نُقطةُ نَد فـــوقَ ورد نَدِ
يا حـــسنه من زائر مـــابدا إلا وأنسى قَـمـرُ الأسـعد
ويا ضـلالى فـيـه من بعـد مـا كنت بمـرأى وجـهـه اهتـدى
فـيــا لهــا من ليلة لم يفـز بمـثلهـا الهـادى ولا المـهـتدى
إذا اجـتلى فى ليل أصـداغـه من وجـهـه شـمس صباح الغد
وعـــاذل عنف فـــيــه ومن ينادم البـدر ولم يحـسد
ظن خـلاصى فى يدى فاعتدى وقـال يهـوى قـاتلاً لا يدى
فـقلت لا ترح سلوى فـقـد خلعت سُلوانى على عُـودَّى
أأهجـر العـيش بهـجـرى له وأخـرج الفـوز به عن يدى
وأنثنى عنه إلى غـيـره لا وحـيـاة الملك الأمـجـد

ومنها :(١) أعنى من الحوادث ، أنه اجتمع شابان ببغداد على شرب ، فضرب أحدهما الآخر بسكين فقتله ، وهرب فأُخذ فقتل ، فوجد معه رقعة فيها بيتان من نظمه ، أمر أن يُجعلا بين أكفانه ، وهما قوله :

قـدمت على الكريم بغـيـر زاد من الأعـمـال بالقلب السليم
وسـوء الظن أن تَعـتَـدَّ زاداً إذا كـان القـدوم على كـريم

وفى تاريخ بيبرس :

وفيها توفى أبو القاسم [أحمد](٢) بن المقرى صاحب الديوان ، كان شاباً حسناً يعاشر ابن الأمير أَصُبَه فداعبه يوماً فرماه بسكين صغيرة فوقعت فى فؤاده فقتله ، فسلمه الخليفة إلى أخوته أولاد أصُبَه ، فلما خرجوا به ليقتل أنشد : قدمت على الإله ، البيتين . وفى روايته : بَلْ قلب سليم ، وسوء الظن أن نَعتد .

(١) الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٣١ .

(٢) ما بين حاصرتين إضافة من الجامع المختصر ، جـ٩ ، ص١٩٩ ، كما وردت ترجمته فى النجوم الزاهرة ، جـ٦ ، ص١٩٢ .

ومنها أنه فارق وجه السبع حاج العراق وقصد الشام ، وكان فى الحاج العراقى جماعة من الأعيان فبكوا وضجوا ، وسألوه فقال : مولاى أمير المؤمنين محسن إلىَّ ، وما أشكو إلا من الوزير ابن مهدى ، فإنه يقصدنى لقربى من مولاى ، وما عن الروح عوض . وسار إلى الشام ودخل الحاج بغداد وعليهم وحشة وكآبة ، وأمر الخليفة أن لا يخرج الموكب إلى لقائهم ، ولا يخرج إليهم أحد ، وأدخل الكوسى والعلم والمهد فى الليل ، وأقام الخليفة حزيناً أياماً . وأما وجه السبع فوصل إلى دمشق ، فالتقاه العادل وأولاده وخدموه وأحسنوا إليه .

وفيها (بياض بالأصل بمقدار سطر) .

وفيها حج بالناس من العراق مظفر الدين وجه السبع ،لكنه فارق الحج كما ذكرناه الآن . وحج بالناس من الشام مجاهد الدين ياقوت ، وهى أول حجة حجها ، وحج صدر جهان أيضاً .

ذكر من توفى فيها من الأعيان

الفقيه[1] **العالم أبو منصور عبد الرحمن بن الحسين بن عبد الله بن النعمان النيلى ، الملقب بالقاضى شريح** لذكائه وفضله وبراعته وعقله وكمال أخلاقه . ولى قضاء بلدة النِيْل[2] بكسر النون وسكون الياء آخر الحروف وفى آخره لام . ثم قدم بغداد فندب إلى المناصب الكبار فأباها ، فحلف عليه الأمير طاشتكين أن يعمل عنده الكتابة ، فخدمه عشرين عاماً ، ثم وشى به الوزير ابن مهدى إلى الخليفة فحبسه فى دار طاشتكين إلى أن توفى فيها فى هذه السنة ، ثم أن الوزير حُبس بها أيضاً عن قريب ، ومات فيها . وهذا من العجائب .

وفى المرآة : ومات طاشتكين وهو محبوس ، وتوفى شريح فى ربيع الأول فى[3] دار طاشتكين[٢٩٩] وأخرج منها ميتاً ، ودفن بداره فى القُبَيْبات .[4]

---

(١) انظر ترجمته فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٥١ ؛ مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٤٦ ؛ الذيل على الروضتين ، ص٥٨ .

(٢) النيل : بليدة فى سواد الكوفة قرب حلة بن مَزْيَد يخترقها خليج كبير يتخلج من الفرات الكبير . انظر : معجم البلدان ، جـ٤ ، ص٨٦١ .

(٣) «بدار» فى مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٤٦ .

(٤) القُبَيْبَات : محلة ببغداد . انظر : معجم البلدان ، جـ٤ ، ص٣٤ .

قال السبط : ورأيت القاضى شريحاً وكان ألطف العالم وأذكاهم ، وكان فاضلاً مترسلاً بليغاً ، جواداً سمحاً حسن الصورة ، فصيح اللسان ، متواضعاً لطيفاً ، يصلح للوزارة وغيرها .

أبو الحرم مكى[١] **بن ريّان بن شَبّه بن صالح الماكسينى** ، من أعمال سنجار ، ثم الموصلى النحوى ، قدم بغداد وأخذ عن ابن الخشاب ، وابن العطار ، والكمال الأنبارى ، وقدم الشام فانتفع به خلق عظيم منهم ؛ الشيخ علم الدين السخاوى وغيره . وكان ضرير البصر ، يتعصب لأبى العلاء المعرى لما بينهما من القدر المشترك فى الأدب والعمى . ومن شعره :

إذا احتاج النوال إلى شفيع ... فلا تقبله تَضْح قرير عين
إذا عيف النوالُ لفَرد مَنٍّ ... فأوْلى أن يُعاف لمنّتين

ومن شعره أيضاً فى ألغاز اسم دَعْد :

اسم التى أنا عبدها ... يأيها الرجل الحكيمُ
تُلفيه معكوساً كما ... تلفيه إذ هو مستقيم

قال أبو شامة[٢] : ويكفى من ذلك أن نقول :

اسمها إن عكسته ... مثله إن تركته

وتوفى أبو الحرم بالموصل فى شوال من هذه السنة ، وقال : قرأ عليه شيخنا أبو الحسن السخاوى كتاب أسرار العربية للأنبارى ، وربما يقع تصحيف فى اسم أبيه وجده ، فاعلم أن اسم أبيه أوله راء مهملة بعدها ياء آخر الحروف وآخره نون ، واسم جده أوله سين معجمة بعدها باء موحدة على وزن حبة ، وبدأ بذكره شرف الدين بن المستوفى فى تاريخ إربل لأنه شيخه ووصفه وأثنى عليه .

عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الجيلى ، كان زاهداً عابداً ، ورعاً لم يكن فى أولاد الشيخ مثله ، ولد سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ، وسمع الحديث الكثير ، وكان مقتنعاً

---

(١) انظر ترجمته فى الذيل على الروضتين ، ص٥٨-٥٩ ؛ شذرات الذهب ، جـ٥ ، ص١١ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٥١ .

(٢) الذيل على الروضتين ، ص٥٩ .

من الدنيا باليسير ، وكانت وفاته فى شوال ، ودفن بباب حرب ، وكان صالحاً ثقة لم يدخل فيما دخل فيه من أخوته .

إسماعيل بن على أبو محمد الحُطيرى ، من حطُيره الدُجيل[١] ، كان أديباً فاضلاً شاعراً أنشد لنفسه :

لا عـــالم يبـــقى ولا جـــاهل	ولا نبـيـــه [لا][٢] ولا خـــامل
على ســبـيل مُــهَــيع لا حب	يُؤدى أخـــو اليـــقظة والغـــافل

جمال الدولة[٣] إقبال الخادم ، أحد خدام صلاح الدين يوسف بن أيوب ، واقف الإقباليتين الشافعية والحنيفية ، وكانتا دارين له فوقف عليهما وجعلهما مدرستين : الكُبرى للشافعية والصغرى للحنيفية ، وجعل ثلثي أوقافه للشافعية والثلث الباقى للحنيفية ، وهما مشهورتان بدمشق . مات إقبال المذكور بالبيت المقدس فى الرابع عشر من ذى القعدة من هذه السنة .

حسام الدين أردشير صاحب مازندران ، مات فى هذه السنة وخلّف ثلاثة أولاد ، فملك ابنه الأكبر بعده وأخرج أخاه الأوسط من البلاد ، فقصد جُرجان[٤] وبها الملك على شاه بن خوارزم شاه تكش أخو خوارزم شاه محمد ، وهو ينوب عن أخيه فيها ، فشكى إليه ما صنع به أخوه من إخراجه من البلاد ، وطلب منه[٣٠٠] أن ينجده عليه ويأخذ له البلاد ليكون فى طاعته ، فكتب على شاه إلى أخيه خوارزم شاه بذلك ، فأمره بالمسير معه إلى مازندران ، وأخذ البلاد له ، وإقامة الخطبة لخوارزم شاه فيها ، فساروا من جرجان ، فاتفق أن ابن حسام الدين أردشير صاحب مازندران مات فى ذلك الوقت وملك البلاد بعده أخوه الأصغر ، واستولى على البلاد والقلاع والأموال ، فوصل على شاه البلاد ومعه ابن صاحب مازندران فنهبوها وخربوها ، فامتنع منهم الأخ الصغير بالقلاع وأقام

(١) الحَطيرَة : قرية كبيرة من أعمال بغداد من جهة تكريت من ناحية دُجَيل . انظر : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٢٩٢ .
(٢) ما بين حاصرتين ساقط من الأصل والمثبت من الذيل على الروضتين ، ص٥٨ .
(٣) انظر ترجمته فى الذيل على الروضتين ، ص٥٩ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٥١ .
(٤) جرجان : مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان ، معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٣٨-ص٥٤ .

بقلعة كوزا[١] وهى التى فيها الأموال والذخائر ، وحصره فيها بعد أن ملكوا ساوة[٢] وآمل[٣] وغيرهما من البلاد والحصون ، وخطب لخوارزم شاه فيها جميعها فصارت فى طاعته وعاد على شاه إلى جرجان وأقام ابن أزدشير بمازندران مالكاً لبلادها جميعها سوى القلعة التى فيها أخوه الأصغر ، وهو يراسله ويستميله ويستعطفه وأخوه لا يرد جواباً ولا ينزل عن حصنه .

---

(١) قلعة كُوزَا : قلعة بطبرستان . انظر : معجم البلدان ، جـ٤ ، ص٣٢٠ .

(٢) ساوة : مدينة حسنة بين الرى وهمذان فى الوسط بينهما . معجم البلدان ، جـ٣ ، ص٢٤ ؛ بلدان الخلافة الشرقية ، ص٢٤٦ .

(٣) آمُل : أكبر مدينة بسهل طبرستان . معجم البلدان ، جـ١ ، ص٦٨-ص٧٠ .

فصل فيما وقع من الحوادث فى السنة الرابعة بعد الستمائة(*)

استهلت هذه السنة والخليفة هو الناصر لدين الله والسلطان الملك العادل نازل على بحيرة قدس بظاهر حمص ، ثم وقعت الهدنة بينه وبين صاحب طرابلس ، وعاد الملك العادل إلى دمشق وأقام بها ، كذا ذكره المؤيد فى تاريخه[1] وغيره . وقال بيبرس فى تاريخه :[2] وفيها خرج العادل إلى الشام وكان سبب خروجه أن الفرنج أهل قبرس أخذوا عدة قطع من أسطول مصر ونهبوا من فيها وأسروهم ، فأرسل العادل إلى صاحب عكا وقال له : نحن وأنتم صُلُح ، فلم غدرتم؟ فاعتذر له أنه ليس حكم أهل قبرس إليه ، وأن مرجعهم إلى القسطنطينية ثم إن أهل قبرس حدث عندهم غلاء فساروا إلى القسطنطينية ، وعاد الحكم إلى صاحب عكا ، فأطلق أسارى المسلمين .

ذكر مجئ الخلعة من الخليفة إلى الملك العادل وأولاده[3]

وفى سابع عشر رمضان من هذه السنة وصل الشيخ شهاب الدين السُهْرَوَرْدى ونور الدين التركى الخليفتى وسنقر السلحدار رُسلاً من الإمام الناصر لدين الله إلى دمشق ، وصحبتهم خلعة للسلطان الملك العادل ، فبالغ العادل فى إكرام الشيخ ومن معه والتقاهم إلى القُصير[4] ، ولبس السلطان الخلعة من القصير إلى القلعة ، وكذلك لبس ولداه الملك المعظم والملك الأشرف ، والوزير صفى الدين بن شكر ، وأستاذ الدار شمس الدين إلدكز العادلى ، الخلع . وكان الأمير دلدروم حاملاً التقليد على رأس نفسه ، بين يدى السلطان ، ودخل جميعهم من باب الحديد عند أذان الظهر ، وأنزلت الرسل بدار عز الدين فرخشاه ورباط خاتون . وقرأ الوزير التقليد قائماً بمحضر من القضاة وبياض البلد بإيوان القلعة . ولم يزل السلطان وأولاده وجميع الحاضرين قياماً إلى أن فرغ الوزير من قراءته .

(*) يوافق أولها ٢٨ يوليو سنة ١٢٠٧م .

(١) انظر المختصر فى أخبار البشر ، جـ٣ ، ص١٠٨–ص١٠٩ .

(٢) انظر ، الكامل فى التاريخ ، جـ١٠ ، ص٣٤١ ص٣٤٢ .

(٣) انظر الذيل على الروضتين ، ص٦٠ .

(٤) القُصير : مدينة بمنطقة القور من أعمال الأردن ، معجم البلدان ، جـ٤ ، ص١٢٦ .

واتفق حضور بهاء الدين[٣٠١] بن شداد قاضى حلب رسولاً من الملك الظاهر غازى صاحب حلب ، وعلى يده ألفا دينار للنثار ، فلم يأذن له العادل بنثارها ، وأمره بعد ذلك بحملها للرسل فحُملت .

وفى تاريخ ابن كثير[١] : وصل من [صاحبى][٢] حماة وحلب ذهب وجوهر لينثر على الملك العادل إذا لبس الخلعة ، فلبسها العادل ونثر ذلك الذهب عليه ، وكان يوماً مشهوداً .

وفى تاريخ المؤيد :[٣] وكذلك وصل إلى الملك العادل مع الخلعة تقليد بالبلاد التى تحت حكمه ، وخوطب الملك العادل فيه شاهنشاه ملك الملوك ، خليل أمير المؤمنين .

ثم توجه الشيخ شهاب الدين إلى مصر ، فخلع على الملك الكامل بن العادل بها ، وجرى فيها نظير ما جرى فى دمشق من الاحتفال . ثم عاد الشيخ إلى بغداد مكرماً معظماً .

وقال أبو شامة :[٤] ثم عادت رسل الخليفة إلى بغداد ، وصحبتهم قاضى العسكر خليل الحنفى ، وشمس الدين إلدكز أستاذ الدار بهدايا سنية ، وودعهم العادل إلى القُصير .

وصفة الخلعة جُبّة أطلس سوداء بطراز ذهب ، وعمامة سوداء بطراز ذهب ، وطوق ذهب بجوهر ، وسيف بقراب مُذَهَّب ، وحصان أشهب بمركب ذهب ، وعلم أسود خليفتى نشر على رأس العادل .

وقال بيبرس : وقصبة ذهب عليها علم أسود ، مكتوب بالبياض اسم الخليفة .

وقال المؤيد :[٥] وطوق ذهب مجوهر تَطَوَّق به الملك العادل .

وفى المرآة : وكان فى خلعة العادل الطوق والمِسوَاران .

---

(١) بالبحث فى البداية والنهاية لم نجد هذا الخبر . والخبر نقله العينى من المختصر فى أخبار البشر ، جـ٣ ، ص١٠٩ .

(٢) «صاحب» فى الأصل . والصحيح ما أثبتناه من المختصر فى أخبار البشر ، جـ٣ ، ص١٠٩ .

(٣) انظر : المختصر فى أخبار البشر ، جـ٣ ، ص١٠٩ .

(٤) انظر : الذيل على الروضتين ، ص٦٠ .

(٥) انظر : المختصر فى أخبار البشر ، جـ٣ ، ص١٠٩ .

وفى تاريخ بيبرس : لما جاءت الرسل من بغداد من عند الخليفة نهض الملك العادل للقائهم على الغَسُولة[١] فى جميع عساكره ، وعاد بهم إلى دمشق وقد اجتمع أهلها جميعاً ، ولبس الخلعة ، وزينت دمشق سبعة أيام ، وقرئ سجل الخليفة بتفويض أمور البلاد إليه ، وهى ديار مصر والساحل ودمشق والشرق وخلاط ، وحضر وزير الظاهر ووزير صاحب حماة ووزير صاحب حمص للهناء بالخلعة الخليفتية ، وكل منهم نثر الدنانير على الملك العادل ، وخوطب بشاهنشاه ملك الملوك ، سيد السلاطين ، خليل أمير المؤمنين . وسار الرسول بخلعة الملك الكامل إلى مصر فزينت له مصر والقاهرة .

ذكر ماجريات ملوك البلاد

منها[٢] أن الملك الأوحد ابن الملك العادل صاحب ميافارقين مَلَكَ مدينة خلاط بعد قتل صاحبها ابن بكتمر ، وكان شاباً جميل الصورة ، قتله بعض مماليكه ثم قُتل القاتل أيضاً ، فخلا البلد عن ملك ، فأخذها الأوحد بن العادل .

وفى تاريخ النويرى :[٣] وفيها ملك الأوحد أيوب بن العادل مدينة خلاط ، وكان صاحبها بلبان – على ما ذكرنا فى سنة أربع وتسعين – فسار الأوحد من ميافارقين وملك مدينة مُوش[٤] ثم اقتتل هو وبلبان صاحب خلاط فانهزم بلبان واستنجد بصاحب أرزن الروم ، وهو مغيث الدين طغريل شاه بن قليج أرسلان السلجوقى ، فسار طغريل شاه واجتمع إليه بلبان ، فهزما الملك الأوحد ، ثم غدر طغريل شاه ببلبان فقتله غدراً ليملك بلاده . وقصد خلاط فلم يسلموها إليه ، وقصد ملاذكرد فلم يسلموها إليه ، فرجع طغريل شاه إلى بلاده .[٥]

وكاتب أهل خلاط الملك الأوحد فسار[٣٠٢] إليهم وتسلم خلاط وبلادها بعد أياسه منها واستقر ملكه بها ، وفى تاريخ بيبرس : قصد الأوحد مدينة موش وحصرها

---

(١) الغَسُولَة : قرية من قرى دمشق . معجم البلدان ، جـ٣ ، ص٨٠٢-٨٠٣ .

(٢) انظر : الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٤٠-٣٤١ ؛ الذيل على الروضتين ، ص٦٠-٦١ ؛ المختصر فى أخبار البشر ، جـ٣ ، ص١٠٨ .

(٣) انظر : نهاية الأرب ، جـ٢٩ ، ص٤٣-٤٤ ، الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٤٠-٣٤١ ؛ الذيل على الروضتين ، ص٦١ .

(٤) مُوش : بلدة من ناحية خلاط بأرمينية . معجم البلدان ، جـ٤ ، ص٦٨٢ .

(٥) ورد هذا النص بتصرف فى الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٤٠ ، ص٣٤١ ؛ نهاية الأرب ، جـ٢٩ ، ص٤٣-ص٤٤ ؛ الذيل على الروضتين ، ص٦٠ ، ص٦١ .

وأخذ ما يجاورها من البلاد ، ولم يتمكن بلبان صاحب خلاط على منعه ، ولما ملك الأوحد تلك البلاد طمع فى خلاط ، فسار إليها فهزمه بلبان ، فعاد إلى بلده ، وجمع وحشد وسير إليه أبوه العادل جيشا فقصد خلاط ، فسار إليه بلبان فتصافا واقتتلا وانهزم بلبان ، وتمكن الأوحد من البلاد ودخل بلبان خلاط واعتصم بها وأرسل رسولاً إلى مغيث الدين طغريل شاه صاحب أرزن الروم يستنجده على نجم الدين الأوحد ، فحضر بنفسه ومعه عسكره فاجتمعا وهزما الأوحد ، وحصرا موش وأشرفا على أخذها فغدر طغريل شاه بصاحب خلاط وقتله طمعاً فى البلاد ، ثم جرى منه ماذكرنا إلى أن ملك الأوحد أخلاط وأعمالها سوى اليسير منها ، وكره الملوك المجاورون له ملكه ، خوفاً من أبيه ، وكذلك أيضاً خافه الكرج وكرهوه فتابعوا الغارات على أعمال خلاط وبلادها ، والأوحد مقيم بخلاط لايقدر على مفارقتها ، فلقى المسلمون من ذلك أذى شديداً واعتزل جماعه من العسكر واستولوا على حصن أوان وهو من أعظم حصونهم ، وعصوا على الأوحد نجم الدين واجتمع إليهم جمع كبير من مدينة أرجيشا[1] فأرسل الأوحد إلى أبيه العادل ، فأرسل إليه ابنه الأشرف موسى أخا الأوحد ، فاجتمعا فى عسكر كبير وحصرا قلعة أوان وبها الخلاطية فجدوا فى قتالهم فضعف أولئك عن مقاومتهم فسلموها صلحا وخرجوا منها وتسلمها نجم الدين الأوحد واستقر ملكه بخلاط ، وعاد أخوه الأشرف إلى حران والرها .

ومنها[2] أن خوارزم شاه محمد بن تكش ملك بلاد ما وراء النهر من الخطا بعد حروب طويلة ، اتفق فى بعض الأيام أمر عجيب ، وهو أن المسلمين انهزموا عن السلطان خوارزم شاه فى بعض المواقف وبقى هو ومعه عصابة قليلة من أصحابه فقتل منهم الكفار من الخطا من قتلوا وأسروا خلقاً منهم ، وكان السلطان خوارزم شاه فى جملة من أسر ، أسره رجل وهو لا يشعر به ولايدرى أنه الملك ، وأسر معه أميراً يقال له ابن مسعود ، فلما وقع ذلك وتراجعت العساكر الإسلامية إلى مقرها فقدوا من بينهم السلطان فاختبطوا فيما بينهم واختلفوا اختلافاً كثيراً ، وانزعجت خراسان بكمالها وظنوا أن السلطان قد قتل .

---

(١) أرجيش : مدينة قديمة من نواحى أرمينية الكبرى قرب خلاط وأكثر أهلها أرمن نصارى . انظر معجم البلدان ، جـ١ ، ص١٩٦ .

(٢) ورد هذا الخبر فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٥٢-ص٥٣ ؛ الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٣٤-ص٣٣٧ .

وأما ما كان من السلطان وذاك الأمير فإن الأمير قال للسلطان : إنى أرى من المصلحة أن تترك الملك عنك فى هذه الحالة وتظهر أنك غلام لى . فقبل منه ما أشار إليه وجعل يخدمه يُلبّسه ثيابه ويسقيه ويضع الطعام بين يديه ولا يألو جهداً فى خدمته . فقال الذى أسرهما : إنى أرى هذا يخدمك فمن أنت؟ فقال : أنا ابن مسعود الأمير وهذا غلامى . فقال : والله لولا علم الأمراء بأنى قد أسرت أميراً لأطلقتك . فقال : إنى إنما أخشى على أهلى فإنهم يظنون أنى قد قتلت ويقيمون المأتم ، فإن رأيت أن تفادينى على مال وترسل من يقبضه منهم فعلتَ خيراً فقال : نعم[٣٠٣] فعين رجلاً من أصحابه ، فقال ابن مسعود : إنهم لا يعرفون هذا ولكن إنى رأيت أن أرسل معه غلامى هذا ليبشرهم بحياتى ويأمرهم بتحصيل المال . فقال : نعم . فجهز معهما من يحفظهما إلى مدينة خوارزم فلما اقتربوا من خوارزم سبق الملك إليها ، فلما رآه الناس فرحوا فرحاً شديداً جداً ودقت البشائر فى سائر بلاده وعاد الملك إلى نصابه .

واستقر السرور بأيامه وأصلح ما كان وَهِىَ من مملكته بسبب ما كان اشتهر من عدمه ، وحاصر هراة وأخذها عنوة ، وأما الذى أسره فإنه قال يوماً لابن مسعود : إن الناس متفرحون أن خوارزم شاه قد عدم . فقال : لا هو الذى كان فى أسرك . فقال له : فهلا أعلمتنى به حتى كنت أرده موقراً معظماً ، فقال : خفتكم عليه . فقال : سر بنا إليه ، فسارا إليه فأكرمهما إكراماً زائداً وأحسن إليهما . وذكر بيبرس هذه القصة وملخصها أن الخطا كانت قد طالت أيامهم ببلاد كورستان وما وراء النهر وثقلت وطائهم على أهلها ، ولهم فى كل مدينة نائب يجىء إليهم الأموال ، وقبل أن يملكوا كان مقامهم بنواحى أوركند وبلاساقول[١] وكاشغر[٢] فى تلك النواحى ، فاتفق أن سلطان سمرقند أو بخارى[٣] ولقبه جان خانان يعنى سلطان السلاطين ، وهو من أولاد الحانية عريق النسب فى الإسلام والملك ، أنف وضجر من مَحكم الكفار على المسلمين ، فأرسل إلى خوارزم شاه يقول

(١) بلاساغون : كذا فى ياقوت ، وهى بلد عظيم من ثغور الترك وراء نهر سيحون قريب من كاشغر ، معجم البلدان ، جـ١ ، ص٧٠٨ .

(٢) كاشغر : مدينة وسط بلاد الترك ، معجم البلدان ، جـ٤ ، ص٢٢٧ .

(٣) بخارى من أعظم مدن ما وراء النهر ، معجم البلدان ، جـ١ ، ص٥١٧-ص٥٢٢ .

له : إن الله قد أوجب عليك بما أعطاك فى سعة المال والملك وكثرة الجنود أن تستنقذ المسلمين وبلادهم من أيدى الكفار وتخليصهم مما يجرى عليهم من الحكم فى الأنفس والأموال ، ونحن نتفق معك على محاربة الخطا ونحمل إليك ما كنا نحمل إليهم ، ونذكر اسمك فى الخطبة وعلى السكة . فأجابهم خوارزم شاه محمد إلى ذلك وقال : أخاف أنكم لا تفون لى . فسير إليه أهل سمرقند وجوه أهل بخارى وسمرقند بعد أن حلّفوا صاحبهم على الوفاء بما تضمنه وضمنوا عنه الصدق والوفاء بما بذل وجعلوا عنده رهائن .

فشرع فى إصلاح أمر خراسان ، وتقرير قواعدها ، فولى أخاه على شاه طبرستان مضافة إلى جرجان ، وأمره بالحفظ والاحتياط ، وولى الأمير كزلك خان وهو من أقاربه لأمه وأعيان دولته نيسابور ، وجعل معه عسكراً ، وولى الأمير جلدك مدينة الحمام وولى أمين الدين مدينة زوزن[1] وهذا الأمين كان حمالاً وعاد من أكبر الأمراء وملك بعد ذلك كرمان . وأقر الحسين بن خرميل على هراة وجعل معه فيها ألف فارس من الخوارزمية ، وصالح غياث الدين محموداً على ما بيده من بلاد الغور ، واستناب نوابا فى مرو وسرخس وغيرهما من خراسان وأمرهم بحسن السيرة والحفظ والاحتياط وجمع عساكره جميعها وسار خوارزم شاه وعبر جيحون واجتمع بسلطان سمرقند وسمع به الخطا فحشدوا وجاءوا إليه وجرت بينهم وقعات كثيرة ومغاورات فتارة له وتارة عليه . وفيها قتل حسين بن حزميل وحوصرت هراة وذلك أن ابن حزميل رأى سوء معاملة عسكر خوارزم شاه الذى رتبه عنده بهراة للرعية وتعديهم إلى الأموال ، فقبض عليهم وحبسهم[٣٠٤] وبعث رسولاً إلى خوارزم شاه يعتذر ويعرفه ما صنعوا وما صنع بهم ، فعظم عليه ولم يمكنه محاققته لاشتغاله بقتال الخطا ، فكتب إليه يستحسن فعله ويأمره بإنفاذ الجند الذين قبض عليهم لحاجته إليهم ، وقال : إنى أمرت عز الدين جلدك صاحب الحمام أن يكون عندك لما أعلمه من عقله وحسن سيرته وأرسل إلى جلدك بالمسير إلى هراة وأسرّ إليه أن يحتال فى القبض على ابن خرميل ولو أول ساعة يلقاه ، فسار جلدك فى ألفى فارس وكان أبوه طغرل أيام السلطان سنجر والياً بهراة وكان يختارها على جميع خراسان ، فلما قاربها وعزم ابن حزميل على الخروج للقائه ، قال له وزيره وكان يعرف بخواجا الصاحب : لا تخرج إليه ودعه يدخل إليك منفرداً فإنى أخاف أن يغدر بك وأن يكون خوارزم شاه قد أمره بذلك .

(١) زُوزَن : كوره واسعة بين نيسابور وهران ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٩٥٨ .

فخالفه وراح إليه فقبضه وانهزم أصحابه ، فدخلوا المدينة وأخبروا الوزير بالحال فأمر بغلق الأبواب والقتال من على الأسوار ، وأرسل جلدك إلى الوزير الأمان ويتهدده إن لم يسلم البلد ، فقال الوزير : هذا البلد لغياث الدين ولأبيه من قبله . فقدم ابن حزميل إلى السور فقال للوزير ، افتح لهم البلد . فقال : لا . فقتل ابن حزميل وأرسل إلى خوارزم شاه يخبره بجلية الحال ، فأرسل خوارزم شاه إلى كذلك خان والى نيسابور ، وإلى أمين الدين أبى بكر صاحب زوزن يأمرهما بالمسير إلى هراة وحصارها وأخذها فسارا فى عشرة آلاف فارس فنزلوا على هراة وراسلوا الوزير فى تسليمها ، فامتنع وقال : ليس لكم من المحل ما يقتضى أن نسلم لكم مثل هراة ، لكن إذا وصل السلطان خوارزم شاه سلمناها إليه ، فقاتلوه وجدوا فى قتاله فلم يقدروا عليه ، ثم جمعوا المياه أياماً ثم أرسلوها فأحاطت بالسور فلم يقدروا على أن يدنوا من السور ، فانتقل العسكر من المدينة وما أمكنهم القتال لبعدهم عن السور ، وأما خوارزم شاه فإنه دام القتال بينه وبين الخطا ، ففى بعض الأيام اقتتلوا قتالاً شديداً ثم انهزم المسلمون هزيمة كبيرة ودام القتال بينهم ، وقتل كثير وأسر كثير وأسر السلطان خوارزم شاه وأمير كبير من أمرائه يقال له شهاب الدين بن مسعود ، ووصلت العساكر الإسلامية إلى خوارزم ولم يروا السلطان فأرسلوا إلى كزلك خان والى نيسابور وهو يحاصر هراة فأعلموه الحال ، فحين سمع سار عن هراة ليلاً إلى نيسابور ، ولما وصل إليها شرع فى عماره سورها وكان خوارزم شاه قد خربه لما ملكها من الغورية ، وأدخل كزلك خان إليها الميره واستكثر من الجند وعزم على الاستيلاء على خراسان إن صح فقد السلطان ، وبلغ خبر عدم السلطان إلى أخيه على شاه وهو يومئذ بطبرستان ، فدعى إلى نفسه وقطع خطبه أخيه واستعد لطلب السلطنة ، واختلطت خراسان اختلاطاً عظيماً ثم ذكر ما جرى بين السلطان خوارزم شاه وبين ابن مسعود وهما فى الأسر كما ذكرناه عن قريب .

وحاصل الكلام لما وصل خوارزم شاه إلى خوارزم ضربت له البشائر وزينوا البلد وأتته الأخبار بما صنع كزلك بنيسابور وبما صنع أخوه على شاه بطبرستان ، وبلغ كزلك خان وصوله فأخذ أمواله وعسكره[٣٠٥] وهرب نحو العراق ، وبلغ أخوه على شاه وصول أخيه فخافه وسار إلى غياث الدين محمود الغورى ، فلقاه وأكرمه وأنزله عنده ، وأما خوارزم شاه فإنه دخل نيسابور وأصلح أمرها وسار إلى هراة وجعل فيها نائباً مع عسكره الذى يحاصرها وأحسن إلى أولئك الأمراء ووثق بهم لأنهم صبروا على تلك الحال ولم يتغيروا ولم يبلغوا

من هراة غرضاً بِحُسْن تدبير ذلك الوزير ، وأرسل إليه خوارزم شاه يقول له : إنك كنت وعدت أنى إذا حضرت تسلم البلد وأنا قد حضرت ، فسلم فقال : لا أفعل ، لأنى أعلم أنكم غدارون لاتبقون على أحد ولا أسلم إلا إلى غياث الدين محمود . فغضب خوارزم شاه وزحف إليه بعساكره فلم يكن له فيه حيلة ، فاختلف أهل هراة على الوزير فأراد أن يستدركهم فحمل خوارزم إلى البلد ، فأخذ برجاً فدخل منه هو وعسكره وأخذ الوزير فقتله ، وتسلم البلد ، وأصلح حاله وسلّمه إلى خاله أمير ملك وهو من أعيان أمرائه ، ولم تزل هراة بيده حتى هلك خوارزم شاه ولما سلم خوارزم شاه هراة إلى خاله أمير ملك سار إلى خوارزم وأمره أن يقصد غياث الدين محمود صاحب الغور وفيروزكوه ، فسار أمير ملك إليه فلما بلغ ذلك محموداً أرسل يبذل له الطاعة ويسأله الأمان فأعطاه ذلك ، فلما نزل إليه قبض عليه وعلى على شاه أخى خوارزم شاه فسألا أن يُحملا إلى خوارزم شاه ليرى فيهما رأيه فأرسل أمير ملك إلى خوارزم شاه يعرفه الخبر فأمره بقتلهما فقتلا فى يوم واحد واستقامت خراسان كلها لخوارزم شاه .[1] ثم عاد خوارزم شاه إلى الخطا فعبر نهر جيحون فجمع له الخطا جمعاً عظيماً وساروا إليه والمقدم عليهم شيخ دولتهم القائم مقام ملكهم المعروف بطاينكوه ، وكان عمره قد جاوز مائة سنة ، وكان كثير التجارب حسن التدبير جيد التعقل ، واجتمع خوارزم شاه وصاحب سمرقند وتصافوا هم والخطا سنة ست وستمائة ، فجرت حروب لم يكن مثلها شدة وصبرا فانهزم الخطا وقتل منهم وأسر فى هذه المدة خلق لايحصى عددهم إلا الله ، وكان فيمن أسر طانيكوه مقدمهم وجىء به إلى خوارزم شاه فأكرمه وأجلسه على سريره وسيره إلى خوارزم ، ثم قصد خوارزم شاه بلاد ما وراء النهر فملكها مدينة مدينة وناحية ناحية حتى بلغ أوركند وجعل نوابه فيها وعاد إلى خوارزم ومعه صاحب سمرقند ، ثم بعث معه شحنة تكون بسمرقند ، ولما عاد صاحب سمرقند إليها ومعه شحنة لخوارزم شاه أقام معه نحو سنة فرأى من سوء سيرة الخوارزميين وقبح معاملتهم ما ندم على مفارقة الخطا ، فأرسل إلى ملكهم يدعوه إلى سمرقند ليسلمها إليه ويبذل له الطاعة وأمر بقتل كل من فى سمرقند من الخوارزمية ممن سكنها قديماً وحديثاً ، وقطّع أصحاب خوارزم شاه قطعاً وعلقهم فى الأسواق ومضى إلى القلعة ليقتل زوجته ابنة خوارزم شاه ، فغلقت الأبواب[٣٠٦] ووقفت بجواريها تمنعه وأرسلت إليه

---

(١) انظر الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٣٧-ص٣٣٩ .

تقول : إنى امرأة وقتل مثلى قبيح ولم يكن منى إليك سوء ولا ما استوجب به هذا منك ، ولعل تركى أحمد عاقبة فاتق الله فيَّ . فتركها ووكل بها من يمنعها من التصرف ، وبلغ الخبر خوارزم شاه فقامت قيامته وأراد قتل الغرباء الذين فى بلده ، فمنعته أمه من ذلك وأمر بقتل أهل سمرقند فنهته عن ذلك ، وأمر بتجهيز العساكر إلى ما وراء النهر وجهز جماعة ليعبروا جيحون فعبر منهم خلق لايحصى عددهم ، ثم عبر هو بنفسه فى آخرهم ونزل على سمرقند وأرسل يقول لصاحبها : قد فعلت مالم يفعله مسلم واستحليت من دماء المسلمين ما لم يستحله مسلم ولا كافر ، وغفر الله عما سلف فاخرج الآن من البلاد . فقال له : افعل مابدا لك فأمر عساكره بالزحف ، فأشار إليه بعض من معه بأن يأمر بعض الأمراء إذا فتحوا البلد أن يصير إلى الدرب الذى يسكنه التجار فيمنع من به ولا يمكن أحد من التطرق إليهم بسوء ، فإنهم غرباء وكلهم كارهون لهذا الفعل ، فأمر بعض الأمراء بذلك ونصب السلاليم على البلد فلم يكن بأسرع من أن أخذها وأذن لعسكره بالنهب وقتل من يجدونه من أهل سمرقند ، فنهبوا وقتلوا ثلاثة أيام فيقال : إنهم قتلوا مائتى ألف إنسان وسلم الدرب الذى فيه الغرباء فلم يعدم منهم الرجل الواحد ، ثم كف عنهم وأرسل صاحب القلعة يطلب الأمان بعد أن حاصروها ، فقال : لا أمان لك عندى فملكوها وأسروا صاحبها وأحضروه عند خوارزم شاه . فقبل الأرض وطلب العفو فلم يعف عنه وقتل صبراً وقتل كل من ينسب إلى الخانية ورتب فيها وفى سائر البلاد نُوابه ولم يبق لأحد معه فى البلاد ذكر .

ومنها أنه تحارب الخطا وملك التتار كشلى خان المتاخم لمملكة الصين ، فكتب الخطا إلى خوارزم شاه يستنجدونه على التتار ويقول : متى غلبونا خلصوا إلى بلادك ، وكذا وقع ، وكتب إليه التتار يستنصرون به على الخطا ويقولون : هؤلاء أعداؤنا وأعداؤك فكن معنا عليهم فكتب خوارزم شاه إلى كل من الفريقين يطيب قلبه ، وحضر الوقعه بينهم وهو متحيز عن الفريقين فكانت الدائرة على الخطا فهلكوا إلا القليل منهم ، وغدر التتار ما كانوا وافقوا عليه الملك خوارزم شاه فوقعت بينهما الوحشه الأكيدة وتواعدوا اللقاء وخاف منه خوارزم شاه وخرب بلداً كبيرة متاخمة لبلاد كشلى خان خوفا عليها أن يملكها ، ثم أن جنكيز خان خرج على كشلى خان فاشتغل بمحاربته عن محاربة خوارزم شاه ثم وقع من الأمور الغريبة ما سنذكره إن شاء الله تعالى .[١]

---

(١) ورد هذا الخبر بتصرف فى الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٣٩-ص٣٤٠ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٥٣ .

وفى تاريخ بيبرس :[١] ما نلخصه أنه كانت وقعه عظيمة بين التتار والخطا وذلك أنه لما فعل خوارزم شاه ما ذكرناه أولا مضى مَنْ سلم من الخطا إلى ملكهم فاجتمعوا عنده ، وكانت طائفة عظيمة من التتار قد خرجوا من بلادهم من حدود الصين ونزلوا تركستان ، وكان بينهم وبين الخطا عداوة وحروب فلما سمعوا ما فعله خوارزم شاه بالخطا قصدوهم مع ملكهم كشلى خان ، فلما رأى ملك الخطا ذلك أرسل إلى خوارزم شاه يقول له : أما ما كان منك من أخذ بلادنا[٣٠٧] وقتل رجالنا فمعفو عنه وقد أتانا من هذا العدو مالا قبل لنا به وأنهم إن انتصروا علينا وملكونا فلا دافع لهم عنك والمصلحة أن تسير إلينا بعساكرك وتنصرنا على قتالهم ، ونحن نحلف لك أنا إذا ظفرنا بهم لا نقرب بلادك ونقنع بالمواقع التى تتركونها . فأجاب إنى معك ومعاضدك على خصمك ، فسار بعساكره حتى نزل قريباً من الموضع الذى تصافوا فيه فلم يخالطهم مخالطة من يعلم أنه معه وكانت كل طائفة تظن أنه معها ، وانهزم الخطا من التتار هزيمة عظيمة ، فمال خوارزم شاه على الخطا وجعل يقتل ويأسر فلم يترك أحداً ينجو منهم فلم يسلم منهم إلا طائفة يسيرة مع ملكهم فى ناحية من نواحى الترك ليس إليها طريق[٢] فتحصنوا فيها وانضم إلى خوارزم شاه منهم طائفة ، وأنفذ خوارزم شاه إلى كشلى خان ملك التتار يمنّ عليه أنه لم يحضر إلا لمعاضدته ولولاه ما انهزم الخطا ، فاعترف له كشلى خان بذلك مدة ، ثم أرسل إليه يطلب مقاسمة بلاد الخطا ويقول له : إنا اتفقنا على إبادتهم فنقسم بلادهم لنا ولك . فأجابه بأنه ليس لك عندى إلا السيف ولستم أقوى من الخطا شوكة ، قال : قنعت بالمساكته[٣] ، وإلا سرت إليك وفعلت بك أكثر مما فعلتُ بالخطا .

وتجهز كشلى خان وسار حتى نزل قريباً منهم ، وعلم خوارزم شاه أنه لا طاقة له به فكان يراوغه فإذا سار إلى موضع قصد خوارزم شاه أهله وأثقاله فنهبها ، وإذا سمع أن طائفة سارت عن مقطنهم[٤] سار إليها فأوقع بها ، فأرسل إليه كشلى خان يقول له : هذا فعل الملوك! هذا فعل اللصوص . فإن كنت سلطاناً فألقنى فإما أن تهزمنى وتأخذ بلادى

---

(١) ورد هذا الخبر فى الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٣٩-ص٣٤٠ .

(٢) «إلا من جهة واحدة» كذا فى الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٤٠ .

(٣) «المساكنه» كذا فى الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٤٠ .

(٤) «موطنهم» كذا فى الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٤٠ .

وإما أن أهزمك ، فكان يغالطه ولا يجيبه إلى ما طلب ، لكنه أمر أهل الشاش[١] وفرغانه[٢] وأسبيجاب[٣] وكاسان[٤] وما حولها من المدن- التى لم يكن فى الدنيا أنزه منها ولا أحسن عمارة - بالجلاء منها واللحاق ببلاد الإسلام ثم خربها جمعياً خوفاً من التتار أن يملكوها ، ثم اتفق خروج چنكيز خان على كشلى خان فاشتغل به عن خوارزم شاه فعبر النهر إلى خراسان .

ومنها أن الملك العادل قصد مدينة عكا بعساكره الكثيره فصالحه صاحبها الفرنجى على إطلاق الأسرى من المسلمين وغير ذلك ، ثم سار إلى بحيرة قدس وجاءته عساكر الشرق وديار الجزيرة ودخل بلاد طرابلس وحاصر موضعاً يسمى القليعات وأخذه صلحاً وأطلق صاحبه وغنم ما فيه من دواب وسلاح وخرّبه ، وتقدم إلى طرابلس فنهب وأحرق وغنم فكانت مدة مقامه فى بلد الفرنج اثنى عشر يوماً ، وعاد إلى بحيرة قَدَس وترددت الرسل بينه وبين الفرنج فى الصلح فلم تستقر قاعدة ، ودخل الشتاء وطلب العساكر الشرقية العود إلى بلادهم فترك طائفة من العسكر بحمص عند صاحبها وعاد إلى دمشق فشتى بها ، وعادت عساكر الجزيرة إلى أماكنها . وقال الرشيد النابلسى يمدحه .

خشعت لهيئة مجدك الأبصار	وعنت لدولة ملكك الأمصار
ودنا لك الغرض البعيد وأصحب	الجد السعيد وواتت الأوطار[٣٠٨]
وتظافرت لك بالظهور على العدى	همم بها تتخاذل الأنصار
أمِنَ الحوادث مَنْ بساحتك احتمى	فكان جارك للمجرة جار
ووفى بذمتك الزمان وصَرْفُه	وهو المضيع زمامه الغدار
دانت لك السبع الشداد كأنما	بمرادك الفلك العَلِىُّ يُدار
فإذا رماح الخط نحوك أشرعت	فطوالها عما تروم قصار
وإذا الجياد ثنت إليك شكيمها	غلبت عليها كبوة وعثار

(١) الشاش : بلدة وراء النهر ، ثم ما وراء نهر سيحون متآخمه لبلاد الترك ، معجم البلدان ، جـ٣ ، ص٢٣٣ .

(٢) فرغانة : مدينة وكورة واسعه بما وراء النهر متآخمة لبلاد تركستان . انظر ، معجم البلدان ، جـ٣ ، ص٨٧٨ ، ص٨٨٠ ، بلدان الخلافة ، ص٥٢٠ .

(٣) اسبيجاب : إقليم وقصبه من أقاليم نهر سيحون ، انظر بلدان الخلافه ، ص٥٢٧ . .

(٤) كاسان : مدينة كبيرة فى أول بلاد تركستان وراء نهر سيحون وراء الشاش . انظر معجم البلدان ، جـ٤ ، ص٢٢٧ .

وإذا غضبت على الملوك فإنه ... هُلكٌ دنى منها وحان بوار

ولأنت سيف الدين والدنيا الذى ... فى الشرك أرهف حدَّهُ الجبار

مَلِكٌ ملائكهُ السماءِ جنوده ... وعبيده الأيام والأقدار

خطبته آفاق البلاد لملكها ... وترقبته العُونُ والأبكار

وقضت له السبع الكواكب بالذى ... تهواه منها والذى تختار

رب الجحافل زلزلت من وطئها ... لما سرى وارتجت الأقطار

مثل البحور الزاخرات يُمدها ... من حيث شاء من الجيوش بحار

طاشت عقول المارقين لهول منـ ... ـظره وحارت منهم الأفكار

فاستعصموا بالعفو منه ولم يكن ... توب ليعصمهم ولا استغفار

حتى غدوا خُضُعَ الرقاب منكسى الـ ... أعناق فى جبهاتهم آثار

ومنها :

فى كل يوم غارة شعواء لا ... تألو ونقع للهياج مثار

فمعاقل مهجومة ومنازل ... مهدومة بعد الأنيس قفار

ومنها :

قَلَدَ الزمانَ بشاشةً وطلاوةً ... وعلى البلاد وأهلها أنوار

بالعادل الملك الذى لعداته ... ذُلٌ على طول المدى وصَغارُ

المانح الأبصار ما طمحت ومَنْ ... يعطى مدى ما تطمع الأبصار

الساتر العورات عن أعدائه ... تزوى السعود وتكشف الأستار

الخاشع الصوام والمتهجد الـ ... قوام والمتبتل الصبار

الخارق العادات بالجود الذى ... فى الخافقين لعرفه إنكار

المُلْقِحُ الحرب العوانِ وقاعُها ... فتح الممالك كلها أبكارُ

الضارب الشوهاء[١] إثر الطعنة الـ ـفوهاء[٢] فيها يغرق المسبار[٣]

نشوان من خمر المكارم والعُلَى عطفاً وما دارت عليه عُقَّارُ[٤]

يَسقى ذوابله الدماء فمالها إلا رؤوس المارقين ثِمارُ[٣٠٩]

وهى الممالك لم يُشِدْ إركانها إلا الصوارم والقنى الخَطّارُ

ومنها :

يا آل أيوب الأولى لولاهم عَفَتْ العُلوم وعيْفَت الأشعارُ

يا أعدل الأملاك ليس لدهرنا إلاك نهاءٌ ولا أمارُ

أنت الذى ما للنجوم الزهر فى عالى المحل بحيث طار مطارُ

تتراجع الأبصار عنك حسيرة وتعوم فيها فتغرق الأفكارُ

لا مجد يخطر فى رداء جلالة ذو المجد إلا وهو منك معارُ

أيام دولتك الربيع وما سوى أفعالك الحسنى بها أزهارُ

ما حاجة الدنيا وَجُودُكَ هاطلٌ أن تَستهلّ بوَبلها الأَمطارُ

لا يُستطاع مداك فى شرف ولا لك يوم حلْبته يشق غبارُ

سبحان معطيك الذى لم يعطه بشر تعالى الواحد القهارُ

ومنها : أنه[٥] وقعت الفتنة بخلاط ، وقتل كثير من أهلها لما تم مُلكُ الملك الأوحد نجم الدين بن الملك العادل ، سار عنها إلى ملازكرد ليقرر قواعدها ويفعل ما ينبغى أن يفعله فيها . فلما فارق خلاط وثب أهلها على مَنْ بِها من العسكر ، فأخرجوه من عندهم ، وعصوا وحصروا القلعة وبها أصحاب الأوحد ، ونادوا بشعار شاهرمن ، وكان ميتاً ، يعنون

---

(١) الشوهاء : من الخيل الحديدة الفؤاد ، والفرس الحديدة البصر وتقال للأنثى ، ولا تقال للذكر ، وهى الفرس التى فى رأسها طول وفى منخريها وفمها سعة . انظر لسان العرب مادة «شوه» .

(٢) الفوهاء : بمعنى الواسعة . انظر محيط المحيط «مادة «فوه» .

(٣) المسبار : ماسبر به وقُدّر به غور الجراحات وهو فتيلة تجعل فى الجرح ليعرف عمقه وجمعها مسابير . انظر ، لسان العرب ، مادة «سبر» .

(٤) العُقّار : العاقبة . انظر : محيط المحيط ، جـ٢ ، ص١٤٤٠ مادة «عقر» .

(٥) ورد هذا الخبر فى الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٤٢ ؛ نهاية الأرب ، جـ٢٩ ، ص٤٣-٤٤ .

بذلك رد المُلْك إلى أصحابه ومماليكه . فبلغ الخبر الملك الأوحد ، وقد وافاه عسكر من الجزيرة ، فقوى بهم وحصر خلاط ، فاختلف أهلها ، فمال إليه بعضهم حسداً للآخرين ، فملكها وقتل بها خلقاً كثيراً من أهلها ، وأسر منهم جماعة ، فلم يَسلم إلا القليل ، فسير الأسارى إلى ميافارقين . وكان كل يوم يرسل إليهم يقتل جماعة ، وذل أهل خلاط بعد هذه الوقعة .

ومنها أنه ملك أبو بكر بن البهلوان(١) مراغة وسببه أن صاحبها علاء الدين بن قرا سنقر مات فى هذه السنة وولى بعده ابن له طفل ، وقام بتدبير دولته خادم من مماليك أبيه فعصى عليه أمير كان مع أبيه ، وجمع جمعاً كثيراً فأرسل إليه الخادم من عنده من العسكر ، فقاتلهم ذلك الأمير فانهزموا واستقر [ملك](٢) ولد علاء الدين إلا أنه لم تطل أيامه ، وحانت وفاته فمات أول سنة خمس وستمائة وانقرض أهل بيته ولم يبق منهم أحد ، فلما توفى سار نصرة الدين أبو بكر بن البهلوان من تبريز إلى مراغة فملكها واستولى على جميع مملكة آل قراسنقر ما خلا قلعة رويندر(٣) فإن الخادم اعتصم بها وعنده الخزائن والذخائر ، فامتنع على الأمير أبى بكر بن البهلوان .

ذكر بقية الحوادث

منها أن الملك العادل أمر بتجديد قلعة دمشق ، ووظف على كل ملك من أهل بيته وأمير من أكابر أمرائه برجاً من أبراجها فعمروها من أموالهم خدمة له .

ومنها أنه كمل الملك الكامل بناء قلعة الجبل المطلة على القاهرة وتحول إليها من دار الوزارة . قال بيبرس(٤) : وعدة من سكنها من الملوك - إلى حين تسطير[٣١٠] هذا المصنف المبارك - أربعة عشر ملكاً ، من الملوك الأيوبية ثلاثة ، ومن ابتداء الدولة التركية إلى الآن أحد عشر ملكاً يأتى ذكرهم واحداً فواحدا ، ولما سكن الكامل القلعة المذكورة نقل أولاد العاضد من القصر إليها ، وبنى لهم بها صورة اعتقال ولم يزالوا به إلى

(١) انظر معجم الأنساب ، جـ٢ ، ص٣٤٩ ؛ وفيات الأعيان ، جـ٥ ، ص٢٠٨ .

(٢) ما بين حاصرتين إضافة من الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٤٣ .

(٣) روين كذا فى الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٤٣ ، وهى قلعة من أعمال أذربيجان قرب تبريز . انظر ، معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٨٧٥ .

(٤) ورد هذا الخبر فى نهاية الأرب ، جـ٢٩ ، ص٤١ .

أن حُولوا فى سنة إحدى وسبعين وستمائة ، وبنى الاعتقال داراً ، قلت : كانت إحدى وسبعين وستمائة من أيام السلطان الملك الظاهر بيبرس رحمه الله ، والثلاثه من الملوك الأيوبية هم : الملك الكامل محمد وابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب .[١]

ومنها[٢] أنه رُكبت الساعات بمئذنة العروس فى الجامع الأموى وشرعوا فى بناء البرج الذى تجاه المدرسة القيمرية .[٣]

ومنها[٤] أن فى غرة ذى القعدة شهد محيى الدين أبو محمد يوسف بن الشيخ أبى الفرج بن الجوزى عند قاضى القضاة أبى القاسم الدامغانى ، فقبله وولاه حسبة[٥] جانبى بغداد وخلع عليه خلعة سوداء بطرحة[٦] كحلية ، وبعد عشرة أيام جلس للوعظ وحضر عنده خلق كثير ، وبعد أربعة أيام من يومئذ درس بمشهد الإمام أبى حنيفة رضي الله عنه ضياء الدين أحمد بن مسعود المركستانى الحنفى وحضر عنده الأعيان والأكابر .

ومنها أن الخليفة قبض على وزيره ابن المهدى العلوى وذلك لأنه نسب إلى أنه يروم الخلافة وقيل غير ذلك من الأسباب ، والمقصود أنه حبس بدار طاشتكين الأمير حتى مات بها ، وكان جباراً عنيداً فذمه الشعراء حتى قال بعضهم فيه :

خليلى قولا للخليفة أحمد ... توقّ وقيت السوء ما أنت صانعُ
وزيرك هذا بين أمرين منهما ... صنيعك ياخير البرية ضائع
فإن كان حقاً من سلالة حيدر ... فهذا وزير فى الخلافة طامعُ
وإن كان فيما يدعى غير صادق ... فأضيع ما كانت لديه الودائع

وقد قيل : إنه كان عفيفاً عن الأموال ، حسن السيرة ، جيد المباشرة والله أعلم .

---

(١) فراغ بمقدار ثلاث كلمات ، والملك الثالث من الملوك الأيوبية هو الملك المعظم توران شاه .

(٢) ورد هذا الخبر فى نهاية الأرب ، جـ٢٩ ، ص٤١ .

(٣) المدرسة القيمرية : أنشأها مقدم الجيوش ناصر الدين القيمرى حسين بن عبدالعزيز ، بسوق الحريميين . انظر النعيمى ، الدارس ، جـ١ ، ص٤٤١ .

(٤) انظر البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٥٤ .

(٥) الحسبة : من الوظائف الدينية ، ومن يقوم بها يطلق عليه اسم المحتسب ، ومن أهم أعماله الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومن أعماله مراقبة الأسواق والتعيين على البيمارستانات والكتاتيب . . الخ . صبح الأعشى ، جـ٣ ، ص٤٨٧ .

(٦) الطرحة : غطاء للرأس ، وهو كساء يلقى على الكتف أيضاً . المعجم الوجيز ، مادة «طرح» .

وفى المرآة(١) : قبض الخليفة على الوزير المذكور ليلاً ، بعث إليه رجلاً من أهل باب الأزج يقال له ابن دُكاله ، فأغلق بابه وأقام أياماً ثم نقله إلى دار طاشتكين بالصاغة فى دار الخليفة التى مات فيها القاضى شريح ، ونقل أهله وأولاده وأمواله وذخائره ، ووجدوا له من الأموال والذخائر مالم يوجد فى خزائن الخلفاء ، وفوض الأمر إلى المكين(٢) محمد القمى كاتب الإنشاء بين يدى ابن مهدى ، وناب القمى بعد ذلك فى الوزارة إلى أيام المستنصر فقبض عليه ، واختلفوا فى سبب عزل الوزير ابن مهدى ، فقال قوم : كان ظالماً جباراً قاسياً متكبراً قليل الرحمه قَلَّ إن حبس أحداً فتخلص منه . قال السبط : وحكى لى خالى أبو محمد يوسف قال : شفعت يوماً إليه فى محبوس ، فقال : وكم له فى الحبس؟ قلت : خمس سنين . فقال : هذا ليس بمحبوس المحبوس عندنا فى العجم من يمضى عليه خمسون سنة . وقال آخرون : إن المكين القمى سعى به إلى الخليفة ، وقال : إنه طمع فى الخلافة ويقول أنا علوى ونحن أحق وأنه ينفذ الأموال إلى العجم من قواصر(٣) التمر إلى أهله ليجندوا(٤) العساكر ويقيموا ملكاً ويقصدوا بغداد . وقال آخرون : إنه اتفق[٣١١] مع ابن الساوا(٥) النصرانى على قتل علاء الدين يتامش مملوك الخليفة ، وسنذكره إن شاء الله تعالى .

ومنها أن الحجاج رجعوا إلى العراق وهم يدعون إلى الله ويشكون إلى الناس مالقوا من صدر جهان البخارى الحنفى(٦) الذى كان قدم بغداد فى رسالة فاحتفل به الخليفة ، وخرج إلى الحج فى هذه السنة فضيق على الناس فى المياه والميرة ، فمات نحو من ستة آلاف من الحجيج العراقى فى هذه السنة ، وكان غلمانه تسبق إلى المناهل فيحجزون على الماء ويأخذونه فيرشونه حول خيمة مخدومهم فى قيظ الحجاز ، ويسقونه البقولات

---

(١) نقل العينى هذا الخبر من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٤٧-٣٤٨ .

(٢) هو المكين أبو الحسن محمد بن محمد القُمّى . الجامع المختصر ، جـ٩ ، ص٢٢٢ .

(٣) قواصر التمر : مفردها القوصرة ، وهى وعاء التمر يتخذ من قصب . انظر المصباح المنير ، مادة قصر ؛ لسان العرب .

(٤) ليجيدوا : كذا فى الأصل ، والمثبت من المرآة ، جـ٨ ، ص٣٤٨ حيث ينقل العينى عنه ؛ وكذا فى الذيل على الروضتين ، ص٥٩-ص٦٠ .

(٥) «السارى» كذا فى الأصل ، ومرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٤٨ ، والتصحيح من الذيل على الروضتين ، ص٦٠ ؛ الجامع المختصر ، ص٢٢٠ .

(٦) هو محمد بن أحمد بن عبدالعزيز البخارى . انظر الذيل على الروضتين ، ص٥٩ .

التى تحمل معه فى ترابها ، ويمنعون منه ابن السبيل إلى المسجد الحرام حتى مات خلق كثير بسبب ذلك ، فلما رجع مع الناس لعنته العامة ولم يحتفل به الخاصة ولا أرسل إليه الخليفة أحداً ، وخرج والعامة وراه يرجمونه ويلعنونه ، وسماه الحاج فى هذه السنة صدر جهنم .(١)

وفى المرآة : وقدم الحاج من مكة فى صفر وحكوا ما لقوا من صدر جهان ، وشدة العطش ولم يخرج أحد إلى لقائه ولعنوه فى وجهه وسبوه فى الأسواق ، وكتبوا لعنته على المساجد والجوامع ، [وكان](٢) النساء يخرجن صارخات [منشرات](٣) الشعور يلطمن على موتاهن ويقلن : العنوا صدر جهنم .

* قال السبط : وحججت أنا فى هذه السنة ورأيت من الموتى ما أذهلنى وخصوصاً فى النقرة(٤) والعُسَيلة(٥) ، فإنى رأيت فيها ما يزيد على خمسة آلاف ميت ، ومشينا ثلاثة أيام فى الأموات .

ومنها أن الخليفة رتب فى رمضان دور [المضيف(٦)] ببغداد من الجانبين عشرين داراً ، فى كل دار فى كل ليلة خمسمائة قدح وألف رطل من الطبيخ الخاص والجنز النقى والحلواء وغير ذلك مستمر فى كل رمضان .

وفيها (. . . .)(٧)

وفيها حج بالناس من العراق مجاهد الدين ياقوت ، وقال السبط ابن الجوزى(٨) : وحججت معه وهى أول حجاتى ، وكانت الوقفه يوم الأربعاء وعدتُ إلى العراق . وحج

---

(١) ورد هذا الخبر فى مرآة الزمان جـ٨ ، ص٣٤٧ ؛ الذيل على الروضتين ، ص٥٩ ، كما ورد مختصراً فى الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٣١ .
(٢) كن : كذا فى الأصل والمثبت هو الصحيح .
(٣) منتشرات : كذا فى الأصل . والمثبت هو الصحيح . انظر : مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٤٧ .
(٤) مكان بطريق مكة وهو من منازل حاج الكوفة . معجم البلدان ، جـ٤ ، ص٨٠٤ .
(٥) العُسيلة ، ماء فى جبل القَنَان ، شرقى سميراء وهو منزل بطريق مكه . انظر ، معجم البلدان ، جـ٣ ، ص٦٧٨ .
(٦) الضيف كذا فى الأصل ، والمثبت فى مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٤٨ .
(٧) فراغ فى الأصل بمقدار سطر .
(٨) مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٤٨ .

بالناس من الشام بدر الدين دلدروم ، ورحل من الشام فى الثامن عشر من شوال وصحبته الملك المحسن ابن السلطان صلاح الدين وجاور فى تلك السنة ، وودعهم السلطان الملك العادل إلى الكسوة ، وحج معه تلك السنة شيخ الشيوخ صدر الدين بن حمويه وأولاده وشبل الدولة الحسامى وخلق كثير .

ذكر من توفى فيها من الأعيان

حنبل بن عبدالله بن الفرج بن سعادة الرصافى الحنبلى ، راوى مسند الإمام أحمد رضي الله عنه عن أبى الحصين عن ابن المهذب عن ابن مالك عن عبدالله بن أحمد عن أبيه . عمّر تسعين سنة ، وخرج من بغداد فأسمعه بإربل واستقدمته ملوك دمشق إليها ، فسمع الناس عليه بها المسند ، وكان الملك المعظم يكرمه ويأكل عنده على السماط من الطيبات فتصيبه التخمه كثيراً لأنه كان ضيق الحال خشن العيش ببغداد . وكان الكندى إذا دخل على المعظم يسأل عن[٣١٢] حنبل[١] فيقول : هو متخوم . فيقول : أطعمة العدس . فيضحك المعظم ، ثم أعطاه مالاً جزيلاً ورده إلى بغداد فتوفى بها فى هذه السنة ، وكان مولده سنة عشر وخمسمائة . وقال أبو شامة : مات فى رابع عشر محرم سنة أربع وستمائة ودفن بباب حرب .

عبدالرحمن بن عيسى بن أبى الحسن البزورى الواعظ البغدادى ، سمع من أبى الوقت وغيره واشتغل على ابن الجوزى فى الوعظ ، ثم حدثته نفسه بمضاهاته وشمخت نفسه واجتمع عليه طائفة من أهل باب البصرة ، وتزوج فى آخر عمره وقد قارب السبعين بصبية ، فاغتسل فى يوم بارد فانتفخ ذكره فمات فى هذه السنة ، وكان مولده فى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة . وفى المرآة[٢] : وكانت وفاته فى صفر فى هذه السنة .

أبو محمد جعفر بن محمد بن محمود بن هبة الله بن أحمد بن يوسف الإربلى ، كان فاضلاً فى علوم كثيرة فى الفقه على مذهب الشافعى ، والحساب والفرائض والهندسة والأدب والنحو وما يتعلق بالقرآن العزيز ، ومن شعره الحسن الجيد :

(١) ورد هذا الخبر بتصرف فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٥٥ .
(٢) السبط ، جـ٨ ، ص٣٥٠ ، الذيل على الروضتين ، ص٦٤ .

لا يدفع المرءُ ما يأتى به القدرُ — وفى الخطوب إذا فكرت معتبرُ
وليس يُنجى من الأقدار إن نزلت — رأى وحزم ولا خوف ولا حذر
فاستعمل الصبر فى كل الأمور ولا — تجزع لشىء فعقبى صبرك الظفرُ
كم مسنا مرة عسر فصرّفه — صرف الزمان ووالى بعده يُسُرُ
لا ييأس المرء من روح الإله فما — ييأس منه إلا عصبة كفروا
إنى لأعلم أن الدهر ذو دول — وأن يوميه ذا أمن وذا خطر.[1]

عبد المجيد[2] **بن أبى القاسم عبدالله بن زهير أبو محمد الحربى ابن أخى عبدالمغيث الحربى**. ولد سنة سبع وعشرين وخمسمائة، وسمع الحديث الكثير، وكان يتردد من عند الخليفة إلى العادل فى أمور خفية فخرج فى السنة الماضية فاجتمع بالعادل، وعاد فى هذه السنة فتوفى بحماة وكان صالحاً ثقة.

أبو الثناء محمود[3] **بن هبة الله بن أبى القاسم الحلى البزاز**، قرأ القرآن على ابن عساكر البطائحى، والأدب على أبى محمد بن الخشاب، وسمع الحديث على أبى الوقت، وحكى عن إسماعيل بن موهوب ابن الجواليقى قال: كنت فى حلقة والدى أبى منصور موهوب يوم جمعة بعد الصلاة بجامع القصر والناس يقرؤون عليه فوقف عليه شاب فقال: ياسيدى ما معنى قول القائل:

وصل الحبيب جنان الخلد أسكنها — وهجره النار يصْلينى به النارا
فالشمس بالقوس أمست وهى نازلة — إن لم يزرنى وبالجوزاء إن زارا

فقال له والدى: يا بنى هذا شىء يتعلق بسير الشمس فى البروج وما يتعلق بعلم الأدب، ثم قام والدى وآلى على نفسه أن لا يعود إلى مكانه، ذلك حتى ينظر فى علم النجوم ويعرف تسيير الشمس والقمر فنظر فيه وعلمه بحيث إذا سئل عن شىء منه أجاب. ومعنى الشعر أن الشمس إذا نزلت القوس يكون الليل فى غاية الطول، وإذا كانت فى الجوزاء كان الليل فى غاية القصر. مات أبو الثناء محمود فى هذه السنة.[4]

---

(١) وردت هذه الأبيات فى الجامع المختصر، ص٢٤٤؛ البداية والنهاية، جـ١٣، ص٥٦.
(٢) انظر ترجمته بالتفصيل، مرآة الزمان، جـ٨، ص٣٥١؛ الذيل على الروضتين، ص٦٢، الجامع المختصر، جـ٩، ص٢٥٤.
(٣) انظر ترجمته فى مرآة الزمان، ج٨، ص٣٥١؛ الجامع المختصر، جـ٩، ص٢٥٥؛ الذيل على الروضتين، ص٦٣.
(٤) الذيل على الروضتين، ص٦٣، البداية والنهاية، جـ١٣، ص٥٥.

عبد العزيز الطبيب مات[٣١٣] فجأة فى ذى القعدة فى هذه السنة ، وهو والد سعد الدين الطبيب الأشرفى ، وهو الذى عناه القائل أظنه ابن عينين بقوله :

فرادى ولا خلف الخطيب جماعة ومـوت ولا عـبـد العـزيز طبـيب

شرف الدين بن الناقد بن قنبر واسمه الحسن بن أبى طالب[١] ، ولاه الخليفة حجبة الباب وناب فى الوزارة ، ثم ولاه صاحب المخزن فتجبر وطغى ، وبنى بدرب المطبخ داراً تناهى فى بنائها فلم يكن ببغداد مثلها ، وشرع فى الظلم والفسق وتجاهر به ومد عينه إلى أولاد الناس ، وكان قبيح السيرة فرفع أمره إلى الخليفة ، فأخذه أخذ عزيز مقتدر ، وقبض عليه واستأصله ، ونقض داره إلى الأساس ، وحبسه فأخرج فى رمضان ميتاً فدفن بمشهد باب التبن[٢] .

الأمير زين الدين قراجا الصلاحى[٣] **صاحب مدينة صرخد** ، توفى بدمشق ودفن بقاسيون ، كانت له دار عند باب الصغير[٤] بدمشق عند قناة الزلاقة ، وتربته فى السفح فى قبة على جادة الطريق عند تربة ابن تميرك[٥] ، وأقر السلطان الملك العادل ولده يعقوب على صرخد ، وكان قراجا شجاعاً جواداً .

الأمير الكبير يتامش بن عبد الله[٦] **أحد أمراء الخليفة الناصر لدين الله** ، وكان من سادات الأمراء ، ديناً عاقلاً نزيهاً عفيفاً ، سقاه بعض الكتاب من النصارى سما فمات ، وكان اسمه ابن ساوا ، ولما مات تقدم الخليفة بأن يفتح له باب جامع القصر ولا يتخلف عن جنازته أحد من أرباب الدولة إلا الخليفة والوزير ، وحمل إلى مشهد موسى ابن جعفر فدفن هناك ، وعلم الخليفة بباطن الحال فأمر أن يسلم ابن ساوى إلى غلمان

---

(١) الذيل على الروضتين ، ص٦١ ، ص٦٢ ، الجامع المختصر ، ص٢٥٠-ص٢٥١ .

(٢) مشهد باب التبن : هو قبر موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين ابن الإمام الحسين بن الإمام على بن أبى طالب (رضى الله عنهم) . وباب التبن اسم لمحلة كبيرة كانت ببغداد على الخندق . انظر : معجم البلدان ، جـ١ ، ص٤٤٣ .

(٣) الذيل على الروضتين ، ص٦٢-ص٦٣ ، البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٥٥ .

(٤) باب الصغير : انظر ما سبق فى عقد الجمان ، جـ١ ، ص١٣٣ ، حاشية(١) .

(٥) تربة ابن تميرك : هذه التربة بسفح جبل قاسيون . انظر : الدارس ، جـ٢ ، ص٢٢٦ .

(٦) الذيل على الروضتين ، ص٦١ .

يتامش ، فكتب ابن المهدى إلى الخليفة يقول : إن النصارى قد بذلوا فى ابن ساوى خمسين ألف دينار ولا يقتل ، فكتب الخليفة على رأس الورقة :

إن الأسود أسود الغاب همتها يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب[1]

فسلم ابن ساوى إلى مماليك علاء الدين يتامش ، فأخرج من دار الوزير وفى رقبته حبل وهو مكتوف فقتلوه وأحرقوه ، وكان لابن المهدى مملوك عاقل يقال له أقسنقر الدوادار ، كان يطالع الخليفة بأخبار ابن المهدى وأنه يكاتب الأعاجم ويسعى فى فساد الدولة ، وعلم الوزير فسقاه السم فمات فى ربيع الآخر هو وعلاء الدين يتامش فى أيام قريبة ، وقبض الخليفة على ابن مهدى فى جمادى الأولى .

السلطان[2] غياث الدين محمود بن سام بن الحسين ملك الغورية ، قتل فى هذه السنة وقد ذكرناه عن قريب ، وكان غياث الدين محمود هذا آخر الملوك الغورية ، وكانت دولتهم من أحسن الدول ، وكان محمود كريماً عادلاً محسناً إلى الرعية حليماً شفوقاً ، رحمه الله .

ست الكتبة واسمها نعمة بنت على بن يحيى بن محمد بن الطراح ، توفيت فى ربيع الأول بدمشق ودفنت بباب الفراديس ، وكانت صالحة زاهدة عابدة راوية للحديث ، روت كتاب الشمائل للترمذى عن أبى شجاع عمر بن أبى الحسن البسطامى وعن جدها أبى محمد بن يحيى بن محمد بن الطراح وغيرهما . وقال السبط[3] : سمعت عليها الحديث بدمشق فى سنة ستمائة . ولما ذكرها السبط فى تاريخه قال : وفى هذه السنة توفيت شيختنا ست الكتبة نعمة بنت على ، رحمها الله[٣١٤]

---

(١) «فى السلب» كذا فى العينى ، والمثبت من الذيل على الروضتين لاستقامة وزن البيت .

(٢) انظر الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٣٧ ، الذيل على الروضتين ، ص٦٣ .

(٣) مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٥١ .

فصل فيما وقع من الحوادث فى السنة الخامسة بعد الستمائة(*)

استهلت هذه السنة والخليفة هو الناصر لدين الله والسلطان الملك العادل فى دمشق وعنده ولداه الأشرف والمعظم كذا قال المؤيد(١) فى تاريخه . وقال بيبرس(٢) فى تاريخه : ومنها خرج العادل من مصر إلى الشام وكان أكبر البواعث على خروجه ما حصل من الوحشة بينه وبين الظاهر ابن أخيه صاحب حلب ، وقال المؤيد(٣) : وفيها توجه الملك الأشرف موسى بن الملك العادل من دمشق راجعاً إلى بلاده الشرقية ، وكان عند والده العادل فى دمشق ولما وصل إلى حلب تلقاه صاحبها الملك الظاهر وأنزله بالقلعة ، وبالغ فى إكرامه وقام [للأشرف(٤)] و[لجميع](٥) عسكره بجميع ما يحتاجون إليه من الطعام والشراب والحلواء والعلوفات ، وكان يحمل إليه فى كل يوم خلقة كاملة وهى غلالة وسراويل وقباء وكمة وفروة ومنطقة وسيف ومنديل وسكين ودلكش وحصان وخمس خلع لأصحابه ، وأقام على ذلك خمسة وعشرين يوماً ، وقدم له تقدمة جليلة وهى مائة ألف ألف درهم ومائة بقجة مع مائة مملوك ، منها عشر بقجج فى كل واحدة منها ثلاثة أثواب أطلس وثوبان خطاى ، وعلى كل بقجة جلد قندس(٦) كبير ، ومنها عشرة فى كل واحدة منها(٧) خمسة أثواب عتّابى بغدادى وموصلى ، وعلى كل بقجة جلد قندس صغير ومنها عشرون بقجة فى كل واحدة منها خمس قطع سوسى(٨) وديبقى ومنها أربعون بقجة فى كل واحدة منها خمسة أقبية وخمس كمام ، وحمل إليه خمس حُصُن عربية بعدتها وعشرين أكديشا وأربع قطر بغال وخمس بغلات فائقات بالسروج واللجم المكفتة وقطارين من الجمال . وخلع على أصحابه مائة وخمسين خلعة ، وقاد إلى أكثرهم بغلات وأكاديش ، ثم سار الملك الأشرف إلى بلاده .

(*) يوافق أولها ١٦ يوليو ١٢٠٨م .
(١) انظر المختصر فى أخبار البشر ، جـ٣ ، ص١١٠ .
(٢) انظر النويرى ، نهاية الأرب ، جـ٢٩ ، ص٤٦ .
(٣) المختصر ، جـ٣ ، ص١١٠ .
(٤) «بالأشرف» كذا فى الأصل والمثبت من المختصر ، جـ٣ ، ص١١٠ .
(٥) «بجميع» كذا فى الأصل والمثبت من المختصر ، جـ٣ ، ص١١٠ .
(٦) القندس : كلب الماء . انظر : محيط المحيط ، مادة (قندس) .
(٧) «عشرة أثواب عتابى خوارزمى ، وعلى كل بقجة جلد قندس كبير ومنها عشر فى كل واحده» ما بين الأقواس ساقط من العينى ، ومثبت فى المختصر ، جـ٣ ، ص١١١ ، حيث ينقل عنه العينى .
(٨) مرسوسى كذا فى المختصر ، جـ٣ ، ص١١١ .

ذكر ماجريات الملوك

منها أن الفرنج قصدوا مدينة حمص وعبروا على العاصى بجسر اتخذوه فى بلادهم ، فلما أحست بهم العساكر المنصورة ركبوا فى آثارهم فهربوا منهم وقتل منهم خلق وغنم المسلمون منهم غنيمة جيدة .

وقال أبو شامة[١] : وفى هذه السنة أغارت الفرنج ووصلوا إلى باب تدمر من حمص بعد أن مدوا على نهر العاصى جسراً من خشب كانوا صنعوا آلته ببلادهم وحملوها معهم وعبروا العاصى عليه ثم رفعوه على جمالهم ، وقصدوا حمص فقصدتهم العساكر الإسلامية ، فهربوا على طريق قدس وحاز المسلمون أخشابهم وأثقالهم ومن انقطع منهم .

ومنها[٢] أن غياث الدين كيخسرو بن قليج أرسلان السلجوقى صاحب بلاد الروم وصل إلى مرعش لقصد بلاد ابن لاون الأرمنى ، وأرسل إليه الملك الظاهر صاحب حلب نجدة ، فدخل كيخسرو إلى بلاد ابن لاون وعاث فيها ونهب وفتح حصناً يعرف بقرقوس .

ومنها أن الكرج ملكت أرجيش[٣] عنوة ونهبوا جميع ما بها من الأموال والأمتعة وغيرها ، وأسروا وسبوا أهلها وأحرقوها وخربوها ولم يبق بها أحد من أهلها ، فأصبحت خاوية على عروشها كأن لم تغن بالأمس ، ولم يقدم الملك الأوحد بن العادل عليهم لأسباب منها : كثرتهم ، وخوفه من أهل خلاط لما كان أسلف إليهم من القتل والأذى ، فخاف[٣١٥] أن يخرج منها فلا يُمكن من العود إليها ، فلما لم يخرج إلى قتالهم عادوا إلى بلادهم سالمين بما غنموا .

ذكر بقية الحوادث

منها أن الملك الظاهر صاحب حلب أمر أن يجيبوا الماء من حيلان[٤] ، وغرم على ذلك أموالاً كثيرة وبقى البلد يجرى فيه الماء . وحيلان بفتح الحاء المهملة وسكون الياء آخر الحروف وبعدها لام ألف وفى آخره نون . وهى قرية معمورة بشمالى حلب مسافة بعد بريد .

---

(١) الذيل على الروضتين ، ص٦٧ .

(٢) ورد هذا الحدث فى الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٤٥ .

(٣) أرجيش : هى مدينة قديمة من نواحى أرمينية الكبرى قرب خلاط ، معجم البلدان ، جـ١ ، ص١٩٦ .

(٤) انظر : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٣٨٢ .

ومنها[١] أن الشيخ شهاب الدين السُهّروردى عاد من دمشق بهدايا الملك العادل إلى بغداد ومعه شمس الدين الدكز أستاذ الدار للعادل ، فتلقى الموكب الدكز ، وأعرض عن الشيخ شهاب الدين ونقم عليه ، حيث مد يده إلى الأموال بالشام وحضر دعوات الأمراء أسامة وغيره . وقد كان قبل الرسالة زاهداً فقيراً ، وحصل أموالاً جزيلة ، وأخذ منه الربُط التى كانت بيده ، منها رباط الزوزنى ، ومنها المرزبانيه ، ومُنع من الوعظ ، وقال : ما قبلت هذه الأموال إلا لأفرقها فى فقهاء بغداد . وشرع يفرق المال والثياب فى الزوايا والرُبُط ، وقد أغنى خلقاً كثيراً من فقراء الشام والعراق . قال أبو شامة[٢] : ثم خلع الخليفة على الدكز الأستاذ دار ، وعاد إلى الشام بالهدايا والتحف . ومنها[٣] أن نيسابور زلزلت زلزلة عظيمة ودامت عشرة أيام ، فمات تحت الهدم خلق كثير .

ومنها[٤] أن فى المحرم منها تكامل بناء دار الضيافة التى أنشأها الخليفة بالجانب الغربى من بغداد للحاج والمارة ، لهم الضيافة ما داموا نازلين بها ، فإذا عزم أحدهم على السفر زود وكسى وأعطى بعد ذلك كله ديناراً للسفرة ، وكان ابتداء ترتيبه لذلك فى رمضان من السنة الماضية .

ومنها أن[٥] فخر الدين بن تيمية خطيب حران عاد من الحج إلى بغداد وجلس بباب بدر للوعظ ، وحضر محيى الدين يوسف بن الشيخ أبى الفرج بن الجوزى ، فشرع ابن تيمية فى الوعظ ، ومدح الخليفة ، وأنشد فى أثناء كلامه .

وابن اللبون إذا ما لز فى قرن لم يستطع صولة البُزل القناعيس[٦]

فقالت الناس : ما قصد إلا محيى الدين لكونه شاباً ابن خمس وعشرين سنة .

---

(١) ورد هذا الخبر فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٥٧ ، الجامع المختصر ، جـ٩ ، ص٢٥٩ ، الذيل على الروضتين ، ص٦٤ .

(٢) الذيل على الروضتين ، ص٦٥ .

(٣) الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٤٧ ؛ الذيل على الروضتين ، ص٦٥ ، مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٥١ .

(٤) ورد هذا الخبر بتصرف فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٥٦ ؛ الجامع المختصر ، جـ٩ ، ص٢٥٨–ص٢٥٩ ؛ الذيل على الروضتين ، ص٦٤ ؛ مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٥١ .

(٥) البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٥٦ ؛ الذيل على الروضتين ، ص٦٥ .

(٦) القناعيس : هى النوق القوية ، والرجل الشديد المنيع ، والمفرد «قِنْعاس» . القاموس المحيط ، مادة «قنس» .

ومنها(١) أن فى يوم الجمعة تاسع المحرم دخل مملوك إفرنجى من باب مقصورة جامع دمشق وهو سكران ، وفى يده سيف مسلول والناس جلوس ينتظرون صلاة الفجر ، فمال فى الناس يضربهم بسيفه ذلك ، فقتل اثنين أو ثلاثة ، وضرب المنبر بسيفه فانكسر ، فأخذ وأودع بالمارستان وشنق فى يومه ذلك على جسر اللبّادين .

ومنها أن الحافظ أباالخطاب عمر بن دحية لما عاد من رحلته الخراسانية قصد مجلس الوزير صفى الدين عبدالله بن على المعروف بابن شكر ، وزير الملك العادل ، وكان الشيخ العلامة تاج الدين الكندى جالساً إلى جانبه ، فأجلس ابن دحية من الجانب الآخر ، فشرع ابن دحية يُورد حديث الشفاعة ، فلما وصل إلى قول إبراهيم الخليل عليه السلام أيما كنت خليلاً من وراء وراء ، لَفَظَ باللفظتين بفتح الهمزة ، فقال الكندى : وراء وراء بالضم ، فعز ذلك على ابن دحية ، وكان جريئاً ذا أنفة من الرد عليه ، فقال للوزير : من ذا الشيخ؟ قال : هذا تاج الدين الكندى ، فتسمج ابن دحية فى حقه بكلمات ، فلم يُسمع من الكندى إلا قوله : هو من كلب فنبح ، وهذه تورية حسنة بلفظ حلو ، وذلك أن دحية كان[٣١٦] ينتسب إلى بنى كلب من العرب ، وهى قبيلة دحية بن خليفة الصحابى - رضى الله عليه- وفى صحة الانتساب إليهم كلام ونظر ، فإن جماعة من العلماء المتقدمين قالوا : إنه لم يعقب ، ووقع الناس فى أبى الخطاب بسبب ذلك حتى قال بعضهم :

دحية لم يعقب فلا تنتسب	إليه بالبهتان والإفك
ما صح عند الناس شيء سوى	أنك من كلب بلا شك

فأخذ هذا الشاعر المعنى الذى أشار إليه الكندى بذلك اللفظ الوجيز .

قال أبو شامة(٢) : وأم اللفظتان المتنازع فيهما فرأيت فى أمالى أحمد بن يحيى ثعلب جوازاً لأمرين فيهما والجر أيضاً .

وفيها ....(٣)

---

(١) البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٥٦ ؛ الذيل على الروضتين ، ص٦٤ .
(٢) الذيل على الروضتين ، ص٦٥ .
(٣) فراغ بمقدار سطر .

وفيها[١] حج بالناس من العراق مجاهد الدين ياقوت ، ومن الشام حسام الدين قايماز والى القدس .

ذكر من توفى فيها من الأعيان

أبو الفتح[٢] محمد بن أحمد بن بختيار بن على بن محمد بن إبراهيم بن جعفر الواسطى المعروف بابن الميدانى[٣] ، آخر من روى مسند الإمام أحمد -رحمه الله- عن أبى الحصين ، وكان من بيت فقه وقضاء وديانة ، وكان ثقة عدلاً متورعاً فى النقل ، ومما أنشده من حفظه :

ولو أن ليلى مطلع الشمس دونها وكنت وراء الشمس حين تغيب
لحدثت نفسى بانتظارى نوالها وقال المنى لى إنها لقريب

وقال أبو شامة[٤] وأنشد لغيره :

أراك إذا نأيت بعين قلبى كأنك نصب عينى عن قريب
لئن بعدت معاينة التلاقى فما بعدت معاينة القلوب[٥]

وقال : ولد بواسط سنة سبع عشرة وخمسمائة ، وولى أبوه قضاء الكوفة ، فسمع من شيوخها ، وتفقه على أبى منصور بن الرزار ، وعاد إلى واسط فأقام بها يسمع الحديث والفقه حتى توفى بداره ، ودفن بها ، سمع بالكوفة من الشريف أبى البركات عمر بن إبراهيم النحوى شارح لمع ابن جنى وغيره ، وببغداد أبا القاسم بن الحصين وابن الجواليقى وابن السمرقندى والبارع وغيرهم ، وولى قضاء واسط ، وكان صالحاً ثقة صدوقاً .[٦]

---

(١) مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٥١-ص٣٥٢ ، الجامع المختصر ، جـ٩ ، ص٢٧٠ .
(٢) البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٥٧ .
(٣) «المندای» كذا فى الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٤٧ ، أما ابن الساعى فقد ذكرها «بالمندائى» أما ابن كثير ، فقد ذكره «السندى» البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٥٧ . والمثبت يتفق مع ابن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب ، جـ٥ ، ص١٧ .
(٤) الذيل على الروضتين ، ص٦٦ .
(٥) وردت هذه الأبيات فى الجامع المختصر ، جـ٩ ، ص٦٠٥ .
(٦) انظر : الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٤٧ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٥٧ ؛ والجامع المختصر ، جـ٩ ، ص٢٧٨ .

أبو العباس[١] **الخضر بن محمد بن على الجزرى** ، ولد بجزيرة ابن عمر فى سنة خمس وعشرين وخمسمائة ، وتوفى فى هذه السنة ، وقدم بغداد ، وله فى تعبير الرؤيا يد ، وأنشد لنفسه :

أنست بوحـدتى حـتى لو أنى رأيت الأنس لاستوحشت منه
وما ظفرت يدى بصديق صدق أخـاف عليه إلا خـفت منه
وما نزل التجاوب لى حبيباً أمـيل إليـه إلا ملت عنه

الشيخ أبو[٢] **الخير مصدق بن شبيب بن الحسين النحوى الصِلْحى** ، من أهل قم الصلح ، ولد سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ، وصحب الشيخ صدقة الزاهد ، وقرأ عليه القراءات والنحو ، وقرأ عليه ابن الخشاب وابن العصار والكمال الأنبارى ، وسمع الحديث من أبى الفتح بن البطى ، مات فى هذه السنة ، ودفن مع الشيخ صدقة فى ضريحه ، وكان على طريقة فى الزهد والعبادة ، منقطعاً عن الناس .

صدر الدين[٣] **عبد الملك بن درباس المارانى الكردى** ، قاضى[٣١٧] القضاة بالديار المصرية ، وكان قاضى الغربية ، قدم من الشرق إلى مصر فولاه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وكان عنده بمكانة ، وقال ابن ميسر : تولى صدر الدين فى الثانى والعشرين من جمادى الأخرى من سنة ست وخمسين وخمسمائة إلى أن صرف بعد وفاة صلاح الدين ، وولى مكانه القاضى زين الدين على بن يوسف الدمشقى يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ربيع الأول من سنة تسعين وخمسائة ، وتوفى صدر الدين فى هذه السنة ، وقبره بتربته المجاورة للرباط المشهور بخط روز بهار العجمى .

محمد بن[٤] **بختيار بن عبد الله أخو أستاذ دار الخليفة** ، كان فاضلاً أديباً أنشد يوماً :

قسماً بمن سكن الفؤاد وإنه قسم به لو تعلمون عظيم

---

(١) انظر ، الذيل على الروضتين ، ص٦٦ .
(٢) الذيل على الروضتين ، ص٦٦ .
(٣) انظر الذيل على الروضتين ، ص٦٧ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٥٧ .
(٤) الذيل على الروضتين ، ص٦٦ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٥٧ ؛ المرآة ، جـ٨ ، ص٣٥٢ ؛ الجامع المختصر ، جـ٩ ، ص٢٧٧ ، ص٢٧٨ .

فأجاب بديهاً :

إنى به صَب كـئـيب مـدنف قلق الفـؤاد مـوله مـهـمـوم
لا أسـتطيع مع التنائى سلوة حـتى المـمـات وإننى لسليم
فـتـعطفـوا بالوصل بعـد تهـاجـر فـالصـبـر ينفـد والرجـاء مـقـيم

الأمير سراسنقر الصلاحى : مات فى رابع عشر محرم من هذه السنة بحلب ، وكان أحد الأمراء المذكورين المجاهدين .

الأمير المعروف بالجناح الكردى : واسمه إبراهيم[١] **بن أحمد** ، مات فى السابع والعشرين من ذى القعدة بدمشق ، ودفن بالجبل ، وخرج السلطان فى جنازته ، وفى الغد عمل عزاؤه بالجامع ، وحضر جميع أمراء الأكراد بالجوخ ومناديل على رؤوسهم ، وهو أخو المشطوب وكبير أمراء الأكراد .

الأشرف[٢] غرس الدين محمد بن السلطان صلاح الدين ، مات فى هذه السنة بحلب .

الأمجد[٣] حسن بن السلطان الملك العادل ، شقيق الملك المعظم والعزيز ، مات فى هذه السنة بالقدس الشريف .

الشرف[٤] الفلكى وزير الملك الأوحد ، أخو الصفى الأسود واسمه عبد المحسن بن إسماعيل بن محمود الحُلى[٥] ، وكان قد ناب بديوان دمشق عن صفى الدين بن شكر الوزير فى الدولة العادلية ، ثم وزر لأخى العادل لأمير فلك الدين فنسب إليه ، ثم اشتغل وزيراً بخلاط للملك الأوحد بن العادل إلى أن قتله مملوكه بها ليلة عيد الفطر من هذه السنة ، وحمل من خلاط إلى دمشق . وقال أبو شامة : وجد مذبوحاً فى فراشه ، ذبحهُ غلام له ليلة عيد الفطر .

---

(١) الذيل على الروضتين ، ص٦٦ .

(٢) «عز الدين» كذا فى الذيل على الروضتين ، ص٦٧ .

(٣) الذيل على الروضتين ، ص٦٧ .

(٤) انظر ترجمته فى الذيل على الروضتين ، ص٦٦ .

(٥) «المحلى» كذا فى الذيل على الروضتين ، ص٦٦ .

السلطان[1] **معز الدين سنجر شاه بن سيف الدين غازى بن مودود بن عماد الدين زنكى بن آقسنقر** ، صاحب جزيرة ابن عمر ، وهو ابن عم نور الدين صاحب الموصل ، قتله ابنه غازى فى هذه السنة ، وكانت ولايته فى سنة ست وتسعين وخمسمائة ، وكان سنجر شاه ظالماً قبيح السيرة وقحاً ، لا يمتنع من قبيح يفعله من : القتل ، وقطع الألسنة ، والأنوف ، والأذن ، وحلق اللحى ، وتعدى ظلمه إلى أولاده وحريمه ، فبعث ابنيه محموداً وممدوداً إلى قلعة فحبسهما فيها ، وحبس ابنه الغازى المذكور فى المدينة وضيق عليه ، وكان بتلك الدار هوام كثيرة ، فاصطاد غازى المذكور حية وسيرها إلى أبيه فى منديل لعله يرق له ، فلم يزده إلا قساوة عليه ، فأعمل الحيلة حتى هرب ، وكان عنده أحد يخدمه فقرر معه أن يسافر ويظهر[٣١٨] أنه غازى بن معز الدين سنجر شاه ؛ ليأمنه أبوه ، فمضى ذلك الإنسان إلى الموصل فأعطى شيئاً وسافر منها ، واتصل ذلك بسنجر شاه فاطمأن ، وترجل ابنه غازى حتى دخل إلى دار أبيه ، واختفى عند بعض سرارى أبيه ، وعلم به جماعة منهم وكتموا ذلك عن سنجر شاه لبغضهم فيه ، واتفق أن سنجر شاه شرب يوماً بظاهر البلد وشرع يقترح على المغنيين الأشعار الفراقية وهو يبكى ، ودخل داره سكراناً إلى عند الحظية التى ابنه مختف عندها ، ثم قام معز الدين سنجر شاه ودخل الخلاء ، فهجم عليه ابنه غازى فضربه أربع عشرة ضربة بالسكين ، ثم ذبحه وتركه ملقى ، ودخل غازى الحمام وقعد يلعب مع الجوارى ، فلو أحضر الجند واستحلفهم فى ذلك الوقت لتم أمره وملك البلاد ، ولكنه سكر واطمأن فخرج بعض الخدم وأعلم أستاذ الدار ، فجمع الناس وهجم على غازى وقتله ، وحلف العسكر لأخيه محمود بن سنجر شاه ، واستقر ملكه بالجزيرة ، وقبض على جوارى أبيه فغرقهن فى دجلة ، ثم قتل محمود بعد ذلك أخاه مودوداً .

---

(١) انظر ترجمته ، الكامل فى التاريخ ، جـ١٠ ، ص٣٤٥-٣٤٧ ؛ الذيل على الروضتين ، ص٦٧ ؛ الجامع المختصر ، جـ٩ ، ص٢٦٩-٢٧٠ ، البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٥٧ .

فصل فيما وقع من الحوادث فى السنة السادسة بعد الستمائة(*)

استهلت هذه السنة والخليفة هو الناصر لدين الله ، وملوك البلاد والأطراف على حالهم .

ذكر ماجريات الملك العادل

وفى ربيع الأول[١] من هذه السنة سار الملك العادل من دمشق وقطع الفرات ، وجمع الملوك من أولاده الأوحد وغيره ، وعساكر مصر والشام وحلب وديار بكر . ونزل على حران ووصل إليه بها الملك الصالح محمد بن محمد بن قرا أرسلان الأرتقى صاحب آمد وحصن كيفا ، ثم سار من حران ونازل سنجار وبها صاحبها قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكى بن مودود بن زنكى ، فحاصرها ونصب عليها المجانيق إلى رمضان ، ولم يبق إلا تسليمها . فأرسل الملك الظاهر من حلب أخاه المؤيد يشفع فى السناجرة وصاحبها يومئذ قطب الدين -كما ذكرنا- وهو من بقية بيت زنكى والد نور الدين محمود الشهيد ، فلم يُشفعه ، ومات المؤيد فى هذه السنة كما نذكره إن شاء الله تعالى . وكره المشارقة مجاورة العادل فاتفقوا عليه مع صاحب إربل . وأرسل الخليفة[٢] ابن الضحاك الأستاذ دار وأقباش الناصرى يشفع إلى العادل فيهم ، فرحل بعد أن أخذ نصيبين والخابور ونزل على حران وفرق العساكر . وصالح المشارقة صاحب إربل والموصل والجزيرة وماردين وحلب .

وفى تاريخ بيبرس[٣] : وسبب ذلك أن قطب الدين المذكور كان بينه وبين ابن عمه نور الدين شاه بن مسعود بن مودود صاحب الموصل عداوة مستحكمة يقدم ذكرها ، ثم تصاهر نور الدين والعادل ؛ فإن ولد العادل تزوج بابنة نور الدين ، وحسنوا لنور الدين مراسلة العادل والاتفاق معه على أن يقتسما البلاد التى لقطب الدين بن زنكى والولاية التى لمحمود بن سنجر شاه ، وهى جزيرة ابن عمر وأعمالها ، فيكون ذلك لقطب الدين بن العادل ، وتكون الجزيرة لنور الدين ، فوافق هذا القول هوى نور الدين فأرسل إلى العادل

(*) يوافق أولها ٦ يوليو سنة ١٢٠٩م .

(١) الذيل على الروضتين ، ص٦٧ ؛ مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٥٢ ، ص٣٥٣ .

(٢) انظر : نهاية الأرب ، جـ٢٩ ، ص٤٩ .

(٣) ورد هذا الخبر بالتفصيل فى الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٤٨-٣٥٠ .

فى هذا المعنى فأجابه إلى ذلك ، وأطمعه أن يُعطَى هذه البلاد إذا مَلَّكها لولده الذى هو زوج[٣١٩] ابنة نور الدين ، ويكون مقامه فى خدمته بالموصل .

واستقرت الحال على ذلك وتحالفا عليها ، فبادر العادل إلى المسير إلى الفرات فى عساكره وقصد الخابور فأخذه ، فلما سمع نور الدين بوصوله خاف واستشعر ، فأحضر من يَرجع إلى قولهم ورأيهم وعرفهم وصول العادل ، واستشارهم فيما يفعله . فبينوا له فساد رأيه فى اتفاقه مع العادل على ابن عمه وما يترتب على ذلك من الضرر له ، وقالوا : أما الآن فقد فات الأمر ، وليس إلا أن تقف معه على ما استقر بينكما ، لئلا يجعل حجة ويبتدىء بك .

هذا والعادل قد ملك الخابور ونصيبين ، وسار إلى سنجار فحصرها ، وكان عزم صاحبها أن يسلمها إلى العادل بعوضٍ يأخذه عنها ، فمنعه من ذلك أمير كان معه اسمه أحمد بن بُرنقش – مملوك أبيه زنكى – فقام بحفظ المدينة والذب عنها .

وجهز نور الدين عسكراً مع ولده الملك القاهر ليسيروا إلى العادل ، فبينما الأمر كذلك إذ جاءهم أمر لم يكن فى حسابهم ، وهو أن مظفر الدين كوكبورى صاحب إربل أرسل وزيره إلى نور الدين يبذل من نفسه المساعدة على منع العادل عن سنجار ، والاتفاق معه على ما يريده . فوصل الرسول ليلاً فوقف مقابل دار نور الدين وصاح ، فَعُبِّرت إليه سفينة عَبَرَ فيها ، واجتمع بنور الدين ليلاً وأبلغه الرسالة . فأجاب نور الدين إلى ما طلب من الموافقة وحلف له على ذلك ، وعاد الوزير من ليلته . فسار مظفر الدين واجتمع هو ونور الدين ونزلا بعساكرهما بظاهر الموصل ، وكان سبب ما فعله مظفر الدين أن صاحب سنجار أرسل ولده إلى مظفر الدين يستشفع به إلى العادل ليبقى عليه سنجار ، وكان مظفر الدين يظن أنه لو شفع فى نصف ملك العادل لَشَفَّعَه ، لأثره الجميل فى خدمته وقيامه فى الذب عن ملكه غير مرة ، فَشَفَعَ إليه فلم يشفعه العادل ظناً منه أنه بعد اتفاقه مع نور الدين لا يبالى بمظفر الدين . فلما رده فى شفاعته راسل نور الدين فى الموافقة عليه . ولما وصل إلى الموصل واجتمع بنور الدين أرسل إلى الظاهر غازى صاحب حلب وإلى كيخسرو بن قليج أرسلان صاحب بلاد الروم بالاتفاق معهما ، فكلاهما أجاب إلى ذلك ، وتداعوا على الحركة وقصد بلاد العادل إن امتنع من الصلح ، والإبقاء على صاحب سنجار . وأرسلا أيضاً إلى الخليفة الناصر لدين الله ليرسل رسولاً إلى العادل فى الصلح ، فقويت نفس صاحب سنجار على الامتناع .

ووصل رسول الخليفة ، وهو أبو نصر هبة الله بن الضحاك أستاذ الدار ، والأمير أقباش ، وهو من خواص مماليك الخليفة ، [فوصلا][١] إلى الموصل ، [وسارا][٢] منها إلى العادل وهو يحاصر سنجار وكان [مَنْ][٣] معه من العساكر لا يناصحونه فى القتال لاسيما أسد الدين شيركوه صاحب حمص والرحبة ، فإنه كان يُدخل إليها الأغنام والأقوات ظاهراً ، ولا يقاتل عليها رفقاً بصاحبها وإبقاءً عليه ، وكذلك غيره .

فلما وصل رسول الخليفة إلى العادل أجاب أولاً إلى الرحيل ثم امتنع عن ذلك وغالط ، وطال الأمر لعله يبلغ منها غرضاً . فلما لم ينل منها ما أمَّله أجاب إلى الصلح على أن يكون له ما أخذ وتبقى سنجار لصاحبها ، واستقر الأمر على ذلك وتحالفوا[٣٢٠] عليه كلهم وعلى أن يكونوا يداً واحدة على الناكث منهم . ورحل العادل عن سنجار إلى حران ، وعاد مظفر الدين إلى إربل ، وبقى كل واحد من الملوك فى بلده ، وانفصلوا على ذلك .

وفيها حصل التغيّر بين العادل والظاهر وتأكد ، وبرز من حلب لقتاله عند وصوله من سنجار ، ثم حصل الصلح بينهما فى أول السنة الآتية ، وعاد العادل إلى الشام .

ذكر بقية الحوادث

منها أن فى المحرم وصل نجم الدين خليل شيخ الحنفية من دمشق إلى بغداد فى الرسالة عن الملك العادل ومعه هدايا كثيرة ، وتناظر هو والشيخ مجد الدين يحيى بن الربيع شيخ النظامية فى مسألة وجوب الزكاة[٤] فى ماله اليتيم والمجنون ، فأخذ الحنفى يستدل على عدم وجوبها ويعترض عليه الشافعى ، فأجاد كل منهما فى الذى أورده .[٥] ثم خلع على الحنفى وأصحابه بسبب الرسالة ، وكانت المناظرة بحضرة نائب الوزير ابن أَمَسْيَنا .

ومنها أن فى يوم السبت خامس جمادى الآخرة وصل الجمال يونس بن بدران المصرى رئيس الشافعية بدمشق إلى بغداد فى الرُسلية عن الملك العادل فتلقاه الجيش

---

(١) «فوصل» فى الأصل . والمثبت من الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٥٠ وهو المتفق مع السياق .
(٢) «وسار» فى الأصل . والمثبت من الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٥٠ وهو المتفق مع السياق .
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل . والمثبت لإيضاح المعنى .
(٤) «الزكوه» كذا فى الأصل والصحيح هو المثبت .
(٥) ورد هذا الخبر فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٥٧-ص٥٨ ؛ الذيل على الروضتين ، ص٦٩ ؛ الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٥٠ .

مع حاجب الحجاب ، ودخل معه ابن أخى صاحب إربل مظفر الدين كوكبورى ، والرسالة تتضمن الاعتذار عن صاحب إربل والسؤال فى الرضى عنه ، فأجيب إلى ذلك .[١]

وفيها ....[٢]

وفيها حج بالناس من العراق ياقوت ، ومن الشام فخر الدين إياس الشامى .[٣]

ذكر من توفى فيها من الأعيان

القاضى الأسعد أبو المكارم أسعد بن [الخطير][٤] ، أبى سعيد مهذب ابن مينا ابن زكرياء بن أبى قدامة بن قليج بن مَماتى المصرى ، الكاتب الشاعر ، وكان ناظر الدواوين بالديار المصرية ، وفيه فضائل وله مصنفات عديدة ، ونظم سيرة صلاح الدين ، ونظم كتاب كليلة ودمنة ، وله ديوان شعر ، وله فى غلام نحوىّ .

وأهيف أحْدَثَ لِى نَحوُهُ تعجبًا يُعربُ عن ظَرْفِه
علامَةُ التأنيث فى لفظه وأحرفُ العِلَةِ فى طَرْفِه

وله فى شخص ثقيل رآه بدمشق :

[حكى[٥]] نهرين ما فى الأر ض مَنْ يحكيهما أبدا
حكى فى خلقه ثورا وفى ألفاظه[٦] بردَا

وقال ابن كثير :[٧] أسلم فى الدولة الصلاحية ، وتولى نظر الدواوين بمصر مدة ، ولما تولى الوزير ابن شكر هرب منه إلى حلب لائذاً بالملك الظاهر ، فمات بها فى هذه السنة ، وله ثنتان وستون سنة .

---

(١) ورد هذا الخبر فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٥٨ .
(٢) بياض فى الأصل بمقدار كلمتين .
(٣) مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٥٣ .
(٤) الخطيرى كذا فى الأصل والمثبت من وفيات الأعيان ، جـ١ ، ص٢١٠ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٥٨ ؛ نهاية الأرب ، جـ٢٩ ، ص٥١ .
(٥) «يحكى» كذا فى الأصل والمثبت من وفيات الأعيان ، جـ١ ، ص٢١٠ .
(٦) «أخلاقه» فى وفيات الأعيان ، جـ١ ، ص٢٦٠ .
(٧) البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٥٨ .

وقال ابن خلكان(١) : توفى فى سلخ جمادى الأولى منها يوم الأحد ، ودفن فى المقبرة المعروفة بالمقام على جانب الطريق بالقرب من مشهد على الهروى ، وتوفى أبوه [الخطير](٢) يوم الأربعاء سادس شهر رمضان فى سنة سبع وسبعين وخمسمائة ، ومنها بكسر الميم وسكون الياء آخر الحروف وفتح النون وبعدها ألف ، ومماتى بفتح الميمين والثانية مشددة وبعد الألف تاء مثناة من فوق مكسورة وبعدها ياء آخر الحروف ، وهو لقب أبى مليح المذكور ، وكان نصرانيا ، وإنما قيل له مماتى ؛ لأنه وقع فى مصر غلاء عظيم ، وكان كثير الصدقة والإطعام خصوصاً لصغار المسلمين ، فكانوا إذا رأوه نادوه كل واحد منهم مماتى ، فاشتهر به والله أعلم .

اللمعانى(٣) **أبو يعقوب يوسف بن إسماعيل بن عبد الرحمن**[٣٢١] **بن عبد السلام اللمعانى** ، أحد الأعيان الحنفية ببغداد ، سمع الحديث ودرس بجامع السلطان ، وكان معتزلياً فى الأصول ، بارعاً فى الفروع ، اشتغل على أبيه وعمه وأتقن الخلاف ، وعلم المناظرة ، وقارب التسعين ، وتوفى ليلة الجمعة ، وصلى عليه من الغد بمشهد الإمام أبى حنيفة رضي الله عنه وقال ابن النجار : وكتبنا عنه ، وكان صدوقا .

ابن الخراسانى(٤) **أبو عبد الله محمد بن محمد بن الحسين المعروف بابن الخراسانى** ، المحدث الناسخ ، كتب كثيراً من الحديث وغيره ، وخطه جيد مشهور .

أبو المواهب معتوق بن منيع بن مواهب الخطيب البغدادى ، قرأ النحو واللغة على ابن الخشاب ، وجمع خطباً كان يخطب منها ، وكان شيخاً فاضلاً أديباً ، وله ديوان شعر ، فمن قوله :

ولا ترجو الصداقة من عدو ... يعادى نفسه سراً وجهراً
فلو أخذت مودَته انتفاعاً ... لكان النفع منه إليه أحْرى

---

(١) وفيات الأعيان ، جـ١ ، ص٢١٢ .
(٢) «الخطيرى» كذا فى الأصل والمثبت من وفيات الأعيان ، جـ١ ، ص٢١٠ ؛ نهاية الأرب ، جـ٢٩ ، ص٥١-ص٥٢ .
(٣) انظر ترجمته فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٥٨ .
(٤) انظر ترجمته فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٥٨ .

ابن خروف النحوى على بن محمد بن [على الحضرمى][١] **أبو الحسن بن** خروف ، الأندلسى النحوى شارح كتاب سيبويه ، شرحه وقدمه إلى صاحب المغرب ، فأعطاه ألف دينار ، وشرح جمل الزجاجى ، وكان يتنقل فى البلاد ولا يسكن إلا فى الخانات[٢] ، ولم يتزوج قط ، ولا تسرى ، وقد تغير عقله فى آخر عمره ، فكان يمشى فى الأسواق مكشوف الرأس ، وتوفى فى هذه السنة عن خمس وثمانين سنة بمدينة أشبيلية . وقال ابن خلكان[٣] : توفى فى سنة عشر وستمائة . وقيل : فى تسع وستمائة وخروف بفتح الخاء المعجمة وهو غير ابن خروف الشاعر .

أبو على الواسطى[٤] **يحيى بن الربيع بن سليمان بن حراز الواسطى ثم البغدادى** ، اشتغل بالنظامية على ابن فضلان وأعاد عنده ، وسافر إلى محمد بن يحيى ثم عاد إلى بغداد ، ثم صار مدرساً بالنظامية ونظر فى أوقافها ، وكانت لديه علوم كثيرة ومعرفة حسنة بالمذاهب ، وله تفسير فى أربع مجلدات كان يدرس منه ، واختصر تاريخ الخطيب والذيل عليه لابن السمعانى وقارب الثمانين .

ابن الأثير[٥] : **مصنف جامع الأصول والنهاية ، واسمه المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد مجد الدين أبو السعادات الشيبانى** ، الجزرى الشافعى المعروف بابن الأثير ، وهو أخو الوزير للملك الأفضل بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وهو ضياء الدين نصر الله صاحب المثل السائر ، ولهما أخ آخر وهو الحافظ عز الدين أبو الحسن على بن محمد صاحب الكامل فى التاريخ ، ولد أبو السعادات المبارك فى أحد الربيعين سنة أربع وأربعين وخمسمائة بجزيرة ابن عمر ،

---

(١) خلط العينى بين اسم ابن خروف النحوى وابن خروف الشاعر . فأثبت اسم النحوى على بن محمد بن يوسف والمثبت بين الحاصرتين هو الصحيح . وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص٣٣٥ .

(٢) الخان : هو مكان يشبه الفندق المعد لاستقبال التجار وبضائعهم ودوابهم وغيرهم من المسافرين والحجاج ويوجد به اسطبل دواب وفى أعلاه طباق ومساكن للنازلين به تطل على حوش أو ساحة تتوسط الخان وأيضاً يوجد بالخان بئر ماء ومنصاه ومسجد صغير . انظر سعيد عاشور ، العصر المماليكى ، ص٤١١ .

(٣) وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص٣٣٥ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٥٩ .

(٤) انظر ترجمة السبكى ، طبقات الشافعية ، جـ٥ ، ص١٦٥ ؛ الجامع المختصر ، جـ٩ ، ص٢٧٩ ؛ الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٥٠ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٥٩ .

(٥) وفيات الأعيان ، جـ٤ ، ص١٤١–ص١٤٣ ؛ الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٥٠–ص٣٥١ ؛ الذيل على الروضتين ، ص٦٨ ؛ جـ٩ ، ص٢٩٩ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٥٩ .

وسمع الحديث الكثير وقرأ القرآن الكريم ، وأتقن علومه وحرر علوماً جمة ، وكان مقامه بالموصل ، وقد جمع فى سائر الفنون كتباً مفيدة منها : جامع الأصول الستة ، الموطأ ، والصحيحان ، وسنن أبى دواد ، والنسائى ، والترمذى ، ولم يذكر ابن ماجة فيها . وله كتاب النهاية فى غريب الحديث ، وله شرح مسند الشافعى ، وله التفسير فى أربع مجلدات وغير ذلك فى فنون شتى . وكان - رحمه الله - معظماً عند ملوك الموصل ، ولما آل الملك إلى نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكى أرسل إليه مملوكه لؤلؤ فعرض عليه أن يستوزره فأبى ، فركب السلطان إليه بنفسه فامتنع أيضاً ، وقال : قد كبرت واشتهرت بنشر العلم ولا يصلح هذا الأمر إلا بشىء من العسف[٣٢٢] ، ولا يليق بى ذلك فأعفاه . وقال أبو السعادات : كنت أقرأ علم العربية على الشيخ سعيد بن الدهان ، فكان يأمرنى بصنعة الشعر ، فكنت لا أقدر عليه ، فلما توفى الشيخ رأيته فى بعض الليالى يأمرنى بذلك ، فقلت : ضَعْ لى مثالاً أعمل عليه فقال :

جُبْ الفلا مدْمنا إن فاتك الظفر ... وخُذّ خَدَ الثرى والليل معتكر

فقلت أنا :

والعز فى صهوات الخيل تركبه ... والمجد ينتجه الإسراء والسهر

فقال لى : أحسنت . ثم استيقظت فأتممت عليها نحواً من عشرين بيتاً . وقال ابن خلكان[١] : وله المصنفات البديعة والرسائل الوسيعة منها : جامع الأصول وهو على وضع كتاب رُزَين إلا أن فيه زيادات كثيرة عليه ، ومنها كتاب النهاية فى خمس مجلدات ، وكتاب الإنصاف فى الجمع بين الكشف والكشاف فى تفسير القرآن ، أخذه من تفسير الثعلبى والزمخشرى ، وله كتاب المصطفى والمختار فى الأدعية والأذكار ، وله كتاب طيف فى صنعة الكتابة ، وكتاب البديع فى شرح الفصول فى النحو لابن الدهان ، وله ديوان رسائل[٢] ، وكتاب الشافى فى شرح مسند الإمام الشافعى ، وغير ذلك فى المصنفات .

---

(١) وفيات الأعيان ، جـ٤ ، ص١٤١-ص١٤٢ .

(٢) «ديوان ورسائل» كذا فى الأصل والمثبت هو الصحيح . انظر : وفيات الأعيان ، جـ٤ ، ص١٤١ .

كانت ولادته بجزيرة ابن عمر فى أحد الربيعين سنة أربع وأربعين وخمسائة ، ونشأ بها ثم انتقل إلى الموصل فى سنة خمس وستين وخمسمائة ، ثم عاد إلى الجزيرة ثم عاد إلى الموصل وتنقل فى الولايات بها ، واتصل بخدمة الأمير مجاهد الدين قايماز بن عبدالله الخادم الزينى المقدم ذكره ، وكان نائب المملكة فكتب بين يديه منشئاً إلى أن قبض عليه كما ذكرنا ، فاتصل بخدمة عز الدين مسعود بن مودود صاحب الموصل ، وتولى ديوان رسائله وكتب له إلى أن توفى ، ثم اتصل بولده نور الدين أرسلان شاه فحظى عنده ، وتوفرت حرمته لديه وكتب له مدة ، ثم عرض له مرض كف يديه ورجليه فمنعه من الكتابة مطلقاً ، وأقام فى داره يغشاه الأكابر والعلماء ، وأنشأ رباطاً بقرية من قرى الموصل تسمى قصر حرب ووقف أملاكه عليها وعلى داره التى كان يسكنها بالموصل . وقال ابن خلكان : وبلغنى أنه صنف هذه الكتب كلها فى مدة العطلة فإنه تفرغ لها ، وكان عنده جماعة يعينونه عليها فى الاختيار والكتابة ، وكانت وفاته بالموصل يوم الخميس سلخ ذى الحجة من هذه السنة ، ودفن برباطه بدرب دراج داخل الموصل . قلت : ترجمة أخوه عز الدين فى الكامل[١] ، فقال : كان عالماً فى عدة علوم منها : الفقه ، وعلم الأصولين ، والنحو ، والحديث ، واللغة . وله تصانيف مشهورة ، وكان كاتباً مغلقاً يضرب به المثل ، ذا دين ولزوم طريق مستقيم ، فلقد كان من محاسن الزمان . وقال أبو شامة[٢] : كان به نقرس ، يحمل فى محفة ، رحمه الله .

الفخر الرازى[٣] صاحب التفسير الكبير ، محمد بن عمر بن الحسين بن على القرشى التيمى البكرى ، العلامة أبو عبدالله وأبو المعالى ، المعروف بالفخر الرازى ، ويقال له ابن خطيب الرىّ ، الفقيه الشافعى ، أحد المشاهير بالتصانيف الكبار والصغار نحو من مائتى مصنف منها : تفسير القرآن الكريم : جمع فيه كل غريب وغريبه ، وهو كبير جداً لكنه لم يكمله ، وشرح سورة الفاتحة فى مجلد . ومنها فى علم الكلام[٣٢٣] . المطالب العالية ، ونهاية العقول ، وكتاب الأربعين ، والمحصّل ، والمعالم ، وكتاب البيان والبرهان فى الرد على أهل الزيغ والطغيان ، وكتاب المباحث العمادية فى

---

(١) انظر ابن الأثير ، جـ١٠ ، ص٣٥٠-ص٣٥١ .

(٢) الذيل على الروضتين ، ص٦٨ .

(٣) الذيل على الروضتين ، ص٦٨ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٦٠-ص٦١ .

المطالب المعادية ، وكتاب تهذيب الدلائل وعيون المسائل ، وكتاب إرشاد النظار إلى لطائف الأسرار ، وكتاب أجوبة المسائل التجارية ، وكتاب تحصيل الحق ، وكتاب الزبدة وغير ذلك .

وفى أصول الفقه : المحصول والمعالم . وفى الحكمة : الملخص ، وشرح الإشارات لابن سينا ، وشرح عيون الحكمة ، وغير ذلك . وفى الطلسمات : السر المكتوم وشرح أسماء الله الحسنى . ويقال : إن له شرح المفصل فى النحو للزمخشرى ، وشرح الوجيز فى الفقه للغزالى ، وشرح سقط الزند للمعرى ، وله مختصر فى الإعجاز ، ومؤاخذة جيدة على النحاة ، وله طريقة فى الخلاف . وله فى الطب : شرح الكليات للقانون . وصنف فى علم الفراسة ، وصنف فى مناقب الشافعى رحمه الله ، وكل كتبه ممتعة ، وانتشرت تصانيفه فى البلاد ، ورزق فيها سعادة عظيمة فإن الناس اشتغلوا بها ورفضوا كتب المتقدمين ، وهو أول من اخترع هذا الترتيب فى كتبه وأتى فيها بما لم يُسبق إليه ، وكان له فى الوعظ اليد البيضاء ، ويعظ باللسانين العربى والعجمى ، وكان يلحقه الوجد حال الوعظ ويكثر البكاء ، وكان يحضر مجلسه بمدينة هراة أرباب المذاهب والمقالات ، ويسألونه وهو يجيب كل سائل بأحسن إجابة ، ورجع بسببه خلق كثير من الطائفة الكرامية وغيرهم إلى مذهب أهل السنة ، وكان يلقب بهراة شيخ الإسلام ، وكان مبدأ أشغاله على والده إلى أن مات ، ثم قصد الكمال السمنانى واشتغل عليه مدة ، ثم عاد إلى الرى واشتغل على المجد الجيلى وهو أحد أصحاب محمد بن يحيى ، ولما طلب المجد الجيلى إلى مراغة ليدرس بها صحبة فخر الدين المذكور إليها وقرأ عليه مدة طويلة علم الكلام والحكمة . ويقال : إنه كان يحفظ الشامل لإمام الحرمين فى علم الكلام ، ثم قصد خوارزم وقد تمهر فى العلوم وجرى بينه وبين أهلها كلام فيما يرجع إلى المذهب والاعتقاد ، فأخرج من البلد ، فقصد ما وراء النهر فجرى له أيضاً هناك ما جرى له فى الخوارزم ، فعاد إلى الرى ، وكان بها طبيب حاذق له ثروة ونعمة ، وكان للطبيب ابنتان ولفخر الدين ابنان ، فمرض الطبيب وأيقن بالموت فزوج ابنتيه لولدى فخر الدين ، ومات الطبيب فاستولى فخر الدين على جميع أمواله ، فمن ثم كانت له النعمة ولازم الأسفار ، وعامل شهاب الدين الغورى صاحب غزنة فى جملة من الأموال ، ثم مضى إليه فى استيفاء حقه منه فبالغ فى إكرامه والإنعام وحصل له من جهته مال طائل ، وعاد إلى خراسان واتصل بالسلطان محمد بن تكش المعروف بخوارزم شاه ، وحظى عنده ونال

أسمى المراتب ، ولم يبلغ أحد منزلته عنده ، ومناقبه أكثر من أن تعد ، وفضائله لا تحصى ولا تحد ، وكان مع هذه العلوم له شىء من النظم فمن ذلك قوله :

نهاية إقدام العقول عقال	وأكثر سعى العالمين ضلال
وأرواحنا فى وحشة من جسومنا	وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا	سوى أن جمعنا فيه قيل وقال[٣٢٤]
وكم قد رأينا من رجال ودولة	فبادوا جميعاً مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها	رجال فزالوا والجبال جبال

وكان العلماء يقصدونه من البلاد ويشد إليه الرحال من الأقطار . وذكر فخر الدين فى كتابه الذى سماه «تحصيل الحق» أنه اشتغل فى علم الأصول على والده ضياء الدين عمر ، ووالده على ابن القاسم سليمان بن ناصر الأنصارى ، وهو على أيام الحرمين ، وهو على الأستاذ أبى إسحاق الإسفرابينى ، وهو على الشيخ أبى الحسن الباهلى ، وهو على شيخ السنة أبى على بن إسماعيل الأشعرى ، وهو على أبى على الجبائى أولا ، ثم رجع عن مذهبه ونصر مذهب أهل السنة والجماعة .

وأما اشتغاله فى المذهب فإنه اشتغل على والده ، ووالده على أبى محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى ، وهو على القاضى الحسين المروزى ، وهو على أبى العباس بن شريح ، وهو على أبى القاسم الأنماطى ، وهو على أبى إبراهيم المزنى ، وهو على الإمام الشافعى رَضِيَ الله عَنْه . وقال ابن كثير[١] : وقد كان فخر الدين معظماً عند الملوك الخوارزمية وغيرهم ، وبنيت له مدارس كثيرة فى بلدان شتى ، وملك من الذهب العين ثمانين ألف دينار وغير ذلك من الأمتعة والمراكب والملابس ، وكان له خمسون مملوكاً من الترك ، وكان يعقد مجلس الوعظ فيحضر عنده الملوك والوزراء والعلماء والأمراء والفقراء والعامة والغوغاء ، وكانت له عبادات وأوراد ، وقد وقع بينه وبين الكرامية فى أوقات شتى ، وكان يبغضهم وكانوا يبغضونه ، ويبالغ فى ذمهم ويبالغون فى الحط عليه ، وقد ذكرنا طرفاً من ذلك فيما تقدم . وكان مع غزارة علمه وتبحره فى فن الكلام يقول : من التزم مذهب

---

(١) البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٦٠ .

العجائز[١] كان هو الفائز . وقال الشيخ شهاب الدين فى الذيل[٢] فى ترجمته : وكان يعظ وينال من الكرامية وينالون منه سباً وتكفيراً ، وقيل : إنهم دسوا عليه من سقاه السم فمات ، ففرحوا بموته ، وكانوا يرمونه بالكبائر ، ولا كلام فى فضله وإنما الشناعات عليه قائمة بأشياء منها : إنه كان يقول : قال : محمد التازى يعنى العربى[٣] ، وقال محمد الرازى يعنى نفسه .

ومنها : إنه كان يقرر الشُّبَه فى جهة الخصوم بعبارات كثيرة ويجيب عن ذلك بأدنى إشارة . قال : وبلغنى إنه خلَّف من الذهب العين ثمانين ألف دينار غير ما كان يملكه من الدواب والثياب والعقار والآلات ، وخلف ولدين أخذ كل واحد منهما أربعين ألف دينار ، وكان ابنه الأكبر قد تجند فى حياته وخدم السلطان محمد بن تكش ، وقال ابن خلكان[٤] : وكانت ولادة فخر الدين فى الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة أربع وأربعين ، وقيل سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة بالرِّىّ ، وتوفى يوم الإثنين ، وكان عيد الفطر سنة ست وستمائة بمدينة هراة ، ودفن آخر النهار فى الجبل المصاقب لقرية مزداخان ، بضم الميم وسكون الزاى وفتح الدال المهملة وبعد الألف خاء معجمة مفتوحة وبعد الألف نون ، وهى قرية بالقرب من هراة .

الإمام فخر الدين أبو الفضائل محمد بن عمر الرازى ، أحد الأعيان الحنفية ، مات فى هذه السنة فإنه وافق فخر الدين الرازى الشافعى فى الاسم واسم الأب والنسبة والمعاصرة والوفاة .

المجد المطرّزى النحوى الخوارزمى ، كان إماماً فى النحو ، وله فيه تصانيف حسنة . قال ابن الأثير[٥] : مات فى هذه السنة .

الملك المؤيد نجم الدين مسعود بن السلطان صلاح الدين يوسف ، توفى فى هذه السنة بمدينة رأس عين ، فحمل إلى حلب ودفن بها . وفى تاريخ بيبرس[٦] : وهو

---

(١) يقصد بمذهب العجائز مذهب الفطرة .
(٢) انظر أبو شامة ، الذيل على الروضتين ، ص٦٨ .
(٣) ذكر أبو شامة أنه يريد النبى ﷺ . انظر الذيل على الروضتين ، ص٦٨ .
(٤) وفيات الأعيان ، جـ٤ ، ص٢٥٢ .
(٥) انظر الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٥١ .
(٦) ورد هذا الخبر فى نهاية الأرب ، جـ٢٩ ، ص٥٠ .

أخو الظاهر غازى صاحب حلب شقيقه ، مات فجأة برأس العين وحمل إلى حلب ، وقال أبو شامة[١] : توفى برأس عين عند منصرفه من رسالة[٣٢٥] أخيه الظاهر إلى عمه العادل فى أمر سنجار فى النصف من شعبان ، وكان قد نام فى بيت مع ثلاثة وعندهم منقل[٢] فيه نار ، ولا منفذ فى البيت ، فانعكس البخار فأخذ على أنفاسهم فماتوا جميعاً ، فحمل المؤيد فى محفة إلى حلب فدفن بها ، وقال ابن الحلى يرثيه فى قصيدة :

ترى من على نفس العلى جار واعتدى ... وفَوَّق نحو الملك سهماً مسدداً
ومن هَدّ ركن المجد بعد بنائه ... ومد إلى تشتيت شمل الهدى يدا
من دكدك الطود الأشم وقد رسى ... وطار إلى أن جاز نسراً وفرقداً
ومن حجب البدرَ الذى كان مشرقا ... ومن غَيّض البحر الذى كان مزبداً
ومن حبس الغيث الذى كان نوؤه ... إذا عم جدباً لا تقب له يدا
فيا مانع الإسلام صبراً فإنما ... بصبرك فى كل المواطن يقتدى
ولو كان غير الموت دافعت دونه ... بطعن يردّ السمهرى مقصداً
وغادرت جفن الأفق بالسمر أو طفا ... وحد المواضى بالنجيع مزرّدا
ولكنه دهر إذا ما نعيمه تحول ... بأساً هدّ ما كان شيدا

وهى قصيدة طويلة .

الملك المغيث فتح الدين عمر بن الملك العادل . مات فى هذه السنة ، ودفن بتربة أخيه الملك المعظم بسفح قاسيون .

---

(١) الذيل على الروضتين ، ص٦٧ .

(٢) منقل : كانون النار . انظر محيط المحيط مادة «نقل» .

فصل فيما وقع من الحوادث فى السنة السابعة بعد الستمائة(*)

استهلت هذه السنة والخليفة هو الناصر لدين الله ، والسلطان الملك العادل فى الشرق ، وتمالت[1] عليه ملوك الجزيرة صاحب الموصل ، وصاحب سنجار ، وصاحب إربل ، وكذا الملك الظاهر صاحب حلب ، وملك الروم أيضاً وغيرهم ، على مخالفة الملك العادل ومنابذته ومعاملته وإقلاع المُلك من يده ، وأن تكون الخطبة فى بلادهم بدله للملك كيخسرو شاه بن قليج أرسلان السلجوقى صاحب الروم .

وأرسلوا إلى الكرج لِيَقْدموا لحصار خلاط وأخذها من يد الملك الأوحد نجم الدين أيوب بن الملك العادل ، ووعدوه النصر والمعاونة عليه . فأقبلت الكرج مع ملكهم على مانذكره عن قريب ، وخرج كل واحد من الملوك المذكورين بعساكره إلى حدود بلاده ، مُجمعاً على الاجتماع بصاحبه على قصد الملك العادل ، وإيجافهم عليه بخيلهم ورجلهم وكتبهم ورسلهم ، والملك العادل مقيم ثابت بظاهر حران ، وعنده صهره صاحب آمد بن قرا أرسلان .

ونزل الكرج على خلاط سابع عشر ربيع الآخر ، وجرى عليهم ما نذكره من الكسر والانهزام ، فلما عَلِمَ بذلك هؤلاء الملوك تفرقت آراؤهم وبادر كل منهم بالرسل إلى الملك العادل يتنصل مما يُنسَب إليه وتحيل على غيره ، ويبذل الطاعة . فقبل أعذارهم وعقد معهم صلحاً فى جمادى الأولى ، ثم عاد الملك العادل من البلاد الشرقية إلى دمشق . وتقرر الصلح أيضاً بينه وبين ابن أخيه الملك الظاهر صاحب حلب .

وفى ثانى شعبان كان إملاك نور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل على ابنة الملك العادل ، وعُقد العقد بقلعة دمشق ، على صداق ثلاثين ألف دينار . ثم وصل الخبر بوفاة نور الدين هذا بالموصل فى آخر رجب ، وقام ولده عز الدين مسعود بالأمر ، وكان العقد مع وكيله بعد موته ولم يعلم بذلك ، ثم سار[٣٢٦] الملك العادل إلى الديار المصرية وأقام بدار الوزارة .

(*) يوافق أولها ٢٥ يونيو ١٢١٠م .

(١) ورد هذا الخبر فى الذيل على الروضتين ، ص٧٥ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٦٢ .

ذكر مجيء الكرج إلى خلاط

قد ذكرنا أن ملوك[١] الجزيرة لما اتفقوا على العصيان على الملك العادل أرسلوا إلى الكرج ليتقدموا ويحاصروا خلاط ويأخذوها من الملك الأوحد بن العادل ، وكان قصدهم إشغال العادل وتفريق شمله ، فأقبلت الكرج مع ملكهم إيوانى[٢] فحاصروا خلاط فضاق بهم ذرعاً ، وقدر الله عز وجل أن فى يوم الإثنين تاسع عشر ربيع الآخر اشتد حصارهم للبلد ، وأقبل ملكهم إيوانى وهو راكب على جواده ، وهو سكران ، فسقط به جواده فى بعض الحفر التى عُملت مكيدة حول البلد ، فبادر إليه رجال من البلد فأخذوه أسيراً حقيراً ، فأسقط فى أيدى الكرج . فلما أوقف بين يدى الملك الأوحد أطلقه وَمَنَّ عليه وأكرمه وأحسن إليه ، وفاداه على مائتى[٣] ألف دينار وألفى أسير من المسلمين ، وتسليم إحدى وعشرين قلعة متاخمة لبلاد الأوحد . وأن يزوج ابنته من أخيه الملك الأشرف موسى وأن يكونوا عوناً له على مَنْ حاربه . فأجابه إلى ذلك كله ، وأُخذَتْ الأيمان منه بذلك .

فبعث الأوحد إلى أبيه العادل يستأذنه فى ذلك كله ، والعادل نازل بأرض حران - كما ذكرنا - وهو فى أشد حيرة فيما قد دهمه من الأمر الفظيع ، فبينما هو كذلك إذ أتاه هذا الأمر الهائل والتدبير من عزيز حكيم لم يكن فى باله ولا فى حسابه ، فكاد يذهل فرحاً وسروراً ، وأجاز جميع ما فعله ولده .

وطارت الأخبار بما وقع بين الملوك ، فخضعوا وذُلوا كما ذكرنا الآن . ووفى ملك الكرج للملك الأوحد بجميع ما شارطه عليه ، وتزوج الأشرف بابنته . وقال أبو شامة[٤] : وخفت الكرج على خلاط بين الصلاتين من يوم الإثنين تاسع عشر ربيع الآخر ، وقدر الله وقوع مقدمهم إيوانى بفرسه فى حفرة بالربض وهو سكران فأُخِذَ أسيراً ، وعَرَفَه ياقوت الخادم الملطى فحمله إلى الأوحد ، فأكرمه وخلع عليه ، وأمر الكرج بالرحيل عن خلاط فرحلوا من ساعتهم نحو بلادهم ، ولم يجسروا على مخالفته ، ولا تعرضوا لقرية من عملها

---

(١) ورد هذا الخبر فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٦٢ ؛ الذيل على الروضتين ، ص٧٥ .

(٢)«إيواى» فى الذيل على الروضتين ، ص٧٥ . وهكذا كلما تكرر الاسم .

(٣)«ثمانين» فى الذيل على الروضتين ، ص٧٥ .

(٤) انظر : الذيل على الروضتين ، ص٧٥ .

بإذنه . وقد كان مَنْ بخلاط أيقن بذهاب الأنفس والأموال ، فدفع الله عنهم ، ثم جرى ما ذكرنا حتى أَطْلَقَ الأوحدُ ملك الكرج فى ثانى عشر جمادى الأخرى .

قال ابن تاج الأمناء : ومن أعجب ما سمعته فى هذه القصة أن إيوانى لما نزل بخلاط قال له منجمه فى بكرة يومه : إنك ستدخل إلى قلعة خلاط قريب العصر من يومك فى زى غير زيك ، فتخيل قوله فى نفسه وشرب ، فلما سكر ذكر قول المنجم وكان قسيسه ، فركب لوقته وزحف ، فكان من أمره ما قدر الله تعالى ، وأدخل القلعة وقت العصر أسيراً لابساً خلعة الأوحد .

وفى تاريخ المؤيد[١] : واتفق أن ملك الكرج شرب وسكر ، فَحَسَّن له السكر أن تقدم إلى خلاط فى عشرين فارساً ، وخرج[٢] إليه المسلمون فتقنطر وأخذ أسيراً وحمل إلى الأوحد ، فَرَدَّ عليه عدة قلاع ، وبذل إطلاق خمسة آلاف أسير ، ومائة ألف دينار ، وعقد الهدنة مع المسلمين ثلاثين سنة . فتسلم ذلك كله منه ، وأقام وتحالفاً ، ثم أطلقه فخرج .

ذكر عصيان سنجر الخليفتى بخوزستان[٣]

وذلك أن الخليفة الناصر لدين الله كان قد ولاه إياها بعد طاشتكين أمير الحاج فتغير عن الطاعة ، وأبطن التغلب على البلاد[٣٢٧] ، وبقى الأمر كذلك ، فأمر الخليفة مؤيد الدين نائب الوزارة وعز الدين نجاح الشرابى بالمسير إليه بالعساكر وإخراجه عن خوزستان ، فسارا فى عسكر كثيرة ، فلما تحقق سنجر قصدهم إليه لحق بصاحب شيراز وهو سعد بن دكلا ملتجئاً إليه فأكرمه وقام دونه ، ووصل عسكر الخليفة إلى خوزستان بغير ممانعة فلما استقروا فى البلاد راسلوا سنجرا يدعونه إلى الطاعة فلم يجب ، فساروا إلى أرجان[٤] عازمين على قصد صاحب شيراز فأدركهم الشتاء وأقاموا شهوراً والرسل مترددة بينهم فلم يجبهم . فلما دخل شهر شوال رحلوا يريدون شيراز ، فحينئذ أرسل صاحبها إلى الوزير والشرابى يشفع فيه ويطلب العهد له على أن لا يؤذى فأجاباه إلى ذلك وسلمه إليهما هو

---

(١) انظر : المختصر فى أخبار البشر ، جـ٣ ، ص١١٣ .

(٢) «وخرجت» فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه .

(٣) ورد هذا الخبر بالتفصيل فى الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٥٢ ، ص٣٥٣ ؛ مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٥٤ ، ص٣٥٥ .

(٤) أَرَّجَان : هى كورة من كور فارس ، وهى مدينة كبيرة ، بينها وبين شيراز مائة وثمانون ميلاً ، وبينها وبين الأهواز مائة وثمانون ميلاً ، معجم البلدان ، جـ١ ، ص١٩٤ .

وماله وأهله ، فعادوا إلى بغداد والوزير والشرابى وسنجر معهم تحت الاستظهار ، وولى الخليفة بلاد خوزستان مملوكه ياقوت ، وخرج أهل بغداد إلى تلقى الوزير والشرابى وأدخل سنجر راكباً بغلاً بإلحاف وفى رجله سلسلتان ، ثم أن الناصر لدين الله عفى عنه وأمر له بالخلع فلبسها وعاد إلى داره . ونهب سعد صاحب شيراز أموال سنجر وخزائنه ودوابه وكل ماله وما لأصحابه ، وطلب الوزير والشرابى ماله منه فأرسل شيئاً يسيراً والله أعلم .[1]

ذكر فساد الفرنج ببلاد القدس

خرجت جماعة بينهم وعاثوا بنواحى القدس الشريف ، فبرز إليهم الملك المعظم ابن الملك العادل فى عساكره ، فقتل منهم خلقاً كثيراً وخرب من بلادهم أماكن كثيرة ، وغنمت العساكر غنيمة وافرة ، وعادوا سالمين ، وشرع المعظم فى تحصين جبل الطور وبناء قلعة فيه ليكون ثغراً على الفرنج ، فغرم أموالاً كثيرة فى ذلك وبعث الفرنج إلى الملك العادل وطلبوا منه الأمان والمصالحة فهادنهم ، وبطلت تلك العمارة وضاع ما كان غرم عليها . وقال السبط[2] فى المرآة : وفى هذه السنة خرجت من دمشق إلى نابلس إلى الغزاة ، وكان الملك المعظم عيسى – رحمه الله– بها فجلست بجامع دمشق يوم السبت خامس ربيع الأول ، وكان الناس من باب المشهد الذى لزين العابدين إلى باب الناطفانيين وإلى باب الساعات ، وكان القيام فى الصحن أكثر بحيث امتلأ جامع دمشق وحزروا ثلاثين ألفاً ، وكان يوماً لم ير بدمشق مثله ولا بغيرها ، وكان قد اجتمع عندى شعور كثيرة ، وقد وقفت على حكاية أبى قدامة الشامى مع تلك المرأة التى قطعت شعرها وبعثت به إليه ، وقالت : اجعله قيداً لفرسك فى سبيل الله ، فعملتُ من الشعور التى اجتمعت عندى شُكْلاً للخيل المرصدة للمجاهدين وكَرْفَسارات[3] ولما صعدت المنبر أمرت بإحضارها ، فحملت على أعناق الرجال ، وكانت ثلثمائة شكال ، فلما رآها الناس صاحوا صيحة عظيمة وقطعوا مثلها وقامت القيامة ، وكان المُبارز المعتمد إبراهيم –رحمه

---

(١) ورد هذا الخبر فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٦٣ .

(٢) مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٥٥ .

(٣) كرْفَسارات : قيود للخيل أو البعير . المنجد ، مادة (كرفس) ، ص٧٢٢ .

الله- والى دمشق حاضراً وجميع الأعيان . فلما نزلت من المنبر [قام المبارز][١] يطرق لى ويمشى بين يدى إلى باب الناطفانيين[٢] ، فتقدم إلى فرسى فأمسك بركابى وأركبنى وخرجنا من باب الفرج إلى المصلى ، وجميع من كان بالجامع بين يدى ، وسرنا من الغد إلى الكسوة ومعنا خلق مثل التراب ، وكان معنا من قرية واحدة يقال لها زملكاً من قرى[٣٢٨] دمشق نحو ثلثمائة رجل بالعدد والسلاح ، وأما من غيرها فخلق كثير ، والكل خرجوا احتساباً ، وجئنا إلى عقبة فيق والطير لا تقدر أن تطير من خوف الفرنج ، فسرنا على الجادة إلى نابلس ووصلت أخبارنا إلى عكا ، وخرج المعظم فالتقانا وسر بنا ، وجلست بجامع نابلس وحضروا وأحضرنا الشعور أيضاً فأخذها وجعلها على [صدره][٣] ووجهه وجعل يبكى ، وكان يوماً عظيماً ، ولم أكن اجتمعت به قبل ذلك اليوم ، وخدمنا وأكرمنا وخرجنا إلى نحو بلاد الإفرنج ، فخربنا وقطعنا أشجارهم وأسرنا جماعة وقتلنا جماعة ولم يتجاسروا أن يخرجوا من عكا ، فأقمنا أياماً ثم عدنا سالمين غانمين إلى الطور المطل على الناصرة والمعظم معنا ، فقال : أريد أن أبنى عليه قلعة . وطلب أخاه الملك الأشرف وعساكر الشرق وحلب وشرع فى عمارة الطور ، وأقام العسكر تحته من ذى الحجة من هذه السنة إلى سنة ثمان وستمائة ، فكمل سوره ودار واستوى ، وخاف الفرنج فأرسلوا إلى العادل فصالحهم وأعطى للعساكر دستورا فتفرقوا ، وأقام المعظم يعمر الطور إلى قبيل وفاة العادل ولا يحصى ما عزم عليه .[٤]

ذكر بقية الحوادث

منها : إنه وردت رسل الخليفة الناصر لدين الله إلى ملوك الأطراف أن يشربوا له كأس الفتوة ويلبسوا لها سراويلها ، وأن ينتسبوا إليه فى رمى البندق[٥] ويجعلوه قدوتهم

---

(١) ما بين حاصرتين إضافة من مرآة الزمان الذى ينقل عنه . جـ٨ ، ص٣٥٥ ؛ الذيل على الروضتين ، ص٦٩ .

(٢) باب الناطفانيين ، أحد الأبواب الأربعة للجامع الأموى بدمشق ، انظر : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٥٩١ ؛ الدارس ، جـ٢ ، ص٣٨٦ .

(٣) ما بين حاصرتين إضافة من المرآة ، جـ٨ ، ص٣٥٥ حيث ينقل عنه .

(٤) مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٥٥-ص٣٥٦ ؛ الذيل على الروضتين ، ص٦٩-ص٧٠ .

(٥) رمى البندق : من الألعاب الرياضية ، والبندق : كُرات تصنع من الطين أو الحجارة أو الرصاص ، أو غيرها . وترمى به الطيور . انظر : عاشور ، المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ، ص٧٣ .

فيه ، وكلهم فعل ذلك إلا رجلاً واحداً وخرج من البلاد لأجل ذلك .[١] وقال أبو شامة[٢] : وفيها أظهر الخليفة الأجازة التى أخذت له من الشيوخ وذكرهم فى كتاب روح العارفين ، ودفع إلى كل أهل مذهب أجازة عليها مكتوب بخطه أمرنا لهم ما سألوه على شرط الأجازة الصحيحة ، وكتب العبد الفقير إلى الله تعالى أبو العباس أحمد أمير المؤمنين ، وسلمت أجازة أصحاب الشافعى إلى ضياء الدين عبدالوهاب بن سكينة ؛ وأجازة أصحاب أبى حنيفة ﷺ إلى الضياء أحمد بن مسعود التركستانى ، وأجازة أصحاب أحمد إلى أبى صالح نصر بن عبدالرزاق بن الشيخ عبدالقادر ، وأجازة أصحاب مالك إلى التقى على ابن جابر التاجر المغربى .

ومنها :[٣] إن فى حادى عشر شوال جددت أبواب الجامع من ناحية باب البريد بالنحاس الأصفر وركبت فى أماكنها . وفى شوال أيضاً شرع فى إصلاح الفوارة والشاذروان والبركة وعمل عندها مسجداً وجعل له إمام راتب ، وأول من تولاه رجل يقال له النفيس المصرى ، وكان يقال له بوق الجامع لطيب صوته ، وكان إذا قرأ على الشيخ أبى منصور الضرير المُصدّر يجتمع عليه الناس .

ومنها[٤] : إن فى العشر الأخير من ذى الحجة توجه البال القبرسى لعنه الله فى مراكب من عكا إلى الديار المصرية ، فوصل إلى ساحل دمياط ليلاً فأرسى غربيّها ، وسلك فى البر بخيله ورجله إلى القرية المعروفة ببورة ، وهى على ساحل النيل ، فكبسها سحراً وسبى أهلها وحاز ذخائرها ، وعاد على أثره فى بقية يومه إلى مراكبه ، وبلغ والى دمياط خبره فبادر الرجال إليه ، فالتقاه قد حصل بظهر البحر فى مراكبه وامتنع على طالبه ووصل بالأسرى والغنائم إلى عكا ، وقد نال بفعلته هذه والتى قبلها نوبة فوه من الديار المصرية فى سنة ستمائة ما لم ينله أحد من الفرنج قبله ولا أقدم إقدامه .

وفيها ....[٥]

---

(١) انظر المختصر فى أخبار البشر ، جـ٣ ، ص١١٣ .
(٢) الذيل على الروضتين ، ص٦٩ ؛ مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٥٤ .
(٣) الذيل على الروضتين ، ص٧٦ .
(٤) انظر : الذيل على الروضتين ، ص٧٧ .
(٥) بياض فى الأصل بمقدار سطر .

وفيها حج بالناس من العراق محمد بن ياقوت نيابة عن والده ياقوت ، وكان صبياً ومعه ابن أبى الجيلى[١] ، وحج بالناس من الشام سيف الدين على بن علم الدين سليمان ابن جندر ، وكان قدم من حلب لذلك ، واحتفل الناس له .

ذكر من توفى فيها من الأعيان

الشيخ أبو عمر[٢] **محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة** ، بانى المدرسة التى يقرأ فيها القرآن بسفح جبل قاسيون ، وهو أخو الإمام العلامة موفق الدين عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة . وكان الشيخ أبو عمر أسن منه لأنه ولد سنة ثمان وعشرين وخمسمائة بقرية السَّاوِيا من أعمال نابلس ، وقيل : بجماعيل[٣] ، وهو الذى ربى الشيخ الموفق وأحسن إليه وزوجه ، وكان يقوم بمصالحه ، وهو الذى قدم به وبأهله من تلك البلاد ، فنزلوا بمسجد أبى صالح بالباب الشرقى من دمشق ، فأقاموا به مدة ثم انتقلوا منه إلى سفح قاسيون ، وليس به من العمارة سوى دير الحورانى وأماكن يسيرة . قال الشيخ : فقيل لنا الصالحية فنسبونا إلى مسجد أبى صالح لأننا صالحون . وقال سبط[٤] ابن الجوزى فى تاريخه المرآة : وكان الشيخ معتدل القامة ، حسن الوجه ، عليه أنوار العبادة ، لايزال متبسماً ، نحيل الجسم من كثرة الصيام والقيام ، قرأ القرآن بحرف أبى عمرو ، وحفظ مختصر الخرقى فى الفقه ، وقرأ النحو على ابن برى بمصر ، وسمع الحديث بدمشق ومصر ، واشتغل بالعبادة عن الرواية ، وكتب الحلية لأبى نعيم ، وتفسير البغوى والمغنى لأخيه الموفق ، والإبانة لابن بطة ، ومصاحف كثيرة للناس ولأهله وكتباً كثيرة ، والكل بغير أجرة ، وكان يصوم الدهر إلا من عذر ، ويقوم الليل من صغره ، ويحافظ على الصلوات فى الجماعات ، ويخرج من ثلث الليل إلى المسجد فى الظلمة فيصلى إلى الفجر ، ويقرأ فى كل يوم سُبعاً من القرآن بين الظهر والعصر ، ويقرأ بعد العشاء الآخرة آيات الحرس ، ويس ، وتبارك والواقعة ، والمعوذتين ، وقل هو الله أحد . وإذا ارتفعت الشمس لقنّ الناس القرآن إلى وقت الضحى ، ثم يقوم فيصلى الضحى ثمان ركعات ويقرأ قل هو الله أحد

---

(١) «الحلى» كذا فى مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٥٦ .

(٢) البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٦٤-٦٥ ؛ الذيل على الروضتين ، ص٧١ ؛ مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٥٦ .

(٣) جمَّاعيل : قرية بجبل نابلس من أرض فلسطين ، معجم البلدان ، جـ٢ ، ص١١٣ .

(٤) مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٥٦-٣٥٧ .

ألف مرة ، ويزور المقابر بعد العصر فى كل جمعة ، ويصعد يوم الإثنين والخميس إلى مغارة الدم[١] ماشياً بالقبقاب[٢] فيصلى فيها ما بين الظهر والعصر ، وإذا نزل جمع الشيح[٣] من الجبل وربطه بحبل وحمله إلى بيوت الأرامل واليتامى ، ويحمل فى الليل إليهم الدراهم والدقيق ولا يعرفونه ، ولا ينام إلا على طهارة ، ومتى فتح له شيء من الدنيا آثر به أقاربه وغيرهم ، ويتصدق بثيابه ، وربما خرج فى الشتاء وعلى جسده جبة بغير ثوب ، ويبقى مدة طويلة بغير سراويل وعمامته قطعة من بطانة ، فإن احتاج أحد إلى خرقة أو مات صغير يحتاج إلى كفن قطع له منها قطعة ، وكان ينام على الحصير ويأكل خبز الشعير وثوبه خام إلى أنصاف ساقية ، وما نهى أحداً ولا أوجع قلب أحد . ولما نزل صلاح الدين على القدس كان هو وأخوه الموفق والجماعة فى خيمته ، فجاء العادل إلى زيارته وهو فى الصلاة فما قطعها ولا التفت ولا نزل ورده ، وكان يصعد المنبر فى الجبل وعليه ثوب خام مهدول الجيب وفى يده عصى ، والمنبر[٣٣٠] يومئذ ثلاث مراقى . وكان هو وأخوه وابن خالهم عبدالغنى ، وأخوه الشيخ عماد لا ينقطعون عن غزاة يخرج فيها السلطان صلاح الدين إلى بلاد الإفرنج . وقد حضروا معه فتح القدس الشريف . وهو الذى شرع فى بناء الجامع أولاً ، بناه رجل من الناس ، فنفذ ما كان بيده ، وقد ارتفع البناء قامة ، فبعث صاحب إربل الملك المظفر مالاً فكمل به ، وولى خطابته الشيخ أبو عمر . وقد حكى السبط[٤] : إنه حضر يوماً عنده الجمعة ، وكان الشيخ عبدالله اليونانى[٥] حاضراً هناك . فلما انتهى الشيخ أبو عمر إلى الدعاء للسلطان قال : اللهم أصلح عبدك الملك العادل سيف الدين أبا بكر بن أيوب . نهض الشيخ عبدالله وترك الجمعة . قال : فلما فرغنا ذهبت إليه فقلت : ماذا نقمت عليه؟ فقال : يقول لهذا الظالم العادل . ولا تحل خلفه الصلاة . فقلت فى نفسى : إذا كانت الصلاة خلف أبى عمر لا تصح فياليت شعرى خلف من تصح! قال : فبينما نحن فى الحديث إذا أقبل الشيخ أبو عمر ومعه رغيف

---

(١) مغارة الدم : توجد فى جبل قاسيون المشرف على مدينة دمشق ، ويقال إن فى هذه المغارة قتل قابيل أخاه هابيل وهناك شبيه بالدم يزعمون أنه دمه باق إلى الآن . معجم البلدان ، جـ٤ ، ص١٤ .

(٢) القبقاب : الحذاء من خشب والجمع قباقيب . المنجد ، مادة قبق ، ص٦٣٨ .

(٣) الشيح : نبت سهلى من الفصيلة المركبة ، رائحته طيبة قوية . المعجم الوجيز ، مادة «شيح» .

(٤) مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٥٨ .

(٥) كذا فى الأصل ، ومرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٥٨ ، وفى حاشية الذيل على الروضتين ، ص٧٢ حاشية رقم١ ذكر أنه يقال له أيضاً «اليونينى» نسبة إلى بلد فى بعلبك .

وخيارتان فكسر ذلك وقال الصلاة ، ثم قال : قال النبى ﷺ : بعثت[١] فى زمن الملك العادل كسرى ، فتبسم الشيخ عبدالله ومد يده فأكل ، فلما قام الشيخ أبو عمر قال لى : ياسيدى ماذا إلا رجل صالح .

وقال أبو شامة[٢] : كان الشيخ عبدالله من الصالحين الكبار ، وقد رأيته ، وكانت وفاته بعد أبى عمر بعشر سنين ، فلم يسامح الشيخ أبا عمر فى تساهله مع ورعه ، ولعله كان مسافراً [فلم تكن الجمعة واجبة عليه][٣] ، وعذر الشيخ أبى عمر أن هذا جرى مجرى الأعلام العادل ، الكامل ، الأشرف كما يقال سالم وغانم ومسعود ومحمود ، وقد يكون المسمى بذلك على الضد من هذه الأسماء ، وكذلك إطلاق العادل ونحوه على أنه قد جاء إطلاقة على الشرك فهذا أولى .[٤] وقال ابن كثير :[٥] هذا الحديث الذى احتج به الشيخ أبو عمر لا أصل له وليس هو فى شىء من الكتب المشهورة ، وعجباً له ولأبى المظفر يعنى سبط ابن الجوزى ثم لأبى شامة فى قبول مثل هذا الحديث ، وأخذه منه مسلماً .

وقال السبط : مرض الشيخ أبو عمر أياماً فلم يترك شيئاً مما كان يعمله من الأوراد حتى كانت وفاته وقت السحر ليلة الثلاثاء التاسع والعشرين من ربيع الأول ، فغسل بالدير وحمل إلى مقبرته فى خلق كثير لا يعلمهم إلا الله عز وجل ، ولم يبق أحد من الدولة والأمراء والعلماء والقضاة وغيرهم إلا حضر ، وكان يوماً مشهوداً ، وكان الحر شديداً فأظلت الناس سحابة من الحر كان يسمع منها كدوى النحل ، وكاد الناس ينتهبون أكفانه لولا أن الوالى وأصحابه بالسيوف المسلولة والدبابيس دونه لأخذ الناس أكفانه . وقال أبو شامة[٦] : ومن وصل إلى الماء الذى غسل به نشف به النساء مقانعهن والرجال عمائمهم . قال : ولما دفن رأى بعض الصالحين فى منامه تلك الليلة النبى ﷺ وهو يقول : من زار أبا عمر

---

(١) «ولدت» كذا فى مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٥٨ ، الذيل على الروضتين ، ص٧٢ . والحديث من الأحاديث الموضوعة .

(٢) الذيل على الروضتين ، ص٧٢ .

(٣) «إلا جمعه عليه» كذا فى الأصل ، والمثبت بين الحاصرتين من الذيل على الروضتين ، ص٧٢ ، الذى ينقل عنه العينى .

(٤) نقل العينى هذا الخبر من ابن كثير . انظر البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٦٥ ؛ ولمعرفة المزيد من تفاصيل هذه الرواية . انظر الذيل على الروضتين ، ص٧٢ .

(٥) البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٦٥ .

(٦) الذيل على الروضتين ، ص٧٣-ص٧٥ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٦٦ ؛ مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٦٠-ص٣٦١ .

ليلة الجمعة فكأنما رأى الكعبة ، فاخلعوا نعالكم قبل أن تصلوا إليه . ومات عن ثمانين سنة ، ولم يخلف ديناراً ولا درهماً ولا قليلاً ولا كثيراً ، وكان له من الأولاد الذكور : عمر والد أحمد بن عمر وبه كنى أبو عمر ، والشرف عبدالله والد العز ، وأحمد ، وعبدالرحمن . قال : وكانت له بنات تائبات عابدات سائحات . وقال : وقبره فى طريق مغارة الجوع فى الزقاق المقابل لدير الحورانى على يمين المار إلى المغارة ، وإلى جانبه قبر أبيه الشيخ[٣٣١] أحمد (رحمه الله) . وما رثى به قول محمد بن سعد المقدسى :

أبعد أن فقدت عينى أبا عمر ... يضمنى فى بقايا العمر عمران
ما للمساجد منه اليوم مقفرة ... كأنها بعد ذاك الجمع قيعان
ما للمحاريب بعد الأنس مُوحَشَة ... كأن لم يُتل فيها الدهر قرآنُ
تبكى عليه عيون الناس قاطبة ... إذ كان فى كل عين منه إنسان
وكان فى كل قلب منه نور هدى ... فصار فى كل قلب منه نيرانُ
وكل حى رأينا فهو ذو أسف ... وكل ميت رآه فهو فرحانُ
لازال تَسْقى ضريحاً أنت ساكنه ... سحائب غيثها عفو وغفرانُ
كم ميت ذكره حى ومتصف ... بالحى ميت له الأثواب أكفانُ

وقال السبط :(١) وروى لنا الحديث وعلمنى دعاء السنة ، فقال : مازال مشايخنا يواظبون على هذا الدعاء فى أول كل سنة وآخرها ، فأما أول السنة فإنك تقول : اللهم أنت الأبدى القديم ، وهذه سنة جديدة أسألك فيها العصمة من الشيطان وأوليائه ، والعون على هذه النفس الأمارة بالسوء والاشتغال بما يقربنى إليك يا ذا الجلال والإكرام . فإن الشيطان يقول : قد أيسنا من نفسه فيما بقى ، ويوكل الله به ملكين يحرسانه . وأما دعاء آخر السنة فإنك تقول فى آخر يوم من أيام السنة : اللهم ما عملت فى هذه السنة مما نهيتنى عنه ولم ترضه ولم تنسه ، وحَمَلتَ عنى بعد قدرتك على عقوبتى ، ودعوتنى إلى التوبة من بعد جرأتى على معصيتك ، فإنى أستغفرك فاغفر لى ، وما عملت فيها مما ترضاه ووعدتنى عليه الثواب فأسألك أن تتقبله منى ، ولا تقطع رجائى منك يا كريم . فإن الشيطان يقول : تعبنا معه طول السنة فأفسد فعلنا فى ساعة .

---

(١) مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٦٠-ص٣٦١ ؛ الذيل على الروضتين ، ص٧٤ .

قال السبط : وأنشدنى أبو عمر لنفسه .

ألم يك ملهاة عن اللهو[١] أننى بدا لى شيب الرأس والضعف والألم
أَلَمَّ بى الخطب الذى لو بكيته حياتى حتى ينفد الدمع لم ألم

وأنشدنى لغيره :

لى حيلة فيمن ينم وليس فى الكذاب حيلة
من كان يخلق ما يقول فحيلتى فيه قليلة

ابن طبرزد شيخ الحديث : عمر بن محمد بن معمر بن يحيى ، المعروف بأبى حفص بن طبرزد البغدادى الدارقَزِّى ، ولد سنة عشر وخمسمائة ، وسمع الكثير وأسمع ، وكان [خليعا][٢] ظريفاً ماجناً ، وكان يؤدب الصبيان ، وكان يُعلم الصبيان بدار القز[٣] ، قدم مع حنبل بن عبدالله المكبر إلى دمشق فسمع أهلها عليهما وحصل لهما أموال ، وعاد إلى بغداد ، فمات حنبل فى سنة ثلاث وستمائة وتأخر هو إلى هذه السنة فمات فيها ، وله سبع وتسعون سنة ، وترك مالاً جيداً ، ولم يكن له وارث إلا بيت المال ، ودفن بباب حرب ببغداد .

ابن سكينة عبدالوهاب[٤] بن على بن على بن ضياء الدين أبو محمد : المعروف بابن سكينة الصوفى البغدادى ، كان يعد من الأبدال ، سمع الكثير وأسمعه ببلاد شتى ، وكان مولده فى سنة تسع عشرة وخمسمائة ، وكان صاحباً للشيخ أبى الفرج بن الجوزى ، ملازماً لمجلسه ، وكان يوم جنازته مشهوداً لكثرة الخاصة والعامة ، وكانت وفاته فى ربيع الآخر ، وصلى عليه بجامع [القصر][٥] ودفن إلى جانب رباط الزوزنى .

---

(١) «الزهد» فى مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٦١ .
(٢) «هليعا» كذا فى الأصل والمثبت من البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٦٧ .
(٣) دار القز : محلة كبيرة فى طرف الصحراء بين البلد وبينها فرسخ . انظر : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٥٢٢ .
(٤) انظر ترجمته فى الذيل على الروضتين ، ص٧٠ ، البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٦٧ ؛ شذرات الذهب ، جـ٥ ، ص٢٥- ص٢٦ .
(٥) «العصر» كذا فى الأصل والمثبت من الذيل على الروضتين ، ص٧٠ .

[٣٣٢] **مظفر**[١] **بن شاشير الواعظ الصوفى البغدادى** : ولد سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ، وسمع الحديث وكان يعظ فى الأعزية ، والمساجد والقرى ، وكان ظريفاً مطبوعاً ، وكان يسكن دار العميد عند الصوفية ، فتوفى فى محرم هذه السنة ، ودفن عند قبر معروف الكرخى (رحمه الله) ، سمع أبا الوقت[٢] وطبقته ، واجتاز يوماً على قصاب يبيع لحماً هزيلاً والقصاب ينادى أين من حلف لا يغبن ، فقال له ابن شاشير حتى تحنثه . وقال : خرجت يوماً إلى بعقوبا[٣] فتكلمت بها فى الليل فى جامعها ، فقام واحد فقال : عندى نصفيه . وقال آخر : وعندى نصفيه . فعدوا نحو خمسين نصفيه . فقلت فى نفسى : استغنيت الليلة . فلما أصبحنا وإذا فى زاوية المسجد مقدار كارة شعير ، فقلت : ماهذا؟ قالوا : النصافى كل كيل شعير نِصفيّة . قال : وجلست يوماً بباب جسرا فجمعوا شيئاً ما أعلم ما هو ، فلما أصبحنا إذا فى جانب المسجد صوف الجاموس وقرونه ، فقام واحد ينادى عليه ويقول : من يشترى صوف الشيخ وقرونه؟ فقلت : ردوا صوفكم وقرونكم إليكم مالى بها حاجة .[٤]

يحيى[٥] **بن أبى الفتح بن الطباخ الحرانى الضرير** : قدم بغداد وأقام بها مدة يتفقه على مذهب أحمد بن حنبل (رحمه الله) ، وسمع الحديث ، وقرأ النحو على أبى البقاء العكبرى وغيره ، وعاد إلى حران فأقام بها إلى أن توفى ، سمع شهدة وعبد الحق بن يوسف وابن الخشاب وغيرهم ، وكان فقيراً صبوراً صالحاً .

قال السبط : واجتزت بحران فى سنة ثلاث وستمائة ، وسمعت عليه الحديث .

---

(١) انظر ترجمته فى الذيل على الروضتين ، ص٧٧ ؛ مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٦١-ص٣٦٢ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٦٧ .

(٢) أبو الوقت : هو عبد الأول بن أبى عبدالله عيسى بن شعيب بن إبراهيم بن إسحاق السِّجزى ، من رواة الحديث ، عالى الإسناد . توفى سنة ٥٥٣ . وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص٢٢٦-ص٢٢٧ .

(٣) بعقوبا : قرية كبيرة كالمدينة بينها وبين بغداد عشرة فراسخ ، من أعمال طريق خراسان . معجم البلدان ، جـ١ ، ص٦٧٢ .

(٤) انظر ترجمته فى المرآة ، جـ٨ ، ص٣٦٢ ، الذيل على الروضتين ، ص٧٧ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٦٧ .

(٥) انظر ترجمته فى مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٦٢ .

الأمير فخر الدين جهاركس[١] : مقدم الصلاحية وكبيرهم ، توفى فى هذه السنة بدمشق ، ودفن بجبل الصالحية ، وتربته مشهورة هناك ، وهو الذى بنى القيسارية[٢] المعروفة به بالقاهرة . وقال ابن خلكان : جهاركس بن عبدالله الناصرى الصلاحى الملقب فخر الدين كان من كبراء أمراء الدولة الصلاحية ، وكان كريماً نبيلاً رفيع القدر عالى الهمة ، بنى بالقاهرة القيسارية الكبيرة المنسوبة إليه ، رأيت جماعة من التجار الذين طافوا البلاد يقولون : لم ير مثلها فى شىء من البلاد فى حسنها وعظمها وإحكام بنائها . وبنى بأعلاها مسجداً كبيراً وربعاً معلقاً . وجهاركس بكسر الجيم وفتح الهاء بعد الألف راء مهملة ثم كاف مفتوحة ثم سين مهملة ، ومعناه بالعربى أربع أنفس .

الملك الأوحد نجم الدين أيوب ابن الملك العادل بن أيوب صاحب أخلاط : توفى فى هذه السنة ، فسار أخوه الملك الأشرف وملك أخلاط ، واستقل بملكها مضافاً إلى ما بيده من البلاد الشرقية ، فعظم بشأنه ولقب شاهرمن .

السلطان غياث الدين[٣] **كيخسرو ابن قليج أرسلان السلچوقى** : قتل فى هذه السنة ، قتله الملك الأشكرى وملك بعده ابنه كيكاوس بن كيخسرو وقد تقدم الكلام فيه مستوفى فى سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، فلينظر هناك .

السلطان الملك العادل[٤] **نور الدين أبو الحارث أرسلان شاه** بن عز الدين مسعود ابن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكى ، صاحب الموصل ، و هو ابن أخ الملك العادل نور الدين محمود الشهيد ، وكان ملكاً شهماً عارفاً بالأمور ، وانتقل إلى مذهب الإمام الشافعى (رحمه الله) ، ولم يكن فى بيته شافعى سواه ، وبنى مدرسة للشافعية بالموصل قَلّ أن توجد مدرسة مثلها فى حسنها ، وتوفى ليلة الأحد التاسع والعشرين من رجب سنة سبع وستمائة فى شبارة[٥] بالشط ظاهر الموصل . والشبارة عندهم هى الحراقة

---

(١) انظر ترجمته فى وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص٣٨١ .

(٢) تسمى قيسارية جهاركس بناها الأمير جهاركس سنة ٥٩٢هـ وكانت قبل ذلك يعرف مكانها بفندق الفراخ بالقاهرة . انظر الخطط ، جـ٢ ، ص٨٧-ص٨٩ .

(٣) انظر ، العينى ، عقد الجمان ، جـ٢ ، ص٢٥٦ .

(٤) انظر ترجمة الملك العادل نور الدين أرسلان شاه فى الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٥٣-ص٣٥٥ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٦٧ .

(٥) عن الشبارة ، انظر ما سبق جـ١ ، ص٢٦٩ .

بمصر ، وكتم موته حتى دخل به إلى دار السلطنة بالموصل ، ودفن بتربته[٣٣٣] التى بمدرسته المذكورة ، وخلف ولدين : هما الملك القاهر عز الدين مسعود ، والملك المنصور عماد الدين زنكى ، وقام بالمملكة بعده ولده الملك القاهر ، وهو أستاذ الأمير بدر الدين أبى الفضائل لؤلؤ الذى تغلب على الموصل فى سنة ثلاثين وستمائة ، فى أواخر شهر رمضان كما سنذكره إن شاء الله تعالى .

وفى تاريخ النويرى : ملك السلطان أرسلان شاه المذكور الموصل سبع عشرة[١] سنة وأحد عشر شهراً ، ولما مرض طال مرضه وانحدر إلى العين القيارة[٢] ليستحم بها ، وعاد إلى الموصل فى شَبَّارة ، فتوفى فى الطريق ليلاً . وقال بيبرس : مزاجه فسد بمرض طالت مدته ، وكان شجاعاً ذا سياسة للرعايا ، شديداً على أصحابه ، فكانوا يخافونه خوفاً شديداً ، مانعاً من تعدى بعضهم على بعض ، وكان له عزم وسرعة حركة فى طلب المقاصد إلا أنه لم يكن له صبر . وكان القيم بأمر مجاهد الدين قايماز وإليه تدبير دولته . وقال النويرى : وكان أسمر حسن الوجه قد أسرع إليه الشيب ، وكان كثير المروة شجاعاً مهيباً ، ولم يكن فيه ما يعاب به إلا قلة صبره فى أموره ، ولما توفى استقر فى ملكه بعده ولده الملك القاهر عز الدين مسعود ، وكان عمره عشر سنين ، وقام بتدبير مملكته بدر الدين لؤلؤ مملوك والده أرسلان شاه ، وكان أستاذ داره . وقال بيبرس : وحلف له الأمراء والجند ، وأعطى أخاه عماد الدين زنكى بن نور الدين قلعة عقر الحميدية وقلعة شوش[٣] وولايتها ، وكان نور الدين أوصى ولده وأمره أن يتولى تدبير أمره فتاه بدر الدين لؤلؤ لما رأى من عقله وسداده وحسن سياسته .[٤]

---

(١) «سبعة عشر» كذا فى الأصل والصحيح هو المثبت .

(٢) «العيارة» كذا فى الأصل ، والصحيح القيارة كما فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٣٥٤ . وعين القيارة : بالموصل ، ينبع منها القار ، وهى حمّة يقصدها أهل الموصل ويستحمون فيها ، ويستشفون بمائها . انظر : معجم البلدان ، جـ٤ ، ص٢١١ .

(٣) قلعة شوش : قلعة عظيمة عالية جداً ، قرب عقر الحُمَيْدية من أعمال الموصل . انظر : معجم البلدان ، جـ٤ ، ص٣٣٤ .

(٤) ورد هذا الخبر بتصرف فى الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٥٣-ص٣٥٥ ؛ الذيل على الروضتين ، ص٧٧ .

فصل فيما وقع من الحوادث فى السنة الثامنة بعد الستمائة(*)

استهلت هذه السنة والخليفة هو الناصر لدين الله ، والسلطان الملك العادل مخيم بعساكره على الطور ، وابنه الملك المعظم مباشر لعمارة حصنه مجتهد فى إدارته حوشاً ، كذا قاله أبو شامة . وفى تاريخ ابن كثير :(١) وفيها عاد الملك العادل إلى الشام ، وأعطى ولده المظفر غازى الرها مع ميافارقين .

وفيها أرسل الملك الظاهر صاحب حلب بهاء الدين بن شداد إلى الملك العادل فاستعطف خاطره وخطب ابنته صفية خاتون ابنة الملك العادل ، فزوجها من الملك الظاهر ، وزال ما كان بينهما من الوحشة . وقال بيبرس : وفيها عاد الملك العادل من الشام إلى الديار المصرية وأرسل ابنته إلى الظاهر غازى إلى حلب صحبة القاضى شمس الدين بن المتنبى .

وفيها قبض الملك المعظم عيسى بن العادل على ابن عز الدين أسامة صاحب قلعة كوكب وقلعة عجلون بأمر أبيه العادل ، وحبسه بالكرك إلى أن مات بها ، وحاصر الحصنين المذكورين وتسلمهما من غلمان أسامة ، وأمر الملك العادل بتخريب كوكب وتعفية أثرها ، فخربت وبقيت خراباً وأبقى عجلون ، ومَلّك المعظم بلاد جهاركس وهى بانياس وتبنين والشقيف وهونين وقلعة أبى الحسن لأخيه الملك العزيز عماد الدين عثمان بن الملك العادل ، وأعطى صرخد لمملوكه عز الدين أيبك المعظمى .

وفيها ابتاع الملك الأشرف جوسق(٢) الرئيس بالنيرب(٣) من ابن عمه الظافر خضر بن صلاح الدين ، وبناه بناء حسناً وهو المسمى فى زماننا بالدهشة .

وفيها أظهر الكيا جلال الدين حسن صاحب الألموت وهو ولد ابن الصباح شعائر الإسلام ، وكتب به إلى جميع القلاع الإسماعيلية بالعجم والشام ، فأقيمت فيها شعائر الإسلام(٤)[٣٣٤] .

(*) يوافق أولها ١٥ يونيو سنة ١٢١١م .

(١) لم يرد هذا الخبر فى البداية والنهاية ، وإنما ورد هذا المختصر فى أخبار البشر ، جـ٣ ، ص١١٤ .

(٢) الجوسق : القصر الصغير والحصن ، والجمع «جواسق» . المعجم الوجيز ، مادة «جوسق» .

(٣) النيرب : قرية مشهورة بدمشق انظر معجم البلدان ، جـ٤ ، ص٨٥٥ .

(٤) ورد هذا الخبر بتصرف فى المختصر فى أخبار البشر ، جـ٣ ، ص١١٤ .

وقال ابن كثير[١] : وفيها أظهرت الباطنية الإسلام وإقامة الحدود على من يتعاطى الحرام ، وبنوا الجوامع والمساجد ، وكتبوا إلى إخوانهم بالشام فى مصيات وأمثالها بذلك ، وكتب زعيمهم جلال الدين إلى الخليفة يعلمه بذلك ، وقدمت أمه إلى بغداد حاجّةً فأكرمت وعظمت بسبب ذلك ، ولكن لما كان الناس بعرفات ظفر واحد منهم على قريب لأمير مكة قتادة الحسنى فقتله ظاناً أنه قتادة ، فثارت فتنة عظيمة بين سُودان مكة وركب العراق ، ونهب الركب وقتل منهم خلق كثير .

وقال أبو شامة[٢] : وفى هذه السنة نهب الحاج العراقى ، وكانت ربيعة خاتون أخت الملك العادل فى الحج ، فلما كان يوم النحر بمنى بعد ما رمى الناس الجمرة وثب شخص من الإسماعيلية على رجل شريف من بنى عم قتادة أشبه الناس به وظن أنه إياه فقتله عند الجمرة ، ويقال : إن الذى [كان][٣] قتله مع أم جلال الدين وثار عبيد مكة [و][٤] الأشراف وصعدوا على الجبلين وهللوا وكبروا وضربوا الناس بالحجارة والمقاليع والنشاب ونهبوا الناس يوم العيد والليلة واليوم الثانى ، وقتل من الفريقين جماعة . وقال ابن أبى فراس لمحمد بن ياقوت أمير حاج العراق ارحلوا بنا إلى الزاهر منزلة الشاميين ، فلما حصلت الأثقال على الجمال حمل قتادة أمير مكة والعبيد فأخذوا الجميع إلا القليل . وقال قتادة : ما كان المقصود إلا أنا . والله لا أبقيت من حاج العراق أحداً .

وكانت ربيعة خاتون بالزاهر ومعها ابن السلار وأخو سياروج وحاج الشام ، فجاء محمد بن ياقوت أمير الحاج العراقى فدخل خيمة ربيعة خاتون مستجيراً بها . ومعه خاتون أم جلال الدين ، فبعثت ربيعة خاتون مع ابن السلار إلى قتادة تقول له : ما ذنب الناس ، قد قتلت القاتل وجعلت ذلك وسيلة إلى نهب المسلمين واستحللت الدماء فى الشهر الحرام فى الحرم والمال ، وقد عرفت من نحن ، والله لئن لم تنته لأفعلن ولأفعلن . فجاء إليه ابن السلار فخوفه وهدده ، وقال : ارجع عن هذا وإلا قصدك الخليفة من العراق ونحن من الشام فكف عنهم ، وطلب مائة ألف دينار ، فجمعوا له ثلاثين ألفاً من أمير

---

(١) البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٦٨ ؛ الكامل ، جـ١٣ ، ص٣٥٦-ص٣٥٧ .
(٢) الذيل على الروضتين ، ص٧٨ .
(٣) ما بين حاصرتين إضافة من الذيل على الروضتين ، ص٧٨ ؛ المرآة ، جـ٨ ، ص٣٦٣-٣٦٤ .
(٤) «فى» كذا فى الأصل والمثبت من الذيل على الروضتين ، ص٧٨ ؛ مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٦١ .

الحاج العراقى ومن خاتون أم جلال الدين ، وأقام الناس ثلاثة أيام حول خيمة ربيعة خاتون بين قتيل وجريح ومسلوب وجائع وعريان : وقال قتادة : ما فعل هذا إلا الخليفة ، ولئن عاد قرب أحد من بغداد إلى ههنا لأقتلن الجميع . ويقال : إنه أخذ من المال والمتاع وغيره ما قيمته ألف ألف دينار ، وأذن للناس فى الدخول إلى مكة ، فدخل الأصحاء الأقوياء فطافوا وأى طواف ، ومعظم الناس ما دخل ورحلوا إلى المدينة ، ودخلوا بغداد على غاية من الفقر والذل والهوان ، ولم ينتطح فيها عنزان .[١]

وفيها كانت زلزلة شديدة هدمت بمصر والقاهرة دوراً كثيرة وكذلك بمدينة الكرك والشوبك ، وهدمت من قلعتها أبراجاً ، ومات خلق كثير من الصبيان والنسوان تحت الهدم ، ورؤى دخان نازل من السماء إلى الأرض فيما بين المغرب والعشاء بنواحى أرض عاتكة ظاهر دمشق .

وقال أبو شامة : كان ذلك فى خامس عشر رمضان ، وقال : كانت قوة الزلزلة من جهة أيلة مما يلى البحر ، وقيل : إنه تقدمها بيوم ريح سوداء وتساقطت نجوم كثيرة . وقال أيضاً : كانت الزلزلة المذكورة فى ليلة السابع والعشرين من ذى القعدة من هذه السنة .[٢]

وفيها أمر الخليفة أن يقرأ مسند أحمد[٣٣٥] بن حنبل - رحمه الله- بمشهد موسى بن جعفر بحضرة صفى الدين محمد بن سعد الموسوى بالإجازة عن الخليفة ، وأول ما قرئ منه مسند أبى بكر الصديق رضي الله عنه وحديث فدك[٣] وما جرى فيها .[٤]

وفيها بعث الخليفة خاتمه إلى وجه السبع بالشام ، وقد ذكرنا أنه قد كان هرب من بغداد إلى الشام ، وبعث معه الملك العادل رسولاً ، فأكرمه الخليفة وولى وجه السبع الكوفة أقطاعاً .[٥]

---

(١) ورد هذا الحدث فى الذيل على الروضتين ، ص٧٨ ، ص٧٩ ؛ مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٦٣-٣٦٤ .

(٢) ورد هذا الخبر بتصرف فى الذيل على الروضتين ، ص٧٨ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٦٨ .

(٣) فدك : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان . انظر : معجم البلدان ، جـ٣ ، ص٨٥٥ .

(٤) ورد هذا الخبر فى الذيل على الروضتين ، ص٧٨ ؛ مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٦٣ .

(٥) ورد هذا الخبر فى مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٦٣ .

وفيها فى شعبان قدم أيدغمش[١] من همذان إلى بغداد، وكان منكلى مملوك أزبك قد طرده من همذان، فاحتفل له الخليفة وأخرج جميع أرباب الدولة للقائه، وأقام له بالضيافات العظيمة. وقال بيبرس: وفيها قدم أيدغمش صاحب همذان وأصفهان والرى وما بينهما من البلاد هارباً من منكلى؛ وسبب ذلك أن أيدغمش كان قد تمكن من البلاد وعظم شأنه وكثر عسكره حتى أنه حصر صاحبه أبا بكر بن البهلوان، فخرج عليه مملوك اسمه منكلى ونازعه فى البلاد، وكثر أتباعه وأطاعه المماليك البهلوانية، وهرب منه أيدغمش إلى بغداد وأقام فى بغداد إلى سنة عشر فسار عنها.[٢]

وفيها[٣] توفيت والدة الملك الكامل ودفنت بجوار ضريح الإمام الشافعى، وبنى عليها القبة التى هى الآن معروفة بالشافعى (رحمه الله). وأجرى إلى المكان المذكور الماء من بركة الحبش[٤] بقناطر متصلة منها إليه، وأنفق على ذلك جملة كثيرة، ونقل الناس الأبنية من تلك القرافة [الكبرى][٥] إلى هذه القرافة منذ ذلك الوقت.[٦]

وفيها ....[٧]

وفيها حج بالناس من العراق محمد بن ياقوت نيابة عن أبيه ومعه ابن أبى فراس يثقفه ويديره. وحج من الشام الصمصام إسماعيل أخو سياروخ النجمى على حاج دمشق وعلى حاج القدس الشجاع على بن السلار. وكانت ربيعة خاتون أخت الملك العادل قد حجت أيضاً فى هذه السنة كما قد ذكرنا عن قريب.[٨]

ذكر من توفى فيها من الأعيان

ابن يونس: الشيخ عماد الدين محمد بن يونس، الفقيه الشافعى الموصلى، صاحب التصانيف والفنون الكثيرة، وكان رئيس الشافعية بالموصل، وبعث رسولاً إلى

---

(١) ورد هذا الخبر بتصرف فى الكامل، جـ١٠، ص٣٥٦، وقد جاء رسم الكلمة كالآتى «أيتغمش».
(٢) ورد هذا الحدث فى الكامل، جـ١٠، ص٣٥٦.
(٣) ورد هذا الحدث فى السلوك، جـ١ق١، ص٢٠٨.
(٤) بركة الحبش: كانت من أكبر متنزهات مصر، وموقعها بظاهر مدينة الفسطاط من قبليها، فيما بين الجبل والنيل. وكانت من قبل تسمى ببركة المغافر أو بركة حمير، وماء النيل يدخل إليها. انظر: المقريزى: الخطط، جـ٢، ص١٥٢.
(٥) ما بين حاصرتين إضافة من السلوك، جـ١ق١، ص٢٠٨، للتوضيح.
(٦) ورد هذا الحدث فى نهاية الأرب، جـ٢٩، ص٥٣-ص٥٤.
(٧) بياض فى الأصل بمقدار نصف سطر.
(٨) ورد هذا الحدث فى الذيل على الروضتين، ص٧٨-ص٧٩؛ مرآة الزمان، جـ٨، ص٣٦٣.

بغداد بعد موت نور الدين أرسلان شاه ، وكان عنده وسوسة كثيرة ، ويقال : إنه كان يعامل فى الأموال بمسألة العين[١] فلقيه قضيب البان فقال له : يا شيخ بلغنى أنك تغسل أعضاءك بأباريق من الماء فلم لا تنظف اللقمة التى تأكلها؟! ففهم الشيخ ما أشار به إليه وترك المعاملة . وكانت وفاته بالموصل فى رجب عن ثلاث وسبعين سنة .[٢]

ابن حمدون[٣] تاج الدين أبو سعد الحسن بن محمد حمدون ، صاحب التذكرة الحمدونية ، كان فاضلاً بارعاً ، اعتنى بجميع الكتب بالخطوط المنسوبة وغيرها ، وولاه الخليفة المارستان العضدى ، وكانت وفاته بالمدائن ، وحمل إلى مقابر قريش .

البراوى الشيخ الكبير المعمر الرحلة أبو القاسم أبو بكر أبو الفتح منصور بن عبدالمنعم بن عبدالله بن محمد بن الفضل البراوى النيسابورى ، سمع أباه وجد أبيه وغيرهما وعن ابن الصلاح . وقال أبو شامة[٤] : هو من أهل بيت الحديث رواية ودراية ، ولد سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة فى رمضان ، وقدم بغداد حاجاً فى سنة تسع وسبعين ، وتوفى بنيسابور فى شعبان من هذه السنة[٣٣٦] عن خمس وثمانين سنة .

ابن سناء الملك[٥] القاضى السعيد أبو القاسم هبة الله بن القاضى الرشيد أبى الفضل جعفر بن سناء الملك ، أبى عبدالله محمد بن هبة الله بن محمد السعدى ، أحد الفضلاء الرؤساء ، أخذ الحديث عن الحافظ أبى طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفى الأصبهانى ، وكان كثير التخصص والتنعم وافر السعادة ، محظوظاً من الدنيا ، اختصر كتاب الحيوان للجاحظ وسماه روح الحيوان ، وله ديوان جميعه موشحات سماه دار الطراز . ومن محاسن شعره بيتان من جملة قصيدة يمدح بها القاضى الفاضل . وهما بيتان :

ولو أبصر النظام جوهر ثغرها ... لما شك فى أنه الجوهر الفرد
ومن قال إن الجيزرانة قدها ... فقولوا له إياك أن يسمع القد

---

(١) «الغنيمة» كذا فى الأصل ، والمثبت من البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٦٨ ؛ الذيل على الروضتين ، ص٨٠ ، ومعناها «الربا» وهذا يتسق مع المعنى . انظر محيط المحيط مادة «عين» ، ص١٥٠٩ .

(٢) انظر ترجمة ابن يونس فى الذيل على الروضتين ، ص٨٠ ؛ مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٦٥ ؛ الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٥٧ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٦٨ .

(٣) انظر ترجمته فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٦٨ ؛ الذيل على الروضتين ، ص٧٩ ؛ الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٥٨ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٦٨ .

(٤) الذيل على الروضتبن ، ص٨٠ .

(٥) انظر ترجمته فى وفيات الأعيان ، جـ٦ ، ص٦١-ص٦٦ .

ومن شعره :

لا الغصن يحكيك ولا الجوذرُ ... حُسْنُكَ مما كثروا أكثرُ
يا باسماً أبدى لنا ثغره ... عقداً ولكن كلّه جوهرُ
قال لى اللاحى : أما تسمعُ ... فقلت : يا لاحى أما تبصر

وله فى غلام ضرب ثم حُبس :

بنفسىَ من لم يضربوه لريبة ... ولكن ليبدو الورد فى سائر الغصنِ
ولم يُودِعوه السجن إلا مخافة ... من العين أن تعدو على ذلك الحسن
وقالوا له شاركتَ فى الحسن يوسفا ... فشاركهُ أيضاً فى الدخول إلى السجن

وله أيضاً :

وما كان تركى حبه عن ملامة[٢] ... ولكن لقول[٣] يوجب القول بالترك
أراد شريكاً فى الذى هو بيننا ... وإيمان قلبى قد نهانى عن الشرك

وقال المؤيد : مدح توران شاه أخا السلطان صلاح الدين بقصيدة مطلعها :

تقنعت لكن بالحبيب المعمم ... وفارقت [لكن][٤] كل عيش مذمم

نصحن الفضلاء هذا المطلع وعابوه .

وقال ابن خلكان[٥] : توفى ابن سناء الملك فى العشر الأول من رمضان من سنة ثمان وستمائة بالقاهرة ، ومولده على التقدير فى حدود سنة خمسين وخمسمائة . وتوفى والده جعفر يوم الثلاثاء خامس ذى الحجة من سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ، ومولده منتصف شعبان سنة خمس وعشرين وخمسمائة .

مظفر[٦] البغدادى : كان يقول كان وكان . ومن قوله فى امرأة عجوز :

---

(١) الجؤذر : ولد البقرة الوحشية . الجمع : جآذر . المعجم الوجيز . ص٩٠ .
(٢) «ملالة» فى وفيات الأعيان ، جـ٦ ، ص٦٣ .
(٣) «الأمر» فى وفيات الأعيان ، جـ٦ ، ص٦٣ .
(٤) ما بين حاصرتين إضافة من وفيات الأعيان ، جـ٦ ، ص٦٥ .
(٥) وفيات الأعيان ، جـ٦ ، ص٦٥ .
(٦) انظر : مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٦٥ .

مع[١] الكبر ما تقلع ضرس الصبا من ضرسها | وكل ضرس فيها[٢] من الكبر مقلوع
وقد عزل ناظرها وقد علقنا بأنها | وصار ذاك الراتب من جانبى مقطوع
قولوا لها لا تسألى طبيباً عن مرض | الكبر ذى علة ضاع فيها علاج بختيشوع

المعين[٣] **عبدالواحد بن الشيخ عبدالوهاب بن على بن سكينة**، مولده سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة، وسافر إلى الشام فى أيام الملك الأفضل على بن السلطان صلاح الدين يوسف، وبسط لسانه فى الدولة فأرسل إليه من بغداد ابن التكريتى لقتله فوثب عليه مراراً بدمشق فلم يقدر عليه، وكتب إلى الخليفة كتاباً يتنصل فيه مما قيل عنه[٣٣٧] ويعتذر ويسأله العفو، فعفا عنه وكتب له كتاب أمان، فقدم بغداد فولاه مشيخة الشيوخ، وأُعطى رباط المشرعة، ثم بعثه فى رسالة إلى جزيرة كيش[٤] ومعه جماعة من الصوفية فغرق فى البحر ومن معه. سمع جده لأمه أبا القاسم عبدالرحيم شيخ الشيوخ، وأبا الفتح ابن البطى، وأبا زرعة وغيرهم.

حاجب الباب كمال الدين محمد بن الناعم[٥]، كان حسن الصورة قبيح الفعال، صادر جماعة وماتوا تحت الضرب، فلما قبض عليه ضرب ضرباً مُبرحاً فلم يقر بشىء، فمات تحت الضرب ورمى به فى دجلة- كما كان يفعل بالناس- وظهر له بعد ذلك أموال عظيمة ودفائن كثيرة.

صارم[٦] **الدين بزغش العادلى نائب القلعة بدمشق**، توفى فى صفر منها ودفن بتربته غربى الجامع المظفرى، وهو الذى نفى الحافظ عبدالغنى المقدسى إلى مصر، وبين يديه كان عقد المجلس كما ذكرناه.

أيبك[٧] **فُطَيس الأمير المعروف**، قتله مملوك له تركى بظاهر حلب فى حمام فى خامس عشر رجب من هذه السنة.

---

(١) «من» فى مرآة الزمان، جـ٨، ص٣٦٥.
(٢) «منها» فى مرآة الزمان، جـ٨، ص٣٦٥.
(٣) انظر ترجمته فى الذيل على الروضتين، ص٧٩؛ الكامل، جـ١٠، ص٣٥٧.
(٤) جزيرة كيش: جزيرة فى وسط بحر عمان تعد من أعمال فارس. انظر: معجم البلدان، جـ٤، ص٢١٥، ص٣٣٣.
(٥) انظر ترجمته فى الذيل على الروضتين، ص٧٩-ص٨٠، وأيضاً فى مرآة الزمان، جـ٨، ص٣٦٥.
(٦) انظر ترجمته فى الذيل على الروضتين، ص٨٠.
(٧) انظر: الذيل على الروضتين، ص٨٠.

فصل فيما وقع من الحوادث فى السنة التاسعة بعد الستمائة(*)

استهلت هذه السنة والخليفة هو الناصر لدين الله ، وسلطان مصر والشام الملك العادل أبو بكر بن أيوب ، ونائبه فى دمشق الملك المعظم ، وفى مصر الملك الكامل ، فاجتمعوا فى هذه السنة على دمياط لمقابلة الفرنج . وكان سامة الجبلى صاحب دار سامة داخل باب السلامة ، التى هى الآن مدرسة للشافعية ، قد استوحش من هؤلاء الملوك المذكورين وهم اتهموه بمكاتبة الظاهر صاحب حلب .(١)

قال السبط(٢) : وجد له كتب إليه وأجوبة ، فخرج سامة من القاهرة كأنه يتصيد ، واغتنم اجتماع الملوك بدمياط وساق إلى الشام فى مماليكه ، بطلب قلاعه وهى كوكب وعجلون وذلك يوم الإثنين سلخ جمادى الآخرة فأرسل والى بلبيس الحمام إلى دمياط يخبرهم بذلك ، فقال العادل : من ساق خلفه فله أمواله وقلاعه . فقال الملك المعظم : أنا . وركب من دمياط يوم الثلاثاء غرة رجب . قال السبط : وكنت معه فقال لى : أنا أريد أن أسوق فسق أنت مع قماشى(٣) ، ودفع لى بغلة ، فساق ومعه نفر يسير وعلى يده حصان ، فكان صباح يوم الجمعة فى غزة . ساق مسير ثمانية أيام فى ثلاثة أيام ، فسبق سامه ، وأما سامة فإنه تقطع(٤) عنه مماليكه ومن كان معه وبقى وحده وبه نقرس فجاء إلى بلد الداروم ، وكان المعظم قد أمسك عليه من البحر إلى الزرقاء ، فرآه بعض الصيادين فى برية الداروم ، فعرفه فقال له : انزل . فقال له : هذه ألف دينار وأوصلنى إلى الشام . فأخذها الصياد وجاء رفاقه فعرفوه أيضاً فأخذوه على طريق الخليل عليه السلام ، ليحملوه إلى عجلون فدخلوا به القدس يوم الأحد سادس رجب . جاء بعد المعظم بثلاثة أيام فقال لى المعظم رحمه الله ما كنت خائفاً إلا أن يصادفنى فى الطريق غلمانه فيقتلونى لو رمانى أيدكين بسهم قتلنى ، فملّكه الله أيدكين والجميع ، فأنزل سامه فى صهيون وبعث إليه

(*) يوافق أولها ٣ يونيو سنة ١٢١٢م .

(١) ورد هذا الخبر فى الذيل على الروضتين ، ص٨٠ .

(٢) مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٦٦–ص٣٦٧ ؛ الذيل على الروضتين ، ص٨٠–ص٨١ .

(٣) القَمّاش : من يبيع الأمتعة ، انظر مادة «قمش» المنجد .

(٤) «فانقطع» كذا فى المرآة ، جـ٨ ، ص٣٦٦ .

بثياب وطعام ولاطفه وراسله وقال له[٣٣٨] [أنت][١] شيخ كبير وبك نقرس وما يصلح لك قلعة ، سلّم إلى كوكب وعجلون ، وأنا أحلف لك على مالك وملكك وجميع أسبابك وتعيش بيننا مثل الوالد . فامتنع وشتم المعظم ، فلما يئس المعظم منه بعث به إلى الكرك ، فاعتقله واستولى على قلاعه وأمواله ، وذخائره ، وخيله . فكان قيمة ما أخذ منه ألف ألف دينار .[٢] من ذلك داره وحمامه داخل باب السلامة ، ثم إن المعظم خرب حصن كوكب ، ونقل حواصله إلى حصن الطور ، الذى استنجده كما ذكرنا .

وفى تاريخ[٣] بيبرس : كتب العادل إلى ولده المعظم بالقبض على سامة فأمسكه وقبض على ابن فخر الدين جهاركس وأخذ معاقله التى كانت بيده .

وفيها توجه العادل إلى كوكب وحاصرها حصاراً شديداً وأخذها وأخذ منها أموالاً عظيمة وهدمها وعفى أثرها . فقال الرشيد النابلسى يمتدحه ويذكر الحال :

وفّى لك المسعدان النصر والظفر ... وطاوع العاصيان الدهر والقدر
بغير بدع وقد جدّت سعودك أن ... دانت لك الأُمّتان البدو والحضر
أشرقت فى ظلم الأيام مزدهرا ... فأبلس النيران الشمس والقمر
قسوت بل لنت بل مازجت ... ذاك بذا فافتّن فى راحتيك النفع والضرر
مازلت تصدر بالآمال ساعةَ لا ... وردٌ يسوغ ولا عن مورد صدر
لله ما أنت سيف الدين من بشر ... لا يستطيع الذى يَستطيعه بشر
خطبٌ طوى وطغى حتى نَهَدْت له ... فلان جامحه إذ يسهل الوعر
وشامخان رفيعا الأوج يحسر عن ... أن يستطيعهما التأميل والنظرُ
فى ذروتى مشمخر العز دونهما ... من أن يُنالا تنال الأنجم الزهر
أوردت حُصّنك من تلك الحصون مُنىً ... لولاك عز على وُرّادها الصَّدَرُ
وكان أهلاهما قد أكدا حَلفا ... أن ليس يُنْقَضُ من أمريهما المِرَرُ
يا ويحهم أوغرتهم بُنىً شمخت ... مع اغترامك واستغوتهم حذر

(١) ما بين حاصرتين إضافة من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٦٧ .
(٢) إلى هنا توقف العينى عن النقل من مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٦٦-ص٣٦٧ ومن الجدير بالذكر أن صاحب الذيل على الروضتين ذكر أن قيمة ما أخذ منه ألف دينار . ص١٠-٨١ .
(٣) انظر هذا الخبر فى النويرى ، نهاية الأرب ، جـ٢٩ ، ص٥٩-ص٦١ .

ولو صدمت به السُّد الذى أطادت		قُطراه لاندكّ منه القِطر والزَبر
أورام شامخه الأهرام حل بها		ما ليس تبقى غواديه ولا تذر
بل لو دعوت النجوم الزهر لابتدرت		إليك من جنبات الأفق تبتدر
لقد رأى كوكب فى نفسه عجباً		وكاد كوكبه الدُّرى ينكدر
أضرمت جذوة باس فى جوانبه		أنفاسها فى نفوس الشرك تزدفر
طوقته بمجانيق يلين لها		قلب الحديد ولا يستمسك الحجر
أقمت عليه بمثل الشهب قاذفة		فخده بصعيد الأرض منعفر[٣٣٩]
أضحت مخانق فى أعناق هضبته		عقود خيلك مسدوداً بها الثغر
بادرتهم برجال لا ينهنههم من		من رأيك الحزم أو من كفك البذر
مُعَرّدِينَ قراع الموت قد ألفوا		أن لا يروعهم خوف ولا ذعر
جيش إذا جاش طامى لُجَّة غرقت		فى جنب تياره الأفهام والفكرُ

ومنها :

لقد بطشت بهم بطشاً لو أنهم		صرف المقادير أو أحداثها فَتَروا
واستشعروا الذل جلباباً وقادهم		قسراً إليك سُطى للأسد تقتسِرُ
لله صدرك ما أقضى وعزمك ما		أمضى وقد كلت الهندية البتر
يا دوحه للعلى شماء باسقة		لا يُجتنى للعَنَى من غيرها ثمر

ومنها :

يا راجح الحلم يعفو وهو مقتدر		ومانح النجم يعطى وهو معتذر

ومنها :

صلى الإله على علياك وافتتحت		تتلى على مجدك الآيات والسور
ودمت تخدمك الدنيا ودولتها		ما غنت الورق أو ما أورق الشجر

ذكر استيلاء صاحب قبرس على أنطاكية

وفى هذه السنة[١] استولى صاحب قبرس لعنه الله على مدينة أنطاكية فحصل بسببه شر عظيم ، وتمكن من الغارات على بلاد المسلمين لاسيما على التراكمين الذين حول أنطاكيه ، فقتل منهم خلقاً كثيراً وغنم من أغنامهم شيئاً كثيراً ، فقدر الله عز وجل أن أمكنهم منه فى بعض الأوديه فقتلوه وطافوا برأسه فى تلك البلاد كلها ثم أرسلوه إلى الملك العادل بالديار المصرية ، فطيف به هنالك وهو الذى كان قد أغار على بلاد مصر من ثغر دمياط مرتين فقتل وسبى ونهب بلاده فوّه أيضاً ، وكان اسمه البال لعنه الله .

ذكر محاصرة طغريل شاه كيكاوس سلطان الروم

وفى هذه السنة سار طغريل شاه بن قليج أرسلان صاحب أرزن الروم وحاصر ابن أخيه سلطان الروم كيكاوس بمدينة سيواس ، واستنجد كيكاوس بالملك الأشرف[٢] بن الملك العادل ، فخاف عمّه طغريل شاه ورحل عنه ، وكان لكيكاوس أخ اسمه كيقباذ فلما جرى ما ذكرناه سار كيقباذ واستولى على أنكورية[٣] من بلاد أخيه كيكاوس ، وسار كيكاوس وحصره وفتح أنكورية وقبض على أخيه كيقباذ وحبسه وقبض على أمرائه وحلق رؤوسهم ولحاهم وأركب كل واحد منهم فرساً وأركب خلفه وقدامه قحبتين[٤] وبيد كل واحد منهما مغلاق تصفعه به وبين أيديهم منادٍ ينادى هذا جزاء من خان سلطانه .

ذكر بقية الحوادث

منها أن الوزير صفى الدين بن شكر عُزل واحتيط على أمواله ونفى إلى الشرق وهو الذى كان قد كتب إلى الديار المصرية بنفى الحافظ عبدالغنى إلى الغرب ، فتوفى الحافظ قبل أن يصل كتابه ، وكتب الله نفيه[٥] إلى الشرق . قال بيبرس[٦] : عزل صفى الدين وزير العادل عن الوزارة ورفعت يده ولزم داره . وقال مظفر الأعمى[٧] فيه :

(١) ورد هذا الخبر فى الذيل على الروضتين ، ص٨١ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٧٠ .
(٢) وفيات الأعيان ، جـ٥ ، ص٣٣١ .
(٣) أنكورية : تقع فى آسيا الصغرى فى بلاد الروم ، وتسمى حالياً «أنقره» . انظر بلدان الخلافة الشرقية ، ص١٧٤ .
(٤) «خاطيتين» فى مفرج الكروب ، جـ٣ ، ص٢١٨ .
(٥) نفيه : الضمير هنا يعود على الوزير ابن شكر .
(٦) انظر نهاية الأرب ، جـ٢٩ ، ص٥٥-ص٥٩ .
(٧) مظفر الأعمى هو مظفر بن إبراهيم بن جماعة بن على بن الشامى بن أحمد بن ناهض بن عبدالرزاق العيلانى ، توفى سنة ٦٢٣هـ . انظر ترجمته فى وفيات الأعيان ، جـ٥ ، ص٢١٣-ص٢١٧ .

أين حجابك المطيفون بالبغلة والرافعون فضل الثياب
[٣٤٠]ردك البغى كالنداء على بلا حاجب ولا بواب

ومنها : فى المحرم عقد عقد الملك الظاهر صاحب حلب على صفية خاتون بنت الملك العادل وكان المهر خمسين ألف دينار ، وتوجهت من دمشق فى المحرم فاحتفل لها الملك الظاهر احتفالاً عظيماً وقدم لها تقاديم جليلة منها خمسة وخمسون عقداً من جوهر قيمتها مائتا ألف وستون ألف درهم ، ومنهم عصابة بجوهر وعشر قلائد من العنبر المذهب ، وخمس عشرة مذهبة ومائة وخمسون قطعه من الذهب والفضة ، وعشرون بختاً من الثياب الفاخر وعشر خدام وعشرون جارية . وورد معها من القماش والآلات وأنواع المصاغ ما يحمله خمسون بغلا ومائة بختى وثلاثمائة جمل . ومن الجوارى والوصائف والخدام والكجلوات ما يحمله مائة جمل ، وكانت فى خدمتها مائة جارية كلهن مطربات بأنواع الملاهى ومائة جارية أخرى يعملن أنواع الصنايع البديعة . وقد ذكرنا طرفاً من ذلك فيما مضى .

ومنها أنه كانت وقعة بين المسلمين والفرنج بالأندلس تسمى وقعة العُقاب . وكان يوسف بن يعقوب بن عبدالمؤمن قد جمع عساكر المغرب وعدى لغزاة الفرنج ، فكسره الفرنج وهزموه وقتلوا من المسلمين خلقاً عظيماً وعاد المذكور هزيماً .

ومنها[١] أن الخليفة خلع على أيدغمش الفرجية والعمامة وخلعاً تقارب خلع السلطنة وأعطاه مالاً وأمره أن يبرز خيامه ليسير إلى همذان وأعطاه الكوسات والأعلام .

ومنها[٢] أن أبا محمد يوسف بن الشيخ أبى الفرج بن الجوزى صرف عن الحسبة والنظر فى الوقف العام ببغداد ورد ذلك إلى شرف الدين بن البخارى ، فولى أبا البركات يوسف بن المبارك بن هبة الله الحسبة والوقف العام .

وفيها . . . .[٣]

---

(١) ورد هذا الخبر فى مرآة الزمان جـ٨ ، ص٣٦٦ .
(٢) ورد هذا الخبر فى مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٦٦ .
(٣) بياض فى الأصل بمقدار أربع كلمات .

وفيها[١] حج بالناس من العراق حسام الدين بن أبى فراس نيابة عن محمد بن ياقوت ، وكان معه مال وخلع لقتادة أمير مكة حتى سكت عنهم . ومن الشام شجاع الدين ابن محارب على أيلة .

ذكر من توفى فيها من الأعيان

محمد[٢] **بن إسماعيل بن أبى الضيف** ، اليمنى فقيه الحرم الشريف بمكه شرفها الله توفى فى هذه السنة .

أبو إسحق[٣] **إبراهيم بن محمد بن أبى بكر القفصى** ، المقرى المحدث كتب كثيراً وسمع الكثير مات فى هذه السنة بدمشق ودفن فى مقابر الصوفية .

أبو الفتح[٤] **محمد بن سعد بن محمد الديباجى** ، من أهل مرو ، له كتاب المحصل فى شرح المفصل للزمخشرى فى النحو ، وكان عالماً ثقة سمع الحديث ، مات فى هذه السنة عن ثنتين وتسعين سنة .

الشيخ[٥] **الصالح الزاهد العابد أبو البقاء محمود بن عثمان بن مكارم النعال** ، الحنبلى ، كانت له عبادات ومجاهدات وسياحات ، وبنى رباطاً بباب الأزج يأوى إليه أهل العلم من المقادسة وغيرهم ، وكان يؤثرهم ويحسن إليهم وقد سمع الحديث وقرأ القرآن ، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وتوفى فى هذه السنة وقد جاوز الثمانين سنة . وقال أبو شامة : وكان لا يأكل إلا مِنْ غزل عمته .

---

(١) ورد هذا الخبر فى الذيل على الروضتين ، ص٨١ ، مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٦٧ .

(٢) الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٥٩ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٧٠ .

(٣) الذيل على الروضتين ، ص٨٢ .

(٤) الذيل على الروضتين ، ص٨٢ ، البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٧٠ .

(٥) الذيل على الروضتين ، ص٨٢ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٧٠ ؛ مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٦٧ .

فصل فيما وقع من الحوادث فى السنة العاشرة بعد الستمائة(★)

استهلت هذه السنة والخليفة هو الناصر لدين الله ، وسلطان مصر والشام الملك العادل أبو بكر بن أيوب ، ونائبه بمصر ولده الملك الكامل محمد . وفى دمشق ولده المعظم عيسى ، وصاحب بلاد الروم عز الدين كيكاوس السلجوقى ، وقد ظفر بعمه طغريل شاه وأخذ[٣٤١] بلاده وقتله وذبح أكثر أمرائه وقصد ذبح أخيه علاء الدين كيقباذ ، فشفع فيه أصحابه[١] فعفى عنه . وصاحب حلب وما والاها الملك الظاهر غازى بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب . وولد له فى خامس ذى الحجه ولد سماه محمداً ولقبه الملك العزيز غياث الدين من صفية خاتون ابنه السلطان الملك العادل ، واحتفل الظاهر لمولده احتفالاً عظيماً ، فمن ذلك أنه أمر الصياغ فصاغوا من الذهب والفضة طيوراً ووحوشاً على صيغة[٢] مايعرفونه من الطير والوحوش وعملوا عشر مهود من الذهب والفضة ، سوى ماعملوا من الأبنوس والعود والصندل ونسج للطفل ثلاث فرجيات من اللؤلؤ فى كل فرجية أربعون حبة من الياقوت والبلخش والزمرد ، وعمل له ثلاثة سيوف غُلفها[وقبضاتها[٤]] مرصع بالجوهر النفيس ، وثلاثة[٥] رماح من ذهب أسنتها جوهر . وهذا الصبى الذى لقب بالملك العزيز هو والد الملك الناصر صاحب دمشق واقف الناصرتين[٥] وهو الذى أسره هلاون ملك التتار على ماسنذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر ماجرى فى اليمن

قد ذكرنا فى سنة تسع وتسعين وخمسمائة أن المالك على اليمن كان المعز إسماعيل بن سيف الإسلام طغتكين بن أيوب ثم أنه قتل وأقيم أخوه الناصر وهو صغير ،

(★) يوافق أولها ٢٣ مايو سنة ١٢١٣م .

(١) ورد هذا الخبر فى المختصر ، جـ٣ ، ص١١٥ ؛ مفرج الكروب ، جـ٣ ، ص٢١٩ .

(٢) لمعرفة المزيد من التفاصيل عن هذا الحدث . انظر ، السلوك ، جـ١ ق١ ، ص٢١١-ص٢١٢ . ط الثانية ، مفرج الكروب ، جـ٣ ، ص٢٢٠-ص٢٢١ .

(٣) «ثلاث» فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه .

(٤) «قضبانها» كذا فى الأصل وهو تحريف والمثبت كما فى مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص٢٢١ ؛ السلوك جـ١ ، ق ١ ، ص٢١٢ .

(٥) «ثلاث» فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه .

وكان القائم بتدبير دولته مملوك والده سيف الدين سنقر ، ثم مات سنقر بعد أربع سنين ، وقام بأتابكيته أمير من أمراء الدولة يقال له غازى ، ثم مات الناصر مسموماً فملك غازى البلاد ثم قتل على أيدى جماعه من العرب فتغلبت أم الناصر على زبيد ، وبقيت اليمن خاليةمن السلطان إلى أن قدم سليمان بن شاهنشاه بن تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب اليمن فى صورة فقير وملك اليمن بواسطة أم الناصر المذكورة . فلما ملك اليمن ملأها ظلما وجوراً واستمر على ذلك إلى هذه السنة فأزاله الله تعالى فى هذه السنة عن اليمن ، وقيل فى السنه الآتية . وذلك أن الملك الكامل ابن الملك العادل أرسل ابنه الملك المسعود يوسف المعروف بأتسيز[1] إلى اليمن ومعه جيش ، فاستولى الملك المسعود على اليمن فظفر بسليمان المذكور صاحب اليمن وبعث به معتقلا إلى مصر فأجرى له الملك الكامل ما يقوم به ، ولم يزل مقيما بالقاهرة إلى سنة سبع وأربعين وستمائه[2] فخرج إلى المنصورة غازيا فقتل شهيداً . وفى تاريخ بيبرس : وفى هذه السنة أعنى سنة عشر وستمائة بدأ الخلف بين الناصر أيوب بن طغتكين بن أيوب صاحب اليمن وبين أمرائه ، وكان منشأ الخلاف من فخر الدين بكتمر فإنه أفسد المماليك وانحاز إلى الجزوز محالفا وقصدهم السلطان ، فانهزموا وتفرقوا ، وتقرر خروجهم من البلاد وأن يبيعوا عقارهم ويستصحبوا موجودهم ، ففعلوا وتوجه فخر الدين بكتمر إلى الحجاز بما جمعه من المال واستلبه أهل مكة ، ثم إن أهل اليمن ملكوا عليهم قطب الدين سليمان شاه بن سعد الدين شاهنشاه بن تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب فجلس على التخت فى السادس من شهر ربيع الأول من هذه السنة ، واتفق أن أهل جبل صبر[3] خالفوا عليه وقصدوا تعز فنهد إليهم وقاتلهم وهزمهم . وفى أثناء ذلك انتهى إليه الخبر بوصول الملك مسعود بن الملك الكامل إلى[٣٤٢] مكة قاصداً اليمن فهرب منها ووصل الملك المسعود إلى مكة ودخلها فى ثالث ذى القعدة من هذه السنة وقيل من السنة الآتية ، وخطب له فى مكة ونثر الناس ألف دينار وحمل إلى أمير مكة ألف دينار وقماشا بألف دينار ، وأقام المسعود بمكة ستة أيام وخشى تفرق الأجناد إذا جاء الموسم فرحل

---

(١) تعددت طريقه كتابه اسم الملك المسعود يوسف فى المصادر ولعل من أهمها « الأقسيس ؛ أطسيس ؛ أتسز ؛ أتسيز ، انظر مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص ٢٢٧ وفيات الأعيان ، جـ ٤ ، ص ١٧٠ .

(٢) مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص ٢٢٧ ؛ وقد ذكر ابن واصل هذه الاحداث فى سنة ٦١٢هـ .

(٣) جبل صبر : جبل شامخ يطل على قلعة تعز باليمن ، وفيه عدة حصون وقرى ، معجم البلدان ، جـ٣ ، ص٣٦٦ .

عنها فى العشر الثانى من ذى القعدة ووصلته الأخبار بأن المعظم سليمان شاه بن شاهنشاه هرب من زبيد وأن المدينة نهبت بأيدى الأجناد وأن الخطبة المسعودية أقيمت بزبيد يوم الجمعة لسبع بقين من ذى الحجة من هذه السنة . وفى تاريخ بيبرس من سنة إحدى عشرة وستمائة . وقال بيبرس[١] : وفى أول يوم من المحرم من سنة اثنتى عشرة وستمائة دخل المسعود زبيد وملكها من غير قتال ، فقال فى ذلك بعض الشعراء من قصيدة :

ليهنك الفتح ياذا الفضل والمنن	بشارة الملك قد جاءت من اليمن
فالآن من لفظ مسعود ومن يَمَنٍ	فالسعد واليمُن مقرونان فى قرن

وسلمت له ثمانية[٢] حصون من تهامة وحاصر قلعة تعز ، وكان سليمان بن شاهنشاه تحصن بها ونزل العسكر إلى أن فتح له الحصن المذكور وأمسك سليمان المذكور واعتقل به .

واتفق[٣] أن فى هذه السنة أعنى سنة عشر وستمائه قدم الملك الظافر خضر[٤] بن السلطان صلاح الدين من حلب بعزم التوجه إلى الحج إلى دمشق فنزل بالقابون[٥] يوم الأحد رابع شوال ثم انتقل إلى مسجد القدم[٦] خامسه ، ووصل ابن عمه المعظم من حيث كان بنواحى حوران واجتمع به على جسر الخشب سادسه ، وعمل له دعوة بداره تاسعه ، ودعتهما جميعاً ست الشام إلى دارها ثامن عشرة ، ورحل من دمشق متوجها إلى الحج فى جمع من الحجاج تاسع عشر شوال ، وخرج معه المعظم وودعه وتوجه نحو الجابية ، واجتمع الحجاج ببصرى ، فرحل بهم الظافر منها ضحوة يوم الأربعاء الثامن والعشرين من شوال الموافق الثانى عشر آذار ، فسلكوا طريق تيما إلى مدينة النبى ﷺ فحصل على الزيارة ثم أحرم بالحج فلما وصل إلى بدر رد من الطريق .

---

(١) انظر النويرى ، نهاية الأرب ، جـ ٢٩ ، ص٦٦ .

(٢) «ثمانى» فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه .

(٣) ورد هذا الخبر فى مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص٣٦٩ ؛ البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص٧١ ؛ نهاية الأرب ، جـ٢٩ ، ص٦٣ .

(٤) الذيل على الروضتين ، ص٨٣ .

(٥) موضع بينه وبن دمشق ميل واحد فى طريق القاصد إلى العراق وسط البساتين ، انظر معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص٥ .

(٦) مسجد القدم : مسجد بدمشق ، وأصله مشهد القدم وهو من الآثار فى مدينة دمشق وغوطتها ويقال إن هناك قبر موسى بن عمران .
انظر : نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص٦٣ ، حاشية (٣) .

وقال السبط صاحب المرآة[١] : وكان حج معه يعقوب الخياط المغازى وكان مقيما بمغارة الجوع بقاسيون ، وكان صديق الظافر فلما وصل الظافر إلى بدر وجد عسكر الكامل ابن عمه العادل صاحب مصر قد سبقه خوفا منه على اليمن ، فقالوا : ترجع . فقال : قد بقى بينى وبين مكة مسافة يسيرة ، ووالله ماقصدى اليمن وإنما أريد الحج ، فقيدونى واحتاطوا بى حتى أقضى المناسك وأعود إلى الشام فلم يلتفتوا إليه ، فرجع إلى الشام وعاد يعقوب الخياط معه ولم يحج . وقال أبو شامه[٢] : وحكى لى والدى وكان ممن حج معه فى تلك السنة أنه شق على الناس ماجرى عليه وأراد كثير منهم أن يقاتلوا الذين صدوه عن المضى فى حجه فنهاهم عن ذلك واختار الرجوع على الفتنة وفعل مافعله النبى ﷺ عام الحديبية حتى صده الكفار عن البيت فقصر من شعره وذبح ماتيسر ، وكان محرماً من ذى الحليفة ولبس ثيابه وودع الناس ورجع ، وعيون الناس باكية عليه ولهم ضجيج وعويل ولحقهم عليه حزن طويل من جهة صده عن مشاعر[٣٤٣] الدين وهو أتى مثل صلاح الدين .

ذكر مقتل أيدغمش

قد ذكرنا[٣] أن الخليفة قد خلع عليه وأعطاه الكوسات وسيره إلى همذان فوصل إلى بلاد ابن ترجمَ وأقام ينتظر وصول عساكر بغداد إليه لتسير معه ما اتفق عليه الخليفة معه ، وكان الخليفة قد عزل سليمان بن تَرْجَم عن الإمارة على عشيرته من التركمان وولى أخاه الأصغر ، فأرسل سليمان إلى منكلى يعرّفه بحال أيدغمش فسير منكلى جيشاً إليه ليقتلوه فخرج على وجهه فقتل أيدغمش وحمل رأسه إلى منكلى وتفرق من معه فى البلاد ووصل الخبر بقتله إلى بغداد فعظم على الخليفة وأرسل إلى منكلى ينكر عليه مافعل ، فأجاب بجواب شديد وتمكن من البلاد وقوى أمره وكثرت عساكره . قلت : أيدغمش هذا مملوك البهلوان وكان قد غلب على همذان والجبال كما ذكرناه ، وكان قد هرب من منكلى وهو خشداشه والتجئ إلى الخليفة فى سنة ثمان وستمائة ثم رجع فى

(١) انظر المرآه ، جـ ٨ ، ص٣٦٩ ؛ البدايه والنهاية ، جـ ١٣ ، ص٧١ .
(٢) انظر : الذيل على الروضتين ، ص٨٣ .
(٣) ورد هذا الحدث فى الكامل ، جـ ١٠ ، ص٣٦٠ .

هذه السنه إلى جهة همذان فقتل واستقل منكلى بالمملكه . وفى المرآه[١] : وكان أيدغمش رجلا صالحا كثير الصدقات ديناً صائما عادلاً .

ذكر بقيه الحوادث

منها[٢] أنه وصل كتاب من بعض فقهاء الحنفية بخراسان إلى الشيخ تاج الدين الكندى يخبر فيه أن السلطان خوارزم شاه محمد بن تكش تنكر فى ثلاثة نفر ودخل بلاد التتار ليكشف أخبارهم بنفسه فأنكروهم فقبضوا عليهم فضربوا اثنين حتى ماتا ولم يقرا بما جاءا إليه واستوثقوا من الملك ، فلما كان فى بعض الليالى هرب وسلم ورجع إلى معسكره وعاد إلى مملكته .

وقال ابن كثير[٣] : وهذه الكائنة غير ما تقدم من أسره من المعركة مع ابن مسعود على ماذكرناه .

ومنها[٤] أنه ظهرت بلاطة وهم يحفرون فى خندق حلب فوجد تحتها من الذهب خمسة وسبعون رطلا ومن الفضة خمسة وعشرون بالرطل الحلبى .

ومنها أنه ورد شمس الدين بن[التبتى][٥] رسولاً من الملك العادل إلى بغداد وكان الملك العادل لما حوصر بدمشق اقترض له أموالا من التجار وضمها فرأى العادل له ذلك فأحبه وقربه ، وحسده الوزير صفى الدين بن شكر فأبعده عنه بتسفيره إلى بغداد ، وكان شمس الدين سيد الأجواد وسند الأمجاد والأولى عند ذكره طى ذكر خاتم طيّ .

ومنها[٦] أن الملك العادل أمر بإحداث تركيب سلاسل على أفواه السلك المجاورة للجامع ومدها فى أيام الجمع ليمنع الخيل من قرب أبواب الجامع وذلك لما كان ينال الناس من المشقة من زحمه الخيل التى يركبها بعض المصلين إلى الجامع فحصل

---

(١) مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص٣٧١ .

(٢) ورد هذا الخبر فى الذيل على الروضتين ، ص٨٣ ـ ٨٤ .

(٣) انظر البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص٧١ .

(٤) الذيل على الروضتين ، ص٨٤ ، البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص٧١ .

(٥) «السى» كذا فى الاصل بدون تنقيط ، والمثبت من الذيل على الروضتين ص٨٣ ، مرآه الزمان ، جـ ٨ ، ص٣٦٨ .

(٦) الذيل على الروضتين ، ص٨٢ ، البداية والنهاية ، جـ ١٠ ، ص٧٠ .

للناس بذلك رفق عظيم ، ثم ترك ذلك بعد زمان وعاد الأمر إلى ما كان إلى الآن . وعمل بعض المتفرغين فى ذلك نظما كان يغنى به فى الأسواق أوله :

إن ذا عـــــام جـــــديـد إن ذا يوم ســـعــــيـــد
والـمــــديـنـة هـاربـة قـــيــدوها[1] بالحــديد
كل جــمــعــة يســجنوها كــأنهم مــايعــرفــوها
والـنـبـى لـو أطـلـقــوهـا مـــابرح باب البـــريـد

وفيها ....[2]

وفيها حج بالناس من العراق ابن أبى فراس نيابة عن محمد بن ياقوت ومن الشام صديق بن تمرتاش ، ولقيه الغرز التركمانى على أيلة ومعه حاج الكرك [والقدس][3] .

ذكر من توفى فيها من الأعيان

التركستّانى الشيخ أبو الفضل أحمد بن مسعود بن على التركستانى شيخ الحنفية ، ومدرس[٣٤٤] مشهد أبى حنيفة رضي الله عنه ببغداد . وكان إليه المظالم ، مات فى هذه السنة ودفن بالمشهد المذكور ، وكان قد تفقه وبرع فى علم النظر وانتهت إليه الرئاسة فى مذهب أبى حنيفة رضي الله عنه ، وولاه الوزير ابن المهدى المظالم والتدريس بمشهد أبى حنيفة[4] ، وأرسله إلى الأطراف ، وكان عفيفا نزها ، وقال ابن النجار : توفى ليلة السبت السادس والعشرين من ربيع الآخر من سنة عشر وستمائه وصلى عليه من الغد بالمدرسة النظامية ودفن بمقبرة الخيزران المجاورة لمشهد أبى حنيفة رحمه الله وكان شابا .

ابن الماشطة[5] ، **الشيخ أبو محمد إسماعيل بن على بن الحسين فخر الدين الحنبلى ، ويعرف بابن الماشطة** ، ويقال له الفخر غلام بن المنى . له تعليقه فى

---

(١) «قد قيدوها» كذا فى الأصل والمثبت من الذيل على الروضتين ، ص٨٢ .

(٢) بياض فى الأصل بمقدار سطر .

(٣) «قدس» كذا فى الأصل والمثبت من الذيل على الروضتين ، ص٨٣ ؛ مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص٣٦٨ ، ص٣٦٩ ، الكامل ، جـ ١٠ ، ص٣٦٠ .

(٤) الى هنا توقف العين عن النقل من الذيل على الروضتين ، ص٨٤ ، والكامل ، جـ ١٠ ، ص٣٦١ .

(٥) انظر ترجمته فى البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص٧١ ؛ الذيل على الروضتين ، ص٨٤ .

الخلاف ، وكانت له حلقة بجامع الخليفة ، وكان يلى النظر فى قرايا الخاص للخليفة ، ثم عزله فلزم بيته فقيراً لاشئ له إلى أن مات فى هذه السنة . وكان ولده محمد مدبراً شيطاناً مريداً كثير الهجاء والسعاية بالناس إلى أولياء الأمر بالباطل ، فقطع لسانه وحبس إلى أن مات .

وفى المرأة :[١] وكان فصيحا وله عبارة جيدة وصوت رفيع ، وكانت له حلقة بجامع الخليفة ، يجتمع إليه الفقهاء ويناظرهم ، وولاه الخليفة ضياع الخاص فظلم الرعية ، وجبى الأموال من غير حلها فشكوه إلى الخليفة فسخط عليه وعزله ، فأقام فى بيته خاملاً فقيرا يعيش من صدقات الناس ، إلى أن توفى فى ربيع الأول ودفن فى داره بدرب الجب ، ثم نقل بعد مدة إلى باب حرب وبيعت الدار ، وولده محمد بن إسماعيل الملقب بالشمس قدم الشام بعد سنة عشرين وستمائة ، وتعانى الوعظ ، وكان فاسقا مجاهراً هجاءً خبيث اللسان ، وكان معه جماعة من المردان من أبناء الناس ، ويقول إنهم مماليكه ، وبدت منه بدمشق ومصر هنات قبيحة ، وكان يضرب الزغل[٢] مع هذه الهنات سامحه الله .

ظهير الدين[٣] **أبو إسحق إبراهيم بن منصور بن عسكر** ، الفقيه الشافعى الأديب ، قاضى السَّلامية ، تفقه على القاضى أبى عبد الله الحسين بن نصر بن خميس الموصلى بالموصل ، وسمع منه ، وقدم بغداد وسمع بها من جماعة ، وعاد إلى بلده الموصل ، وتولى قضاء السَّلامية ، إحدى قرى الموصل .

وكان فقيها فاضلا ، وغلب عليه النظم ، ونظمه رائق . ومنه قوله :

لاتنسبُونى ياثقاتى إلى ... غَدْرٍ فليس الغدر من شيمتى

أقسمتُ بالذاهب من عَيْشنا ... وبالمسرات التى وَلّت

أنىّ على عَهْدِكُم لم أزل[٤] ... وعقدة الميثاق ما حُلّت

---

(١) سبط ابن الجوزى ، جـ ٨ ، ص٣٦٩ ــ ص ٣٧٠ .

(٢) ضرب الزغل : هو غش الفلوس ، إما بتغيير نسب المعادن المكونة منها ، أو بإنقاص وزنها عن الحد المعروف .

(٣) انظر ترجمته فى وفيات الأعيان ، جـ ١ ، ص٣٧ ـ ٣٨ ؛ البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص٧٢ .

(٤) «أحُلْ» فى وفيات الأعيان ، جـ ١ ، ص ٣٧ .

ومن شعره أيضا :

جُودُ الكريم إذا ما كان عن عدةٍ وقـد تأخَّـر لم يَسلمْ من الكدَرِ
إن السحائب لاتُجَدى بَوارِقها نفعا إن[1] هى لم تمطر على الأثر
[وماطلُ[2]] الوعد مذمومٌ وإن سمحت يداه من بعد طول المطل بالبِدَر
يادوحة الجود لاعَتْبٌ على رجُلٍ يهُـزُّها وهو محتاجٌ إلى الثمَـر

وقال ابن خلكان : توفى يوم الخميس ثالث شهر ربيع الآخر سنة عشر وستماتة بالسَّلاَّمية ؛ وهى بفتح السين المهملة وتشديد اللام وبعد الميم ياء آخر الحروف ثم هاء ، وهى بليدة على شط الموصل من الجانب الشرقى أسفل الموصل ، بينهما مسافة يوم ، وقد خربت[٣٤٥] هى ، [وأنشئت][3] بالقرب منها بليدة أخرى سموها السَّلاَّمية أيضا .

تاج الأمناء[4] أبو الفضل أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عساكر ، من بيت الحديث والرواية ، وهو أكبر من أخوَيْه زين الأمناء ، والفخر عبد الرحمن ، سمع عميه الحافظ أبا القاسم ، والصائن ، وكان صديقا للشيخ تاج الدين الكندى . وكانت وفاته يوم الأحد ثانى رجب منها ، ودفن قبلى محراب مسجد[5] القدم .

تاج العلماء[6] النسابة الحلبى الحسنى ، اجتمع بآمد بالشيخ أبى الخطاب بن دِحية ، وكان ينسب إلى دِحية [الكلبى][7] فقال له تاج العلماء : إنَّ دحية لم يعقب ، فرماه ابن دحِية بالكذب فى مسائله الموصلية . وتوفى فى هذه السنة . وقال أبو شامة[8] : رماه ابن دحية بالكفر فى مسائله الموصلية .

---

(١) «إذا» فى وفيات الأعيان ، جـ ١ ، ص ٣٧ .
(٢) «وباطل» كذا فى الأصل ، وهو خطأ فى النسخ ، والمثبت من وفيات الأعيان ، جـ ١ ، ص٣٧ .
(٣) «وانتشت» كذا فى الأصل ، وهو تحريف . والمثبت من وفيات الأعيان ، جـ ١ ، ص٣٨ .
(٤) انظر ترجمته فى البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص٧٢ ؛ الذيل على الروضتين ، ص٨٦ .
(٥) مسجد القدم : أصله مشهد القدم ، وهو من الآثار التى فى مدينة دمشق وغوطتها . ويقال : إن هناك قبر موسى بن عمران . انظر : النجوم الزاهرة ، جـ ٦ ، ص١٢٦ ، حاشية (١) .
(٦) انظر ترجمته فى البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٧٢ ـ ٧٣ ؛ الذيل على الروضتين ، ص٨٦ .
(٧) مابين الحاصرتين إضافة لازمة للتوضيح من البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص٧٢ .
(٨) انظر : الذيل على الروضتين ، ص٨٦ .

المهذب[١] **الطبيب المشهور ، وهو على بن أحمد بن مقبل الموصلى** ، سمع الحديث ، وكان أعلم أهل زمانه بالطب ، وله فيه تصنيف حسن ، وكان كثير الصدقة حسن الأخلاق . وقال ابن كثير فى الكامل : توفى المهذب المذكور فى المحرم من سنة عشر وستمائة .

الجزولى[٢] أبو موسى عيسى بن عبد العزيز الجَزُولى اليَزْدكِتنى[٣] النحوى المغربى[٤] ، مصنف المقدمة[٥] المشهورة البديعة ، وقد شرحها هو وتلامذته من بعده ، وكلهم معترفون بتقصيرهم عن فهم مواده فى أماكن كثيرة منها . قدم مصر فأخذ عن ابن برى ، ثم عاد إلى بلاده وولى خطابة مراكش ، وتوفى فى هذه السنة ، وقيل قبلها .

وقال ابن خلكان[٦] : أبو موسى عيسى بن عبد العزيز بن يَلَلْبَخْت بن عيسى بن يُوما ريلى الجزولى اليزدكتنى ، كان إماما فى علم النحو ، كثير الاطلاع على دقائقه وغرائبه وشاذه ، وصنف فيه المقدمه التى سماها القانون ، ولقد أتى فيها بالعجائب ، وهى فى غاية الإيجاز مع الاشتمال على شئ كثير من النحو ، ولم يُسْبَق الى مثلها ، واعتنى بها جماعة من الفضلاء فشرحوها ، ومنهم من وضع لها أمثلة ، ومع هذا كله فلا تفهم حقيقتها ، فإنها كلها رموز وإشارات . ويقال : إنه كان يدرى شيئا من المنطق . وأقام بمدينة بجاية مدة ، والناس يشتغلون عليه ، وتوفى سنة عشر وستمائة بمدينة مراكش ، وقيل سنة ست أو سبع وستمائة .

ويللبخت : بفتح الياء[المثناه من تحتها][٧] واللام وسكون اللام الثانية وفتح الباء الموحدة وسكون الخاء المعجمة وبعدها تاء مثناة من فوق ، وهو اسم بربرى .

---

(١) انظر ترجمته فى الكامل ، جـ ١٠ ، ص٣٦٠ ؛ البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص٧٣ .
(٢) انظر ترجمته فى البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص٧٣ ؛ وفيات الأعيان ، جـ ٣ ، ص ٤٨٨ ـ ٤٩١ .
(٣) «البردكينى» فى البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص٧٣ .
(٤) «المصرى» فى البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص٧٣ .
(٥) هذه المقدمة سماها الجزولى «القانون» . انظر : وفيات الأعيان ، جـ ٣ ، ص ٤٨٨ .
(٦) انظر : وفيات الأعيان ، جـ ٣ ، ص ٤٨٨ ـ ٤٩١ .
(٧) «بفتح الياء آخر الحروف» كذا فى الأصل . وهو خطأ . والمثبت كما فى وفيات الأعيان ، جـ ٣ ، ص ٤٩٠ ، حيث ينقل العينى عنه .

ويوما ريلى : بضم الياء[المثناه من تحتها][١] وسكون الواو وفتح الميم وبعد الألف راء مكسورة ثم ياء [٢]ساكنة وبعدها لام ثم ياء ، وهو اسم بربرى أيضا .

والجُزُوْلى نسبة إلى جُزولة بضم الجيم والزاى وسكون الواو[وبعدها لام][٣] ويقال لها كزولة أيضا ــ بالكاف ـ وهى بطن من البربر .

واليَزْدكتنى : بفتح الياء [المثناه من تحتها][٤] وسكون الزاى وفتح الدال المهملة وسكون الكاف وفتح التاء المثناة من فوق وبعدها نون ، نسبة إلى فخذ من جزولة . وقبيلة جزولة من الرَّحالة يكونون بصحارى بلاد السوس فى المغرب الأقصى .

ابن[٥]حديدة الوزير ، واسمه سعيد بن على بن أحمد أبو المعالى ، ولقبه معز الدين ، وهو من ولد قطبة بن عامر بن حديدة الأنصارى الصحابى ـ رضى الله عنه . ولد بكرخ سامرًا سنة ست وثلاثين وخمسمائة ، ونشأ ببغداد ، وكان أحد الموسرين له مال كثير وجاه عريض ، واستوزره الإمام الناصر لدين الله فى سنة أربع وثمانين وخمسمائه ، وخلع عليه خلعة الوزارة الكاملة[٣٤٦] ، القميص الأطلس ، والفرجية المفرّج ، والعمامة القصب الكحلية بأعلام الذهب ، وقلّد سيفا محلّى ، وقُدّم له فرس من خيل الخليفة فركبه ، وخرج وأرباب الدولة يمشون بين يديه من باب حجرة الخليفة إلى دار الوزارة . ولم يزل على الوزارة حتى ولى ابن مهدى نقابة العلوييّن ، فشرع فيه ومازال بالخليفة حتى عزله واعتقله وطالبه بمال ، فالتجأ إلى التربة الأخلاطية فلم تنفعه ، وأدى المال وأقام فى بيته إلى أن ولى ابن مهدى الوزارة فَسلِّم إليه ، فاعتقله فى داره بدرب البطيخ ، وعزم على تعذيبه ، فواطأ الموكلين به وحلق رأس نفسه ولحيته ، وخرج فى زى النساء إلى مراغة[٦] ،

---

(١) «بضم الياء آخر الحروف» كذا فى الأصل . وهو خطأ . والمثبت كما فى وفيات الأعيان ، جـ ٣ ، ص ٤٩٠ ، حيث ينقل العينى عنه .

(٢) «ياء آخر الحروف» كذا فى الأصل . وهو خطأ .

(٣) «وفتح اللام» كذا فى الأصل . والمثبت من وفيات الأعيان حيث ينقل العينى عنه .

(٤) «الياء آخر الحروف» كذا فى الأصل . وهو خطأ . والمثبت كما فى وفيات الأعيان ، جـ ٣ ، ص٣٩٠ . حيث ينقل العينى عنه .

(٥) انظر ترجمته فى البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص٧١ ـ ص ٧٢ ؛ الكامل ، جـ ١٠ ، ص ٣٦١ ؛ الذيل على الروضتين ، ص٨٥ ؛ مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٢٧١ ، ص٢٧٢ .

(٦) مراغة : انظر ماسبق جـ ١ ، ص٢١٠ .

فأقام بها حتى توفى فى جمادى الأولى وحمل إلى الكوفة فدفن بمشهد أمير المؤمنين . وكان جوادًا سمحًا كثير الصدقات والمعروف متواضعا .

الموفق[١] **أحمد بن محمد بن عمر الأزجى ، ويعرف بالموفق** ، نشأ بباب الأزج ، وسمع الحديث من ابن كليب ، وابن بُوش ، وابن طبرزد وغيرهم . وكان فقيراً ، خرج إلى الشام واجتمع بالملك الظاهر صاحب حلب وقال له : قد بعث لك الخليفة معى إجازة ، وتَقَوَّل على الخليفة ، فخلع عليه وأعطاه خمسين ديناراً ، ودار على ملوك البلاد ، فحصل له منهم ثلثمائه دينار . قال السبط[٢] : واجتمعت به فى دمشق وقد رجع من زيارة القدس فقلت له : إلى أين انتهت زيارتك؟ فقال : إلى لوط . وكان مطبوعا وبلغنى حديثه فقلت له : قد فعلت مافعلت فلانقرب بغداد . فقال : أتتك بخائن رجلاه . فقلت : ما أخوفنى أن يصح المثل فيك . فكان كما قلت نزل إلى بغداد فى سفينة من الموصل وصعد بباب الأزج إلى بيت أخته وقت المغرب ، فلما كان بعد العشاء الآخرة طرق الباب طارق فقال : من هذا؟ فقال : كلّم من يطلبك . فخرج وإذا برجل فسحبه عن الباب وضربه بسكين حتى قتله ، ثم صاح على الباب اخرجى خذى أخاك وما معه ، فخرجت أخته وإذا به مقتول . فأخذت المال ودفنته فى الليل .

الأمير سنجر[٣] **بن عبد الله الناصرى الخليفتى** ، كانت له أموال كثيرة وأملاك وإقطاعات متسعة ، وكان مع ذلك بخيلاً ذليلاً ساقط النفس ، اتفق أنه خرج أمير الحاج فى سنة تسع وثمانين وخمسمائه فاعترضه بعض الأعراب فى نفر يسير ومع سنجر خمسمائه فارس فذل عن الأعراب فطلب منه كبيرهم خمسين ألف دينار فجباها سنجر من الحجيج ودفعها إليه . فلما عاد إلى بغداد أخذ منه الخليفة خمسين ألف دينار وردّها إلى أصحابها وعزله وولى طاشتكين .

---

(١) انظر ترجمته فى مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص٣٦٩ ؛ الذيل على الروضتين ، ص٨٤ .
(٢) انظر المرآة ، جـ ٨ ، ص٣٦٩ .
(٣) انظر ترجمته فى مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص٣٧٢ ؛ الذيل على الروضتين ، ص٨٥ - ٨٦ ؛ البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص٧٢ .

وفى تاريخ بيبرس : وكان سنجر هذا صهر طاشتكين ، وتوفى فى هذه السنة . وفى المرأة[١] : وتوفى فى شوال وفتح له جامع القصر وصلى عليه قاضى القضاة ابن الدامغانى ومشى أرباب الدولة فى جنازته ودفن بالشونيزية . وكان كبير الأعراب الذى طلب المال من سنجر من غُزيّة[٢] اسمه دهمش .

فارس[٣] الدين ميمون القَصْرى ، آخر من بقى من كبراء الأمراء الصلاحية مات بحلب فى رمضان من هذه السنة ، وهو منسوب إلى قصر الخلفاء الفاطميين بمصر ، وكان السلطان صلاح الدين رحمه الله أخذه من هناك .

أيدغمش[٤] مملوك البهلوان ، قتله خشداشه منكلى وقد ذكرناه عن قريب مفصلا .

سلطان المغرب محمد[٥] بن السلطان يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن على القيسى الكومى الملقب بالناصر ، صاحب بلاد الغرب توفى لعشر خلون من شعبان من سنة عشر وستمائة وكانت مدة مملكته نحو ست عشرة[٦] سنة ، وكان أشقر دائم الإطراق كثير الصمت ، وكان فى لسانه لثغة ، وكانت ولايته فى سنة خمس وتسعين وخمسمائه ، وقد ذكرنا ترجمة أبيه وجده وأب جده .

وقال ابن خلكان[٧] وكان مولد السلطان محمد المذكور فى سنة ست وسبعين وخمسمائه . قال والمغاربة يقولون : إن محمد بن يعقوب المذكور أوصى عبيده المشتغلين بحراسة بستانه بمراكش أن كل من ظهر لهم بالليل فهو مباح الدم ، ثم أراد أن يختبر قدر أمره لهم فتنكر وجعل يمشى فى البستان ليلاً فعندما رأوه جعلوه غرضاً لرماحهم ، فجعل يقول : أنا الخليفة . فما تحققوا حتى هلك والله أعلم بصحة ذلك . ثم ولى بعده ولده [أبويعقوب يوسف][٨] بن محمد وتلقب بالمستنصر بالله ، ومولده أول شعبان سنة أربع وتسعين وخمسمائه ولم يكن من بنى عبد المؤمن أحسن وجها منه .

---

(١) سبط ابن الجوزى ، جـ ٨ ، ص٣٧٢ .
(٢) غُزَيّة ، موضع قرب فَيْد بطريق مكة ، وفيد فى منتصف طريق الحاج من الكوفة إلى مكة ، انظر ، معجم البلدان ، جـ٣ ، ص ٨٠٠ - ص ٨٠١ ، ص٩٢٧ .
(٣) انظر ترجمته فى مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص ٢٢٠ ؛ نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص ٦٤ .
(٤) مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٧١ ؛ الكامل ، ج١٠ ، ص٣٦٠ .
(٥) انظر ترجمته فى المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٣ ، ص ١١٥ .
(٦) «ستة عشر» فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه .
(٧) انظر وفيات الأعيان ، جـ ٧ ، ص١٥ .
(٨) « أبو يوسف يعقوب بن محمد» كذا فى الأصل وهو خطأ والصحيح ما أثبتناه من ، وفيات الأعيان ، جـ ٧ ، ص١٥ ؛ زامباور : معجم الأسرات ، جـ ١ ، ص١١٣ .

فصل فيما وقع من الحوادث فى السنة الحادية عشرة بعد الستمائة(*)

استهلت هذه السنة والخليفة هو الناصر لدين الله ، وسلطان مصر والشام الملك العادل أبو بكر بن أيوب ، وكان فى دمشق وسار إلى الديار المصرية فى هذه السنة ، وولده الملك الكامل محمد بن العادل نائبه فى مصر ، وأرسل الكامل ولده الملك المسعود صلاح الدين يوسف بن الكامل إلى الحجاز متوجها إلى اليمن وجهز صحبته ألف فارس من الجند والجاندارية[1] والرماة خمسمائة .

وقال بيبرس : وكان الملك العادل قد رتب أولاده فى كل إقليم ملكه ، وقصد أن يُسَيِّر ولده الفائز إلى اليمن ليملكه فاتفق أن الصاحب صفى الدين بن شكر قال للكامل : مصر لك وينبغى أن يكون اليمن لك ظهراً ، والفائز أخوك كريم فاركب إليه واسأله أن يكون ولدك المسعود نائبا عنه . ففعل الكامل ذلك ، فأجابه إليه الفائز ، فجهز المسعود وأرسله فدخل مكة ثالث ذى القعدة من هذه السنة ، وحج وخطب له وأقام بمكة ستة أيام ثم رحل عنها فى العشر الثانى من ذى القعدة . وفى أول يوم من المحرم من سنة اثنتى عشرة وستمائة دخل زبيد وملكها من غير قتال . وقد ذكرناه مفصلا فى السنة الماضية .

وقال أبو شامة[2] : وفى سنة إحدى عشرة وستمائة تملك أتسيز بن الكامل بن العادل اليمن وتلقب بالمسعود وكان جباراً فاتكًا ، قيل : إنه قتل باليمن ثمانى مائة شريف وخلقا من الأكابر والعظماء . وقال بيبرس[3] : كان والد الملك المسعود هذا يسميه أتسيز ولكن اسمه يوسف كما ذكرنا ، ولكنه اشتهر باسم أتسز ، ومنهم من يقول : أطسز بالطاء المهملة موضع الياء المثناة من فوق ، وأتسس بسينين مهملتين يجعل موضع الزاى المعجمة فى آخره سيناً ، والكل يعنى واحد فافهم .

وفيها[4] أخذ الملك المعظم قلعة صرخد من ابن قراجا وعوضه عنها مالاً وإقطاعاً .

(*) يوافق أولها ١٣ مايو سنة ١٢١٤م .

(١) الجاندارية : فئة من المماليك السلطانية كانوا من خواص السلطان الملازمين له من حرسه أو حاشية قصره ، وواحدهم جاندار ـ انظر صبح الأعشى ، جـ ٤ ، ص ٢٠ .

(٢) الذيل على الروضتين ، ص٨٦ ؛ وقد ذكرها ابن واصل فى حوادث سنة ٦١٢هـ . انظر مفرج الكروب ، جـ٣ ، ص٢٢٧ ؛ مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٧٢ ؛ نهاية الأرب ، جـ٢٩ ، ص٦٥-ص٦٦ .

(٣) نهاية الأرب ، جـ٢٩ ، ص٦٥-ص٦٦ .

(٤) ورد هذا الخبر فى الذيل على الروضتين ، ص٨٦ ؛ مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٧٢ ؛ نهاية الأرب ، جـ٢٩ ، ص٦٦ .

ذكر تملك خوارزم شاه كرمان وغيرها

وفى هذه السنة أرسل السلطان[٣٤٨] علاء الدين خوارزم شاه محمد بن تكش أميراً من أخصاء أمرائه عنده، وكان قبل ذلك سيرواناً فصار أميراً خاصاً فى جيش، ففتح له كرمان ومكران والسند وخطب لخوارزم شاه بتلك النواحى. وكان خوارزم شاه لايصيف إلا بنواحى سمرقند خوفاً من التتار أصحاب كشلى خان أن يثوروا على أطراف بلاده التى تتاخم بلادهم. وقال بيبرس[١]: كان فى جملة أمراء والد خوارزم شاه أمير يسمى أبوبكر[٢] وتلقب تاج الدين، وكان ذا عقل وحزم ورأى وشجاعة، وكان قد ولاه مدينة زوزن[٣] ووثق به أكثر من جميع أمرائه فقال له: إن بلاد كرمان مجاورة لبلادى فلو أرسلت معى عسكراً لملكتها فسير معه عسكراً كثيراً، وكان صاحب كرمان اسمه حرب بن محمد بن أبى الفضل فقاتله فضعف عنه فملك بلاده، وسار منها إلى نواحى مكران فملكها كلها إلى السند من حدود كابل، وسار إلى هرمز مدينة على ساحل بحر مكران فأطاعه صاحبها وخطب بها لخوارزم شاه، وحمل له عنها مالاً وخطب له بقلهات[٤] وبعض عُمان، لأن أصحابها كانوا يطيعون صاحب هرمز.

ذكر حج الملك المعظم

وفى هذه السنة[٥] حج الملك المعظم ابن الملك العادل فى ركب من الكرك على الهجن فى حادى عشر ذى القعدة ومعه ابن مُوسَك ومملوكه أيبك عز الدين أستاذ داره وخلق، فساروا على طريق تبوك والعلى، وبنى المعظم البركة المنسوبة إليه ومصانع أخرى، وأثر فى هذه السنة بطريق الحجاز آثاراً حسنة، وفرق صدقات كثيرة على المجاورين بالحرمين الشريفين.

---

(١) أورد هذا الخبر فى الكامل، جـ ١٠، ص٣٦٢ – ص٣٦٣؛ البداية والنهاية، جـ ١٣، ص٧٣- ص ٧٤.

(٢)«أبا» كذا فى الأصل والصحيح ما أثبتناه.

(٣) زُوزَن: كورة واسعة بين نيسابور وهراة ويحسبونها من أعمال نيسابور، كانت تعرف بالبصرة الصغرى، انظر: معجم البلدان، جـ ٢، ص ٩٥٨.

(٤) قلهات: مدينة بعُمان على ساحل البحر، انظر: معجم البلدان، جـ ٤، ص ١٦٨.

(٥) ورد هذا الخبر فى، البداية والنهاية، جـ ١٣، ص٧٣؛ الذيل على الروضتين، ص٨٧؛ مرآة الزمان، جـ ٨، ص٣٧٢، ص٣٧٣.

وقال أبو شامة[١] : حج المعظم فى هذه السنة ومعه عز الدين أيبك وعماد الدين ابن موسك والظهير بن سنقر الحلبى وغيرهم ، وتلقاه سالم أمير المدينة وَخَدَمَهُ وقَدَّم له الخيل والهدايا ، وسلم إليه مفاتيح المدينة ، وفتح الأهراء وأنزله فى داره وخَدَمَهُ خِدْمةً عظيمة ، ثم سار إلى مكة فوصلها يوم الثلاثاء سادس ذى الحجه فكانت وقفة تلك السنة يوم الجمعة ، وانفصل عن مكة بعد أداء الفرض يوم الثلاثاء ثالث عشر الشهر وقدم المدنية فأقام بها ثم انفصل عنها عائدا إلى الشام وصحبته الأمير سالم[٢] فى الخامس والعشرين منه . وقال السبط فى[٣] المرآة : والتقاه قتادة [٤] أبو عزيز أمير مكة وحضر فى خدمته ، وحكى لى المعظم قال : قلت : أين تنزل؟ فأشار إلى الأبطح مبسوطة ، وقال : هناك منزلنا بالأبطح ، وبعث لنا هدايا يسيرة .

وحج السلطان على مذهب أبى حنيفة ﷺ وأتى بجميع المناسك وأحيى السُنة ، أحرم قارنًا ، وبات بمنى ليلة عرفة ، وصلى بها الصلوات الخمس ، وسار إلى عرفة وقضى نُسكه كما أمر الله تعالى . قال ولقد رأيت كتفه بعد ما عاد وقد أكلته الشمس وانكشط وقيح . فقلت : ماهذا؟ قال : ما غطيت رأسى ولاكتفى مذ ثلاثة عشر يوما ، قلت : لم يكن له حاجة إلى كشف كتفه فإنه لايستحب إلا حالة الاضطباع فى طواف القدوم . قال السبط[٥] : ولما رجع كنت مقيما بالكرك فخرجت للقائه مع جماعة من الأعيان والأمراء والفقراء والفقهاء ، فما التفت إلى أحد منهم ، ولما رآنى ترجل عن ناقته وعانقنى وسقنا إلى زيزا [٦] . وكان لقاؤنا له على غدير الظرفاء فى البرية ، وشرع يحكى له صفة حجه ومافعل . وكان والده[٣٤٩] الملك نازلاً على خربة[٧] اللصوص ، فقال : أريد أن أنعته

(١) الذيل على الروضتين ، ص٨٧ ؛ مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٧٣ .

(٢) هو سالم بن قاسم بن مهند من الأشراف ، من بنى الحسن الذين كانوا أمراء المدينة ، وكان الشريف سالم مع السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فى فتوحاته : انظر صبح الأعشى جـ ٤ ، ص٣٠٠ ؛ البداية والنهاية ، ح١٣ ، ص٧٣ ؛ مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٧٣ ؛ الذيل على الروضتين ، ص٨٧ .

(٣) انظر مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٧٣ .

(٤) هو قتادة بنى إدريس من الأشراف من ذرية الحسن بن على . وهو أول أمراء مكة من فرعه ، أخذها من الهواشم وهو فرع آخر من بنى الحسن سنة ٥٩٩هـ وتوفى سنة ٦١٧هـ ، وقد بقيت مكة فى أيدى أسرته حتى عهد الوهابيين ، صبح الأعشى ، جـ ٤ ، ص٢٧٢ ؛ نهاية الأرب ، جـ ٢٩ ، ص ٦٨ ، حاشية (٢) .

(٥) مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص٣٧٣ .

(٦) زيزا وهى زَيْزاء وهى من قرى البلقاء ، يطأها الحاج . انظر : معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٩٦٦ .

(٧) خربة اللصوص : واقعة على الطريق بين بيسان ودمشق . انظر : نهاية الأرب ، جـ ٢٩ ، ص٦٨ حاشية ١ .

حتى لايلتقينى أحد ، وسار إليه واجتمع به وحكى له خدمة سالم ، وتقصير قتادة ، فجهز جيشا مع الناهض بن الجرحى إلى المدينة والتقاهم سالم فأكرمهم ، وقصدوا مكة فانهزم قتادة منهم إلى البرية ، ولم يقف بين أيديهم .

ذكر بقية الحوادث

منها[١] أنه شرع فى تبليط داخل الجامع بدمشق وبدأوا بناحية السبع الكبير ، وكان أرض الجامع قبل ذلك حُفراً وجوراً فاستراح الناس بتبليطه .

ومنها[٢] أنه هدمت الدور والحوانيت المجاورة للقلعة ليوسع الخندق ، ومن جملة ماهدم حمام قايماز النجمى ، ووقف دار الحديث النورية ، وكان فرناً وحوانيت مقابل المار من جهة دار الحديث إلى القلعة .

ومنها[٣] أن المعظم بنى الفندق المنسوب إليه بناحية قبرعاتكة ظاهر باب الجابية بدمشق .

ومنها [٤] أنه تعامل أهل دمشق بالقراطيس[٥] السود العادلية ثم بعد ذلك بطلت وفنيت .

ومنها[٦] أن التركمان أسروا الملك الأشكرى[٧] وهو قاتل غياث الدين كيخسرو وحملوه إلى ابنه كيكاوس بن كيخسرو ، فأراد قتله فبذل له فى نفسه أموالاً عظيمة وسلم إلى كيكاوس قلاعاً وبلاداً لم يملكها المسلمون قط فأطلقه وخلى سبيله .

---

(١) ورد هذا الخبر فى الذيل على الروضتين ، ص٨٦ ؛ البداية والنهاية جـ ١٣ ، ص٧٣ ، السلوك ، جـ ١ ، ق١ ، ص٢١٤ .

(٢) ورد هذا الخبر فى الذيل على الروضتين ، ص٨٧ ؛ البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص٧٣ .

(٣) ورد هذا الخبر فى الذيل على الروضتين ، ص٨٧ ، البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص٧٣ .

(٤) ورد هذا الخبر فى الذيل على الروضتين ، ص٨٦ ، البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٧٤ ، نهاية الأرب ، جـ٢٩ ، ص٦٧ ؛ السلوك ، جـ ١ ، ق١ ، ص٢١٤ .

(٥) القراطيس السود : هى الفضة النقرة وهى عبارة عن سبيكة من الفضة والنحاس الأحمر بنسبه ثلثين من الفضة وثلث من النحاس الأحمر ومنها كانت الدراهم النقرة ، غير أن وصف القراطيس بالسود يدل على أنها من النحاس . صبح الاعشى ، جـ ٣ ، ص٤٤٣ ، ص٤٦٦ ـ ص ٤٦٧ ، Dozy,suppDict.Ar.

(٦) ورد هذا الخبر فى المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٣ ، ص١١٦ ، مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص٣٢٥ .

(٧) يطلق المتأخرون من مؤرخى المسلمين هذا الاسم على أباطرة الدولة البيزنطية منذ أوائل القرن السابع الهجرى . السلوك ، جـ ١ ، ق١ ، ص٢١٣ ـ ص ٢١٤ حاشية ٦ .

ومنها [١] أن الخليفة عزل قاضى القضاة عماد الدين بن الدامغانى وولى الزنجارى القضاء .

ومنها[٢] أنه قدم من حران إلى حلب الملك المنصور ناصر الدين محمد بن العزيز ابن صلاح الدين وإخوته وكان معتقلا بحران ، ثم رسّم عليه فهرب من الترسيم وأعطاه الظاهر إقطاعاً بحلب .

ومنها أن[٣] فى الثامن والعشرين من ذى القعدة الموافق لآخر آذار على إحدى عشرة ساعة منه أظلم الجو ووقع شعثة بالرمل إلى بعد المغرب ، ثم ارتفع ذلك من لطف الله عز وجل .

وفيها ....[٤]

وفيها[٥] حج بالناس من العراق أبو فراس نائباً عن محمد بن ياقوت ، ومن الشام علم الدين الفقية نصر الله الجعبرى أمام الملك المعظم عيسى بن الملك العادل .

ذكر من توفى فيها من الأعيان

إبراهيم[٦] **بن على بن محمد بن على بن محمد بن بكروس** ، الفقيه الحنبلى ، أفتى وناظر وعدّل عند الحكام ، ثم انسلخ من هذا كله وصار شرطياً بباب [٧] النوبى ، فيضرب الناس ويؤذيهم غاية الأذى ثم بعد ذلك كله ضرب إلى أن مات فى هذه السنة ، وألقى فى دجلة وفرح الناس بموته ، وقد كان أبوه رجلا صالحا .

الركن[٨] **عبد السلام بن عبد الوهاب ابن الشيخ عبد القادر** ، الذى أحرقت كتبه بالرحبة ، وحكم القاضى بتفسيقه ، وكان متهما بالفلسفة ومخاطبة النجوم ، وولى عدة

---

(١) انظر مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص٣٧٢ .

(٢) انظر مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص٢٢٣ .

(٣) الذيل على الروضتين ، ص٨٧ .

(٤) بياض بمقدار سطر .

(٥) الذيل على الروضتين ، ص٨٦ .

(٦) انظر الذيل على الروضتين ، ص٨٧ ؛ البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص٧٤ .

(٧) انظر عقد الجمان ، جـ ١ ، ص١٨٠ ، حاشية ٣ .

(٨) الذيل على الروضتين ، ص٨٨ ؛ مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٧٤ ؛ البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص٧٤ ، شذرات الذهب ، جـ ٥ ، ص٤٥ .

ولايات ، وكان مصاحبا لأبى القاسم بن الشيخ أبى الفرج بن الجوزى ، وكان الآخر مدبرا يجتمعان على الشراب والمردان ، ومرض عبد السلام بعلة البطن فرمى كبده قطعاً ومات فى هذه السنة سامحه الله .

أبو محمد عبد العزيز[١] **بن محمود بن المبارك البزار المعروف بابن الأخضر** ، ولد سنة ست وعشرين وخمسمائة ، وقيل : فى سنة أربع وعشرين . وقيل : هو جنابذى الأصل بغدادى الدار والمولد ، سمع الحديث الكثير وصنف الكتب الحسان من الأبواب والشيوخ والفضائل ، وأول سماعه سنة ثلاثين وخمسمائة ، وكانت له حلقة بجامع القصر يقرأ فيها الحديث[٣٥٠] ويقرأ عليه ، وتصانيفه تدل على فهمه وضبطه وحسن معرفته ، وكانت له دكان بَزّفى الريحانيين ، وتوفى فى شوال وصلى عليه بجامع القصر وحضر جنازته العلماء والأعيان ، ودفن بباب حرب ، وكان فاضلا صالحا دينا عفيفا لطيفا .

محمد بن[٢] **على بن نصر الحنبلى** ، الواعظ الدورى أصله من الدورقريه بدجيل ، سمع ابن ناصر وأبا الوقت وغيرهما وتعانى[٣] الوعظ ولم يكن من صنعته ، وكان يضاهى ابن الجوزى حتى قيل له : أيما أعلم أنت أم أبو الفرج؟ فقال : ما أرضاه يقرأ على الفاتحه ، وبلغ ذلك أبا الفرج فقال : ما أقرأ عليه الفاتحة بل أقرأ عليه قل هو الله أحد ، وكان يتعصب له حاكة قطفتا[٤] ، مات فى شعبان ، ودفن فى رباطه بقطفتا ، وكان ينتحل أشعار الناس ، ادعى يوما بيتين وأنشدهما على المنبر مشيرا إلى الخليفة وهما لأبى الفتح البُسْتى وهما :

علم فى دجى الدجى وشهاب كلنا فى ضيائه واقتباسه
متلف الأموال فى وقت بؤس وجواد بالعفو فى وقت باسه

---

(١) الذيل على الروضتين ، ص٨٨ ؛ البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص٧٤ ، الكامل ، جـ ١٠ ، ص٣٦٣ .
(٢) الذيل على الروضتين ، ص٨٨ .
(٣) «تعاطى» فى الذيل على الروضتين ، ص٨٨ .
(٤) قطفتا : محلة كبيرة ذات أسواق بالجانب الغربى من بغداد مجاورة لمقبرة الدير التى فيها قبر الشيخ معروف الكرخى انظر ، معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص١٣٧ .

الشيخ[١] **على بن أبى بكر الهروى** ، مات فى هذه السنة وله التربة المعروفة قبلى حلب ، وكان عارفاً بأنواع الحيل والشعبذة والسيماوية وتقدم عند الملك الظاهر غازى صاحب حلب وتغرب فى البلاد ، ودار غالب المعمورة .

الأمير دلدروم[٢] **بن ياروق** ، صاحب تل باشر ، توفى فى هذه السنة وولى تل باشر بعده ابنه فتح الدين .

---

(١) انظر مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص ٢٢٤ .
(٢) انظر مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص٢٢٤ ؛ المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٣ ، ص ١١٥ - ١١٦ .

فصل فيما وقع من الحوادث فى السنة الثانية عشرة بعد الستمائة(★)

استهلت هذه السنة والخليفة هو الناصر لدين الله ، والملك العادل توجه إلى الإسكندرية لأنه كان قد اجتمع بالإسكندرية من تجار الفرنج نحو ثلاثة آلاف رجل ووصلت بُطسة إلى المينا فيها ملكان من ملوك الفرنج ، فبلغه أن الفرنج صمموا على أن يثوروا بأهل الإسكندرية فيقتلونهم ويأخذون البلد ، فأمسك التجار الذين بالثغر والواصلين فى البطسة واستصفى أموالهم واعتقلهم ، واعتقل الملكين وجرت خطوب مع العادل من الفرنج حتى أطلق النسوة التى لهم وعاد إلى القاهرة . وفى تاريخ ابن العميد : وفى هذه السنة كشف السلطان الملك العادل عن الأموال التى أنفقت فى تجهيز الملك المسعود إلى اليمن فكانت جملة عظيمة ، فأنكر على القاضى الأعز فخر الدين بن شكر وضربه وقيده وحمله إلى قلعة بصرى واعتقله بها .

ذكر حصر قتادة أمير مكة المدينة النبوية

وفى هذه السنة حاصر[1] الأمير قتادة الحسنى المدينة النبوية وقطع فيها نخلا كثيراً فقاتله أهلها فَكَرَّ خائبا خاسرا ، وكان سالم صاحب المدينة بالشام فى خدمة العادل يطلب منه النجدة على قتادة ، فأرسل معه جيشا فأسرع الأوبة فمات فى أثناء الطريق ، فاجتمع شمل الجيش على ابن أخيه جماز فقصد مكة فالتقاه أميرها بالصفراء[2] فاقتتلوا قتالا كثيرا ، فهزم المكيون وغنم منهم الأمير جاز شيئا كثيراً ، وهرب قتادة إلى الينبع فساروا إليه فحاصروه بها وضيقوا عليه بها . وقال أبو شامة[3] : وفى ثالث شعبان سار الأمير سالم صاحب المدينة بمن استخدمه من التركمان وغيرهم من المخيم السلطانى بالكسوة ثم توفى بالطريق قبل[٣٥١] وصوله إلى المدينة ، وقام ولد أخيه جماز بالأمر بعده ، واجتمع أهله على طاعته ، فمضى بمن كان طلع مع عمه لقصد قتادة صاحب

(★) يوافق أولها ٢ مايو سنة ١٢١٥م .

(١) ورد هذا الخبر فى البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٧٥ ؛ نهاية الأرب ، جـ ٢٩ ، ص٦٧ ـ ٦٨ ؛ الذيل على الروضتين ، ص٨٩ .

(٢) الصفراء : وادى بناحية المدينة كثير النخل والزرع فى طريق الحاج بينه وبين بدر مرحلة انظر ، معجم البلدان ، جـ٣ ، ص ٣٩٩ .

(٣) الذيل على الروضتين ، ص٨٩ –ص٩٠ .

مكة ، فجمع قتادة عسكره وأصحابه والتقوا بوادى الصفراء ، فكانت الغلبة لعسكر المدينة فاستولوا على عسكر قتادة قتلا ونهباً ، ومضى قتادة منهزماً إلى الينبع فتبعوه وحصروه بقلعته وحصل لحميد بن راجب من الغنيمة مايزيد على مائة فرس ، وهو واحد من جماعة كثيرة من العرب الطائيين ، وعاد الأجناد الذين كانوا مضوا مع الأمير سالم من الشام من التركمان وغيرهم صحبة الناهض بن الجرخى[خادم][1] المعتمد ، وفى صحبتهم كثير مما غنموه من أعمال قتادة ومن وقعة وادى الصفراء من نساء وصبيان ، فظهر فيهم أشراف حَسنيون وحُسينيون فاستعيدوا منهم وسلموا إلى المعروفين من أشراف دمشق ليكفلوهم ويشاركوهم فى قسمهم من وقفهم .

ذكر تملك خوارزم شاه غزنة

وفى هذه السنة ملك السلطان خوارزم شاه محمد بن تكش غزنه بغير قتال . وفى تاريخ النويرى [2] : ملك غزنة وأعمالها وأخذها من يلدز مملوك شهاب الدين أحمد الغورى فهرب يلدز إلى لهاور[3] من الهند ، واستولى عليها ، ثم سار يلدز عن لهاور ليستولى على بعض بلاد الهند الداخله تحت يد قطب الدين أيبك خشداش يلدز المذكور فجرى بينه وبين مملوك قطب الدين أيبك مصاف قتل فيه يلدز ، وكان يلدز حسن السيرة محسنا إلى الرعية كثير المعروف . وقال بيبرس فى تاريخه : وكان بغزنة نائب عن يلدز يسمى قتلغ تكين مملوك شهاب الدين الغورى فسير إليه خوارزم شاه فطلب منه أن يخطب له فيها فترجح عنده الخطبة له فيها والراحة من القتال . واستشار أهل البلد فأشاروا عليه بذلك فسير إلى خوارزم شاه أن أحضر لأخذ البلد فحضر وسلم إليه البلد ، فبلغ ذلك يلدز فعز عليه وقال : كيف تسلمها خوارزم شاه وقتلغ تكين فيها؟ فقيل له : إنه الذى سلمها . ثم إن خوارزم شاه استدعى قتلغ تكين وقال له : كيف كنت مع يلدز؟ قال : كنت الحاكم فى غزنة ، فقال : إذا كنت الحاكم فيها وهو خشداشك[4] وهذه

---

(١)« صارم» كذا فى الأصل والمثبت بين الحاصرتين من الذيل على الروضتين ، ص٩٠ .

(٢) المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٣ ، ص١١٦ ، ولمعرفة المزيد من التفاصيل انظر الكامل ، جـ ١٠ ، ص٣٦٧ ؛ الذيل على الروضتين ، ص٩٠ .

(٣) انظر ما سبق ، جـ ٢ ، ص٨٦ ، حاشية ٨ .

(٤) »ضشداش ، انظر ما سبق ، جـ ٢ ، ص ٢٩٠ ، حاشية ٢ .

معاملتك معه فكيف يكون حالك مع ولدى ، ثم أنه قبض عليه وأخذ منه أربع مائة مملوك وأموالاً جمة وذخائر عظيمة وأمتعة جليلة وقتله وسلم البلد إلى ولده جلال الدين .

وفيها[١] هرب يلدز إلى لهاور فلقيه صاحبها جلال الدين قباجة وهو من مماليك شهاب الدين الغورى ومعه خمسة عشر ألف فارس ومع يلدز ألف وخمسمائة فارس ، فالتقيا فانهزم أكثر عسكر يلدز وأخذت الفيلة التى معه ولم يبق معه غير فيلين ، فقال للفيال : أحمل واقصد العَلَمَ الذى على رأس الملك ، وقال بالعجمية : إما أن أملك أو أموت وحمل فانهزم قباجة وملك يلدز لهاور ، وملك دهلة[٢] وكان صاحبها الترمش من مماليك شهاب الدين الغورى ، وقد ملكها بعد سيده فلما سمع بيلدز سار إليه فى عساكره فالتقوا فانهزم يلدز وأخذ فقتل ، وكان عادلاً محسنا إلى الغرباء والتجار .

ذكر قتل منكلى

سبب [٣]ذلك[٣٥٢] أنه قتل أيدغمش كما ذكرنا فأرسل الخليفة ينكر عليه ذلك ، وأرسل الخليفة إلى الأمير أزبك بن البهلوان صاحب أذربيجان يحرضه على منكلى ويعده النصرة ، وأرسل إلى جلال الدين الإسماعيلى صاحب قلاع الإسماعيلية ببلاد العجم بأمره بمساعدة أزبك على قتال منكلى ، واستقرت القواعد بينهم على أن يكون للخليفة بعض البلاد ولأزبك بعضها ويعطى بعضها لجلال الدين ، فلما استقرت القواعد على ذلك جهز الخليفة عسكراً كثيرا وجعل مقدمهم مظفر الدين سنقر الملقب بوجه السبع صاحب إربل وشهرزور وأعمالها يأمره أن يحضر بعساكره ويكون مقدم العساكر جميعها وإليه المرجع فى الحرب ، فحضر وحضر معه عسكر الموصل وبلاد الجزيرة وساروا إلى همذان ، فاجتمعت العساكر فانزاح منكلى من بين أيديهم وتعلق بالجبال وتبعوه إلى أن نزلوا بسفح جبل هو فى أعلاه بالقرب من مدينة كرج[٤] وضاقت الميرة والأقوات على العسكر الخليفى فالتقوا هم ومنكلى فى يومهم ذلك وثانيه فهرب ليلا فى نفر يسير من

(١) انظر الكامل ، جـ ١٠ ، ص ٣٦٧ .
(٢) دهلة ، هى دلهى الحالية فى الهند .
(٣) لمعرفة المزيد من التفاصيل عن هذه الحادثة انظر الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٦٤ - ص٣٦٥ .
(٤) كرج : مدينة من همذان ، وأصبهان فى نصف الطريق وإلى همذان أقرب ، انظر : معجم البلدان جـ ٤ ، ص٢٥٠- ص ٢٥١ .

عسكره وفارقه الباقون ، فأعطى جلال الدين ملك الإسماعيلية من البلاد ما كان استقر له ، وأخذ الباقى أزبك فسلمه إلى أغلمش مملوك أخيه وعادت كل طائفة من العسكر إلى بلادهم ومضى منكلى منهزماً إلى مدينة ساوة[١] وبها شحنة هو صديق له ، فأرسل إليه يستأذنه فى الدخول إلى البلد ، فأذن له وخرج إليه وتلقاه وقبل الأرض بين يديه ، وأدخله البلد ، ثم أخذ سلاحه وأراد أن يقيده ويسُيره إلى أغلمش ، فسأله أن يقتله ولا يرسله إليه ، فقتله ، وأرسل رأسه إلى أزبك وأرسله أزبك إلى بغداد ، وكان يوم دخوله بغداد يوما مشهوداً .

واتفق[٢] موت ولد الخليفة فى ذلك اليوم وهو أبو الحسن على ابن الخليفة الناصر وكان يلقب بالملك المعظم ، وكان جواداً سمحا وافر المعروف حسن العشرة ، وأمر الخليفة بالنياحة عليه فى أقطار بغداد وكان الخليفة قد جعله ولى عهده من بعده ، وعزل عن ذلك أخاه الأكبر ، وكانت وفاته يوم الجمعة العشرين من ذى القعدة منها ، ودفن عند جدته بالقرب من قبر معروف الكرخى رحمه الله ، فحزن عليه الخليفة حزنا شديدا وكذلك الخاصة والعامة لكثرة صدقاته وإحسانه إليهم ورثاه شرف الدين بن الحلى من قصيدة .

أكذا يَهُدُّ الدهر أطواد الهدى ... ويرد بالنكبات شاردة الردى

أكذا تغيب [النيرات][٣] وينطفى ... ماكان من أنوارها متوقدا

ياللرجال لنكبة نبوية ... طوت العلا[٤] قلبا عليها مُكمدًا

وهذه قصيدة طويلة ورثاه القاضى بهاء الدين بن النبيه المصرى من قصيدة :

الناس للموت كَخَيْلِ الطِرَاد ... [فالسابقُ][٥] السابقُ منها الجواد

والله لايدعو إلى داره ... إلا من اسَتصْلَحَ من ذا العباد

---

(١) ساوة : مدينة بين الرى وهمذان فى وسط بينهما . انظر معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص٢٤ .

(٢) لمعرفة المزيد من التفاصيل انظر الكامل ، جـ ١٠ ، ص٣٦٥ - ص ٣٦٦ ؛ البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص٧٥ ؛ مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص٣٧٥ ؛ الذيل على الروضين ، ص٩١ - ص ٩٢ ؛ مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص٢٢٩ - ص٢٣٢ .

(٣) «النيران» كذا فى الأصل والمثبت من مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص٢٣٠ .

(٤) «العلى» فى مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص٢٣٠ .

(٥) مابين الحاصرتين ساقط من الأصل . والمثبت من مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص ٢٣١ .

وفى[١] المرآة : ومن العجائب أنه دخل يوم الجمعة رأس منكلى على خشبة وقد زينت بغداد وأظهر السرور والفرح فلما وصل الرأس إلى درب حبيب وافق فى تلك الساعة[٣٥٣] وفاة ابن الخليفة فرد الرأس ورمى فى بيت فى خان . وكوسات منكلى مستققة وأعلامه منكسة ، وانقلب ذلك السرور حزنا وأمر الخليفة بالنياحة عليه فى أقطار بغداد ، ففرشوا البوارى والرماد وخرجت العواتق من خدورهن ونشرن شعورهن ولطمن ، وقام النوايح فى كل ناحية وعظم حزن الخليفة بحيث أنه امتنع من الطعام والشراب وغلقت الأسواق ، وعطلت الحمامات ، وبطل البيع والشرى ، وجرى فى بغداد مالم يجر فى بلد آخر ، وخلف الميت ولدين أبا عبدالله الحسين ولقبه المؤيد ، ويحيى ولقبه الموفق .

ذكر بقية الحوادث

منها أنه شرع فى هذه السنة بناء المدرسة العادلية الكبيرة بدمشق المقابلة لدار العقيقى من الغرب . وحضر السلطان لترتيب وضعها بين الصلاتين يوم السبت الرابع عشر من جمادى الآخرة ، ثم احترقت فى شهر رمضان سنة أربع عشرة وستمائة .

ومنها[٢] أنه عزل القاضى الزكى بن محيى الدين بن الزكى وفوض الحكم إلى القاضى كمال الدين بن الجرستانى وهو ابن ثنتين وتسعين سنة ، فحكم بالعدل وقضى بالحق ويقال : إنه كان يحكم بالمدرسة المجاهدة التى عند القواسين بدمشق .

ومنها[٣] أن الملك العادل أبطل ضمان الخمر والقيان .

ومنها[٤] أن الفرنج أغارت على بلاد الإسماعيلية فقتلوا ونهبوا وسبوا نحو ثلثمائة أسير .

ومنها [٥] أن ملك الروم كيكاوس أخذ مدينة أنطاكية من أيدى الإفرنج ثم أخذها منه ابن لاون ملك الأرمن ، ثم أخذها منه إبرنس طرابلس ، وقال السبط[٦] : أخذ ابن لاون أنطاكية من الإفرنج يوم الأحد الرابع والعشرين من شوال وكنت فى ذلك اليوم قد جلست

(١) انظر مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص٣٧٥ .
(٢) الذيل على الروضين ، ص٨٩ .
(٣) الذيل على الروضين ، ص٨٩ .
(٤) الذيل على الروضين ، ص٨٩ .
(٥) الذيل على الروضين ، ص٨٩ .
(٦) مرآه الزمان ، جـ ٨ ، ص٣٧٤ .

عند الملك الظاهر بحلب فى دار العدل ، فلما انقضى المجلس نزلت من المنبر فقام الظاهر والتقانى وأجلسنى إلى جانبه ، ودفع إلى بطاقة جاءته من حارم يخبره بذلك ثم عاد إبرنس طرابلس بعد ذلك أخذها من ابن لاون .

ومنها أن مسعود[١] الجوادى قدم رسولاً من الملك الأشرف إلى الخليفة فالتقاه الموكب ، وكان معه نسر رماه الملك الأشرف للخليفة ، وعلق النسر بباب البدرية[٢] ونثروا عليه دنانير .

ومنها[٣] أن رسول الخليفة وصل من بغداد إلى دمشق وهو الشيخ شهاب الدين السهروردى ، ونزل بجوسق العادل فى رمضان وسار إلى لحاق السلطان بالقدس وعاد راجلا إلى بغداد فى خامس عشر شوال .

ومنها أن الكرج أغاروا على أذربيجان فحازوا ذخائرها ومايزيد على مائة ألف أسير كذا قاله أبو شامة .[٤]

ومنها [٥] أنه وصل الصلاح بن شعبان الإربلى من مصر مبشرا بفتوح اليمن واستيلاء ولد الكامل عليه وطاعة من به من العسكر له بغير حرب .

وفيها ....[٦]

وفيها حج بالناس من العراق ابن أبى الفراس[٧] .

ذكر من توفى فيها من الأعيان

الحافظ عبد القادر[٨] **بن عبد الرحمن أبو محمد** ، المحدث الكبير المخرّج المفيد المحرر المتقن البارع المصنف المعيد ، كان مولى لبعض المواصلة . وقيل لبعض

---

(١) مرآه الزمان ، جـ ٨ ، ص٣٧٤ .

(٢) انظر عقد الجمان ، جـ ٢ ، ص٤٧ ، حاشيه ٤ .

(٣) الذيل على الروضتين ، ص٨٩ ؛ نهاية الأرب ، جـ ٢٩ ، ص٧٠ .

(٤) الذيل على الروضين ، ص٨٩ .

(٥) الذيل على الروضين ، ص٨٩ .

(٦) فراغ بمقدار سطر .

(٧) «فراس» فى مرآه الزمان ، جـ ٨ ، ص٣٧٥ .

(٨) البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص٧٥ ـ ص ٧٦ .

الحرانيين ، اشتغل بدار الحديث بالموصل ، ثم انتقل إلى حران ، ثم رحل إلى بلاد شتى ، وسمع الكثير من المشايخ شرقاً وغرباً وأقام بحران إلى أن توفى بها فى هذه السنة ، وكان مولده بالرها من سنة ست وثلاثين وخمسمائة وكان ديناً صالحا .

وقال أبو شامة[1] : كانت وفاته يوم السبت الثانى من جمادى الأخرى ، سمع بمصر الحافظ السِلفى وببغداد ابن الخشاب وشهدة وبأصبهان أبا عبد الله الرسمتى[٣٥٤] وغيرهم وكان صدوقا ورعاً .

الشيخ الفقيه كمال الدين[2] مودود بن الشاغورى الشافعى ، كان فقيها صالحاً دينا خيراً متواضعا زاهدا ، وكان يقرئ الناس الفقه بالجامع قبالة مقصورة الخطابة احتساباً ، ويشرح التنبيه للطلبة ويطول روحه على تعليمهم ، مات فى العشرين من المحرم ودفن بمقابر باب الصغير شمالى الحظيرة التى فيها قبر معاوية وغيرهم من الصحابة - رضى الله عنهم - وكتب على حجر على قبره أبيات حسنة من نظم الشهاب فتيان الشاغورى :

كم ضم قبرك ياموودود من دين ... ومن عفاف ومن بر ومن لين
ماكنت تقرب سلطانا لتخدمه ... لكن غنيت بسلطان السلاطين
نبكى عليك وعنا أنت فى شغل ... برد تسليم حُور خرّد[3] عين
سقى الإله ضريحا أنت ساكنه ... حتى ترى منبتا خضر الرياحين

الوجيه[4] الأعمى أبوبكر المبارك بن أبى طالب المبارك بن أبى الأزهر سعيد بن الدهان ، النحوى الواسطى الملقب بالوجيه . ولد بواسط وقدم بغداد فاشتغل بعلم العربية والنحو ، فأتقن ذلك وحفظ شيئا كثيراً من أشعار العرب وسمع الحديث وكان حنبليا ، فانتقل إلى مذهب أبى حنيفة - رضى الله عنه - ثم صار شافعيا وولى تدريس النحو بالنظامية ، وفيه يقول الشاعر :

---

(١) الذيل على الروضتين ، ص٩٠ .
(٢) الذيل على الروضتين ، ص٩٠ ، البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٧٧ .
(٣) «فرد» كذا فى الذيل على الروضتين ، ص٩٠ .
(٤) انظر ترجمته فى مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٣٧٥ ؛ الكامل جـ١٠ ، ص٣٦٧ ، البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٧٦ ، المختصر فى أخبار البشر ، جـ٣ ، ص١١٦ ، الذيل على الروضتين ص٩٠ ـ ص ٩١ .

ألا[١] مبلغٌ عنى الوجيه رسالة	وإن كان لاتجدى إليه الرسائل
تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبل	وذلك لما أعوزتك المآكل
وما اخترت رأى الشافعى ديانة	ولكنما تهوى الذى هو حاصلُ
وعما قليل أنت لاشك صائرٌ	إلى مالك فافطن[٢] لما أنا قايل

وكان يحفظ شيئا كثيرا من الحكايات والأمثال والملحُ ، ويعرف العربية والتركية والعجمية والرومية والحبشية والزنجية ، وكانت له يد طولى فى نظم الشعر فمن ذلك قوله :

ولو وَقَعَتْ فى لجة البحر قطرةٌ	من المزن يوماً ثم شاء لمازها
ولو ملك الدنيا فأضحى ملوكها	عبيداً له فى الشرق والغرب مازها

الأول من الميز وهو البيان والتفرقة ، والثانى بمعنى الزهو والعجب .

وله فى التجنيس أيضا قوله :

أطلت ملامى فى اجتنابى لمعشر	طعام لئام جودهم غير مرتجا
ترى بابهم لابارك الله فيهم	على طالب المعروف أن جاء مرتجا
حموا مالهم والدين والعرض منهم	مباح فما أيخشون من هجو من هجا
إذا شرع الأجواد فى الجود منهجا	فهم شرعوا فى البخل سبعين منهجاً

الأول من الرجا ، والثانى من الأرتاج وهو الإغلاق ، والثالث من الهجو ، والرابع من النهج وهو الطريق . وله مدائح حسنة وأشعار رائقة ويبتكر معانى فائقة وربما عارض شعر البحترى بما يقاربه ويدانيه ، قالوا : وكان لايغضب قط . تراهن جماعة مع واحد إن أغضبه ، فجاء إليه فسأله عن مسألة[فى[٣]] النحو[٤] فأجابه فيها فقال له السائل : أخطأت[٣٥٥] أيها الشيخ . فأعاد عليه الجواب بعبارة أخرى فقال له : أخطأت أيضاً .

(١) «فمن» كذا فى الذيل على الروضتين ، ص٩١ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص ٧٦ .
(٢) «فانظر» كذا فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص ٧٦ .
(٣) «من» كذا فى الأصل والمثبت من البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٧٦ .
(٤) «العربية» كذا فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٧٦ .

فأعاد ثالثة فقال : كذبت فكأنك قد نسيت النحو . فقال له الوجيه : فلعلك لم تفهم ما أقول لك . فقال : بلى ولكنك تخطئ . فقال له : فقل ما عندك لنستفيده منك . فأغلظ له السائل فقال الوجيه : إن كنت راهنت فقد غلبت إنما مثلك فى هذا المثل البقة يعنى الناموسة سقطت على الفيل فلما أرادت الطيران قالت له : استمسك فإنى أريد أن أطير . فقال لها : ما أحسست[بك[1]] حين سقطت فما أحتاج أن أستمسك إذا طرت . ولد سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائه بواسط ، وتوفى ليلة الأحد الثانى والعشرين من شعبان من هذه السنة ببغداد ودفن من الغد بالوردية[2] عند ابن فضلان ومن إنشاده :

لاخير فى الخمر فمن شأنها إفقادها العقل وجلب الجنون
وأن تُرِى الأقبح مستحسنا وتظهر السر الخفى المصون

(١) «بأنك» فى الأصل . والمثبت من البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٧٧ .
(٢) «الوزيرية» فى الذيل على الروضين ، ص٩١ .

فصل فيما وقع من الحوادث فى السنة
الثالثة عشرة بعد الستمائة(*)

استهلت هذه السنة والخليفة هو الناصر لدين الله وملوك البلاد . غير أن الملك الظاهر غازى توفى فى هذه السنة .

ذكر وفاة الملك الظاهر

والكلام فيه على أنواع :

(الأول) فى ترجمته : هو السلطان الملك[1] الظاهر أبو الفتح وأبو منصور غياث الدين غازى ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب صاحب حلب وكانت ولادته بالقاهرة فى منتصف رمضان سنة ثمان وستين وخمسمائة ، وهى السنة الثانية من استقلال أبيه بمملكة الديار المصرية ، وأعطاه والده مملكة حلب فى سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة بعد أن كانت لعمه الملك العادل فنزل عنها ، وتعوض غيرها وكان عمره حين تولى حلب أربع عشرة سنة .

(الثانى) فى سيرته :

كان ملكا مهيبا حازمًا متيقظًا كثير الإطلاع على أحوال رعيته وأخبار الملوك عالى الهمة ، حسن التدبير والسياسة باسط العدل محبا للعلماء ، مجيزا للشعراء . وقال السبط[2] : كانت دولته معمورة بالعلماء والفضلاء مزينة بالملوك والأمراء ، وكان محسنا إلى الرعية وإلى الوافدين عليه وحضر معظم غزوات والده . ولما استقر العادل بدمشق ضم الظاهر إليه الأمراء الصلاحية ، كميمون القصرى والمبارزين يوسف بن خطلج الحلبى ، وسنقر الحلبى ، وسرا سنقر وأيبك فطيس وغيرهم ، وكان فى دولته من أرباب العمائم القاضى بهاء الدين بن شداد ، والشريف الافتخارى ، والشريف والنسابة ، وبنو العجمى والقيسرانى ، وبنو الخشاب وغيرهم ، وكان ملجأ للغرباء ، وكهفًا للفقراء ، يزور الصالحين ويعتقدهم ويغيث المهلوفين ويرفدهم ، وكان يتوقد ذكاء وفطنة سريع الإدراك . قال ابن[3] خلكان : ويحكى عن سرعة إدراكه أشياء حسنة منها : أنه جلس يومًا لعرض

(*) يوافق أولها ٢٠ إبريل سنة ١٢١٦م .

(١) انظر ترجمته فى وفيات الأعيان ، جـ٤ ، ص٦ – ص١٠ ؛ البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص٧٧ –ص٧٨ ؛ مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٧٩ ـ ص٣٨٠ .

(٢) مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٧٩ ، الذيل على الروضتين ، ص ٩٤ .

(٣) وفيات الأعيان ، جـ ٤ ، ص ٦ .

العسكر وديوان الجيش بين يديه فكان كلها حضر واحد من الأجناد سأله الديوان عن اسمه ليزكوه[١] ، حتى حضر واحد فسألوه فقبل الأرض فلم يفطن أحد من أرباب الديوان لما أراد فأعادوا سؤاله ، فقال الملك الظاهر : اسمه غازى . وكان كذلك وتأدب الجندى أن يذكر اسمه[٣٥٦] لما كان موافقا لاسم السلطان ، وعرف هو مقصوده ، وله من هذا الجنس شيء كثير . وكان فيه بطش كبير وإقدام على سفك الدماء ثم أقصر عن ذلك ، وهو الذى جمع شمل البيت الصلاحى .

(الثالث) فى تاريخ وفاته :

توفى بقلعة حلب ليلة الثلاثاء العشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وستمائة . قال النويرى[٢] : وابتدأ به المرض فى الخامس والعشرين من جمادى الأولى وتوفى فى التاريخ المذكور . وفى المرآة[٣] : مات بعلة الذرب ولما اشتد به المرض أحضر القضاة والأكابر وكتب نسخة يمين أن يكون المُلك بعده لولده الملك العزيز الصغير ، ثم من بعده لولده الكبير الملك الصالح صلاح الدين أحمد بن غازى ، وبعدهما لابن عمهما الملك المنصور عمر بن العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين يوسف . وحلف الأمراء والأكابر على ذلك .

وقال ابن كثير[٤] : وكان للملك الظاهر أولاد كبار ، ولكنه عهد إلى الملك العزيز هذا من بينهم ، لأنه كان من بنت عمه الملك العادل ، وأخواله الأشرف والمعظم والكامل وجده العادل لا ينازعونه ، وهكذا وقع سواء بايع له جده العادل وخاله الأشرف صاحب حران والرها وخلاط ، وهمّ المعظم بنقض ذلك فلم يتفق له ، ولما كان الظاهر دفن بالقلعة ، ثم عمر الطواشى طغريل الخادم الرومى الأبيض أتابك ولده الملك العزيز مدرسة تحت القلعة ، وعمر فيها تربة ، ونقله إليها . وقال المؤيد[٥] : لما كانت صبيحة يوم السبت الخامس والعشرين من جمادى الأولى من هذه السنة ابتدئ بالملك الظاهر حُمى حادة ،

(١) «لينزلوه» كذا فى وفيات الأعيان ، جـ ٤ ، ص ٦ .
(٢) نهاية الأرب ، جـ ٢٩ ، ص ٧٥ .
(٣) سبط ابن الجوزى ، جـ ٨ ، ص ٣٨٠ .
(٤) البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٧٧ ـ ص ٧٨ .
(٥) المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٣ ، ص ١١٧ .

ولما اشتد مرضه أحضر القضاة فذكر نحو ما ذكرناه ، ثم قال : وجعل الحكم فى الأموال والقلاع إلى شهاب الدين طغريل الخادم غدق به جميع أمور الدولة ، وفى الثالث عشر من جمادى الآخرة أقطع الملك الظافر خضر [كفر سودا][1] وأخرج من حلب فى ليلته بالتوكيل ، وأخرج علم الدين قيصر ملوك الظاهر إلى حارم نائبًا .

وفى خامس [عشر][2] جمادى الآخرة اشتد به المرض ومُنع الناس من الدخول إليه ، وتوفى فى التاريخ المذكور ، وكان عمره حين توفى أربعًا وأربعين سنة وشهورًا ، وكانت مدة ملكه لحلب من حين وهبها له أبوه إحدى وثلاثين سنة .

(الرابع) فيما رثى به : وقال ابن الحِلِّى يرثيه ويمدح ولديه الملك العزيز والملك الصالح أحمد صاحب عنيتاب بقصيدة طويلة ، أولها هو قوله :

سل الخطب إن أصغى إلى من يخاطبه	بمن علقت أنيابه ومخالبه
نشدتك عاتبه على نائياته	وإن كان نابى السمع عمن يعاتبه
لى اللهُ كم أرمى بطرفى خلاله	إلى أفق مجد قد تهاوت كواكبه
فمالى أرى الشهباء قد حال صبحها	علىَّ دجى لا يستنير غياهبه
أحقًا حِمَى الغازى الغياث بن يوسف	أُبيح وعادت خابيات مواكبه
نعم كُوِّرت شمس المدائح وانطوت	سماء العُلى والنجح ضاقت مذاهبه
فمن لليتامى يا غياث يغيثهم	إذا الغيث[3] لم ينفع صدى العام ساكبه[٣٥٧]
فإن يك نور من شهابك قد خبى	فيا طالما جَلَّى دجى الليل ثاقبه[4]
فقد لاح بالملك العزيز محمد	صباح هدى كنا زمانا نراقبه
فتى لم يفته من أبيه وجده	إباء وجَدٌّ غالبًا يغالبه

(١) «كفر سورا» كذا فى الأصل والمثبت من المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٣ ، ص ١١٧ ، زبدة الحلب ، جـ ٣ ، ص١٧٠ ؛ مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص٢٤٠ . ومن الجدير بالملاحظة أن كفر سوذ من أعمال حلب قرب بهسنا وتكتب أيضا «كفر سُوت» انظر معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٢٨٨ .

(٢) ما بين حاصرتين ساقط من الأصل والمثبت من المختصر ، جـ ٣ ، ص١١٧ ، مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص٢٤٠ .

(٣) «ينقع» فى وفيات الأعيان ، جـ ٤ ، ص ٨ .

(٤) »ثاقب» كذا فى الأصل والمثبت من وفيات الأعيان ، جـ ٤ ، ص٩ ؛ مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص ٢٤٦ .

ذكر تولية الملك العزيز

قد ذكرنا أن الملك الظاهر أوصى بمملكته من بعده لولده الملك العزيز محمد بن غازى وكان عمره لما قرر فى المملكة سنتين وأشهُرا وكان عمر أخيه الملك الصالح أحمد اثنتى عشرة[١] سنة ، ولقد ذكرنا أن الظاهر اختار هذا الصغير لأنه كان من صفية خاتون بنت الملك العادل ، وأخواله ، الأشرف والمعظم والكامل ، ولما تمت المبايعة له صار مرجع الأمور كلها إلى شهاب الدين طغريل الخادم الرومى الأبيض ، فدبر الأمور وأحسن السياسة وكان دينا عاقلا . وقال بيبرس[٢] فى تاريخه : توفى الظاهر بحلب وعهد بالملك بعده لولده محمد ، وجعل تدبير دولته إلى مملوك له رومى اسمه طغرل ، ولقب بشهاب الدين ، فأحسن السيرة وأحسن تربية الطفل ، واستقامت البلاد والعباد له ، وملك بسياسته أماكن يتعذر على الظاهر ملكها ، ومنها تل باشر ، ولم يقدر الظاهر عليه ، وحفظ مملكة حلب على ولد الظاهر بحسن تدبيره إلى أن كبر واستقل به . وقال أبو شامة[٣] : وفوض الظاهر ولاية القلعة إلى خادم أبيض يعرف بالشهاب طغرل كان وصل إلى خدمته من بلاد الروم ، وكان مشتهرا بالزهد فصار له عنده مكانة . وقال السبط[٤] : وصل أبو العباس عبد السلام بن عصرون رسولا من حلب من الملك العزيز محمد إلى الخليفة ، وسأل تقريره على ما كان عليه أبوه .

ذكر بقية الحوادث

فى هذه السنة منها أن السبط[٥] ذكر فى المرآه أن الأشرف ابن العادل نزل من خلاط إلى حران فى شعبان وسألنى الجلوس بجامع حران وقال : إلى الآن ما دخلت حران . فضربت له حركاة فى الجامع ، وحضر يومًا مشهودا ، وجلس فى الحركاة وجاء الفخر بن السميّة الخطيب فقعد عنده وكتبوا إلىّ رقاعًا كثيرة فجمعتها وقلت : اتركوا هذه إلى يوم مجلس شيخكم يجيب عنها فهو يطول روحه عليكم ، أما هذا اليوم فالوقت ما يحتمل . فأعجب الأشرف وانقضى المجلس . فقلت للأشرف : لابد لى فى هذه السنة

(١) «اثنى عشر» فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه .
(٢) انظر نهاية الأرب ، جـ ٢٩ ، ص ٧٥ .
(٣) الذيل على الروضتين ، ص ٩٤ .
(٤) مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٧٦ .
(٥) مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٧٦ .

من شيئين : الحج على بغداد ، والثانى الاعتكاف بالرقة . فقال مبارك : وخرجت من حران فى آخر شعبان أريد الرقة وبينما أنا بين مكة والرقة وإذا بنجابين بينهم رجل عليه بغلطاق أحمر ، فقلت لأصحابى : هذه شمائل الملك المعظم . فقالوا : المعظم فى دمشق إش جابه إلى ههنا . فلما قربوا منا إذا به المعظم وقد أعيت ناقته فنزل وتحدثنا وأكلنا شيئا كان معنا وأعطانا ناقته وأخذ فرسى وقال : أين أخى؟ فقلت : فى الزراعة ، وساق واجتمعا ، وفاوضه فى أمر حلب ، وكان الأشرف قد حلف لشهاب الدين طغريل الخادم وأنه أتابك محمد العزيز ولد الظاهر ، فشق على المعظم ولم يقل شيئا وجاء إلى الرقة وأنا معتكف بالخانكاة وحضرا عندى وسار المعظم إلى دمشق وجهزنى الأشرف إلى الحج وعمل [لى](١) سبيلا مثل سبيله ، وتوجهت إلى بغداد . قال : ثم حجيت[٣٥٨] وعدت من الحج على تبوك والعلى وجمعت بين زيارة النبى صلى الله عليه وسلم وبين زيارة الخليل عليه السلام فى المحرم ولله(٢) المنة . وفى الحديث : من زارنى وزار إبراهيم(٣) عليه السلام فى عام واحد ضمنت له على الله الجنة . وإن لم يتفق على نقل هذا الحديث الثقات ، والأعمال بالنيات .

وقال أبو(٤) شامة : وكان المعظم سار من قرية العبادية(٥) بالمرج إلى أخيه الأشرف على الهجن فى البرية ، واجتمع به على مسألة(٦) بظاهر حران بعد أن كان ضلّ فى سيره ، ففاوضته فى أمر حلب وذلك حين بلغه موت صاحبها ابن عمه الظاهر غازى بن صلاح الدين ، وكان قد سبق من الأشرف الاتفاق مع القائم بأمرها ، فرجع إلى العبادية بعد سبعة عشر يوما ولم يظهر للناس إلا أنه كان متصيدا .

ومنها(٧) أنه أحضرت الأوتاد الخشب لأجل نسر قبة الجامع بدمشق ، وعدتها أربعة أعواد ، طول كل واحد منها اثنان وثلاثون ذراعا بذراع البحار ، كانت قطعت من الغوطة

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من الأصل والمثبت من الذيل على الروضتين ، ص ٩٣ ؛ مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٧٦ .
(٢) انظر مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٧٧ .
(٣) «أبى إبراهيم» فى مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٧٧ .
(٤) الذيل على الروضتين ، ص ٩٢ .
(٥) العبادية بالمرج : لم يذكر ياقوت سوى أنها قرية من قرى المرج .
(٦) «مسلة» كذا فى الذيل على الروضتين ، ص ٩٢ .
(٧) ورد هذا الخبر فى الذيل على الروضتين ، ص ٩٢ .

وأدخلت من باب الفرج إلى المدرسة العادلية إلى باب الناطفانيين . وأقيم هناك لها صوارى ورفعت ثم وضعت .

ومنها[١] أن فى المحرم شرع فى تحرير خندق باب السر ، وهو المقابل لدار الطعم العتيقة المجاورة لنهر بانياس ، وكان المعظم ومماليكه وعسكره ينقلون التراب ، كل واحد يأخذ قفة يجعلها على قربوس سرجه ويمضون جميعا مع المعظم نحو الميدان الأخضر يفرغون القفاف ويرجعون يفعلون ذلك كل يوم . ثم انقسموا فرقتين ؛ فكان المعظم وعسكره ينقلون يوما ، وكان أخوه الصالح إسماعيل مع من انضم إليه من العسكر ينقلون يوما ، والناس فى الخندق يعملون ، وكثير منهم يتفرجون ، وكان كل يوم عمل الخندق على طائفة من أهل البلد ، وعمل فيه الفقهاء والصوفية ، ولم يبق أحد ونظم فى ذلك أشعار كان يُغنى بها فى الأسواق وتحت القلعة .

ومنها[٢] أنه وقعت فتنة عظيمة بين أهل الشاغور[٣] وأهل العقيبة[٤] واقتتلوا بالرحبة والصيارف ، فركب الجيش مُلَبَّسين ، وجاء السلطان المعظم بنفسه فحبس رؤسهم وسكتت الفتنة .

قال أبو شامة[٥] : قبض على جماعة من مقدمى الحارات فيهم رئيس الشاغور ، وأودعوا فى السجن فى السادس والعشرين من ربيع الأول .

ومنها[٦] أنه امتنع تجار الفرنج من الوصول إلى الإسكندرية وصار وصولهم إلى عكا بالبضائع وبيعهم بها ، فحصل لملك عكا جملة وافرة وبلغ ضمان قصبها مائة وعشرين ألف دينار . وكانت سنة قليلة الأمطار غالية الأسعار .

ومنها أنه رتب بالمصلى بدمشق خطيب مستقل ، وأول من باشرها الصدر مُعيد الفلكية[٧] ، ثم خطب بعده بهاء الدين بن أبى البُسْر ، ثم بنو حسان إلى الآن .

---

(١) ورد هذا الخبر فى الذيل على الروضتين ، ص ٩٢ .

(٢) ورد هذا الخبر فى الذيل على الروضتين ، ص٩٢ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٧٧ ؛ نهاية الأرب ، جـ ٢٩ ، ص٧١ .

(٣) الشاغور : انظر ما سبق ، ج١ ، ص ١٤٩ .

(٤) العقيبة : انظر ما سبق ، ج١ ، ص ١٤٩ .

(٥) الذيل على الروضتين ، ص ٩٢ .

(٦) الذيل على الروضتين ، ص ٩٣ .

(٧) المدرسة الفلكية : داخل باب الفراديس أنشأها فلك الدين سليمان أخو الملك العادل سيف الدين أبى بكر . الدارس ، جـ ١ ، ص ٤٣١ - ٤٣٣ .

وفيها ....(١)

وفيها(٢) حج بالناس من العراق ابن أبى فراس ، ومن الشام الفقيه علم الدين الجعبرى .

ذكر من توفى فيها من الأعيان

العز(٣) محمد بن الحافظ عبد الغنى المقدسى ؛ ولد سنة ست وستين وخمسمائة ورحل إلى بغداد وقرأ بها مسند أحمد رحمه الله . وكانت له حلقة بجامع دمشق ، وكان من أصحاب الملك المعظم ، وكان صالحا دينا ، وتوفى فى هذه السنة ودفن بقاسيون رحمه الله . [٣٥٩]

أبو الفتوح(٤) محمد بن على بن المبارك بن الجلاجلى البغدادى التاجر ، ويلقب بالكمال . ولد سنة إحدى وأربعين وخمسمائة ، وقرأ القرآن وسافر إلى الأقطار وسمع الشيوخ ، وكان يتردد من الخليفة إلى الأشرف فى رسائل خفيَّة . سمع ببغداد أبا السعادات المبارك بن على الوكيل ، وابن النظر وغيرهما . وبالإسكندرية الحافظ أبا طاهر السلفى وغيرهم ، وكان عاقلا دينا صالحا ، ثقة صدوقا ، بساما متواضعا ، مات بالقدس فى هذه السنة .

الشريف أبو جعفر يحيى بن محمد [بن محمد بن محمد](٥) بن محمد بن على بن زيد العلوى الحسنى نقيب الطالبيين بالبصرة بعد أبيه . كان شيخا أديبا فاضلا ، عالما بفنون كثيرة ، لا سيما بالأنساب وأيام العرب وأشعارها ، يحفظ كثيرا [منها](٦) ، وكان من جلساء الخليفة الناصر .

ومن لطيف شعره قوله :

---

(١) بياض بالأصل حوالى نصف سطر .

(٢) ورد هذا الخبر فى الذيل على الروضتين ، ص ٩٣ ؛ مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٧٦ .

(٣) انظر ترجمته فى البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٨١ ؛ الذيل على الروضتين ، ص ٩٩ .

(٤) انظر ترجمته فى الذيل على الروضتين ، ص ٩٩ ؛ البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٨١ وقد ذكره ابن كثير «الخلاخلى» .

(٥) فى الأصل : «ابن يحيى» . والمثبت من الذيل على الروضتين ، ص ١٠٠ ؛ البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٨١ .

(٦) ما بين الحاصرتين مثبت من البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٨١ . وذلك لاستقامة المعنى .

ليهنكَ سمعٌ لا يلائمه العذلُ   وقلبٌ قريحٌ لا يملُ ولا يسلو
كأنَّ علىَّ الحبَّ أمسى[١] فريضةً   فليس لقلبى غيرَهُ أبدًا شغلُ
وإنى لأهوى الهجرَ ما كان أصلهُ   دلالا ولولا الهجرُ ما عذَبَ الوَصلُ
وأما إذا كان الصدودُ ملالةً   فأيسر ما همَّ الحبيب به القتلُ

وقال السبط فى المرآة[٢] : يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد أربع مرات ، أبو جعفر العلوى الحسنى البصرى ، ويعرف بابن أبى زيد ، ومولده سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، وقدم بغداد ومدح الإمام الناصر بقصائد ، وكان رقيق الشعر مليح النظم ، وهو القائل :

هذا العقيق وهذا الجزعُ والبانُ   فاحبس فَلى فيه أوطارٌ وأوطان
آليتُ والحرّ لا يلوى أليته   أن لا يلذّ بطيب النوم أجفان
حتى تعود [اليالينا][٣]التى سلفت   بالأجرعين وجيرانى كما كانوا
أيام أغصان وصلى غيرُ ذاوية   وروضها خَضِلٌ والعمرُ رَيْعانُ
يا حبذا شجر الجرعاء من شجر   وحبذا روضُه المخضل والبانُ
إذا النسيم سرى مالت ذوائبه   كأنما الغصن الممطور سكرانُ
فللنسيم على الأغصان هينمة   وللحمام على الأفنان ألحانُ
وبارق لاح والظلماء دَاجِيَة   والنجمُ فى الأفق الغربى حَيرانُ
كتمت حُبَك والأجفان تُظهرُه   وليس للحبّ عند العين كتمانُ
غادرت بالغدْر فى الأحشاءِ نار جوى   ومذ هجرت ففيض العين غِدرانُ

وكانت وفاته ببغداد فى رمضان ، ودفن بمقابر قريش ، وكان سمع الحديث من أبيه وغيره .

(١) «أضحى» فى البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص ٨١ .
(٢) مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص ٣٨١ .
(٣) «ليالى» فى الأصل . والمثبت من الذيل على الروضتين ، ص ١٠٠ ؛ مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص ٣٨١ .

أبو[1] **على مزيد بن على بن مزيد المعروف بابن الخشكرى**، الشاعر المشهور من أهل النعمانية، جمع لنفسه ديوانا، أورد له ابن الساعى قطعة من شعره. فمن ذلك قوله:

سألتكِ يومَ النوى نظرةً　　فلم تسمحى خفرا[2] لاسلم
وأعجبُ كيف تقولين لا　　ووجهك قد خُطّ فيه نعم
أما النونُ يا هذه حاجبٌ　　أما العينُ عينٌ أما الميم فَم

أبو الفضل[3]، **وسران**[4] **بن منصور** [٣٦٠] **بن وسران الكردى المعروف بالمثقف**[5]، ولد بإربل وخدم جنديا، وكان أديبا شاعرا ثم خدم الملك العادل، ومن شعره قوله:

سلا عنى الصوارم والرماحا　　وخيلاً تسبق الهوج الرياحا
وأسدًا جيشها سمر العَوالى[6]　　إذا ما الأسد حاولت الكفاحا
فإنى ثابتُ عقلا ولبًّا　　إذا ما صائح فى الحرب صاحا
وكم ليلٍ سهرت وبتُّ فيه　　أراعى النجمَ أرتقب الصباحا
وكم من فدفد[7] فرسى ونضوى[8]　　بقائلة الهجير غدا وراحا
لعينك فى العجاجة[9] ما ألاقى　　وأثبت فى الكريهة لا براحا

أبو نصر[10] **النحاس محمد بن يحيى بن هبة الله**، الواسطى الأديب بواسط كتب من واسط إلى ابن المظفر سبط ابن الجوزى رحمه الله.

---

(١) انظر ترجمته فى البداية والنهاية، جـ ١٣، ص ٨١ - ٨٢.
(٢) «فعز» فى البداية والنهاية، جـ ١٣، ص ٨٢.
(٣) انظر ترجمته فى البداية والنهاية، جـ ١٣، ص٨٢.
(٤) «رشوان» فى البداية والنهاية، جـ ١٣، ص٨٢.
(٥) المثقف: تعنى الرمح فى عرف الشعراء، وهذا يتمشى من سياق النص، المنجد، مادة ثقف؛ أما فى البداية والنهاية فقد وردت «بالنقف» جـ ١٣، ص٨٢.
(٦) عوالى الرماح: أسنتها. واحدتها: عالية. لسان العرب، مادة «علا».
(٧) الفدفد: هى الأرض المرتفعة ذات الحصى.
(٨) نضوًا: أى التقدم.
(٩) العجاجة: الغبار والدخان.
(١٠) انظر ترجمته فى: البداية والنهاية جـ ١٣، ٨٢، والذيل على الروضتين، ص ٩٩ - ص١٠٠.

وقـائلة لمـا عـمـرتُ وصـار لى ثمانون عاما عش كذا وابق واسلمِ
ودم وانتـشق رُوح الحـيـاة فـإنه بلا طب من بيت بصَعْدة مظلم
فقلت لما عذرى لديك ممهد ببيت زهير فاعلمى وتعلمى
سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا محالة يسأم

توفى فى هذه السنة .

أبو الغنائم[١] **سعيد بن حمزة بن أحمد ويقال له ابن ساروح** ، الكاتب النيلى العراقى ولد بالنيل[٢] سنة ثمانى عشرة وخمس مائه ، وسمع شيوخ ذلك العصر ، وسافر إلى الشام والروم ومدح الملوك والأمراء ، وذكره العماد فى الخريدة وقال : قدم دمشق ومدح أمراءها وعاد إلى بغداد فكبر ، وأسنّ وانقطع فى بيته إلى آخر عمره ، وكان بارعا وله رسائل ومكاتبات وأشعار رائقة ، وألفاظ فائقة شائقة .

فمن شعره :

يا شايم البرق من نجدى كاظمة يبدو مرارًا وتخفيه الدياجير
إذا سقيت الحيا من كل معصرة وعاد مغناك خصبا وهو ممطور
سلم على الدوحة الغناء من سلم وعفِّر الخَدَّ إن لاح التعافير
أحن شوقا إلى تلك الرياض وقد ضاهى بنفسجُها وردٌ ومنثور
ومالت السرو فى خضر الثياب كما تمايلن فى الحرير الأخضر الحور
والغصن سكران من طللِ الندى فإذا دعى ابن ورقاء أضحى وهو مخمور
وهاتفات على الأغصان قد رقدت عنهن فى غسق الداجى النواظيرُ
فظلن يسجعن حتى كدت من ولهى أقضى ولكنما فى العمر تأخير
لكن وجدى بترجيع الهُديل وما غردن باق إلى أن يفتح الصور

وكانت وفاته ببغداد فى رمضان من هذه السنة .

---

(١) انظر مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٧٩ ؛ الذيل على الروضتين ، ص ٩٩ .

(٢) النيل : بليدة فى سواد الكوفة قرب حلة بنى مزيد يخترقها خليج كبير يتخلّج من الفرات الكبير حفره الحجاج بن يوسف وسماه بنيل مصر . انظر معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٨٦١ .

الشيخ[(١)] **تاج الدين الكندى ، زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد بن عصمة بن حمير بن الحارث بن ذى رعين أبو اليمن** ، البغدادى المولد والمنشأ الدمشقى الدار ، الشيخ الإمام العالم العلامة وحيد عصره ونسيج وحده .

ولد ببغداد ونشأ بها واشتغل وحصل ثم قدم دمشق ففاق أهل زمانه شرقا[٣٦١] وغربا فى النحو والعربية وغير ذلك من فنون العلوم وعلو الإسناد ، وحسن الطريقة والسيرة وصحة العقيدة والسريرة ، انتفع به علماء عصره وخضعوا له وأثنوا عليه ، وكان حنبليا ثم صار حنفيا ، وكان مولده فى اليوم الخامس والعشرين من شعبان سنة عشرين وخمسمائة ، فقرأ القرآن بالروايات وله عشر سنين وسمع الحديث على الشيوخ الثقات وعنى بذلك وتعلم العربية واللغة واشتهر بذلك ، ثم صار إلى الشام فسكن بدمشق بدرب العجم وحظى عند الملوك والوزراء والأمراء وتردد إليه العلماء والكبراء والملوك وأبناؤهم ، وكان الأفضل ابن السلطان صلاح الدين وهو صاحب دمشق يتردد إليه وأخوه المحسن وكذلك المعظم فى أيامه على ملك الشام ، فنزل إليه إلى درب العجم فقرأ عليه فى المفصل . وكان المعظم يعطى لمن حفظ المفصل ثلاثين ديناراً جائزة ، وكان يحضر مجلسه بدرب العجم جميع المصدرين بالجامع كالشيخ علم الدين السنجاوى ، ويحيى ابن معطى ، والوجيه البُونى والفخر التركى وغيرهم . وكان القاضى الفاضل فى أيامه يثنى عليه . قال السخاوى : كان عنده من العلوم ما لا يوجد عند غيره . ومن العجيب أن سيبويه قد شرح عليه كتابه ، وكان اسمه عمرو واسم الشيخ أبى اليمن زيد ، فقلت فى ذلك :

لم يكن فى عهد عمرو مثله ... وكذا الكندى فى آخر عصره
وهما زيد وعمر وإنما ... بنى النحو على زيد وعمر

وأثنى عليه غير واحد من العلماء ، منهم أبو المظفر سبط ابن الجوزى وقال[(٢)] : قرأت عليه وكان حسن العقيدة ظريف الخلق لا يسأم الإنسان من مجالسته ، وله النوادر العجيبة والخط المليح والشعر الرائق ، وله ديوان كبير ، وقال السبط فى المرآة[(٣)] : وفى هذه السنة

---

(١) انظر الكامل ، جـ ١٠ ، ص ٣٧٠ ؛ الذيل على الروضتين ، ص ٩٥ - ص ٩٩ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص ٧٨ - ص ٨١ ؛ مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٧٧ ؛ المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٣ ، ص ١١٧ .
(٢) انظر قول السبط فى مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٧٧ .
(٣) مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٧٧ .

توفى شيخنا تاج الدين الكندى أبو اليمن البغدادى المولد والمنشأ الدمشقى الدار ، قرأ القرآن بالروايات ، وله عشر سنين على الشيخ أبى محمد عبدالله بن على سبط الشيخ أبى منصور الخياط وهو الذى رباه ، وكان خصيصًا به وقرأ عليه كتاب المنهج والكامل تأليف أبى محمد ، وكتاب الحجة فى القراءات لأبى على الفارسى وقرأ على أبى محمد من كتب العربية كتاب سيبويه والمقتضب والإيضاح والتكملة ، وقرأ العربية أيضا على أبى السعادات بن الشجرى واللغة على أبى منصور بن الجواليقى ، وسمع الحديث الكثير من شيوخ جدى وغيرهم ، وفارق بغداد فى سنة ثلاث وستين وخمسمائة وأقام بدمشق ، واختص بعز الدين فرخشاه ابن أخى صلاح الدين وبولده الملك الأمجد صاحب بعلبك ، وانتهت إليه القراءات والروايات وعلم النحو واللغات ، وقرأت عليه من كتاب الصحاح للجوهرى ، وكان يحضر مجالسى بجامع دمشق وقاسيون ويقول : أنا قد صرت من زبون المجلس ، ولما خرجت فى سنة سبع وستمائة إلى الغزاة كتب إلى نابلس كتابًا بخطه ، وكان يكتب مثل الدّر :

جزى الله بالحسنى ليالى أحسنت ... إلينا بإيناس الحبيب المسافر
ليالى كانت بالسرور قصيرة ... ولم تك لولا طيبها بالقصاير
[٣٦٢]فيا لك وصلا كان وشكُ ... كزورة طيف أو كنعبة[١] طاير

قال وله ديوان شعر وحكى لى قال : كتبت إلى الملك الأمجد إلى بعلبك :

لا تضجرنكم كتبى إذا كثرت ... فإن شوقى أضعاف الذى فيها
والله لو ملكت كفى مهادنة ... من الليالى التى يخشى تعاديها
لما تصرم لى فى غير داركم ... عُمرٌ ولا متُّ إلا فى نواحيها
عدُّوا احتمالكم لى حين أضجركم ... من الصلات التى منكم أرجيها

قال : فكتب إلى بخطه وهى له :

إنا ليتحفنا بالشوق كتبكم ... وإن بعدتم فإن الشوق يدنيها
وكيف تضجر منها وهى مذهبةٌ ... من وحشة الشوق لوعات نعانيها

(١) نعبة : أى صوت الغراب وهو صوت ينذر بالبين على زعمهم . انظر المنجد مادة «نعب» .

وإن ذكرتم لنا فيها اشتياقكم　　فبعدنا منكم أضعاف ما فيها
سلوا نسيم الصبا يهدى تحيتنا　　إليكم فهى تدرى كيف تهديها

قال : وكان الملك المعظم عيسى رحمه الله يقرأ عليه دائما ، قرأ عليه كتاب سيبويه نصًا وشرحًا ، والإيضاح والحماسة وشيئا كثيرا ، وكان يمشى من القلعة راجلا إلى دار تاج الدين الكندى والكتاب تحت إبطه ، ثم توفى يوم الإثنين سادس شوال وأنا يومئذ متوجه إلى الحج على بغداد وصلى عليه بجامع دمشق ، وحمل إلى قاسيون فدفن به ولم يتخلف عن جنازته أحد من الأعيان ، وعمره ثلاث وتسعون سنة وشهر وستة عشر يوما ، وكان صدوقا ثقة .

وقال ابن كثير : وكان قد وقف كتبًا نفيسة وهى سبع مائة وواحد وستون مجلدا ، على معتقه نجيب الدين ياقوت ، ثم على ولده من بعده ، ثم على العلماء فى الحديث والفقه واللغة وغير ذلك . وجعلت فى خزانة كبيرة بمقصورة ابن سنان[1] المجاورة لمشهد على زين العابدين رضى الله عنه . ثم إن هذه الكتب تفرقت وأبيع كثير منها ولم يبق بالخزانة المشار إليها إلا القليل ، وهى مقصورة الخليفة ، وكانت قديما يقال لها : مقصورة ابن سنان . وقد ترك الشيخ تاج الدين نعمة وافرة وأموالا جزيلة ومماليك متعددة من الترك . وقد كان رقيق الحاشية حسن الأخلاق يعامل الطلبة معاملة حسنة فلما كبر ترك القيام لهم وأنشأ اعتذارا :

تركت قيامى للصديق يزورنى　　ولا ذنب لى إلا الإطالة فى عمرى
فإن بلغوا من عشر تسعين نصفها　　يبين فى ترك القيام لهم عذرى

(١) «ابن سنان الحلبية» كذا فى البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٧٩ ؛ أما فى الذيل على الروضتين ، ص ٩٨ ، ذكرها : «ابن سنان الحنفية» .

فصل فيما وقع من الحوادث فى السنة الرابعة عشرة بعد الستمائة(*)

استهلت(١) هذه السنة والخليفة هو الناصر لدين الله والسلطان الملك العادل فى الديار المصرية ، وقد وقع فى هذه السنة أمور عظيمة منها قضية السلطان علاء الدين خوارزم شاه ، ومنها قضية الملك العادل بالفرنج ، ومنها قضية جنكيزخان ، فلنبين كل ذلك مفصلا بعون الله ولطفه .

ذكر قضية السلطان علاء الدين خوارزم شاه

محمد(٢) بن تكش بن أرسلان بن أتسز بن محمد أنو شتكين صاحب خوارزم وغيرها[٣٦٣] نحو خراسان وبلادها وغير ذلك من البلاد . قال أبو الفتح(٣) المنشىء النسائى(٤) : لما عظم شأن السلطان علاء الدين خوارزم شاه وفخم أمره ، وتجلت له الدنيا فى ملابسها وأشرقت شمس دولته من أكرم مطالعها ، واشتملت جريدة ديوان الجيش على أربع مائة ألف فارس عزم على ما كان لبنى سلجوق من الحكم والملك ببغداد ، وكان المحرك له فى ذلك أمور منها أنه أرسل إلى الخليفة فطلب منه أن يخطب له ببغداد فلم يجب الخليفة إلى ذلك . وكان الرسول فى ذلك القاضى مجير الدين عمر بن سعد الخورازمى ، وكان عند السلطان من ذوى الاختصاص التام . قال أبو الفتح : وكان السلطان أرسله مرارا إلى الخليفة فلم يعد بجواب تام .

ومنها أنهم استهانوا بسبيله الذى أمر به فى سبيل مكة ، حتى قدّموا سَبيل صاحب الإسماعيلية جلال الدين على سبيل السلطان ، فانتكى منه نكاية شديدة .

ومنها أن الإسماعيلية قتلوا أغلمش الأتابكى ، وقد كان نائب السلطان بالعراق ، قال أبو الفتح : وكان أغلمش ركب يلتقى الحاج منصرفهم من بيت الله الحرام ، فقفزوا عليه فى زى الحاج وقتلوه ، وانقطعت خطبة السلطان من تلك البلاد فحركه ذلك لإعادة

(*) يوافق أولها ١٠ إبريل سنة ١٢١٧م .

(١) مفرج الكروب ، جـ٣ ، ص ٢٥٤ ؛ المختصر فى أخبار البشر ، جـ٣ ، ص ١١٧ .

(٢) الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٧١ -٣٧٣ ؛ الذيل على الروضتين ، ص١٠٠-ص١٠١ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٨٣ .

(٣) أبو الفتح المنشىء النسائى : هو محمد بن أحمد النسوى ، صاحب كتاب وقائع التتار مع علاء الدين محمد خوارزم شاه .

لمعرفة المزيد انظر الذيل على الروضتين ، ص ١٠١ .

(٤) الكامل ، جـ١٠ ، ص ٣٧١ ؛ الذيل على الروضتين ، ص١٠٠ ، ١٠١ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٨٣ .

الخطبة ، ولما قتل أغلمش طمع الأتابك أزبك بن محمد صاحب أران[1] وأذربيجان والأتابك سعد بن زنكى صاحب فارس فى بلاده لبعد السلطان عنهم وانشغاله بحرب الترك فرحل أزبك إلى العراق ، فدخل أصبهان على مواطأة من أهلها ، وجاء سعد إلى الرى فملكها وملك معها قزوين ، وسمنان[2] وخوار[3] ، وما يتاخمها وتطايرت الأخبار بها إلى السلطان علاء الدين وهو بسمرقند ، فحركته همته واختار من عسكره مائة ألف فارس وترك معظم عسكره مع أكابر أمرائه وذوى الصيت من كبرائه ببلاد ما وراء النهر وثغور الترك ، فلما وصل إلى قومس[4] اختار من المستصحبين اختيارا ثانيا فى اثنى عشر ألف فارس ، وخلى ثمانية وثمانين ألفًا فى قومس ورحل إلى جبل بُزرك مخفا مستعجلا ، وهو كورة من كور الرى محدثة ، وسعد بن زنكى بظاهرها فلما رأى سعد أوائل الجيش مشرفة عليه ظن أنهم من الأزبكية المنازعين فى ملك العراق ، ركب بنفسه وعسكره ، وصدق القتال وتوالت عليهم الحملات ، فحين شاهد السلطان علاء الدين خوارزم شاه الجد أمر بنشر الجتر[5] والأعلام السلطانية ، فعند ذلك تحقق سعد أنه السلطان فنزل وقبل الأرض فأخذه بعض من وصل إليه فكتفه وأحضره بين يدى السلطان ، فأمر بالاحتياط عليه إلى أن يرى فيه رأيه فبقى مكتوفا وعلى البغل محمولا إلى أن وصل السلطان إلى همذان ، وقضى فيها وطره ، وكل يوم يلعب السلطان بالأكره بميدان همذان ، فيحضرون سعدا ويقيمونه هناك إذلالاً به ومعه ملك يقال له نصرة الدين محمد بن بشتكين والصدر رتبة الدين أبو القاسم بن على وزير أزبك بن البهلوان ، وكان أسر أيضًا فلم يزل هؤلاء فى الوثاق بذلة وإهانة إلى أن مَنّ السلطان عليهم وأطلقهم . ولما سمع أزبك بن البهلوان[٣٦٤] المذكور وهو بأصفهان ما حل بسعد بن زنكى أخذ به القيام والقعود وركب مسرعا وسار إلى أن قارب همذان معتقدًا أن السلطان مقيم بالرى فأخبر أن السلطان فى همذان فسقط

---

(١) انظر جـ ٢ ، ص ٥٤ ، حاشية ٦ .

(٢) انظر جـ ١ ، ص ٢٦٧ ، حاشية ٩ .

(٣) خوار : مدينة كبيرة من أعمال الرى . انظر معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٤٧٩ .

(٤) قومس : كورة كبيرة ، تشمل على مدن وقرى ومزارع وهى فى ذيل جبال طبرستان وهى بين الرى ونيسابور . معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٢٠٣ .

(٥) الجتر : هى المظلة ، وهى قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب على أعلاها طائر من فضة مطلية بالذهب ، تحمل على رأسه فى العيدين .
صبح الأعشى ، جـ ٤ ، ص ٧ ، ٨ .

قلبه ، فاستشار أصحابه فأشار بعضهم بالعود إلى أصفهان وبعضهم بالعود إلى أذربيجان مخفّين تاركين الأثقال وبعضهم أشار بالتحصين فى قلعة قزوين وكانت قريبة ، فقال أخاف من الحصار واتفقوا على أن يرَوح معظم جيشه مع نصرة الدين محمد بن بشتكين . وكان قد حضر إليه بعد خلاصه من الأسر إلى صوب تبريز ، ويروح أزبك مع مائتى فارس من خواصه فى طريق آخر قريبة إلى تبريز ولكنه مسالك وعرة فأرسل أزبك وزيره وهو أيضا حضر إليه بعد خلاصه من أسر السلطان علاء الدين كما قد ذكرناه إلى السلطان يعتذر عما صدر منه فلما ساروا على هذا الوجه وقع بالوزير المذكور الأمير دكجك السلحدار فى نواحى مازندران ليلاً فتبعه إلى موضع يقال له ميانج ، وهى كورة من كور أذربيجان على حافة النهر الأبيض ، ثم أسره وأسر من معه ، وكان السلطان فى همذان كما ذكرنا ولم يزل الوزير فى أسر السلطان إلى أن رجع نصير الدين دولت يار من عند أزبك ، وكان يتولى منصب الطغرا[1] للسلطان وهو من المناصب الجليلة عندهم ولكنه دون كتابة الإنشاء ، وكان السلطان أرسله إلى أزبك وأمره بإقامة الخطبة باسمه فى سائر مملكته ، وأن يحمل كل سنة إلى الخزانة السلطانية مالا معينًا عيّنه السلطان وأن تكون السكة باسم السلطان ، وأجاب أزبك إلى ذلك وخطب السلطان على منابر أرّان وأذربيجان إلى ما يلى دربند الشروان ، ونصير الدين المذكور حاضر ثم أرسل إلى السلطان هدايا وتحفًا وسلم قلعة قزوين إليه خدمة ، واعتذر فى أمر حمل المال بأن الكرج استضعفوا جانبه واستولوا على أطراف بلاده ولا يحصِّل من بلاده إلا ما يقوم بحاله بعد جهد عظيم ، فصدّقه السلطان على ذلك وعفى عنه المال ثم وجه السلطان رسولاً إلى الكرج وحذرهم من الغارة على بلاد أزبك ومن التعرض إليه بالكلية ، فإن بلاده صارت من جملة مماليك السلطان ، وعاد رسول السلطان من عند الكرج ومعه رسولهم بتقادم من طرائف تلك البلاد ، وبالسمع والطاعة ولكن الرسول ما أدرك السلطان إلا بعد عبوره نهر جيحون[2] .

وأما سعد بن زنكى صاحب فارس فإنه لما أسره السلطان كما ذكرنا انتصب مكانه ابنه نصرة الدين أبو بكر بالبذل فاستمال قلوب الأمراء بالبذل والإحسان فأذعنوا له

---

(١) الطغرا : ذكر الدكتور حسن الباشا أن الطغرى عبارة عن وصل كان يوضع فى عصر المماليك البحرية فى مناشير الاقطاعات بين وصل الطرة والبسملة وترد فيه ألقاب السلطان . انظر الألقاب السلطانية ، ص٣٣ .

(٢) نهر جيحون : نهر جيحون يقع فى إقليم خوراسان ويصب هذا النهر فى بحر آرال (قديما بحيرة خوارزم) والبلاد الواقعة بين هذا النهر ونهر سيحون يطلق عليها بلاد ما وراء النهر . انظر بلدان الخلافة الشرقية ، ص٢١ –ص٢٢ .

بالطاعة ولما أطلقه السلطان كما ذكرنا بعد أن تسلم منه قلعة[١] أصطخر وأسكبناد وهما على شواهق الجبال وسلمها إلى المؤيد الحاجب ، وبعد أن شرط عليه أن تحمل كل سنة إلى الخزانة السلطانية من بلاده ثلث الخراج عاد بالخلع والتشريفات . ولما وصل إلى كرسى ملكه وهى مدينة شيراز امتنع عليه ابنه أبو بكر المذكور إلى أن فتح الباب على غفلة منه حسام الدين تكين باش ، وكان أكبر مماليك سعد المذكور[٣٦٥] ومقدم دولته ولم يرع أبو بكر إلا دخول أبيه عليه ، وكان بيده سيف مجرد فضرب به وجه أبيه ضربة أثرت فيه ، وحجز بينهما الذين كانوا حاضرين ، فأمر سعد بالقبض على ابنه ، وأودع بالسجن مدة إلى أن رضى عنه ، وعظم حال حسام الدين عنده إلى أن توفى سعد وقام ابنه أبو بكر المذكور مقامه فخاف حسام الدين وهرب تحت الليل ، وخلّى أمواله وأثقاله مما لا تحمله الظهور وجاء إلى خدمة جلال الدين ، فأعطاه جلال الدين خلخال[٢] بقلاعها وأعمالها فأقام بها إلى أن قتل بعد خروج التتار فى سنة ثمان[٣] وعشرين وستمائة ثم إن السلطان خوارزم شاه بعد ما ذكرنا من الأمور سار إلى ساوة[٤] فملكها وأقطعها لعماد الملك الساوى ، عارض جيشه وهو من أهلها ثم سار إلى قزوين وزنجان[٥] وأبهر فملكها بغير ممانع ولا مدافع ، ثم سار إلى همذان فملكها وأقطع بلادها لأصحابه وملك أصفهان وقم[٦] وقاشان[٧] واستوعب ملك جميع تلك البلاد ، ثم إنه أرسل إلى الخليفة يطلب أن يخطب له ببغداد فلم تقع الإجابة إلى ذلك فعزم على المسير إلى بغداد فقدم بين يديه أميرا كبيرا فى خمسة آلاف فارس وأقطعه حلوان[٨] فسار حتى وصل إليها ، فلما سار عن

---

(١) قلعة أصطخر : من أهم الحصون فى بلاد فارس . انظر معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٢٩٩ .

(٢) خلخال : مدينة وولاية فى طرف أذربيجان بها قلاع حصينة . انظر ، معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٤٥٩ .

(٣) «ثمانية» فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه .

(٤) ساوة : مدينة ساوة فى منتصف المسافة بين همذان والرى على طريق القوافل التى تقطع بلاد فارس . انظر ، معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٢٤ ؛ بلدان الخلافة ، ص ٢٤٦ ـ ص ٢٤٧ .

(٥) أبهر وزنجان : مدينتان يقترن ذكرهما معًا فى الغالب على الطريق غرب قزوين وقد اشتهرتا منذ قديم الزمان . انظر بلدان الخلافة ، ص ٢٥٦ ـ ص ٢٥٧ .

(٦) «قم» مدينة تذكر مع قاشان وهى مدينة مستحدثة إسلامية تقع فى إقليم الجبال وبها مشهد فاطمة أخت على الرضا الإمام السادس الذى عاش فى أيام هارون الرشيد . معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ١٧٥ ؛ بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٤٥ .

(٧) قاشان : تقع فى إقليم الجبال وبين قم وقاشان اثنا عشر فرسخا . انظر معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ١٥ ؛ وبلدان الخلافة ، ص ٢٤٤ .

(٨) حلوان : مدينة كبيرة عامرة ، ليس بأرض العراق بعد الكوفة والبصرة وواسط بغداد وسر من رأى أكبر منها وهى بقرب الجبل وليس للعراق مدينة بقرب الجبل غيرها انظر ، معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٣١٧ .

همذان يومين أو ثلاثة سقط عليهم من الثلج ما لم يسمع بمثله حتى عطّب الخراكى[١] والخيام واستمر وقوع الثلج ثلاثة أيام بلياليها ، فهلكت دوابهم وتلفت أيدى الرجال وأرجلهم وطمع فيهم الأكراد فتخطفوهم ، فلم يرجع منهم إلى خوارزم شاه إلا اليسير فتطير من ذلك الطريق وعزم على العود إلى خراسان خوفا من التتار لأنه ظن أنه يقضى حاجته فى المدة اليسيرة فخاب ظنه ، ورأى البيكار بين يديه طويلا فعزم على العود فولى همذان أميرا من أقاربه من جهة والده تكش يسمى طايْسِين ، وجعل فى البلاد جميعها ابنه زكى الدين غور صانجتى ، وجعل معه عماد الملك الساوى متوليًا لأمر دولته ، وكان عظيم القدر عنده ، وعاد خوارزم شاه إلى خراسان ووصل إلى مرو ، وسار إلى ما وراء النهر ، ولما قدم نيسابور جلس يوم الجمعة عند المنبر وأمر الخطيب بترك الخطبة للخليفة الناصر وقال : إنه قد مات . وقطع خطبته من مرو وبلخ وبخارى وسرخس وبقى خوارزم وسمرقند وهراة لم تقطع الخطبة منها ، لا عن قصد لتركها إلا أن هذه البلاد كانت لا تعارض فى أشباه هذا إن أحبوا خطبوا وإن أرادوا قطعوا .

وأما خوارزم شاه فإنه لما عزم على قصد العراق وأظهر للخليفة الناصر ما أظهر من الشقاق وصل إليه من عنده الشيخ شهاب الدين السهروردى رسولا فوعظه وحذره البغى على هذا البيت وكان قد ضرب نوبة ذى القرنين تعاظما ، وكان من قبل تضرب له النوب الخمس فى أوقات الصلوات الخمس ، ففوضها لأولاده يضربونها فى الأقاليم التى سماها لهم على أبواب دور السلطنة التى لكل منهم ، وكان قد قسم[٣٦٦] المماليك لأولاده فعين خوارزم وخراسان وما زندران لولده قطب الدين أبى المظفر أزلاغ شاه وجعله ولى عهده وسبب تخصيصه بولاية العهد دون أخوته وهو أصغرهما أتباع خوارزم شاه رأى والدته تركان خاتون . وعين غزنه وباميان والغور ونكباياذ[٢] ، وزمندور[٣] ، وما يليها من الهند إلى جلال الدين منكبرى ، ولم ير انفصاله عنه فاستناب عنه بها كرز ملك ، وعين

---

(١) الخراكى : جمع خركاة ، وهو لفظ فارسى معناه الخيمة الكبيرة ، كان يستعملها الملوك والأمراء فى الأسفار . وقد ذكر القلقشندى فى صبح الأعشى ، جـ ٢ ، ص ١٣٨ وصفًا للخركاة نصه : «الخركاة بيت من خشب مصنوع على هيئة مخصوصة ، ويغشى بالجرخ ونحوه ، تحمل فى السفر لتكون فى الخيمة للمبيت فى الشتاء لوقاية البرد» .
انظر أيضا : السلوك ، جـ ٢ ق ١ ، ص ٢٠٧ ، حاشية (٤) .

(٢) وردت فى معجم البلدان «بكراباذ» وهى مدينة كبيرة بإقليم سجستان ، وقد أشار إليها الأصطخرى وابن حوقل باسم «تكى ناباذ» ، انظر معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٧٠٥ ؛ بلدان الخلافة ، ص ٣٨٦ .

(٣) زمنداور : ولاية واسعة بين سجستان والغور ، وهى المسمى بالداور . انظر ، معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٩٤٦ . وقد وردت فى خريطة سجستان الملحقة بكتاب بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٣٧٢ ، «زمين داور» .

كرمان وكيش ومكران لولده غياث الدين تتر شاه ، وسلم مُلك العراق إلى ولده ركن الدين أبى الحارث غورصانجتى ، وكان أحسن أولاده خلقًا وخُلقا وحظا ، وكانت نوبة ذى القرنين تضرب له وقتى طلوع الشمس وغروبها ، وكانت دَبادبها وآلاتها ذهبا ، وأول يوم ضربها اختير لها سبعة وعشرون ملكا من أكابر الملوك وأولاد السلاطين ، منهم ابن طغرل بك السلجوقى ، وابن غياث الدين بن سام الغورى ، وعلاء الدين صاحب باميان ، وتاج الدين صاحب بلخ ، وولده الأعظم صاحب ترمذ[١] ، والملك سنجر صاحب بخارى وأمثالهم ، وأعوزه اثنان لتمام العدة ، فكمّلهم بابن أخيه أربوزخان والوزير نظام الملك .

وقال أبو الفتح المنشىء : استعمل السلطان خوارزم شاه لنوبة ذى القرنين التى تضرب سبع[٢] وعشرين دبدبة من الذهب ، قد رصعت بأنواع الجواهر . وقال أبو الفتح : ومن جملة ما فعل خوارزم شاه بعد وصوله إلى ما وراء النهر أنه سير الملك تاج الدين ملكا خان صاحب أترار[٣] إلى مدينة نسا[٤] ، ليقيم بها ، وملكا خان هو أول من مال من الخطائية إليه ، وكان ذا جمال ، وقد قصد بتسييره إلى نسا دون سائر البلاد حتى يهلك فيها ، لأنها وخيمة شديدة الأمراض ولم تزل الأنفس بها شاكية ولم يعش الترك بها إلا أدنى مدة فى أنكد عيش ، فأقام المذكور بها سنة أو أكثر مصابرًا للدهر على تصاريفه وأحسن إلى كل من ورد عليه ، وأحبه أهل البلاد ومع هذا وافقه هواء نسا وماؤها خرقًا للعادة حتى ازداد حسنا بها . ولما بلغ ذلك خوارزم شاه وعلم أنه لم يبلغ غرضه سير إليه من حز رأسه .

وقال أبو الفتح : أخبره من حضر ذلك قال : كنا جلوسا عند ظهر الدين مسعود الشاشى وزير السلطان خوارزم شاه بنسا إذا أتاه آت وأخبره بأن جهان بهلوان قد نزل بدار السلطنة وكان أحد الطشتدارية[٥] عند السلطان ورفع قدره وأعطاه أمره ، وعينه لحزّ

---

(١) ترمذ : مدينة مشهورة من أمهات المدن التى تقع على نهر جيحون من جانبه الشرقى . انظر معجم البلدان ، جـ ١ ، ص٨٤٣ .

(٢) «سبعة» فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه .

(٣) أنزار ، وتكتب أُطْرار وهى مدينة حصينة وولاية واسعة فى أول حدود الترك بما وراء النهر على نهر سيحون قرب فاراب . انظر معجم البلدان جـ ١ ، ص ٣١٠ .

(٤) نسا : مدينة بخراسان بينها وبين سرخس يومان ، وبينها وبين مرو خمسة أيام . انظر معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص٧٧٦ .

(٥) انظر صبح الأعشى ، جـ ٤ ، ص ١٠ ـ ص١١ ؛ وانظر ما سبق جـ ١ ، ص ١٢٦ .

الرؤوس ، ولما نزل طلب ظهير الدين والأعيان فركب إليه ظهير الدين فناوله جهان بهلوان توقيعا فلما قرأه أرسلوا وراء تاج الدين ملكا خان ، وقيل له : قد ورد من الأبواب السلطانية توقيع يحتاج فيه إلى حضورك ، فحضر فى طائفة من خواصة فأدخل إلى بعض المخازن فإذا ببعض الزنود قد خرج ورأس تاج الدين بيده فوضعه جهان بهلوان فى مخلاة ورجع للوقت وحمل إلى خزانة السلطان من خزائنه جواهر لم يسمع بمثلها قال[٣٦٧] أبو الفتح : ومن جملة ما فعل السلطان أنه سير إلى خوارزم برهان الدين محمد البخارى المعروف بصدر جهان رئيس الحنفية ببخارى وخطيبها ، وكان عظيم الشأن يعيش تحت كنفه وإدرارات سلفه ما يقارب ستة آلاف فقيه ، وكان كريما عالى الهمّة فأقام بخوارزم ممنوعًا من الإصدار والإيراد إلى أن تقاضاه الزمان بدَينه فجرعه كأس حتفه ، فقتل عند أحفال تركان خاتون وأقام السلطان مقامه ببخارى فى رئاسة الحنفية مجد الدين مسعود ابن صالح الفراوى أخا نظام الملك . ومن جملة ما فعل السلطان أنه سير شيوخ الإسلام بسمرقند إلى البلاد وهم : جلال الدين وابنه شمس الدين وأخوه أوحد الدين وكانوا سادات تلك البقاع ، وكان أوحد الدين آية فى علم الجدل يناظر العميدى ، مات بنسا وانتقل جلال الدين إلى دِهِسْتان(١) . وقال بيبرس فى تاريخه : ولما عاد خوارزم شاه من العراق ووصل نيسابور ورد الخبر بموت مؤيد الملك قوام الدين والى كرمان فأضافها إلى غياث الدين تترشاه ابنه على ما فوضه إليه .

وقال أبو الفتح : وكان مؤيد الملك من جملة الرعاع فرفعه السلطان وساعده الزمان حتى بلغ إلى رتبة الملوك ، وكان مبدأ أمره أنه كان ابن داية نصرة الدين محمد بن أنز صاحب زوزن فاختاره رسولا إلى الأبواب السلطانية فى مهماته ، فنصحه فى الرسالة عدة مرات ثم سولت له نفسه تقبيح حال مرسله طمعا فيما كان يتولاه فقال للسلطان : إن الذى أرسلنى فاسد العقيدة له باطن مع الباطنية . ولما رجع إلى مرسله قال له : إن السلطان يعتقد فيك أنك باطنى وإنى لأخشى عليك منه فخاف وانقطع إلى الإسماعيلية ببعض قلاعه المتاخمة لزوزن ، ثم كتب قوام الدين المذكور إلى السلطان بصُورة الحال فأرسل السلطان إليه بأن يكون وزيرًا فى زوزن ، ويجبى أموالها إلى الخزانة السلطانية ،

---

(١) دِهستان : بلد مشهور فى طرف مازندران قرب خوارزم وجرجان . انظر معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٦٣٣ .

ففعل واستمر الأمر على ذلك ثم طمع فى مغالبة صاحب كرمان ، وانتزاع الملك من يده ، وكان من بقية الملك دينار(١) ، فكاتب السلطان فى ذلك وأطمعه فى ملكها واستنجد بمن تجاوز زوزن من عساكر خراسان ، فاستنجد بعز الدين جلدك وطائفة أخرى فاستولى على كرمان فى أقرب مدة وحمل إلى السلطان ما وجد لهم بها . فأعجب السلطان ذلك ولقبه بمؤيد الملك ، وأجراها فى إقطاعه ، ولما رجع السلطان من العراق وقد تفانت جماله قدم مؤيد الملك إلى السلطان أربعة آلاف من النجاتى ومن الذهب سبعين حملا .

وفى المرآة(٢) : وفى سنة أربع عشرة وستمائة قدم السلطان خوارزم شاه محمد بن تكش إلى همذان على قصد بغداد فى أربع مائة ألف ، وقيل : ستمائة ألف . واستعد له الخليفة وفرق الأموال وأرسل إليه الشيخ شهاب الدين السهروردى فى رسالة فأهانه واستدعاه وأوقفه إلى جانب تخته ولم يأذن له فى القعود . فحكى الشهاب قال : استدعانى فأتيت إلى خيمة عظيمة لها دهليز لم أر فى الدنيا مثله والدهليز والشقة أطلس والأطناب حرير ، وفى الدهليز ملوك العجم على اختلاف طبقاتهم : صاحب همذان وأصفهان والرى[٣٦٨] وغيرها ، فدخلنا إلى خيمة أخرى أبرسم وفى دهليزها ملوك خراسان ومرو ونيسابور وبلخ وغيرهم ، ثم دخلنا خيمة أخرى وملوك ما وراء النهر فى دهليزها كذلك ثلاث خيام ، ثم دخلنا عليه وهو فى خركاة عظيمة من ذهب وعليها سجاف مرصع بالجواهر وهو صبى له شعرات قاعد على تخت ساذج وعليه قباء بخارى يساوى خمسة دراهم وعلى رأسه قطعة من جلد تساوى درهما ، فسلمت عليه فلم يرد ولا أمرنى بالجلوس ، فشرعت خطبت خطبة بليغة ذكرت فيها فضل بنى العباس ووصفت الخليفة بالزهد والورع والتقى والدين والترجمان يعيد عليه قولى ، فلما فرغت قال للترجمان : قل له هذا الذى تصفه ما هو فى بغداد بلى أنا آجى وأقيم خليفة يكون بهذه الأوصاف . ثم ردّنا بغير جواب ونزل الثلج عليهم فهلكت دوابهم ، وركب خوارزم شاه يوما فعثر به فرسه فتطير ووقع الفساد فى عسكره وقلّت الميرة وكان معه سبعون ألفا من الخطا فرده الله ونكب تلك النكبة العظيمة ، وسنذكرها إن شاء الله تعالى .

---

(١) دينار : بلدة بالرى . انظر معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٧١٣ .

(٢) انظر مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٨٢ ؛ الذيل على الروضتين ، ص ١٠٠ ـ ١٠١ ؛ البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص٨٣ .

ذكر قضية الملك العادل مع الفرنج

وفى هذه السنة[١] انفسخت الهدنة بين المسلمين والفرنج ، وجاء الملك العادل من مصر بالعساكر فنزل على بيسان والمعظم عنده فى العساكر الشامية ، وخرج الفرنج من عكا ومقدمهم الملك الهنكر فنزلوا عين الجالوت فى خمسة عشر ألفا ، وكان شجاعا مقداما ، ومعه جميع ملوك الساحل ، فلما أضحوا ركب الهنكر فى أوائلهم وقصد العادل ، وكان العادل على تل بيسان فنظر فرأى أنه لا قِبل له بهم فتأخر . وقال له المعظم : إلى أين؟ فشتمه بالعجمية وقال : بمن أقاتل؟ أقطعت الشام مماليكك وتركت أولاد الناس الذين يرجعون إلى الأصول . وذكر كلامًا فى هذا المعنى ، وساق فعبر الشريعة[٢] عند برقاء[٣] وجاء الهنكر إلى بيسان وبها الأسواق والغلال والمواشى شىء لا يعلمه إلا الله فأخذ الجميع . وارتفع العادل إلى عجلون ومضى المعظم فنزل بين نابلس والقدس على عقبة اللين[٤] خوفا على القدس ، وأقام الفرنج على بيسان ثلاثة أيام ورحلوا طالبين قصر ابن معين الدين ، وسار العادل فنزل رأس الماء وصعد الفرنج عقبة[٥] الكرسى إلى خربة اللصوص ، والجولان ، وأقاموا ثلاثة أيام ينهبون ويقتلون ويأسرون ثم عادوا ونزلوا الغور ، وبعث العادل أثقاله إلى بصرى ونسائه وأقام على رأس الماء جريدة ، ولما نزل الفرنج الغور جاء العادل فنزل عالقين[٦] ثم نزل الفرنج تحت الطور يوم الأربعاء الثامن والعشرين[٧] من شعبان وأقاموا إلى يوم الأحد ثانى رمضان ، وكان يوما كثير الضباب فما أحس بهم أهل الطور إلا وهم عند الباب قد ألصقوا رماحهم بالسور ، ففتح المسلمون الباب وأخرج إليهم ألف فارس والراجل وقاتلوهم حتى رموهم أسفل الطور .

---

(١) الذيل على الروضتين ، ص١٠٢-١٠٣ ؛ مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص٣٨٢ - ٣٨٣ ؛ البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٨٣-٨٤ .

(٢) الشريعة : هو نهر الأردن ، ويقال له نهر الشريعة . انظر :
أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ٣٩ .

(٣) برقاء : كل موضع فيه حجارة مختلفة الألوان .
تقويم البلدان ، ص ١٢٧ .

(٤) اللين : بحثنا ووجدنا اللين فى أماكن أخرى وليست ما نريد .

(٥) الكُرْسِىّ : قرية بطبرية . معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٢٦٠ .

(٦) عالقين : قرية بظاهر دمشق من الجيدور .
وفيات الأعيان ، جـ ٥ ، ص ٧٨ .

(٧) «ثامن عشر» فى الذيل على الروضتين ، ص ١٠٤ .

فلما كان يوم الثلاثاء رابع رمضان طلعوا بأسرهم ومعهم سلم عظيم فزحفوا من ناحية باب دمشق وألصقوا السلم بالسور، فقاتلهم المسلمون ودخلت رماح الفرنج من المرامى من كل ناحية فضرب بعض الزراقين السلم بالنفط فأحرقه وقتل عنده جماعة من أعيان الفرنج، منهم كند كبير فلما رأوه مقتولا صاحوا وبكوا وكسروا عليه رماحهم. واستشهد[٣٦٩] فى ذلك اليوم من أبطال المسلمين الأمير بدر الدين محمد بن أبى القاسم، وسيف الدين بن المرزبان وكانا من الصالحين الأجواد، وأغلق المسلمون باب الطور وباتوا يداوون الجرحى واتفقوا على أنهم يقاتلون قتال الموت ولا يسلمون أنفسهم لئلا يجرى عليهم ما جرى على أهل عكا، وكان فى الطور أبطال المسلمين وخيار عسكر الشام، وأوقد الفرنج حول الطور النيران، فلما كان وقت السحر يوم الخميس سادس رمضان رحلوا طالبين عكا، وجاء المعظم فصعد إلى الطور وأطلق المال والخلع وطيب قلوب الناس، ثم اتفق العادل والمعظم على حراب الطور وقيل: إن المعظم أنفد كتابا إلى الخليفة وفى أوله بيتان هما [للأمير][1] عبدالمحسن الحلبى الكاتب:

قل للخليفة لا زالت عساكره ... لها إلى النصر إصدارٌ وإيرادُ

إن الفرنج بحصن الطور قد نزلوا ... لا تغفلن فحصن الطور بغداد

وقال السبط[2]: أنشدنى [الأمير][3] الحلبى هذين البيتين.

ولما انفصل الفرنج عن الطور قصد ابن أخت الهنكر جبل صيدا وقال: لا بد لى من أهل هذا الجبل. فنهاه، صاحب صيدا وقال: هؤلاء رماة وبلدهم وعر فلم يقبل وصعد فى خمسمائة من أبطال الفرنج إلى حزيز[4] ضيعة الميادنة قريبا من مشعراً فأخلاها أهلها وجاء الفرنج فنزلوا بها وترجلوا عن خيولهم ليستريحوا، فتحدرت عليهم الميادنة من الجبال فأخذوا خيولهم وقتلوا عامتهم وأسروا ابن أخت الهنكر وهرب من بقى منهم نحو صيدا، وكان معهم رجل من المسلمين يقال له الجاموس، فقال لهم: أنا أوصلكم إليها فقالوا: إن فعلت أغنيناك. فسلك بهم أودية وعرة والمسلمون خلفهم يقتلون ويأسرون، ففهموا أن الجاموس غرّهم فقتلوه. ولم يفلت إلى صيدا سوى ثلاثة أنفس بعد أن كانوا خمسمائة. وجاءوا إلى دمشق بالأسارى وكان يوما عظيما.

---

(١) الأمين كذا فى الأصل والمثبت من مرآة الزمان، جـ ٨، ص ٣٨٣؛ والذيل على الروضتين، ص ١٠٣.
(٢) مرآة الزمان، جـ ٨، ص ٣٨٣.
(٣) «الأمين» كذا فى الأصل. والمثبت من المرآة، جـ ٨، ص٨٣.
(٤) حَزِيزٌ: موضع قريب من جيلة. معجم البلدان، ج٢، ص ٢٦٣- ص ٢٦٤.

وأما ما كان من أمر العادل فإنه لما فر من الإفرنج لكثرتهم وقلة من كان معه توجه إلى دمشق وكتب إلى واليها المعتمد ليحصنها من الإفرنج وينقل الغلات من داريا إلى القلعة ويرسل الماء على أراضى داريا وأراضى قصر حجاج والشاغور ، ففزع الناس من ذلك وابتهلوا إلى الله بالدعاء وكثر ضجيجهم بالجامع وأقبل العادل فنزل بمرج الصفر وأرسل إلى ملوك الشرق ليقدموا إلى قتال الإفرنج ، فكان أول من ورد صاحب حمص أسد الدين شيركوه ، فتلقاه الناس فدخل من باب الفرج وجاء وسلم على ست الشام بدارها عند المارستان ثم عاد إلى داره ، ولما قدم أسد الدين سرّى عن الناس وأَمِنُوا وانقضت السنة وجموع الفرنج على عكا ، ثم اتفق الملك العادل والمعظم ولده على هدنة كما سيأتى إن شاء الله تعالى .

ذكر قضية جنكزخان

ولما عاد السلطان علاء الدين خوارزم شاه من بلاد العراق وصل إليه رسل جنكزخان وهم : محمود الخوارزمى ، وعلى حجا البخارى ، ويوسف الأترارى مصحوبين بما يجلبه الترك من نقر المعادن[٣٧٠] ونوافح المسك واليشب وثياب الطرق والتى تتخذ من صوف الحمل الأبيض ، وأبلغوه سلام الخان الكبير وأنه يطلب منه المهادنة وفتح الطريق للتجار إلى بلاد مملكته ، فأجاب السلطان إلى ذلك وعاد الرسل إلى جنكزخان وأعلموه بإجابته فسر بها وترددت التجار . وقال أبو الفتح : وكان يباع الثوب من طرقو بخمسين دينارا . وذكر أيضا أن من جملة رسالة جنكزخان : إنه غير خاف عليك أنى ملكت الصين وما يليها من بلاد الترك وقد أذعنت لى قبائلهم وأنت أخبر الناس بأن بلادى مثارات العساكر ومعادن الفضة وأن فيها الغنية عن طلب غيرها ، وأحضر السلطان علاء الدين محمود الخوارزمى أحد الرسل المذكورين ليلا ، وقال له : إنك رجل خوارزمى ولابد لك من موالاة فينا وميل إلينا ووعده الإحسان إن صدقه فيما يسأله وأعطاه من معضدته جوهرة نفيسة علامة للوفاء بما وعده وشرط عليه أن يكون عينا على جنكزخان فأجابه إلى ما سأل رغبة ورهبة ، ثم قال : أصدقنى فيما يقول جنكزخان إنه مَلَكَ الصين واستولى على مدينة طوغاج[1] هل هو صادق أم كاذب . فقال : بل صادق ثم نذكر إن شاء الله ما وقع من جنكزخان .

---

(١) مدينة طوغاج : هى قاعدة ملك التتار بالصين . تقويم البلدان ، ص ٣٦٥ .

ذكر بقية الحوادث

منها أن[١] شيخ الشيوخ صدر الدين بن حموية قدم إلى بغداد رسولا من الملك العادل وقدم بعده ولده فخر الدين رسولا من الكامل إلى أخيه المعظم فى خطبة بنته لابنه وخلع عليه خلعة بطيلسان .

ومنها أن[٢] محيى الدين محمد بن يحيى بن فضلان ذكر الدرس فى النظامية .

ومنها أن[٣] دجلة زادت زيادة عظيمة وركب الخليفة فى شبارة[٤] وخاطب الناس وجعل يتأوه لهم ويقول : لو كان هذا الماء يُردّ بمال أو حرب دفعته عنكم ولكن أمر الله ما لأحد فيه حيلة ، وانهدمت بغداد بأسرها والمحالّ ، ووصل الماء إلى رأس السور وبقى مقدار إصبعين حتى يطفح على السور وأيقن الناس بالهلاك ، ودام «سبع[٥] ليال وثمانية أيام حسوما» ثم نقص الماء وبقيت بغداد من الجانبين تلولا لا أثر لها .

ومنها[٦] ....

وفيها حج بالناس من العراق ابن أبى فراس[٧] .

ذكر من توفى فيها من الأعيان

بهاء الدين[٨] أحمد بن أبى الفضائل الميهنى ، شيخ رباط الخلاطية من بيت التصوف ، وكان أبوه أبو الفضائل عبدالمنعم شيخ المشايخ وسيد الصوفية ، وكان الخليفة قد سَلَّم إلى بهاء الدين رباط الخلاطية وأوقافها ثقةً به من غير مُشرف ولا عمل حساب ، فأقام مدة يقصده الناس من البلاد وأطراف بغداد وأرباب البيوت والفقراء والفقهاء والأعيان ، فما رَدَّ قاصدا ولا منع سائلا ، وكان له الجاه العظيم والذكر الجميل . وكان له

---

(١) الذيل على الروضتين ، ص ١٠٠ ؛ مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٨١ .
(٢) الذيل على الروضتين ، ص ١٠٠ .
(٣) الذيل على الروضتين ، ص ١٠٠ ؛ مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٨١ ؛ الكامل ، جـ ١٠ ، ص ٣٨١ .
(٤) شبارة انظر السفن : انظر عقد الجمان ، جـ ١ ، ص ٢٦٩ .
(٥) سورة الحاقة آية ٧ .
(٦) بياض بمقدار نصف سطر .
(٧) مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٨٤ .
(٨) انظر ترجمته فى مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٨٤ ؛ الذيل على الروضتين ، ص ١٠٣ .

مملوك عبد أسود اسمه ريحان ، فخان فى الأموال ، وبلغ الخليفة فأخذه فأقرَّ وقال : المال عند أخت بهاء الدين ، فعزل بهاء الدين عما كان إليه ، فرأى الذل والهوان بعد العز والإمكان . ومرض بهاء الدين فى تلك الحال ، فولى الخليفة القاضى الزنجانى[١] أمر الرباط ، وحمل بهاء الدين إلى بيت أخته على نهر عيسى ، فتوفى ثامن رجب ودفن فى الشونيزية فى صُفَّة[٢] الجنيد (رضى الله عنه) عند أبيه ، سمع شهدة[٣٧١] الكاتبة وابن البَطِّى وغيرهما ، وصحب أباه وأخذ عنه طريقة التصوف .

أبو اسحاق[٣] **إبراهيم بن عبد الواحد بن على بن سُرور ، الشيخ عماد الدين المقدسى** ، وكان أصغر من أخيه الحافظ عبدالغنى بسنتين ، وقدم معه إلى دمشق سنة إحدى وخمسين وخمسمائة ، ورحل إلى بغداد مرتين ، وسمع الحديث ، وكان عابدًا زاهدًا ورعا ، كثير الصلاة كثير الصيام يصوم يوما ويفطر يوما ، وكان فقيها مفتيا حنبليا له كتاب الفروع ، وصَنَّف أحكاما ولم يتمه . صلى المغرب ذات ليلة وكان صائما ، ثم رجع إلى بيته بدمشق فأفطر ، ثم مات فجأة عشية الأربعاء سادس عشر ذى القعدة[٤] من هذه السنة ، فغسل وقت السحر وأخرجت جنازته إلى جامع دمشق ، فما وسع الناس الجامع وصلى عليه الموفق .

وقال أبو شامة[٥] : كان يوما لم ير فى الإسلام مثله ، كان أول الناس عند مغارة الدم ورأس الجبل إلى الكهف ، وآخرهم بباب الفراديس ، ولولا المبارز المعتمد وأصحابه لقطعوا أكفانه وما وصل إلى الجبل إلى آخر النهار .

وقال السبط[٦] : ولما رجعت من جنازته فَكرتُ فيه فقلت : هذا كان رجلا صالحا ، وربما إنه نظر إلى ربه حتى وضع فى لحده ، ومر بذهنى أبيات [سفيان][٧] الثورى التى سمع ينشدها فى المنام :

---

(١) «الريحانى» فى الذيل على الروضتين ، ص ١٠٣ ؛ «التريحانى» فى مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٨٤ .

(٢) «صفط» فى الذيل على الروضتين ، ص ١٠٣ .

(٣) انظر ترجمته فى مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٨٥ - ٣٨٦ ؛ الذيل على الروضتين ، ص ١٠٤ - ١٠٦ .

(٤) «ذى الحجة» فى مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص٣٨٦ . بينما يتفق العينى مع أبى شامة ، انظر الذيل على الروضتين ، ص١٠٤ .

(٥) الذيل على الروضتين ، ص ١٠٤ .

(٦) مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٨٦ .

(٧) «سفين» فى الأصل . والمثبت من مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٨٦ .

نظرتُ إلى ربى كفاحًا وقال لى ... هنيئا رضائى عنك يابن سعيد
فقد كنت قواما إذا أقبل الدجى ... بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر أى قصر أردته ... فزرنى فإنى منك غير بعيد

وقلت : أرجو أن العماد يرى ربه كما رآه سفين عند نزول حفرته . ونمت فرأيت العماد فى النوم وعليه حلة خضراء وعمامة خضراء وهو فى مكان متسع كأنه روضة وهو يرقى فى درج مرتفعة فقلت : يا عماد الدين كيف بتّ ؟! فإنى والله مفكر فيك . فنظر إلى وتبسم على عادته وقال :

رأيت إلاهى حين أنزلت حفرتى ... وفارقت أصحابى من أهلى وجيرتى
فقال جزيت الخير عنى فإننى ... رضيت فها عفوى لديك ورحمتى
دأبت زمانا تأمل الفوز والرضى ... فوقيت نيرانى ولقيت جنتى

فانتبهت مرعوبًا وكتب الأبيات .

قال : وكان الشيخ الموفق يثنى عليه وكان يقول : أعرف العماد من صغره وما عرفت أنه عصى الله تعالى قط وما رأيت أشد خوفا منه لله تعالى . قال السبط[١] : وكان يحضر مجالسى دائما بجامع دمشق وقاسيون لا ينقطع إلا من عذر . ويقول صلاح الدين يوسف : فتح الساحل وأظهر الإسلام وأنت يوسف أحييت السنة بالشام . وكان يزورنى وينبسط إلى ويحبّنى ويفرح بمجالستى . ورثاه جماعة منهم الصلاح موسى بن الشهاب فقال : وأنشدنى إياها :

الحمد لله فى كل الأمور فما ... يقضى الإله علينا فهو مقبول
نرضى بما جاءنا منه ونشكره ... على الرؤوس قضاء الله محمول[٣٧٢]
يا شيخنا[٢] يا عماد الدين قد قرحت ... عينى وقلبى منك اليوم متبول
أوحشت والله ربعا كنت تسكنه ... لكنه الآن بالأحزان مأهول
كم ليلة بت تحييها وتسهرها ... والدمع من خشية الله مسبول

---

(١) مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٨٥ .

(٢) الذيل على الروضتين ، ص ١٠٥ ؛ مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٨٧ .

وسجدة طال ما طال القنوت بها قد زانها منك تكبير وتهليل
فاليوم بعدك ركن الدين[١] منهدم وطالب العلم حيران ومخذول
قد كنت للسنة الغراء تنصرها إذ أنت سيف على الأعداء مسلول
يا ذا الذى كان للدنيا يزينها كأنه فى جبين الدهر إكليل
وما يدوم سوى وجه الإله وقد جاءت بذلك أثار وتنزيل

القاضى جمال الدين بن الحرستانى[٢] **عبدالصمد بن محمد بن أبى الفضل أبو القاسم الأنصارى بن الحرستانى**، شيخ القضاة العالم العادل المعمر الزاهد ولد بدمشق سنة عشرين وخمسمائة وشارك الحافظ أبا القاسم على بن الحسن فى كثير من مشايخه الدمشقيين سماعا وفى الغرباء أجازة، وكان أبوه من أهل حرستان فنزل داخل باب توما وأمّ بمسجد الزينبى، ونشأ ولده هذا نشأة حسنة، سمع الحديث الكثير وكان يجلس لسماع الحديث بمقصورة الخضر وعندها كان يصلى دائما لا تفوته الجماعة بالجامع، وكان منزله بالحُوَيْزَة[٣] ودرس بالمجاهدية[٤]، وعمر دهرًا طويلا على هذا القدم الصالح وناب فى الحكم عن ابن أبى عصرون ثم ترك ذلك ولزم بيته وصلاته بالجامع، ثم عزل السلطان الملك العادل القاضى زكى الدين أبا العباس الظاهر ابن قاضى القضاة محيى الدين وأخذ منه مدرستين العزيزية[٥] والتقوى[٦] وأعطى التقوية للشيخ فخر الدين بن

---

(١) «وركين» كذا فى سبط ابن الجوزى؛ مراة الزمان، جـ ٨، ص ٣٨٧.
(٢) الذيل على الروضتين، ص ١٠٦ - ص ١٠٨.
(٣) الحُوَيْزَة: موضع بين واسط والبصرة وجورستان، معجم البلدان جـ ٢، ص ٣٧١ - ص ٣٧٢.
(٤) المجاهدية: هناك مدرستان المجاهدية الجوانية، والمجاهدية البرانية فالجوانية بالقرب من باب الخواصن واقفها الأمير الكبير مجاهد الدين أبو الفوارس بزان بن يامين بن على الجلالى الكروى أحد مقدمى الجيش بالشام فى دولة نور الدين.
أما المدرسة البرانية، فهى بين بابى الفراديس. انظر الدارس فى تاريخ المدارس، جـ ١، ص ٤٥١ - ص ٤٥٥.
(٥) العزيزية: أسسها الملك العزيز عثمان، فهناك عزيزية حنفية بجوار المدرسة المعظمية بالصالحية انظر الدارس، جـ١، ص ٥٤٩، أما العزيزية الشافعية، فهى تقع شرقى التربة الصلاحية وغربى التربة الأشرفية وشمال الفاضلية بالكلاسة لضيق الجامع الأموى، أسست فى سنة ٥٩١ هـ. انظر الدارس جـ ١، ص ٣٨٢.
(٦) التقوية: من المدارس الشافعية، وهى من أَجَلِّ مدارس دمشق داخل باب الفراديس، شمالى الجامع، شرقى الظاهرية والإقباليتين، بانيها فى سنة أربع وسبعين وخمسمائة الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب.
الدارس فى تاريخ المدارس، جـ ١، ص ٢١٦.

عساكر وأعطى العزيزية مع القضاء لجمال الدين بن الحرستانى ، واعتنى به الملك العادل اعتناء كثيرا وأقبل عليه وأكرمه بحيث أرسل له ما يفرش تحته فى مجلس الحكم لضعفه وكبره وما يستند إليه ، وكان يجلس للحكم بمدرسته المجاهدية وناب عنه بها ابنه عماد الدين عبدالكريم ، وكان يجلس بين يديه فإذا قام الشيخ يستبد مكانه ثم أنه منعه ذلك لشيء بلغه عنه وناب عنه أيضا أكابر شيوخ القضاة يومئذ شمس الدين الشيرازى فكان يجلس قبالته فى إيوان المجاهدية وشمس الدين بن سنى الدولة وشرف الدين بن الموصلى الحنفى بمجلس المحراب بها وبقى فى القضاء نحوا من سنتين وسبعة أشهر ، وتوفى يوم السبت رابع ذى الحجة ودفن بجبل قاسيون ، وكان عمره خمسا وتسعين سنة .

قال ابن كثير[١] : وكان يحفظ الوسيط للغزالى (رحمه الله) قال ابن عبدالسلام : ما رأيت أحدا أفقه من ابن الحرستانى ، وكان من أعدل القضاة وأقومهم بالحق لا يأخذه فيه لومة لائم . وقال أبو شامة[٢] : ولغرابة ولاية القضاء لمن هو فى هذا السن قال فيه شاعر الشام الشاغورى هذين البيتين :

يا من تدرع فى خمل الخمول　　وما معانق الهم فى سر وإعلان
[٣٧٣]لا تيأسن روح من نادى　　قاضى القضاة الجمال بن الحرستانى

على أنه امتنع من الولاية لما طلب لها حتى ألح عليه فيها . وقال السبط : حكى لى ولد القاضى قال : كان أحد بنى قوام يعامل الملك المعظم عيسى فى السكر ويتجر له فمات ابن قوام فطرح ديوان المعظم يده على تركة ابن قوام ، وبعث المعظم إلى القاضى يقول له : هذا الرجل كان يتاجر لى بمالى والتركة لى وأريد تسلمها فأبى عليه إلا بثبوت شرعى قال : وحكى لى جماعة من الدماشقة أن الملك العادل سيف الدين كتب لبعض خواصه كتابًا يوصيه به فى حكومة بينه وبين رجل فجاء إليه ودفع إليه الكتاب فقال : إش فيه؟ قال : وصية لى . قال : أحضر خصمك . فأحضره والكتاب بيده لم يفتحه وادعى على الرجل ، فظهر الرجل على حامل الكتاب ، فقضى عليه ثم فتح الكتاب وقرأه ورمى به إلى حامله وقال : كتاب الله قد حكم على هذا الكتاب ، فمضى الرجل إلى

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٨٥ .

(٢) الذيل على الروضتين ، ص ١٠٧ .

العادل وبكى بين يديه وأخبره بما قال . فقال : العادل صدق كتاب الله أولى من كتابى . وكان يقول للعادل : ما أحكم إلا بالكتاب والسنة وأنا فما سألتك القضاء فإن شئت وإلا فأبصر غيرى . ثم لما مات تولى القضاء بعده زكى الدين أبو العباس الظاهر بن يحيى الدين الذى كان قاضيا قبله ، وعزل به الأمير الكبير بدر الدين محمد بن أبى القاسم بن محمد الهكارى بانى المدرسة التى بالقدس الشريف ، كان من خيار الأمراء يتمنى الشهادة أبدا فقتله الفرنج فى حصن الطور فى هذه السنة ، ونقل إلى القدس الشريف ودفن بتربته بها وتربته مزار إلى الآن ، وكان من المجاهدين وله المواقف المشهورة فى قتال الفرنج وكان من أكابر أمراء المعظم يستشيره ويصدر عن رأيه ويثق به لصلاحه ودينه وكان سمحا لطيفا ، دينا ، عابدا ، ورعا ، بارا بأهله وبالفقراء والمساكين ، كثير الصدقات دائم الصلات ، بنى بالقدس مدرسة للشافعية ووقف عليها الأوقاف وبنى مسجدا قريبا من الخليل عليه السلام عند يونس على قارعة الطريق رحمه الله .

الشجاع(١) **محمود المعروف ابن الدباغ**(٢) توفى فى ذى القعدة ، وكان من أصحاب العادل من زمن الشبيبة وبقى معه فى زمن السلطنة مضحكا له ، وحصلت له ثروة عظيمة ، وداره بدمشق جعلتها زوجته عائشة مدرسة للفريقين ، الحنفية والشافعية بخطيرة باب الفرج ، ووقفت عليها أوقافا دارة .

الشيخة العالمة الزاهدة شيخة العالمات بدمشق وتلقب بدهن اللوز ، ماتت فى هذه السنة .

---

(١) البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص ٨٥ ؛ الذيل على الروضتين ، ص ١٠٨ .

(٢) «الدماع» كذا فى ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٨٥ .

فصل فيما وقع من الحوادث فى السنة الخامسة عشرة بعد الستمائة(*)

استهلت هذه السنة والخليفة الناصر لدين الله ، ولكن وقعت فى هذه السنة أمور عظيمة منها قضية الفرنج ، ومنها وفاة السلطان الملك العادل ، ووفاة الملك القاهر صاحب الموصل ، ووفاة نور الدين أرسلان شاه بن القاهر المذكور ، ومنها خروج التتار إلى بلاد الإسلام وظهورهم فى هذه الأيام ، فلنتبين ذلك مفصلا بعون الله وتوفيقه إن شاء الله .

ذكر قضايا الفرنج

منها(١) نزول الفرنج على ثغر دمياط المحروس وهى النوبة المعروفة بالمنصورة الأوّلة . قال بيبرس : لما كان يوم الثلاثاء[٣٧٤] الثالث من ربيع الأول من هذه السنة نزل الفرنج على دمياط فى جمع كثير وجم غفير ونازلوها ، وكان الملك الكامل قد سار إليها بعساكر الديار المصرية فاتصل القتال بين الفئتين أيامًا ويحيل الفرنج على برج السلسلة فعملوا برجًا من الصوارى على بطسة كبيرة ، وأقلعوا بها حتى أسندوها على البرج وقاتلوا المسلمين الذين فيه إلى أن ملكوه منهم ، ولما اشتدّ أمر الفرنج بثغر دمياط توجه الملك العادل إلى دمشق ليمد ولده الكامل بالعساكر . وقال ابن كثير(٢) : استهلت هذه السنة والملك العادل نازل بمرج الصفر . لمحاصرة الفرنج ، وأمر ولده المعظم بتخريب حصن الطور فخربه ونقل ما فيه من الآلات والأشياء المعدة للحرب إلى البلدان خوفا عليها من الفرنج ، وكان جموع الفرنج بمرج عكا ثم ساروا منها إلى الديار المصرية ونزلوا على دمياط وسار الملك الكامل بن العادل من مصر ونزل قبالتهم ، واستمر الحال كذلك أربعة أشهر ، وأرسل الملك العادل العساكر التى عنده إلى عند ابنه الكامل فوصلت إليه أولاً فأول ، ولما اجتمعت العساكر عند الملك الكامل أخذ فى قتال الفرنج ودفعهم عند دمياط وكان نزول الفرنج على دمياط ، فى ربيع الأول وأخذوا برج السلسلة فى جمادى الأولى ، وكان حصنا منيعًا وهو كالقفل على ديار مصر ، وصفته أنه فى وسط جزيرة فى النيل عند انتهائه إلى البحر ومن هذا البرج إلى دمياط وهى على شاطئ البحر وحافة النيل سلسلة ومنه إلى الجانب الآخر ، فلما ملكت الفرنج هذا البرج شق ذلك على المسلمين

(*) يوافق أولها ٣٠ مارس سنة ١٢١٨م .

(١) ورد هذا الخبر فى البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٨٦ ؛ مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٨٩ ؛ الذيل على الروضتين ، ص١٠٨ .

(٢) البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٨٦ .

بديار مصر وغيرها ، وحين وصل الخبر إلى الملك العادل وهو بمرج الصفر تأوه شديدا ودق بيده على صدره أسفًا وحزنا ومرض من ساعته مرض الموت لأمر يريده الله تعالى ، وتوفى يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة . كما نذكره عن قريب إن شاء الله تعالى[١] .

ولما انتهى الخبر بموته إلى ابنه الكامل وهو مثاغر تجاه الفرنج بدمياط فتَّ ذلك فى أعضاد المسلمين وضعفوا ، ثم بلغه خبر آخر إن الأمير عماد الدين أحمد بن سيف الدين على بن أحمد المشطوب وكان مقدما عظيما فى الأكراد الهكارية وكان أكبر أمير فى مصر قد أراد أن يبايع للفائز عوضا عن الكامل ، فساق وحده جريدة من دمياط قاصدًا إلى مصر لاستدراك هذا الخطب الجسيم ، ولما فقده الجيش من بينهم اختل نظامهم واعتقدوا أن قد حدث أمر أكثر مما قد بلغهم فركبوا وراءه فدخلت الفرنج حينئذ بالأمان إلى الديار المصرية واستحوذوا على معسكر الكامل وأثقاله وحواصله وحواصل الجيش ، فوقع أمر عظيم جدًا ودخل الكامل إلى مصر فلم يقع مما ظنه شىء وهرب منه ابن المشطوب إلى الشام ، ثم ركب فى الجيش إلى الفرنج فإذا الأمر قد تزايد وقد تمكنوا هناك من البلاد وقتلوا خلقا وغنموا شيئا كثيرا ، وعاثت هنالك أعراب على أموال الناس ببلاد دمياط فكانوا أضر على المسلمين من الفرنج فنزل الكامل تجاههم يمانعهم عن الدخول إلى القاهرة ومصر بعد أن كان يمانعهم عن الدخول إلى الثغر ، وكتب إلى أخوته يستحثهم ويستنجدهم ويقول الوحا الوحا ، العجل العجل ، أدركوا المسلمين وألحقونا قبل أن يملك الإفرنج جميع الديار المصرية ، فأقبلت العساكر[٣٧٥] الإسلامية عند ذلك من كل مكان . فكان أول من قدم عليه أخوه الملك الأشرف موسى صاحب الجزيرة ، ثم الملك المعظم ، فكان من أمرهم مع الفرنج ما سنذكره إن شاء الله[٢] تعالى .

ومن قضايا الفرنج أن الملك المعظم التقى بهم على القيمون[٣] فكسرهم وقتل منهم خلقًا كثيرًا وأسر من الداوية مائة فأدخلهم فى القدس منكسة أعلامهم[٤] .

ذكر وفاة الملك العادل رحمه الله

والكلام فيه على أنواع :

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٨٦ ؛ الذيل على الروضتين ، ص ١٠٩ ؛ مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٨٩ .

(٢) ورد هذا الخبر فى البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٨٧ ، ص ٨٨ .

(٣) القَيْمُون : انظر ما سبق ، جـ ٢ ، ص ٧٠ ، حاشية (١) .

(٤) انظر : الذيل على الروضتين ، ص ١٠٩ ؛ مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٢٨٩ .

(الأول) فى ترجمته :

هو السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر محمد بن أيوب ، وكنيته أشهر من اسمه . سُئل عن مولده فقال : فتوح الرها . يعنى لما فتحها أتابك زنكى والد نور الدين الشهيد سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، فيكون عمره ستا وسبعين سنة . وقيل : كانت ولادته ببعلبك لما كان والده نجم الدين أيوب واليها من قِبَل زنكى[١] .

وفى تاريخ ابن كثير[٢] : وكان مولده سنة أربعين وخمسمائة . وكذا فى تاريخ المؤيد[٣] .

وقال ابن خلكان[٤] : وكانت ولادته فى المحرم سنة أربعين ، وقيل : ثمان وثلاثين وخمسمائة ، ونشأ فى خدمة نور الدين الشهيد مع أبيه وإخوته ، وحضر مع أخيه صلاح الدين فى فتوحاته وغزواته ، وقام أحسن قيام فى الهدنة مع الإنكتار ملك الفرنج بعد أخذهم عكا ، وكان صلاح الدين (رحمه الله) يعول عليه كثيرًا فاستنابه بالديار المصرية مدة ، ثم أعطاه حلب ، ثم الكرك وأعماله ؛ وحران وما يتعلق بها . ثم جرى بعد وفاة أخيه بينه وبين أولاد أخيه أمور سبق ذكرها ، إلى أن استقر له الملك[٥] .

(الثانى) فى سيرته :

كان حازما متيقظا غزير العقل ، سَديد الآراء ذا مكر وخديعة ، صبورا حليما ، يسمع ما يكره ويغضى عنه ، صفوحًا صبورا على الأذى ، عادلا مجاهدا ، عفيفا دينا متصدقا ، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ، طهر جميع ولاياته من الخمور والخواطئ والقمار والمخانيث ، والمكوس والمظالم . وكان الحاصل من هذه الجهات بدمشق على الخصوص مائة ألف دينار ، فأبطل الجميع لله تعالى . وكان واليه المبارز المعتمد (رحمه الله) أعانه على ذلك ، وأقام رجالا على [عقبان][٦] قاسيون ، وجبل الثلج وحوالى دمشق

---

(١) انظر : الذيل على الروضتين ، ص ١١١ ؛ مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٩٠ .

(٢) بالبحث تبين أن المقصود ابن الأثير فى كتابه الكامل ، جـ ١٠ ، ص ٣٩٣ .
أما البداية والنهاية فلم ترد فيها هذه الجملة .

(٣) المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٣ ، ص ١١٩ .

(٤) وفيات الأعيان ، جـ ٥ ، ص ٧٨ .

(٥) انظر تفصيل ذلك فى الكامل ، جـ ١٠ ، ص ٣٩٣ ـ ٣٩٤ ؛ مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٩٠ .

(٦) فى الأصل «عقبات» . والتصحيح من الذيل على الروضتين ، ص١١١ ؛ مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٩١ .
والعُقاب : الصخرة العظيمة فى عُرْض الجبل . انظر : لسان العرب ، مادة عقب ؛ معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص٦٩٠ .

بالجامكية والجراية ، يُحَرِّمون أحدا يدخل دمشق بمنكر ، فكان أهل الفساد يتحيلون ويجعلون زقاق الخمر فى الطبول ويدخلون بها إلى دمشق ، فمنع من ذلك .

وقال السبط[١] : وبلغنى أن بعض المغنيات دخلت على العادل فى عرس ، فقال لها : أين كنت؟ قالت : ما قدرتُ أجئ حتى وَفَّيْتُ ما عَلَىَّ للضامن . فقال : وأى ضَامنٍ؟ قالت : ضامن القِيان ، فقامت عليه القيامة ، وطلب المعتمد فأنكر عليه فقال : والله لئن عاد ما بلغنى مثل هذا لأفعلن ولأصنعن .

وفى تاريخ ابن كثير[٢] : وكان العادل ماسك اليد لكنه أنفق فى أيام الغلاء بمصر أموالا عظيمة جدًا ، وتصدق على أهل الحاجة من أبناء الناس وغيرهم شيئا كثيرًا ، ثم فى العام [الذى][٣] بعده فى الفناء كَفَّنَ ثلاثمائة ألف إنسان من الغرباء . وكان كثير الصدقة فى أيام مرضه ؛ يخلعُ جميع ما عليه ويتصدق به ، وبمركوبه وما يحبه من أمواله .

وقال السبط[٤] : ولقد فعل العادل فى غلاء مصر عقيب[٣٧٦] موت العزيز ما لم يفعله غيره ؛ كان يخرجُ فى الليل بنفسه ومعه الأموال يفرِّقها فى أرباب البيوتات والمساكين ، ولولاه لمات الناس كلهم .

وقال ابن خلكان[٥] : وكان العادل ملكا عظيما ذا رأى ومعرفة تامة قد حنكته التجارب ، حسن السيرة ، جميل الطوية ، وافر العقل ، حازمًا فى الأمور ، صالحا محافظا على الصلوات فى أوقاتها ، متبعا لأرباب السنة ، مائلا إلى العلماء ، حتى صَنَّف له فخر الدين الرازى كتاب «تأسيس التقديس» وذكر اسمه فى خطبته ، وسيره إليه من بلاد خراسان . وبالجملة فإنه كان رجلا مسعودًا حتى فى أولاده ، فإنهم كانوا نجباء على ما نذكرهم عن قريب .

وفى تاريخ ابن العميد : كان جميل السيرة حسن العقيدة ، كبير السياسة حازم الرأى ، ذا معرفة بدقائق الأمور ، وكان مسعودا فى جميع أموره ، وعاش عيشا رغدًا .

---

(١) مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٩١ ؛ الذيل على الروضتين ، ص ١١١ .

(٢) البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٨٧ .

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة لاستقامة المعنى .

(٤) مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٩١ ؛ الذيل على الروضتين ، ص ١١١ .

(٥) وفيات الأعيان ، جـ ٥ ، ص ٧٦ .

(الثالث) فى وفاته :

قد ذكرنا أنه كان نازلا بمرج الصُّفر ، وقد أرسل العساكر إلى ولده الملك الكامل ، لأجل الفرنج الذين اجتمعوا على دمياط ، ثم رحل من مرج الصفر إلى عالقين بفتح العين المهملة وبعد الألف لام مكسورة ثم قاف مكسورة ثم ياء آخر الحروف ساكنة ثم نون ، وهى قرية بظاهر دمشق ، قاله ابن خلكان(١) ، وقال غيره : هى قرية عند عقبة فيق فنزل بها ومرض واشتد مرضه ، ثم توفى هناك فى سابع جمادى الآخرة من هذه السنة .

وفى المرآة(٢) : وسبب موته انزعاجه من الخبر الذى جاءه من دمياط ؛ أن الفرنج استولوا على بُرج السلسلة ، فَدَقَّ بيده على صدره وأقام مريضا إلى يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة ، فتوفى بعالقين .

ولما توفى لم يعلم بموته غير كريم الدين الأخلاطى ، فأرسل الطير إلى الملك المعظم بنابلس ، فجاء المعظم يوم السبت إلى عالقين فاحتاط على الخزائن وصَبَّر العادل وجعله فى محفة وعنده خادم يروِّح عليه ، وقد رفع طرف سجافها وأظهر أنه مريض ، ودخلوا به دمشق يوم الأحد والناس يُسَلِّمون على الخادم وهو يُومىء إلى ناحية العادل ، أى أنه يُعلمُه بمن يُسلم . ودخلوا به إلى القلعة وكتموا موته . قال السبط : ومن العجائب أنهم طلبوا له كفنا فلم يقدروا عليه ، فأخذوا عمامة الفقيه النجيب ابن فارس فكفنوه بها ، وأخرجوا قطنا من مخدة فلفوه به ، ولم يقدروا على فأس فسرق كريم الدين فأسًا من الخندق فحفروا له به فى القلعة ، وصلى عليه وزيره ابن فارس ودفنوه فى القلعة . قال السبط : وكنت قاعدًا إلى جانب المعظم عند باب الدار التى فيها الإيوان وهو واجم ولم أعلم بحاله ، فلما دفن أبوه قام قائما وشق ثيابه ولطم على رأسه ووجهه ، وكان يوما عظيما وعمل له العزاء ثلاثة أيام بالإيوان الشمالى ، وعمل له العزاء فى جميع البلاد ، ونودى فى بغداد من أراد الصلاة على الملك العادل الغازى المجاهد فى سبيل الله فليحضر إلى جامع القصر ، فحضر الناس ولم يتخلف سوى الخليفة ، وصلوا عليه صلاة الغائب وترحموا عليه ، وتقدموا إلى خطباء الجوامع بأسرهم ففعلوا ذلك بعد صلاة الجمعة .

---

(١) وفيات الأعيان ، جـ ٥ ، ص ٧٨ .

(٢) مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٩١ - ٣٩٢ ؛ الذيل على الروضتين ، ص ١١٢ .

قال السبط[١] : فوضَّ إلى الملك المعظم تربة بدر الدين حسن فى اليوم الثالث . وقال أبو شامة[٢] : هو بدر الدين حسن أحد أولاد الداية هو وأخوته من أكابر أمراء نور الدين بن زنكى رحمه الله ، وتربته هى التى على نهر ثورا[٣] عند جسر كحيل فى طريق الجبل قرب المدرسة الشبلية[٤] ، فكان أبو المظفر يعنى السبط[٣٧٧] (رحمه الله) يسكنها ويدرس بالمدرسة الشبلية ، ومنها يصعد إلى الجبل وينزل إلى دمشق كل يوم سبت[٥] لمجلس الوعظ ، وما أكثر ما كنت أراه جالسا فى شباك التربة أو فى الصفّة الخارجة فى النهر ومعه كتاب يطالع فيه أو ينسخ منه ، فما أطيب ما كانت تلك الأيام وما أرغد عيش تلك الأعوام . وقال السبط[٦] : وأقام العادل بالقلعة إلى سنة تسع عشرة وستمائة ثم نقل إلى تربته التى أنشأها عند دار العقيقى ومدرسته .

وفى تاريخ ابن العميد : وفى سنة أربع عشرة وستمائة خرج الملك العادل من الديار المصرية إلى الشام بأمواله وذخائره فمضى إلى قلعة الكرك وأقام بها مدة ، وجعل أمواله التى خرجت معه من مصر فيها . وفى سنة خمس عشرة بلغه أن الفرنج قد نزلوا على دمياط ، فجهز العساكر التى كانت معه جميعها إلى الديار المصرية وخرج من الكرك على عزم المسير إلى دمشق ، فمرض فى الطريق فنزل على عالقين قريبا من دمشق وأقام بها مدة ، ومات بها وذلك فى آخر نهار الخميس السابع من جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة ، وكتموا موته وقالوا : لقد أشار الطبيب بأن يعبر إلى دمشق فيداوى ، فحملوه فى محفة وعنده خادم والطبيب راكب إلى جانب المحفة ، والشراب دار[٧] يصلح الأشربة ويحملها إلى الخادم فيشربها ويتوهم أن السلطان يشرب إلى أن دخلوا إلى قلعة دمشق بالخزائن والحزم وجميع البيوتات ، ثم أظهروا موته فاختبط الناس وصاحوا ، فركب

---

(١) مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٩٢ .
(٢) الذيل على الروضتين ، ص ١١٣ .
(٣) نهر ثوراً : نهر عظيم بدمشق . انظر معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٩٣٨ .
(٤) المدرسة الشبلية بدمشق : من المدارس الحنفية ، وهى التى يطلق عليها الشبلية البرانية أو الشبلية الحسامية ، وبانيها هو الطواشى شبل الدولة كافور الحسامى .
انظر : الدارس فى تاريخ المدارس ، جـ ١ ، ص ٥٣٠ .
(٥) «بسبب مجلس الوعظ» الذيل على الروضتين ، ص ١١٣ .
(٦) مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٩٢ .
(٧) الشراب دار : هو لقب على الذى يتصدى للخدمة بالشراب خاناه . انظر : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٤٦٩ .

ولده الملك المعظم شرف الدين عيسى صاحب دمشق وهدأ الناس وسكنهم ، ونادى المنادى ترحموا على السلطان الملك العادل وادعوا لسلطانكم الملك المعظم ، فبكت الناس وحزنوا عليه .

(الرابع) فى ذكر ما يتعلق به :

وكانت مدة مملكته لمصر نحو تسع[1] عشرة سنة ، ولدمشق ثلاثا وعشرين سنة .

وقال ابن خلكان[2] : كان الملك العادل سيف الدين أخو السلطان صلاح الدين (رحمه الله) وصل إلى الديار المصرية صحبة أخيه وعمه أسد الدين شيركوه ، ولما ملك صلاح الدين الديار المصرية كان ينوب عنه فى حال غيبته بالشام ، ويستدعى منه الأموال للإنفاق فى الجند وغيرهم . ولما ملك صلاح الدين مدينة حلب فى صفر سنة تسع وسبعين وخمسمائة أعطاها لولده الملك الظاهر غازى ، ثم أخذها منه وأعطاها للملك العادل فانتقل إليها وصعد قلعتها يوم الجمعة الثانى والعشرين من رمضان من السنة المذكورة ، ثم نزل عنها للملك الظاهر غازى بن صلاح الدين لمصلحة وقع الاتفاق عليها بينه وبين أخيه صلاح الدين ، وخرج منها فى سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة ليلة السبت الرابع والعشرين من ربيع الأول منها ، ثم أعطاه السلطان صلاح الدين قلعة كرك وتنقل فى الممالك فى حياة أخيه صلاح الدين وبعد وفاته إلى أن استقل بمملكة الديار المصرية ، واستقرت له القواعد وخطب له بمصر والقاهرة وبحلب أيضا . وملك بعدها البلاد الشامية والشرقيةَ وصَفَتْ له الدنيا ، ثم ملك بلاد اليمن فى سنة اثنتى عشرة وستمائة وسيّر إليها ولد ولده الملك المسعود صلاح الدين أبا المظفر يوسف المنعوت بأطسز ابن الملك الكامل . وأطسيز بفتح الهمزة وسكون الطَّاء المهملة وكسر السين المهملة وبعدها باء آخر الحروف ثم زاى معجمة . وهى كلمة تركية وتفسيرها بالعربى ما له اسم . وقد يقال أطسيس بسينين مهملتين[٣٧٨] والعامة يقولون : أقسيس بالقاف . وصوابه بالطاء وإنما سمى بذلك لأن الملك الكامل ما كان يعيش له ولد ، فلما ولد المسعود المذكور قال بعض الحاضرين فى مجلسه من الأتراك : فى بلادنا إذا كان الإنسان لا يعيش له ابن سماه أطسيس .

---

(١) «تسعة عشر» فى الأصل .

(٢) وفيات الأعيان ، جـ ٥ ، ص ٧٤ ـ ص ٧٩ .

وقال ابن كثير[١] : وأتت الملك العادل السعادة واتسعت مملكته ، وكثرت أولاده ورأى فيهم ما يحب ، ولم ير أحد من الملوك الذين اشتهرت أخبارهم فى أولادهم من المُلْكِ والظفر ما رآه العادل فى أولاده .

وقد كانت ممالكه ممهدة من أقصى بلاد مصر واليمن والشام والجزيرة إلى همذان كلها ، أخذها بعد أخيه السلطان صلاح الدين يوسف (رحمه الله) سوى حلب فإنه أقرها بيد ابن أخيه السلطان غازى بن صلاح الدين لأنه كان زوج ابنته صفية خاتون كما ذكرنا[٢] .

وكان الملك العادل كثير الأكل ممتعا بصحته وعافيته مع كثرة صيامه ، يأكل فى اليوم الواحد أكلات جيدة ، ثم بعد كل حال يأكل وقت النوم رطلا بالدمشقى من الحلواء السكرية اليابسة ، وكان يعتريه مرض فى أنفه فى زمان الورد فكان لا يقدر على الإقامة بدمشق حتى يفرغ زمن الورد ، يضرب له الوطاق بمرج الصفر ثم يدخل البلد بعد ذلك[٣] .

وكان عنده عند موته بعض مماليكه ، ولم يكن عنده أحد من أولاده حاضرا ، فحضر إليه ابنه الملك المعظم عيسى بعد وفاته وكان بنابلس كما ذكرنا ، واحتوى المعظم على جميع ما كان مع أبيه من الجواهر والأموال والسلاح والخيول وغير ذلك ، وكان فى خزانته لما توفى سبع مائة ألف دينار عينيا[٤] .

وقال ابن خلكان : (رحمه الله) ولما قسم العادل البلاد بين أولاده كان يتردد بينهم ويتنقل من مملكة إلى أخرى ، وكان فى الغالب يصيف بالشام لأجل الفواكه والثلج والمياة الباردة ، ويشتى فى الديار المصرية لاعتدال الوقت فيها وقلة البرد ، وعاش فى أرغد عيش ، وكان يأكل كثيرا خارجا عن المعتاد ، يقال : كان يأكل وحده خروفا لطيفا مشويا ، وكان له من النكاح نصيب وافر ، وحاصل الأمر أنه كان ممتعا فى دنياه[٥] .

---

(١) بالبحث فى البداية والنهاية لم نجد هذا الخبر ، ولكن ذكر هذا الخبر بالتفصيل فى المختصر فى أخبار البشر ، جـ٣ ، ص ١١٩ ، وورد بتصرف فى وفيات الأعيان ، جـ ٥ ، ص ٧٦ ، الكامل ، جـ ١٠ ، ص ٣٩٤ .

(٢) ورد هذا الخبر فى مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٩٠ ، الذيل على الروضتين ، ص ١١١ ؛ البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٨٦ .

(٣) ورد هذا الخبر بالتفصيل فى البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٨٦ ؛ وفيات الأعيان ، جـ ٥ ، ص ٧٨ .

(٤) ورد هذا الخبر فى مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٩١ ؛ الذيل على الروضتين ، ص ١١٢ ؛ البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص٨٦ ؛ المختصر ، جـ ٣ ، ص ١٢٠ .

(٥) وفيات الأعيان ، جـ ٥ ، ص ٧٨ .

(الخامس) فى ذكر أولاده :

خلف أولادا لم يخلف أحد من الملوك أمثالهم فى نجابتهم وبسالتهم ومعرفتهم وعلو هممهم ، ودانت لهم العباد وملكوا خيار البلاد[١] ، وخلف تسعة عشر ولدا[٢] ذكرا سوى البنات كلهم نجباء . (الأول) الملك الأوحد نجم الدين أيوب صاحب أخلاط وغيرها ، مات فى حياة والده كما ذكرنا . (الثانى) الملك المغيث عمر توفى فى حياة والده ، وخلف ولدا صغيرا ، ولقبوه بلقب أبيه . (الثالث) الملك الكامل ناصر الدين محمد صاحب الديار المصرية والسكة والخطبة له فى جميع الممالك الأيوبية . (الرابع) الملك المعظم شرف الدين عيسى صاحب دمشق وأعمالها . (الخامس) الملك العزيز عماد الدين عثمان صاحب بانياس . (السادس) الملك الأمجد مجد الدين حسن توفى فى حياة والده . (السابع) الملك الأشرف مظفر الدين موسى صاحب حران والرها وغيرهما وصاحب أخلاط بعد موت أخيه الملك الأوحد . (الثامن) الملك المظفر شهاب الدين غازى صاحب ميا فارقين . (التاسع) الملك المعز مجير الدين يعقوب . (العاشر) الملك القاهر إسحاق ويلقب ببهاء الدين . (الحادى عشر) الملك الصالح عماد الدين إسماعيل[٣٧٩] . (الثانى عشر) الملك الأفضل قطب الدين أحمد ، توفى بمصر أيام أخيه الملك الكامل . (الثالث عشر) الملك الفائز إبراهيم ويلقب بسابق الدين . (الرابع عشر) الملك الحافظ نور الدين على أرسلان شاه صاحب قلعة جعبر . (الخامس عشر) الملك الأمجد تقى الدين عباس وهو آخرهم وفاة . (السادس عشر) الملك المغيث شهاب الدين محمود . (السابع عشر) الملك الناصر صلاح الدين خليل وهو أصغرهم . (الثامن عشر) الملك المعظم شمس الدين مودود . (التاسع عشر) الملك القاهر بهاء الدين الخضر[٣] .

وفى المرآة[٤] : وكان العزيز عثمان والأمجد شقيقى الملك المعظم ، وكان مجير الدين يعقوب والقاهر إسحاق شقيقى[٥] شهاب الدين غازى .

---

(١) ورد هذا الخبر فى وفيات الأعيان ، جـ ٥ ، ص ٧٦ .

(٢) فى المختصر فى أخبار البشر أن الملك العادل خلف ستة عشر ولدا ذكرا . جـ ٣ ، ص ١٢٠ .

(٣) ورد هذا الخبر فى المرآة ، جـ ٨ ، ص ٣٩٢ ؛ الذيل على الروضتين ص ١١٣ ؛ البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٧٨ .

(٤) مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٩٢ .

(٥) «شقيقا» فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه .

وقال أبو شامة[١] : تقى الدين عباس كان حيا بدمشق فى سنة تسع وخمسين وستمائة ، وهو آخر من بقى منهم .

وقال السبط[٢] : وكان الصالح إسماعيل وقطب الدين أحمد بدمشق لما مات العادل ، فأمر المعظمُ الصالحَ فتوجه إلى بُصرى ، وأحمد إلى مصر .

وكانت للعادل بنات أجلّهن صفية خاتون زوجة الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين يوسف صاحب حلب ، أم الملك العزيز والد الملك الناصر يوسف الذى أسره هلاون[٣] . كما سنذكره إن شاء الله .

قال شرف الدين ابن عنين يمدح الملك العادل ويذكر أولاده بقصيدته التى أولها[٤] .

ماذا على طيف الأحبة لو سرى	وعليهم لو سامحونى بالكرى
العادل الملك الذى أسماؤه	فى كل ناحية تُشرف منبرا
مافى أبى بكر لمعتقد الهدى	شك يريب بأنه خير الورى
بين الملوك الغابرين وبينه	فى الفضل ما بين الثريا والثرى
نسخت خلائقه الحميدة ما أتى	فى الكُتب عن كسرى الملوك وقيصرا
لا تسمعن حديث ملك غيره	يروى فكل الصيد فى جوف الفرا
وله الملوك[٥] بكل أرض منهم	ملك يجر[٦] إلى الأعادى عسكرا
من كل وضاح الجبين تخاله	بدرًا فإن شهد الوغى فغضنفرا

(السادس) فيما تجدد بعد وفاته :

لما دخل[٧] شهر رجب رد الملك المعظم المكوس والخمور وما كان أبوه أبطله . قال السبط : فقلت له : قد خلفت سيف الدين غازى ابن أخى نور الدين فإنه كذا فعل لما

(١) الذيل على الروضتين ، ص ١١٣ .
(٢) مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٩٢ ؛ البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٨٧ ؛ الذيل على الروضتين ، ص ١١٣ .
(٣) هلاون = هولاكو .
(٤) ورد هذا الشعر فى : وفيات الأعيان ، جـ ٥ ، ص ٧٦ ـ ٧٧ ؛ المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٣ ، ص ١٢٠ .
(٥) «البنون» فى وفيات الأعيان ، جـ ٥ ، ص ٧٦ .
(٦) «يقود» فى وفيات الأعيان ، جـ ٥ ، ص ٧٦ .
(٧) ورد هذا الخبر فى مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٩٢ ؛ الذيل على الروضتين ، ص ١١٣ .

مات نور الدين ، فاعتذر بقلة المال والفرنج . قلت : هذا عذر غير مقبول عند الله وعند الناس . ثم سار المعظم إلى بانياس وراسل الصارم التبنينى وهو بتبنين[١] فى تسليم الحصون فأجابه به ، فأخرب بانياس وسار إلى تبنين فأخربها وهدمها ، وكانت قفل البلاد وملجأ العباد ، وأعطى بلاد جهاركس لأخيه العزيز وزوّجه ببنت جهاركس ، وبعث إليه الكامل بالخلع ، وقال : أدركنى . وقد جاءت الفرنج فنزلوا سرمساح ، وأخلى لهم المسلمون الخيام فطمعوا ، ثم رجع عليهم الكامل فكسرهم وقتل منهم خلقًا كثيرًا وعادوا إلى دمياط . ونزل الصارم وولده ناصر الدين وأصحابه من الحصون فأكرمهم المعظم وخلع عليهم وأحسن إليهم ، وأظهر أنه ما أخرب بانياس وتبنين إلا خوفًا من استيلاء[٣٨٠] الفرنج عليها[٢] .

(السابع) فى دولة الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب استقلالا بالديار المصرية بعد والده فى جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة .

ولما توفى والده ووصل الخبر بوفاته عمل له العزاء بدار الوزارة بالقاهرة ، وكان نازلا بدمياط مشغولا بالفرنج ـ كما ذكرنا ـ وعنده أخوة الفائز ، وجرت بين المسلمين والفرنج وقائع كثيرة وحروب ، وثارت الفتن من الغرباء بالديار المصرية ، فكانوا أشد بلاءً من الفرنج . واتفق مع ذلك أن عماد الدين بن المشطوب – أحد الأمراء العادلية – كان يكره الكامل فأراد القبض عليه وإقامة أخيه الفائز عوضا عنه ، فأُعلم الكامل بهذه الحالة فارتحل عن دمياط ، وقصد التوجه إلى مصر لهذه الحادثة ، فأشار عليه بعض الأمراء بالمقام على المنصورة ، وهى قرية أنشأها الكامل على بحر أشموم لأجل مقابلة الفرنج ومقاتلتهم ، فأقام بها وأصبح الفرنج فلم يروا من العسكر الإسلامى أحدًا بالبر الشرقى ، فظنوا أنها مكيدة عملت عليهم ، فارتابوا إلى أن تحققوا رحيل السلطان ، فعدوا وكسبوا وغنموا ما ترك المسلمون وأحاطوا بدمياط من البر والبحر ، وضايقوها مضايقة كثيرة .

---

(١) بلدة فى جبال بنى عامر المطلة على بانياس ، بين دمشق وصور . معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٨٢٤ .

(٢) ورد هذا الحدث فى الذيل على الروضتين ، ص ١١٣ .

ووصل الملك المعظم شرف الدين عيسى أخو الكامل من دمشق إليه ، فشكا له حاله وما أراد ابن المشطوب أن يعمله معه ، فقال : أنا أكفيك أمره . وركب المعظم وجاء حتى وقف بفرسه على باب خيمة ابن المشطوب ، فجرى إليه وتلقاه ، فقال له : يقوم الأمير عماد الدين لنتفق على نصب المنجنيقات على أطراف البحر ، وترتيب اليزك ومصلحة المسلمين فركب مسرعا ، فلما سار معه قليلا واستدرجه المعظم حتى أخرجه عن الخيام ، أحاط به عسكر المعظم وأنزلوه عن جواده وركّبوه بغلة وسُيِّر إلى الشام . فقصد الأشرف مظفر الدين موسى وأقام فى خدمته ، وتوجه الفائز إلى الشرق ، واستقر حال الكامل وأعاد الصاحب صفى الدين بن شكر إلى الوزارة ليحصل الانتفاع به فى استخراج الأموال ، وتحصيل ما ينفق فى الغزاة إعانة لهم على ما هم بصدده من القتال . وكان المذكور قد نفى إلى الشام عند عزله فأعيد ، وَجَبَى من التجار وأرباب الأموال شيئا[1] يقال له التبرع .

وقال ابن كثير[2] : وأعيد الوزير صفى الدين عبدالله بن على بن شكر من بلاد الشرق من آمد إلى دمشق بعد موت العادل ، وكان العادل قد نفاه كما ذكرنا .

وفى المرآة[3] وفيها قدم الصاحب صفى الدين بن شكر وزير العادل وكان العادل قد نقم عليه فنفاه إلى الشرق ، فمضى إلى آمد فأقام بها ، فلما مات العادل كتب ابنه الكامل من مصر إليه يطلبه ، فقدم دمشق فى هذه السنة ونزل بظاهرها ببيت [أرانس][4] فى دار المؤيد العقوبانى فخدمه المؤيد ، وكان قد قَلّ نظره فأقام أياما ثم توجه إلى مصر .

وقال أبو شامة : وقيل : إن قدومه من الشرق[5] كان بعد هذه السنة . وقرأ بهاء الدين بن أبى اليسر بين يديه ببيت [أَرَانِس] مقامة فى مدحه من إنشاد الشيخ أبى الحسن السخاوى[6] ، سماها «محاضرة العلماء ومحاورة الفقهاء فى أوحد الكبراء وسيد الوزراء» ،

---

(١) «شيء» فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه .
(٢) انظر البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٨٧ ؛ مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٩٣ ؛ الذيل على الروضتين ، ص ١١٤ - ١١٥ .
(٣) مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٩٣ .
(٤) «رانس» فى الأصل ، وفى مرآة الزمان «برانس» ، وفى الذيل على الروضتين ، ص ١١٤ «دانس» . والمثبت من ياقوت . معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٧٧٥ .
وبيت أَرَانِس : من قرى الغوطة بدمشق .
(٥) «المشرق» فى الذيل على الروضتين ، ص ١١٤ .
(٦) «البخارى» فى الذيل على الروضتين ، ص ١١٤ .

وهى مقامة جليلة حسنة لفظا ومعنى . وكان خليقا بالوزارة لم يأت بعده فيها مثله ، وكان متواضعا يُسلم على الناس الذين يمر بهم وهو راكب ، ويكرم الفقهاء ويحترمهم[٣٨١] ويعمر أوقافهم ويثمرها ، ويوسع لهم فى الجامكيات . وفى أيامه بنيت العمارة بغوارة[١] جيرون والمسجد والبركة والشادروان وغير ذلك .

قال أبو شامة[٢] : قال السبط : توفى فى سنة ثلاثين وستمائة وهو وهم ، وإنما توفى فى سنة ثنتين وعشرين وستمائة كما سنذكره إن شاء الله .

ذكر وفاة الملك القاهر صاحب الموصل وهو عز الدين مسعود بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكى بن أقسنقر

مات لثلاث بقين من ربيع الأول من هذه السنة[٣] ، وكانت مدة ملكه تسع سنين وسبعة أشهر ، وانقرض بموته ملك البيت الأتابكى . وكان قليل الطمع فى أموال الرعية ، كافًا عن أذىً يُوصله إليهم ، مقبلا على لذاته ينهبها نهبًا .

وقال ابن خلكان[٤] : لما مات نور الدين أرسلان شاه خَلّف ولدين أحدهما : الملك القاهر عز الدين أبو الفتح مسعود ، والآخر الملك المنصور عماد الدين زنكى ، ولما حضرته الوفاة قَسَّم البلاد بينهما ، فأعطى للملك القاهر - وهو الأكبر - الموصل وأعمالها وأعطى عماد الدين شوش والعَقْر وتلك النواحى . فأما الملك القاهر فكانت ولادته فى سنة تسعين وخمسمائة بالموصل ، وتوفى بها فجأة ليلة الإثنين لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر سنة خمس عشرة وستمائة ، وكان قد بنى مدرسة فدفن فيها .

وفى تاريخ بيبرس : وأوصى الملك القاهر بالملك بعده لولده الكبير أرسلان شاه وعمره نحو من عشر سنين ، وجعل المدبر لدولته بدر الدين لؤلؤ وهو كان يتولى دولة والده القاهر ، ويقوم بتدبيرها وتدبير جده نور الدين أيضا . فلما توفى القاهر أجلس بدر الدين لؤلؤ ولده أرسلان شاه مكانه ، وأرسل إلى الخليفة يطلب منه التقليد والتشريف ، وأرسل

(١) جيرون باب من أبواب الجامع الأموى بدمشق ، وهو الباب الشرقى ، وفيه فوّارة يُنْزَلُ عليها بدرج كثيرة فى حوض من رخام وقُبّة خشب يعلو ماؤها نحو الرمح . انظر : معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ١٧٦ .

(٢) انظر : الذيل على الروضتين ، ص ١١٥ ؛ مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٤٤٨ وفيات سنة ٦٣٠ هـ .

(٣) انظر : وفيات الأعيان ، جـ ٥ ، ص ٢٠٨ .

(٤) انظر : وفيات الأعيان ، جـ ٥ ، ص ٢٠٨ .

إلى الملوك وأصحاب الأطراف المجاورين لهم يطلب تجديد العهود لنور الدين على القاعدة التى كانت بينهم وبين أبيه ، فلم يُصبح إلا وقد فرغ من كل ما يحتاج إليه وجلس للعزاء ، وحَلّفَ الجُند والرعايا ، وضبط المملكة مع صغر السلطان وكثرة الطامعين فى المُلْك ، فإنه كان معه فى البلد أعمام أبيه ، وكان عمه عماد الدين زنكى بن أرسلان شاه بقلعة عقر الحميدية ، يُحدث نفسه بالملك ، لا يشك أن الملك يصير إليه بعد أخيه . فرقّع بدر الدين لؤلؤ ذلك الخرق وأحسن إلى الناس عامة وخلع عليهم ، وأحسن السيرة وكشف الظلامات وأنصف بعضهم من بعض .

وبعد أيام وصل التقليد من الخليفة إلى نور الدين بالولاية ، ولبدر الدين لؤلؤ بالنظر فى أمر دولته ، والتشريفات لهما ، وأتتهم رسل الملوك بالتعزية وبذل ما طلب منهم من العهود ، واستقرت القاعدة لهما .

وقال ابن كثير[١] : ولما أُجلس أرسلان شاه بن القاهر فى المملكة وكان به قروح وأمراض ، تحرك عمه عماد الدين زنكى بن أرسلان شاه وقصد العمادية واستولى عليها ، ثم استولى على قلاع الهكارية والزوزان[٢] ، واستنجد بدر الدين لؤلؤ المتولى على ملك الموصل ومدبر أرسلان شاه بالملك الأشرف ابن الملك العادل ودخل فى طاعته ، فأنجده الملك الأشرف بعسكر وساروا إلى عماد الدين زنكى بن أرسلان شاه وهزمه ، وكان زنكى متزوجا ببنت مظفر الدين كوكبورى صاحب إربل ، وأم البيت ربيعة خاتون بنت أيوب أخت الملك العادل . وكان مظفر الدين لا يترك ممكنا فى نجدة صهره[٣٨٢] زنكى المذكور ويبالغ فى عداوة بدر الدين لؤلؤ لأجل صهره .

ذكر وفاة نور الدين أرسلان شاه ابن الملك القاهر عز الدين مسعود صاحب الموصل

وذكر بيبرس[٣] فى تاريخه وفاته فى هذه السنة ، وذكره المؤيد[٤] فى السنة الآتية .

---

(١) ورد هذا الحدث فى الكامل لابن الأثير ، جـ ١٠ ، ص ٣٨٣ - ٣٨٤ . ولم نجده فى البداية والنهاية كما ورد بالأصل .

(٢) زوزان : ناحية واسعة فى شرقى دجلة من جزيرة ابن عمر . وهى بين الموصل وخلاط وأذربيجان . معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٩٥٧ .

(٣) انظر : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ٣٨٦ .

(٤) المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٣ ، ص ١٢١ .

وقال بيبرس لما تقرر الصلح بينه وبين عماد الدين زنكى كان متمرضا ولم يلبث أن مات على فراشه ، فرتب بدر الدين لؤلؤ أخاه ناصر الدين محمود وله من العمر ثلاث سنين ، ولم يكن للملك القاهر ولد غيره ، وحلّف له الجند فركّبه وطابت نفوس الناس لأن نور الدين كان لا يقدر على الركوب لكثرة أمراضه فلما ركب أخوه علموا أن لهم سلطانًا من البيت الأتابكى ، فاستقروا واطمأنوا وسكنوا .

ولما ملك ناصر الدين المذكور تجدد لمظفر الدين صاحب إربل وعماد الدين زنكى طمعٌ لصغر سن ناصر الدين ، فجمعا الرجال وتجهزا للحركة وقصدوا أطراف بلاد الموصل بالنهب والفساد ، وكان بدر الدين قد سير ولده الكبير فى جمع كثير من العسكر إلى الملك الأشرف ؛ نجدة له بسبب اجتماع الفرنج بمصر وهو يريد أن يدخل بلاد الفرنج التى بالشام ، ينهبها ويخزنها ليعود بعض الفرنج الذين بدمياط إلى بلادهم فيخف الأمر على الملك الكامل . فلما تحرك مظفر الدين وعماد الدين على بدر الدين لؤلؤ أرسل يستنجد بعسكر الأشرف الذين بنصيبين ويستدعيهم ليعتضد بهم ، وكان المقدم عليهم مملوكا للأشرف يسمى أيبك ، فساروا إلى الموصل فلما رآهم بدر الدين استقلّهم لأنهم كانوا أقل من العسكر الذى أرسله إلى الشام أو مثلهم ، وألحّ أيبك الأشرفى على عبور دجلة وقصد بلاد إربل ، فمنعه بدر الدين لؤلؤ من ذلك ، فنزل بظاهر الموصل شرقى دجلة ، فلما سمع مظفر الدين ذلك جمع عسكره وسار إليهم ومعه عماد الدين زنكى ، فعبر الزاب فسمع به بدر الدين فعبّى أصحابه وجعل أميرا كبيرا فى الميمنة ، فلما كان الليل أراد الانتقال إلى الميسرة فقال له بدر الدين لا يفعل لئلا ينهزم العسكر فإن العدو قريب منكم ، فلم يقبل منه وسار إلى الميسرة لجهله بالحرب واضطر الناس لاتباعه فتقطعوا من الليل والظلمة والتقوا هم والخصم على ثلاثة فراسخ من الموصل . فأما أيبك الأشرفى فإنه لحق بالميمنة وحمل هو وأصحابه على ميمنة مظفر الدين فهزمها وبها زنكى ، وتقدم إليه مظفر الدين فيمن معه من القلب فلم يمكنه الوقوف ، فعاد إلى الموصل وعبر دجلة ونزل البلد ، فلما رآه الناس فرحوا به ، ونزل مظفر الدين فيمن سلم معه من عسكره وراء تل حصن نينوى فأقام ثلاثة أيام ، فلما رأى اجتماع العسكر البدرى بالموصل وأنهم لم يفقد منهم إلا اليسير ، وبلغه الخبر أن بدر الدين يريد العبور إليه ليلا بالفارس والراجل على الجسور وفى السفن ويكبسه ، فرحل ليلا من غير أن يضرب كوسًا ،

وعاد نحو إربل فلما عبروا الزاب نزلوا ، ثم جاءت الرسل وسعوا فى الصلح على أن كل من بيده شىء هو له وتقررت العهود والأيمان على ذلك[١] .

وفى تاريخ المؤيد[٢] : مات نور الدين أرسلان شاه فى سنة ست عشرة وستمائة فأقام بدر الدين لؤلؤ بعده أخاه ناصر الدين محمود وعمره يومئذ نحو ثلاث سنين ، وهو آخر من خطب له من بيت أتابك بالسلطنة ، وكان أبوه القاهر آخر من[٣٨٣] كان له استقلال بالملك منهم ، ثم [إن][٣] هذا الصبى مات بعد مدة واستقر بدر الدين لؤلؤ بالملك وأتته السعادة ، وطالت مدة ملكه إلى أن توفى بالموصل بعد أخذ التتار بغداد على ما سنذكره إن شاء الله تعالى .

وقال أبو[٤] شامة : ثبت ملك بلاد الموصل لبدر الدين لؤلؤ فسمى بالملك الرحيم ، ثم لأولاده من بعده إلى الآن ، وبلغنى أن لؤلؤ كان سقى القاهر سمًا فمات ، ثم أدخل ابنه محمودا بعد ذلك حماما حاميا وأغلق عليه الباب فاشتد كربه وعطشه ، فاستغاث أخرجونى واسقونى ماء ثم اقتلونى ، وقد تغيرت خلقته وكان من أحسن الناس صورة ، فأسقى ماء ثم حنق بوتر .

ذكر خروج التتار إلى بلاد الإسلام وظهورهم فى هذه الأيام

قال بيبرس[٥] فى تاريخه : وفى هذه السنة أعنى سنة خمس عشرة وستمائة توالت الجوائح على البلاد الإسلامية وتواترت النوائب على الأمة المحمدية ، ووافق حركة الفرنج من المغرب خروج التتار من أقصى المشرق واستيلائهم على ما يليهم من ممالك الخطائية ، وامتدادهم إلى الممالك الإسلامية وانتزاعهم مدائن العجم من يد السلطان خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش بن أيل أرسلان بن إتسز المستولى على الممالك السلجوقية ، وذكر غيره خروج التتار إلى بلاد الإسلام فى سنة ست عشرة

(١) ورد هذا الحدث بتصرف فى الكامل ، جـ ١٠ ، ص ٣٨٦ ـ ص ٣٨٧ ؛ المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٣ ، ص١٢٠– ص١٢١ .

(٢) المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٣ ، ص ١٢١ .

(٣) ما بين حاصرتين إضافة من المختصر ، جـ ٣ ، ص ١٢١ . وذلك لاستقامة المعنى .

(٤) الذيل على الروضتين ، ص ١١٤ .

(٥) الكامل ، جـ ١٠ ، ص ٣٩٩ ـ وما بعدها حوادث سنة ٦١٧ هـ .

وستمائة وذلك أنهم عبروا نهر جيحون صحبة ملكهم جنكيز خان من بلادهم ، وكانوا يسكنون جبال طمغاج[١] من أرض الصين ولغتهم مخالفة للغة سائر التتار وهم من أشجعهم وأصبرهم على القتال ، وسبب دخولهم أن جنكيز خان بعث تجار له مع أموال كثيرة إلى بلاد خوارزم شاه يشترون له ثيابا للكسوة فكتب نائب خوارزم شاه إليه يخبره بهم وبما معهم من الأموال الكثيرة فأرسل خوارزم شاه إليه يأمره بقتلهم وأخذ أموالهم ففعل ذلك ، فبلغ جنكيز خان فغضب عند ذلك غضبا شديدا وأرسل يتهدد خوارزم شاه ، فأشار من أشار على خوارزم شاه بالمسير إليهم فسار إليهم فأقبل وهم فى شغل بقتال كشلى خان ، فنهب خوارزم شاه أموالهم وسبى ذراريهم وذلك بعد أن اقتتلوا أربعة أيام قتالا لم نسمع بمثله ؛ أولئك يقاتلون على حريمهم والمسلمون يقاتلون عن أنفسهم يعلمون أنهم متى ولوا استأصلوهم ، فقتل من الفريقين خلق كثير حتى أن الخيول كانت تزلق فى الدماء ، وكان جملة من قتل من المسلمين نحو من عشرين ألفًا ، ومن التتار أضعاف ذلك . ثم تحاجز الفريقان وولى كل منهم إلى بلاده .

وقال أبو الفتح المنشىء : لما انصرف السلطان خوارزم شاه من العراق واستقر بما وراء النهر وافته رسل جنكيز خان وهم محمود الخوارزمى ، وعلى خواجه البخارى ويوسف كنكا الأترارى ومعهم من نَقَر المعادن ونواقح المسك وأحجار اليشم والثياب التى تسمى طرقو ، وقد ذكرنا هذا أنه كان فى سنة أربع عشرة وستمائة وأن خوارزم شاه أكرم رسله وخلع عليهم وأظهر المسالمة مع جنكيز خان ، ولما ردوا إلى جنكيز خان وأخبروه بذلك سر وفرح على هذا واستمر الحال على المسالمة إلى أن وصل من بلاد جنكيز خان تجار إلى أترار وهم خواجه عمر الأترارى والجمال المراغى وفخر الدين البخارى وأمين الهروى ، وكان ينال خان ابن خال السلطان فى عشرين ألف فارس ينوب عن السلطان خوارزم شاه فى مدينة أترار[١] .

ولما وصلت التجار إلى أترار شرهت نفسه الدنيّة فى أموالهم واحتاط[٣٨٤] عليهم وخفّى أثرهم وتفرد بتلك الأموال بغير علم السلطان[٢] . فبلغ ذلك جنكيز خان ، فأرسل

---

(١) أُترار = أُطرار : مدينة حصينة وولاية واسعة فى أول حدود الترك بما وراء النهر على نهر سيحون قرب فاراب . معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٣١٠ .

(٢) ورد هذا الحدث بتصرف فى الكامل ، جـ ١٠ ، ص ٤٠١ ـ ٤٠٢ .

إلى خوارزم شاه شخصا يقال به كرُجْ بُغْرا ، وكان أبوه من أمراء السلطان تكش والد خوارزم شاه ، ومعه اثنان من التتار ، ومضمون الرسالة بأنك قد أعطيت خط يدك بالأمان للتجار ، وأن لا يتعرض إليهم أحد ، فغدرت ونكثت ، والغدر فى نفسه قبيح ، ومن سلطان الإسلام أقبح ، فإن كنت تزعم أن الذى فعله ينال خان من غير أمرك فسلمه إلىَّ لأجازيه على ما فعل ، وإلا فأذن بحربٍ تَرْخُصُ فيها غوالى الأرواح ، وتقصف معها عوالى الرماح .

فأمسك السلطان عن تسييرينال خان إليه ، على رعب خامر قلبه ، وخَوفُ سلب لُبه ، وذلك لأنه عُمْدَة عساكره ، ومن أقاربه ، وكان أكثر أمرائه من أقاربه ، وطُرُر مملكته والمتحكمين فى دولته . ثم اعتقد السلطان أنه إذا لاطف جنكيز خان فى الجواب لم يزده ذلك إلا طمعًا فيه ، فأغلظ فى الجواب وأمر بقتل أولئك الرسل فقتلوا فيا لها من قتلة هدرت دماء المسلمين والإسلام ، وأجرت بكل نقطة سيلا من الدم الحرام ، ولما بلغ ذلك جنكيز خان عزم على المسير إليه ، واجتهد فى الحوطة عليه وبلغ ذلك السلطان خوارزم شاه فأول ما اعتمده من التدبير الخطأ أنه عزم على أن يبنى سورا على سمرقند ودوربها على ما قيل اثنى عشر فرسخًا ثم شحنها بالرجال ليكون ردا بينه وبين الترك ، وسدًا دونهم ، ثم سير عماله وجباته إلى جميع البلاد وأمرهم أن يستخرجوا خراج سنتين . وأعجله التتار عن عمارة السور . ومن جملة خطئه فى تدبيره أنه لما سمع بقرب جنكيز خان فرق عساكره فى مدن ما وراء النهر وبلاد الترك ، فترك ينال خان فى عشرين ألف فارس فى أترار وقيلغ خان فى عشرة آلاف فارس فى شهر كند[1] والأمير اختيار الدين كشلى أمير آخور وأغلى حاجب الملقب بانبانجخان فى ثلاثين ألف فارس ببخارى وطغان جَان خَالَهُ وأمراء الغور مثل حرمنج وخرزوام وابن عزالدين وحسام الدين مسعود وغيرهم فى أربعين ألف فارس بسمرقند ، وفخر الدين المعروف باعيار النسوى وعسكر سجستان بترمذ وملخودْخان بوخش وأبا محمد خال أبيه فى جماعة كثيرة ببلخ وأسرك بهلوان بجند وعجلق بختلان ، وبالجملة لم يترك بلدًا من البلاد بما وراء النهر خاليا من عسكره وقد أخطأ فى ذلك ، فلو التقى التتار بعساكره قبل أن يفرقهم لاختطفهم خطفًا ولكن أمر الله غالب ، ثم إن جنكيز خان لما شارف تخوم البلاد السلطانية تياسر صوب أترار وداوم

(١) فى الأصل «شهركنت» والصحيح ما أثبتناه . وهى شَهْدكنْد : مدينة فى طرف تركستان قريبة من الجَنْد بينها وبين مدينة خوارزم نحو عشرة أيام . معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٣٤٤ .

القتال عليها ليلا ونهارا حتى استولى عليها ، وأحضر ينال خان بين يديه فأمر بسبك الفضة وقلبها فى أذنيه وعينيه فقتل تعذيبًا جزاء عن فعله الشنيع عن قتله التجار وأخذ أموالهم ، ثم أحضر جنكيز خان نائب الوزارة بأترار وهو بدر الدين العميد فاتفق معه على أن زوّر كتبًا عن لسان الأمراء قرابة والدة السلطان إلى جنكيز خان يبذلون له الدخول فى طاعته والرجوع عن مناصرة السلطان ومعاضدته ، وأرسل هذه الكتب على يد بعض خواصه فلما وقف عليها السلطان نفر منهم ونأى عنهم وأخذ يبدد شملهم ويفرق جمعهم[٣٨٥] ثم سير جنكيز خان دانشمند الحاجب وهو من خواصه إلى تُركان خاتون والدة السلطان بخوارزم . يقول : قد عرفت مقابلة ابنك وحقوقك بالعقوق وها أنا قد قصدته ولست بمتعرض إلى ما تحت يدك من البلاد فإن أردتِ ذلك ابعثى إلى من تثقى به حتى أحلف لك وأسلم لك خوارزم وخراسان ، وما يتاخمها من قاطع جيحون .

فكان جوابها عن هذه الرسالة أنها تخرج عن خوارزم وتتركها وراءها ، فعند ذلك خرجت تركان خاتون من خوارزم واستصحبت معها ما أمكنها من حرم السلطان وصغار أولاده ونفائس خزائنه ، وأمرت بقتل من كان بخوارزم من الملوك الأسارى وأبناء الملوك وكبار الصدور ، فقتل زهاء اثنين وعشرين نفسًا محرمة منهم ابنا السلطان غياث الدين الغورى وابن طغرل السلجوقى ، وعماد الدين صاحب بلخ[١] . وابنه بهرام شاه صاحب ترمذ[٢] ، وعلاء الدين صاحب باميان[٣] وجمال الدين عمر صاحب وخش[٤] وابنا[٥] صاحب سغناق[٦] من بلاد الترك ، وصدر جهان وافتخار جهان وابْناه ملك الإسلام وعزيز الإسلام . واستصحبت عمر خان ابن صاحب بازر وكان معوقًا بها لخبرته بالطرق المفضية إلى بلاده ، فخرج معها وخدمها تلك المدة أتم خدمة حتى إذا قاربت تخوم بازر خافت أن يفارقها ، فأمرت بضرب عنقه فقتل صبرًا وسارت بمن معها من الحرم والخزائن

---

(١) بَلْخ : مدينة مشهورة بخراسان .
معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٧١٣ .

(٢) ترمذ : مدينة مشهورة من أمهات المدن تقع على الجانب الشرقى لنهر جيحون . معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٨٤٣ .

(٣) باميان : بلدة وكورة فى الجبال بين بلخ وهراة وغزنة . معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٤٨١ .

(٤) وَخْشى : بلده من نواحى بلخ وهى على نهر جيحون . معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٩٠٩ .

(٥) «وابنى» فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه .

(٦) سغناق : تقع على نهر سيحون ويقال إنها قصبة قبجاق وهى على ٢٤ فرسخًا من شمال إترار وتعتبر من مدن الإسلام الكبرى فى تركستان فى ما وراء النهر . انظر بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٥٢٩ .

فصعدت قلعة إيلال من قلاع مازندران فأقامت بها إلى أن كان منها ما سنذكره إن شاء الله تعالى[١] .

وذكر بيبرس فى تاريخه خروج تركان خاتون المذكور من خوارزم فى هذه السنة ، وذكر أبو الفتح المنشىء أنه كان خروجها فى أواخر سنة ست عشرة وستمائة ، وسنذكر ما جرى بعد ذلك بين جنكزخان والسلطان خوارزم شاه وما جرى على تركان خاتون إن شاء الله تعالى .

ذكر بقية الحوادث فى هذه السنة

منها[٢] أن كيكاوس بن كيخسرو ملك الروم قصد حلب لما مات الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين ، وأجلس ابنه الملك العزيز فى مملكته ، وكان طفلا كما ذكرنا ، وطمع كيكاوس فى الاستيلاء على حلب فاستدعى الملك الأفضل بن صلاح الدين صاحب شميساط واتفق معه كيكاوس على أن يفتح حلب وبلادها ويسلمها إلى الملك الأفضل ثم يفتح البلاد الشرقية التى بيد الملك الأشرف ابن الملك العادل ويتسلمها كيكاوس وتحالفا على ذلك ، وسار كيكاوس إلى جهة حلب ومعه الملك الأفضل ووصلا إلى رعيان واستولى عليها كيكاوس وسلمها إلى الملك الأفضل فمالت إليه قلوب أهل البلاد لذلك ، ثم سار إلى تل باشر وبها فتح الدين بن دلدروم ففتحها ولم يسلمها للملك الأفضل بل أخذها كيكاوس لنفسه ، فنفر خاطر الملك الأفضل وخواطر أهل البلاد بسبب ذلك ووصل الملك الأشرف إلى حلب ليدفع كيكاوس عن البلاد ، ووصل إليه الأمير مانع بن جدمه أمير العرب فى جمع عظيم وكان قد سار كيكاوس إلى منبج وتسلمها لنفسه أيضا ، وسار الملك الأشرف بالجموع التى معه ونزل وادى بزاعا واتقع بعض العسكر مع مقدمة عسكر كيكاوس فانهزمت مقدمة عسكر كيكاوس وأخذت منهم عدة أسرى فأرسلوا إلى حلب ودقت البشائر بها ، ولما[٣٨٦] بلغ ذلك كيكاوس وهو بمنبج ولى منهزمًا مرعوبا ، وتبعه الملك الأشرف يتخطف أطراف عسكره ، ثم حاصر الملك الأشرف تل باشر واسترجعها ، وكذلك استرجع رعبان وغيرها .

---

(١) ورد هذا الحدث بتصرف فى الكامل ، جـ ١ ، ص ٤٠٨ حوادث سنة ٦١٧هـ ؛ البداية والنهاية جـ ١٣ ، ص٩٤-ص٩٩ .

(٢) ورد هذا الحدث فى الكامل ، جـ ١٠ ، ص ٣٩١ ـ ص ٣٩٣ ؛ المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٣ ، ص ١١٩ ؛ الذيل على الروضتين ، ص ١١٣ .

وتوجه الملك الأفضل إلى شميساط ولم يتحرك بعدها فى طلب مُلك إلى أن مات سنة اثنتين وعشرين وستمائة ـ كما سنذكره إن شاء الله تعالى .

وعاد الملك الأشرف إلى حلب وبلغه وفاة أبيه العادل .

وفى تاريخ[١] بيبرس : وفى هذه السنة سار عز الدين كيكاوس ملك الروم إلى ولاية حلب قصدا للتغلب عليها ، ومعه الأفضل بن صلاح الدين ، وسبب ذلك أنه كان بحلب رجلان شريران ساعيان فى أذية الناس ، فكرههما الناس ، فخرجا من حلب وتوجها إلى كيكاوس وحسنا له أخذ حلب وبلادها ، وأنه لن يقوم فى وجهه أحد ، فأشير عليه إن لم يكن معه أحد من بيت أيوب لم يصل إلى شىء من البلاد . وكان الأفضل بن صلاح الدين بن أيوب فى طاعته ، فأرسل إليه وطلب حضوره معه ليفتح به البلاد ، ويكون له جميع ما يفتحانه منها ، ولا يكون لكيكاوس سوى الخطبة . وحسّن هذا الأمر للأفضل ، وصاحب حلب ملازم القلعة لا ينزل منها ساعة ، وقد جمع العساكر والعرب وخاف من أهل البلد أن يخرجوا إلى الأفضل ويصيروا معه ، فأرسل العزيز صاحب حلب إلى الأشرف بن العادل يستدعيه ويستنجده .

وأما كيكاوس فإنه سار إلى أن أخذ قلعة رعبان ، ولم يعط الأفضل منها شيئا ، ففترت نيته عن قصد البلاد وأخذها ، وسير كيكاوس جاليشه إلى حلب فكسره جاليش العزيز ، فمضى على وجهه من هناك ، وأسرت العرب من خيالتهم ورجالتهم كثيرًا وغنموا أكثر قماشهم . وكان كيكاوس صغير السن قليل الخبرة بالحرب ، فوصل إليه بعض جيوشه المنهزمين فأغلق عليهم دارا فأحرقها ثم اتفق أنه هلك واستعاد الأشرف تل باشر وجميع القلاع التى أخذها . وقال أبو شامة[٢] : لما عاد كيكاوس إلى بلده من كسر الأشرف له بحلب اتهم أقوامًا من أمراء دولته أنهم قصروا فى قتال الحلبيين فسلق بعضهم فى القدور وجعل آخرين فى بيت وأحرقهم فأخذه الله بغتة فمات فجأة سكرانا . وقيل : ابتلى فى بدنه فتقطع . وكان أخوه علاء الدين كيقباذ محبوسا فى قلعة وقد أمر بقتله فبادر الأمراء فأخرجوه وأقاموه فى الملك . وكانت وفاة كيكاوس فى شوال من هذه السنة ، وهو الذى أطمع الفرنج فى دمياط .

---

(١) ورد هذا الخبر فى الكامل ، جـ ١٠ ، ص ٣٩١ ـ ص ٣٩٣ ؛ الذيل على الروضتين ، ص ١١٣ ؛ المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٣ ، ص ١١٩ .

(٢) الذيل على الروضتين ، ص ١١٣ .

وفى تاريخ المؤيد[١] وفى سنة ست عشرة وستمائة توفى الملك الغالب عز الدين كيكاوس بن كيخسرو بن قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان صاحب بلاد الروم، وكانت ولايته فى سنة سبع وستمائة، وكان قد تعلق به مرض السل واشتد مرضه ومات، فملك بعده أخوه كيقباذ.

وفى المرآة[٢]: وكان كيكاوس جبارا ظالما فاسقا سفاكا للدماء.

ومنها أنه ولى حسبة بغداد الصاحب محيى الدين يوسف ابن الشيخ أبى الفرج بن الجوزى وهو مع ذلك يذكر ميعاد الوعظ على قاعدة أبيه وشكرت مباشرته للحسبة.

وقال السبط فى المرآة: وفيها أعيد خالى أبو محمد يوسف[٣٨٧] إلى الحسبة وأفرج الخليفة عن ولده أبى نصر محمد وأذن له فى الركوب حيث شاء.

ومنها أنه وصل رسول خوارزم شاه إلى الملك العادل وهو بمرج الصفر، فبعث فى الجواب الخطيب الدولعى والنجم خليل قاضى العسكر فوصلا إلى همذان فوجدا خوارزم شاه قد اندفع من بين يدى الخطا وقد خامر عليه عسكره فسار إلى حدّ بخارى، فاجتمعا بولده جلال الدين فأخبرهما بوفاة العادل فرجعا إلى دمشق.

ومنها أن عماد الدين زنكى بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكى بن آقسنقر استولى على بعض القلاع المضافة إلى مملكة الموصل وقد تقدم فى سنة سبع وستمائة[٣] أن أرسلان شاه عند وفاته جعل مملكة الموصل لولده القاهر مسعود، وأعطى ولده الأصغر عماد الدين زنكى المذكور قلعتى العقر وشوش. فلما مات أخوه القاهر وأجلس ولده أرسلان شاه بن القاهر فى المملكة. وكان به قروح وأمراض تحرك عماد الدين زنكى وقصد العمادية واستولى عليها، ثم استولى على قلاع الهكارية والزوزان، فاستنجد بدر الدين لؤلؤ المستولى على ملك الموصل وتدبير أرسلان شاه بالملك الأشرف بن العادل ودخل فى طاعته، فأنجده الأشرف بعسكر وساروا إلى زنكى بن أرسلان شاه فهزموه، وكان زنكى متزوجا ببنت مظفر الدين كوكبورى صاحب إربل، وأم

---

(١) المختصر فى أخبار البشر، جـ ٣، ص ١٢٤ (وقد أورد هذا الحدث فى وفيات سنة ٦١٦ هـ.
(٢) سبط ابن الجوزى، جـ ٨، ص ٣٩٣.
(٣) المختصر، جـ ٣، ص ١٢١.

البنت ربيعة خاتون بنت أيوب أخت الملك العادل زوجة مظفر الدين . فكان مظفر الدين لا يترك ممكنا فى نجدة صهره زنكى المذكور . ويبالغ فى عداوة بدر الدين لؤلؤ لأجل صهره .

وفى تاريخ بيبرس[1] : ولما رأى بدر الدين لؤلؤ خروج القلاع من يده واتفاق مظفر الدين وعماد الدين عليه أرسل إلى الملك الأشرف ابن الملك العادل وهو صاحب ديار الجزيرة وخلاط ، يطلب منه المعاضدة وانتمى إليه وصار فى طاعته ، فأجاب الأشرف بالقبول والفرح به والاستبشار ، وبذل له المساعدة والمحاربة دونه واستعادة ما أخذ من القلاع التى كانت له . وكان الملك الأشرف حينئذ نازلا بظاهر حلب لما ذكرناه من تعرض كيكاوس ملك بلاد الروم إلى أعمالها ، وملكوا بعض قلاعها ، فأرسل الأشرف إلى مظفر الدين يقبح هذه الحالة ويقول له : إن هذه القاعدة تقررت بين جميعنا بحضور رُسلك وإنا نكون على الثالث إلى أن يرجع إلى الحق ، ولا بد من إعادة ما أُخذ من بلاد الموصل لنَدوُم على اليمين التى استقرت بيننا ، فإن امتنعت وأصررت على معاضدة زنكى ونصرته ، فأنا أجىء بنفسى وعساكرى وأقصد بلادك وغيرها وأسترد ما أخذتموه وأعيده إلى أصحابه . والمصلحة أنك توافق وتعود إلى الحق لنجعل شغلنا جمع العساكر وقصد الديار المصرية ، وإجلاء الفرنج عنها قبل أن يعظم خطبهم ويستطير شرهم . فلم تحصل الإجابة منه إلى شىء من ذلك . وكان ناصر الدين محمود صاحب حصن كيفا وآمد قد امتنع عن موافقة الأشرف وقصد بعض بلاده ونهبها ، وكذلك صاحب ماردين ، واتفقا مع مظفر الدين[٣٨٨] فلما رأى الأشرف ذلك جهز عسكرًا وسيره إلى نصيبين نجدة لبدر الدين إن احتاج إليهم .

ولما عاد[2] العسكر البدرى من حصار العمادية خرج منها عماد الدين زنكى وتوجه إلى قلعة العَقر التى له ليتسلط على أعمال الموصل التى بالصحراء ، فإن بلد الجبل كان قد فرغ منه وأمره مظفر الدين بطائفة كثيرة من العسكر ، فلما اتصل الخبر ببدر الدين سير طائفة من عسكره إلى أطراف بلاد الموصل يحمونها ، فأقاموا على أربعة فراسخ من الموصل ، ثم اتفقوا فيما بينهم على أن يسيروا إلى زنكى ويحاربوه وهو عند العقر فى

---

(١) ورد هذا الخبر فى الكامل ، جـ ١٠ ، ص ٣٨٤ ـ ص ٣٨٥ .

(٢) ورد هذا الخبر فى الكامل ، جـ ١٠ ، ص ٣٨٥ .

عسكره ، ففعلوا ذلك ولم يأخذوا أمر بدر الدين ، وساروا جريدة ليس معهم إلا سلاحهم ودواب يقاتلون عليها ، وسَرَوْا ليلتهم جمعاء فصبحوا عماد الدين زنكى فالتقوا تحت العقر ، وعظم الخطب فأنزل الله نصره على العسكر البدرى ، فانهزم زنكى وعسكره وسار إلى إربل منهزمًا ، وعاد العسكر البدرى إلى منزلته التى كان بها وحضرت رسل الخليفة فى الصلح فاصطلحوا .

ومنها أن عماد الدين زنكى ملك قلعة كواشى[١] ، وملك بدر الدين لؤلؤ تلعفر[٢] ، وملك الأشرف[٣] سنجار .

وهذه كواشى من أحصن قلاع الموصل وأعلاها وأمنعها ، وكان أهلها يظهرون لبدر الدين الطاعة ويبطنون الطاعة لزنكى ، فراسلوا زنكى فى المجىء إليهم وأخرجوا نواب بدر الدين عنهم وامتنعوا بها ، وكانت رهائنهم بالموصل ، فسار إليهم وتسلم القلعة ، فراسل مظفر الدين بإعادة كواشى ويُذَكِّره الإيمان والعهود القريبة ، فلم يجب . وأرسل حينئذ بدر الدين إلى الملك الأشرف وهو بحلب يستنجده ، فسار وعبر الفرات إلى حران ، فاختلفت عليه الأمور من عدة جهات منعته من المسير . وسبب هذا الاختلاف أن مظفر الدين كان يُراسل أصحاب الأطراف يستميلهم ويُحَسِّن لهم الخروج على الأشرف ويخوفهم منه إن خلا وجهه ، فأجابه إلى ذلك عز الدين كيكاوس صاحب بلاد الروم ، وكان مظفر الدين قد راسل جماعة من الأمراء الذين مع الأشرف واستمالهم فأجابوه منهم : أحمد بن المشطوب الذى ذكرنا أنه فعل على دمياط ما فعل وهو أكبر أمير كان معه ووافقه غيره وفارقوا الأشرف ونزلوا بدنسير تحت ماردين ليجتمعوا مع صاحب آمد ويمنعوا الأشرف من العبور إلى الموصل لمساعدة بدر الدين ، فلما اجتمعوا هناك عاد صاحب آمد إلى موافقة الأشرف وفارقهم وسلم إليه الأشرف مدينة حانى وجبل جور ، فلما فارقهم صاحب آمد انحل أمرهم واضطر بعض الأمراء الذين فارقوا الأشرف إلى العود إلى طاعة

---

(١) قلعة كواشى : قلعة حصينة فى الجبال التى فى شرقى الموصل ، وكانت تسمى قديمًا أَرْدَمُشت ، وكواشى اسم لها مُحْدَثٌ . معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٣١٥ .

(٢) تلعفر = تل أعفر = تل يعفر : قلعة بين سنجار وبين الموصل وهى إلى سنجار أقرب . انظر أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ٢٨٤ ـ ص ٢٨٥ ؛ وقد ذكر ابن الأثير أن الخاصة تطلق عليها تل يعفر ، أما العامة فتطلق عليها تل أعفر . انظر : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ٣٨٨ .

(٣) المقصود الملك الأشرف موسى بن الملك العادل .

الأشرف ، وبقى ابن المشطوب وحده فعاد إلى نصيبين ليسير إلى إربل ، فخرج إليه شحنة نصيبين فيمن عنده من الجند فقاتله وهزمه ، وتفرق من معه . ومضى ابن المشطوب منهزما ، فلما اجتاز بطرف بلد سنجار سير إليه صاحبها فرخشاه بن زنكى بن مودود عسكرا فهزموه وأخذ أسيرًا وحُمل إلى سنجار ، وكان صاحبها موافقًا للأشرف وبدر الدين ، فلما صار عنده ابن المشطوب حَسَّن له مخالفة الأشرف فأجابه إلى ذلك وأطلقه ، فاجتمع معه من يريد الفساد[٣٨٩] وقصدوا البقعاء[١] - من أعمال الموصل- ونهبوها وعدة قرى ، وعادوا إلى سنجار ثم ساروا إلى تل أعفر ليقصدوا بلد الموصل وينهبوا تلك الناحية[٢] .

فلما سمع بدر الدين بذلك سير إليه عسكرًا فقاتلهم فهزموه فمضى منهزمًا وصعد إلى تل أعفر واحتمى بها ، فنازلوه وحصروه فيها ، وسار بدر الدين من الموصل إليه ، وزحف عليه وأخذه وأحضره إلى الموصل فسجنه بها ، ثم أخذه منه الأشرف فسجنه بحران إلى أن مات .

وأما الأشرف فإنه لما أطاعه صاحب الحصن وآمد وتفرق الأمراء رحل من حران فنزل على دنيسر واستولى على بلد ماردين ومنعه الميرة ، فاصطلح معه على أن يُسلم إليه رأس[٣] العين ويقطعها لصاحب ماردين ، ورحل يريد الموصل ، فلقيه صاحب سنجار فطلب منه أن يأخذها ويعوّضه عنها الرقة ، وذلك لأن عسكره بها خذلوه فإنهم خافوا على أنفسهم منه ، فتسلم الأشرف بن العادل سنجار من صاحبها فرخشاه بن زنكى ، وعوضه الرقة ، وهذا آخر ملوك البيت الأتابكى بسنجار[٤] .

ومنها أن الملك الأشرف وصل إلى الموصل وكان يوم نزوله بها يوما مشهودا ، ووافقه وصول رسل الخليفة إليه بالصلح بينه وبين مظفر الدين لتزول الفتن وتعاد القلاع إلى بدر

---

(١) البقعاء : كورة كبيرة من أرض الموصل وهى بين الموصل ونصيبين قصبتها برقعيد . انظر معجم البلدان ، جـ ١ ، ص٧٠١ .

(٢)ورد هذا الخبر فى الكامل ، جـ ١٠ ، ص٣٨٧ - ص٣٨٨ ؛ مفرج الكروب ، جـ ٤ ، ص٢١ - ص٢٢ .

(٣) رأس العين = رأس عين : مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين ودنيسر ، وبها عيون كثيرة عجيبة صافية تجتمع كلها فى موضع فتصير نهر الخابور .
معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٧٣١ ؛ تقويم البلدان ، ص ٢٧٨ .

(٤) ورد هذا الخبر فى الكامل ، جـ ١٠ ، ص ٣٨٩ .

الدين ما عدا قلعة العمادية[١] ، فإنها تبقى بيد زنكى . وكان الجند قد ضجروا من طول البيكار فحلفوا على هذا وتقرر الحال ، ورحل الأشرف عن الموصل ، وأرسلوا إلى القلاع التى تقرر تسليمها إلى بدر الدين ، فلم يسلم منهم إلا قلعة واحدة وامتنع باقى القلاع من التسليم لبدر الدين .

وفيها[٢] ....

وفيها حج بالناس من العراق أقباش الناصرى بالباء الموحدة من تحتها .

ذكر من توفى فيها من الأعيان .

القاضى شرف الدين أبو طالب عبدالله بن زين القضاه عبدالرحمن بن سلطان بن يحيى بن على ، القرشى الدمشقى من بنى عم ابن الزكى وكان أول من درس بالشامية[٣] البرانية وبالرواحية[٤] أيضا ، وناب فى الحكم عن ابن عمه محيى الدين ابن الزنكى ، مات فى شعبان من هذه السنة ودفن عند مسجد القدم . قال أبو شامة[٥] : كانت وفاته يوم الأحد ثالث عشر شعبان ، وصلى عليه بجامع دمشق ، وكان فقيهًا فاضلا نزها لطيفا عفيفا .

أبو سليمان[٦] داود بن أبى الغنائم أحمد بن يحيى العزيز البغدادى ، كان ينسب إلى علم الأوائل ، ولكنه كان يتستر بمذهب الظاهرية ، ولهذا قال فيه ابن الساعى الداودى مذهبا المعرى أدبًا واعتقادًا . ومن شعره قوله :

إلى الرحمن أشكو ما ألاقى   غداة غدوا على هوج النياق
سألتكم بمن ذم المطايا   أَمَرَّ بكم أمرُّ من الفراق
وهل داءٌ أَشَدُّ من التنائى   وهل عيشٌ أَلَذُّ من التلاقى

---

(١) قلعة العمادية : هى قلعة شمالى الموصل بناها عماد الدين زنكى سنة ٥٣٧ هـ مكان قلعة خربة من قلاع الأكراد تسمى قلعة الشعبانى . انظر ابن الأثير ، التاريخ الباهر ، ص ٦٤ ؛ تقويم البلدان ص ٢٧٥ .

(٢) بياض فى الأصل بمقدار نصف سطر .

(٣) المدرسة الشامية البرانية : أنشأتها ست الشام بنت نجم الدين أيوب بن شاذى بن مروات ، أخت الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب . انظر الدارس ، جـ ١ ، ص ٢٧٧ ، ٣٠٠ .

(٤) المدرسة الرواحية : شرقى مسجد ابن عروة بالجامع الأموى ولصيقة شمالى جيرون وغربى الدولعية ، وقبلى الشريفية الحنبلية ، وبانيها زكى الدين أبو القاسم التاجر المعروف بابن رواقه . الدارس ، جـ ١ ، ص ٢٦٥ ـ ٢٦٨ .

(٥) الذيل على الروضتين ، ص١١٠ ، مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٩٠ .

(٦) الذيل على الروضتين ، ص١١٠ ، مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٩٠ .

قال فى المرآة[١] : أبو سلمان الملهمى من بنى ملهم الضرير ، كان يسكن رباط المأمونية ، وكان على رأى الأوائل ، وكان فاضلا إلا أنه كان يسقف من جنس ابن الراوندى . قال لى يوما : قد بلغنى أنك جميل الصورة فصيح اللسان ، فلا تضيع عمرك فيما ضيع جدك فيه عمره ، واشتغل بعلوم الأوائل . فقلت له : حتى أتمم قراءة القرآن بالروايات . فقال : هم كذا ، وذكر ألفاظا عاب بها[٣٩٠] القرآن ، قرأ المعوذتين ثم قال : حجنجلة بحجنجلة . وكانت وفاته فى المحرم ، ودفن بالشونيزية وقد جاوز سبعين سنة .

أبو المظفر[٢] محمد بن علوان بن مهاجر بن على بن مهاجر الموصلى ، تفقه بالنظامية وسمع الحديث ، ثم عاد إلى الموصل فساد أهل وقته ، وتقدم فى الفتوى والتدريس بمدرسة بدر الدين لؤلؤ وغيرها ، وكان صالحا دينًا .

أبو الطيب رزق الله[٣] بن يحيى بن رزق الله بن يحيى بن خليفة بن سلطان[٤] بن رزق الله بن غانم بن غنام الباخرزى ، المحدث الجوال الرحال الثقة الحافظ الأديب الشاعر ، توفى فى هذه السنة .

الحُجة على بن نصر[٥] بن هرون النحوى الحلى ، الملقب بالحجة ، قرأ على ابن الخشاب وغيره . مات فى هذه السنة .

العميدى[٦] أبو حامد محمد بن محمد بن محمد وقيل : أحمد بن محمد العميدى الفقيه الحنفى المذهب السمرقندى الملقب ركن الدين . كان إماما فى فن الخلاف خصوصا الجَسْتُ[٧] ، وهو أول من أفرده بالتصنيف ، ومن تقدمه كان يمزجه بخلاف المتقدمين ، وكان اشتغاله فيه على رضى الدين النيسابورى وهو أحد الأركان الأربعة ، فإنه كان من جملة المشتغلين على رضى الدين أربعة أشخاص تميزوا وتبحروا

---

(١) مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٩٠ ، الذيل على الروضتين ، ص ١١٠ .
(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٨٩ .
(٣) البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٨٩ .
(٤) «سليمان» كذا فى البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٨٩ .
(٥) الكامل ، جـ ١٠ ، ص ٣٩٥ .
(٦) انظر ترجمته فى وفيات الأعيان ، جـ ٤ ، ص ٢٥٧ - ص ٢٥٩ .
(٧) الجَسْتُ : لفظة فارسية معناها البحث . وقد أصبحت تطلق على نوع من فروع الخلاف . انظر وفيات الأعيان ، جـ ٤ ، ص ٢٥٧ .

فى هذا الفن ، وكل واحد منهم ينعت بالركن ، وهم : ركن الدين الطاوسى ، وركن الدين السمرقندى العميدى المذكور ، وركن الدين إمام زاده ، والرابع شُذّ عنه . وصنف العميدى فى هذا الفن طريقة وهى مشهورة بأيدى الفقهاء ، وصنف الإرشاد واعتنى بشرحها جماعة من أرباب هذا الشأن منهم : القاضى شمس الدين أبو العباس أحمد بن الخليل بن سعادة بن جعفر بن عيسى ، الفقيه الشافعى الخُوىّ قاضى دمشق ، والقاضى أوحد الدين الدونى قاضى منبج ، ونجم الدين المرندى ، وبدر الدين محمود المراغى وغيرهم ، وصنف أيضا كتاب النفائس واختصره شمس الدين الخُوّى المذكور وسماه عرائس النفائس ، وصنف أشياء مستملحة على هذا الأسلوب . واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به من جملتهم نظام الدين أحمد ابن الشيخ جمال الدين أبى المجاهد محمود بن أحمد بن عبدالسيد ابن عثمان بن نصر بن عبدالملك البخارى الحنفى المعروف بالحصيرى ، صاحب الطريقة المشهورة ، وغيره . وكان كريم الأخلاق كثير التواضع طيب المعاشرة ، توفى ليلة الأربعاء تاسع جمادى الآخر سنة خمس عشرة وستمائة ببخارى .

والعميدى : بفتح العين المهملة وكسر الميم وسكون التاء آخر الحروف ، وفى آخره دال مهملة . قال ابن خلكان[1] : ولا أعرف هذه السنة إلى ماذا ولا ذكرها السمعانى .

أبو العباس أحمد بن برنقش بن عبدالله العمادى ، كان من أمراء سنجار وكان أبوه من موالى الملك عماد الدين زنكى صاحبها ، وكان أحمد هذا شاعرًا ذا مال جزيل وأملاك كثيرة ، وقد احتاط على أموال قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكى وأودعه سجنا فَنُسِىَ فيه ومات كمدًا . ومن شعره :

تقول وقد ودعتها ودموعها ... على نحرها من خشية البين تلتقى
مضى أكثر العمر الذى كان نافعا ... رويدك فاعمل صالحا فى الدين تقى

ابن الدامغانى[2] ، **القاضى عماد الدين قاضى القضاة ببغداد واسمه أبو القاسم عبدالله بن**[٣٩١] **أبى الحسين** ، ولد فى رجب سنة أربع وستين وخمسمائة وتفقه على مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه ، وعرف الفرائض والحساب وقسمة التركات مع

(١) انظر وفيات الأعيان ، جـ ٤ ، ص ٢٥٨ .

(٢) البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٨٩ .

السمت والوقار والدين والفقه ، وأول ولايته القضاء فى سنة ست وثمانين وخمسمائة ، وعزل فى رجب سنة أربع وتسعين وخمسمائة ، فأقام ثمانى سنين قاضيًا ثم أعاده ابن مهدى فى سنة ثلاث وستمائة ، ثم عزل فى سنة إحدى عشرة وستمائة ، فكانت ولايته الأخيرة تسع سنين وشهور ، وتوفى فى ذى القعدة وصلى عليه بالنظامية ودفن بالشونيزية . سمع الحديث من أبيه أبى المظفر الحسين بن أبى الحسين أحمد قاضى القضاة ، ومن عمه أبى الحسن على قاضى القضاة ، ومن أبى الفتح بن الميدانى وغيرهم .

ابن العتبرى[1] ، **أبو الحسن على بن أحمد بن روح** ، القاضى المعروف بابن العتبرى ، كان نائبًا عن القضاة ببغداد ، وصحب أبا النجيب السهروردى وتفقه عليه ، وقرأ العربية على ابن القصار ، وكان شيخا كيسًا فاضلا متواضعًا ، وكانت وفاته فى رمضان . ومن شعره :

وقد كنت أشكوك الحوادث بُرهة ... واستمرض الأيام وهى صحائح
إلى أن تغشتنى وقيت حوادث ... تحقق أنّ السالفات مَنائح

نجاح بن عبد الله[2] ، **شرابى الخليفة** ، ويلقب **نجم الدولة** مملوك الإمام الناصر ، مات فى هذه السنة وكان جوادًا سمحا عاقلا دينًا ، كثير الصدقات حسن المحضر ، محسنًا إلى العلماء محبًا للمساكين ، معظما لأهل الدين ، وكان يأخذ للضعيف من القوى . وكان يسمى سلمان دار الخلافة ، وكان ملازمًا للخليفة لا يغيب عنه ساعة واحدة ، وكان أسمر اللون جميل الصورة فحلاً . ولما توفى فى هذه السنة أمر الخليفة أن لا يتخلف عن جنازته أحد لا وزير ولا غيره ، وصلى الخليفة عليه تحت التاج وحزن عليه حزنًا كبيرًا ، وأخرج تابوته من باب البدرية ، ومشى العالم بين يديه إلى جامع القصر ، وكان بين يدى جنازته مائة بقرة ، وألف شاة ، ومائة قوصرة تمر ، ومائة جمل على رؤوسهم الخبز ، وعشرون حمالا على رؤوسهم ماء الورد ، ومماليكه قد حزّوا شعورهم ولبسوا المسوح ، والضجيج والبكاء قد ملأ بغداد ، ولم ير فى الإسلام مثل ذلك اليوم ،

---

(١) الذيل على الروضتين ، ص ١١٠ .

(٢) مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٩٤ ـ ٣٩٥ ، الكامل ، جـ ١٠ ، ص ٣٩٤ .

وعَبروا به إلى الجانب الغربى إلى تربة أم الخليفة ، ودفن بين يدى القبة التى فيها أم الخليفة ، وتصدق عنه الخليفة من مال نجاح بعشرة آلاف دينار على المشاهد ؛ مشهد على رضى الله عنه ، والحسين ، وموسى بن جعفر رضى الله عنهم ، وبعث بمثلها إلى مكة والمدينة ، وأعتق الخليفة مماليكه .

وكانت له كتب خمس مائة مجلدة أوقفها فى تربة أم الخليفة ، وكتب عليها اسم الشرابى .

قال السبط[1] فى المرآة : ومن العجائب أنه توفى فى هذه السنة ثلاثة من الملوك الأكابر : الملك العادل ، وخوارزم شاه ، وصاحب الروم .

وتوفى أيضا ببغداد ثلاثة من نواب القضاة نزل بهم القضاء المحتوم : ابن الرطبى المحتسب ، وابن البندنجى العدل ، وابن العنبرى ، الكل فى شهر واحد . فابن الرطبى مات يوم الإثنين ثالث عشر رمضان ، وابن البندنجى فى رابع عشر[2] ، وابن العنبرى فى خامس عشر[3] . فقلت : ذكر أبو الفتح المنشىء وفاة خوارزم شاه فى سنة سبع عشرة وستمائة ، وتبعه فى هذا بيبرس ، وقال وهو الصحيح .

---

(١) مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٩٥ .

(٢) «عشرة» فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه .

(٣) «عشرة» فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه .

كشافات الكتـــاب

١- كشاف الأعلام .

٢- كشاف الأمم والشعوب والقبائل والفرق والجماعات .

٣- كشاف الأماكن والبلدان .

٤- كشاف الألفاظ الاصطلاحية .

٥- كشاف بأسماء الكتب الواردة فى النص .

٦- مصادر ومراجع التحقيق .

٧- فهرست الموضوعات .

كشاف الأعلام*

- أ -

★ قام بإعداد هذا الكشاف الدكتورة/ لبيبة إبراهيم مصطفى محمد .

- ب -

ـ ت ـ

- ج -

- خ -

ـ د ـ

ـ ر ـ

- ش -

▪ ص ▪

■ ض ■

ع

ـ ك ـ

- ن -

ـ هـ ـ

- و -

- ى -

كشاف الأمم والشعوب والقبائل والفرق والجماعات*

أ

★ قام بإعداد هذا الكشاف الأستاذة الباحثة/ نفيسة محمد محمد صميدة .

- ب -

ـ ت ـ

ـ ث ـ

ـ ج ـ

- ح -

- خ -

- د -

- ذ -

- ر -

- ز -

- س -

- ش -

- ص -

- ض -

- ط -

- ظ -

- ع -

- غ -

- ف -

- ق -

- ك -

- ل -

- م -

- ن -

- هـ -

- و -

- ى -

كشاف الأماكن والمدن والشوارع والأسواق والحارات والخطط والرباع والمساجد والجوامع والخوانق والخانات والأنهار والترع والجسور*

ـ أ ـ

* قام بإعداد هذا الكشاف / إيزيس سامح ذكى .

- ب -

ـ ت ـ

ـ ث ـ

- ج -

- ح -

- خ -

- د -

- س -

- ش -

- ص -

- ض -

- ط -

- ظ -

- ع -

- غ -

- ف -

- ق -

- ن -

- هـ -

- و -

- ى -

كشاف الألفاظ الاصطلاحية وأسماء الدواوين والوظائف والرتب والألقاب وأنواع الضرائب وأدوات الحرب والملبوسات والمحاصيل والمقاييس والأعياد والملاهى ★

أ

★ قام بإعداد هذا الكشاف الأستاذة الباحثة/ نفيسة محمد محمد صميدة .

- ت -

ـ ث ـ

ـ ج ـ

– ح –

- خ -

- د -

ـ ذ ـ

- ر -

- ش -

- ص -

ـ ض ـ

ـ ط ـ

ـ ظ ـ

- ع -

- غ -

ـ ف ـ

- ق -

- ك -

- ل -

ـ م ـ

- ن -

- هـ -

- و -

- ى -

كشاف بأسماء الكتب الواردة فى النص★

الصفحة

★ قام بإعداد هذا الكشاف السيدة/ **إيزيس سامح زكى** .

مصادر التحقيق

ابن أبى يعلى الفراء : (محمد بن محمد ، أبو الحسين) ت : ٤٥٨هـ/ ١٠٥٦م .

- طبقات الحنابلة

ط . دار المعرفة ، بيروت ، د . ت .

ابن الأثير : (أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد) ت : ٦٣٠هـ/ ١٣٢٢م

- التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية .

تحقيق عبد القادر محمد طليمات ، القاهرة ١٩٦٣ .

- الكامل فى التاريخ . بيروت ١٩٨٧ .

ابن أيبك الدوادار : (أبو بكر عبد الله بن أيبك) ت ٧٣٥هـ / ١٣٣٣م .

- كنز الدرر وجامع الغرر ، المعروف بالدرة المضيّة فى أخبار الدولة الفاطمية .

تحقيق صلاح المنجد ، القاهرة ١٩٦١م .

ابن بطوطة : (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتى) ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م .

- تحفة النظار فى غرائب الأمصار .

تحقيق طلال حرب . ط . بيروت ١٩٨٧م .

ابن تغرى بردى : (أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى) ت٨٧٤ هـ/ ١٤٦٩م .

- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . القاهرة ١٩٦٣م .

ابن الجوزى : (أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد) ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م .

- المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك .

ط ١ . حيدر أباد ١٣٥٨ هـ .

ابن خرداذبة : (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله) ت : فى حدود ٣٠٠ هـ/ ٩١٢م .

- المسالك والممالك ، بغداد ١٨٨٩م .

ابن خلكان : (شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم) ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م .

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . تحقيق إحسان عباس .

ط . دار صادر ، بيروت ١٩٧٨م .

ابن دقماق : (غرس الدين إبراهيم بن محمد) ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م .

- الجوهر الثمين فى سيرة الملوك والسلاطين ، بيروت ١٩٨٥ .

ابن الساعى : (على بن أنجب الخازن) ت ٦٧٤ هـ/ ١٢٧٦م .
- الجامع المختصر فى عنوان التواريخ وعيون السير .
ط . المطبعة السريانية الكاثوليكية ،بغداد ١٩٣٤م .

ابن شاكر الكتبى : (محمد بن شاكر بن أحمد الحلبى) ت ٧٦٤ هـ/ ١٣٦٣م .
- فوات الوفيات . تحقيق إحسان عباس . ط . دار صادر ، بيروت ١٩٧٣م .

ابن شاهنشاه الأيوبى (الملك المنصور ناصر الدين محمد بن تقى الدين عمر) ت٦١٧هـ/ ١٢٢٠م .
- مضمار الحقائق وسر الخلائق . تحقيق حسن حبشى ، القاهرة ١٩٦٨م .

ابن شداد : بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم) ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م .
- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، المعروف بسيرة صلاح الدين ، تحقيق جمال الدين الشيال . ط . أولى ، القاهرة ١٩٦٤م .

ابن عبد الحق : (صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق) ت ٧٣٩ هـ/ ١٣٣٨م .
- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع .
تحقيق محمد على البجاوى ، دار المعرفة - بيروت ١٣٧٧ هـ/ ١٩٥٤م .

ابن العديم : (كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد) ت ٦٦٠ هـ/ ١٢٦٢م .
- زبدة الحلب من تاريخ حلب . تحقيق سامى الدهان ، دمشق ١٩٥٤ .

ابن عربى :
- الفتوحات المكية ، السفر الأول ، القاهرة ١٩٨٥ .

ابن عساكر : (أبو القاسم على بن محمد) ت ٥٧١ هـ/ ١١٧٥م .
- تاريخ مدينة دمشق . بيروت ١٩٧٩ .

ابن العماد الحنبلى : (أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى) ت ١٠٨٩ هـ .
- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب .
ط . بيروت ، د . ت .

ابن الفرات : (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن على المصرى) ت ٨٠٧ هـ/ ١٤٠٤م
- تاريخ الدول والملوك ، المعروف بتاريخ ابن الفرات . بيروت ١٩٣٦م .

ابن قتيبة : (أبو محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة) ت٢٧٦هـ/ ٨٨٩م .
- المعارف .
تحقيق ثروت عكاشة ، القاهرة ١٩٦٠م .

ابن القلانسي : (أبو يعلى حمزة بن أسد الدمشقي) ت٥٥٥ هـ/ ١١٦٠م .

- ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ١٩٠٨ .

ابن كثير : (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر) ت ٧٧٤ هـ/ ١٣٧٢م .

- البداية والنهاية . تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرين . بيروت ١٩٨٧ .

ابن مماتي : (شرف الدين أبو المكارم بن أبي سعيد مهذب بن مينا بن زكريا) ت ٦٠٦ هـ/ ١٢٠٩م .

- قوانين الدواوين . تحقيق عزيز سوريال عطية . القاهرة ١٩٤٣م .

ابن منظور : (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري) ت٧١١ هـ/ ١٣١٢م .

- لسان العرب . تحقيق عبد الله على الكبير وآخرين .
ط . دار المعارف . القاهرة . د . ت .

ابن واصل : (جمال الدين محمد بن سالم) ت ٦٩٧ هـ/ ١٢٩٨م .

- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب . تحقيق جمال الدين الشيال .
القاهرة ١٩٥٧م .

أبو شامة : (عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان) ت٦٦٥ هـ/ ١٢٦٧م .

- تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، المعروف بالذيل على الروضتين .
تحقيق عزت العطار الحسيني .
ط . أولى . القاهرة ١٩٤٧ .
- الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية .
تحقيق محمد حلمي محمد أحمد .
القاهرة ، ١٩٦٢م .

أبو الفدا : (إسماعيل بن الأفضل على بن محمود بن عمر بن شاهنشاه) ت٧٣٢ هـ/ ١٣٣١م .

- المختصر في أخبار البشر .
ط . بيروت . د . ت .

الإصطخري : (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي ، المعروف بالكرخي) ت ٣٤٠ هـ/ ٩٥١م .

- المسالك والممالك .

تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني - مراجعة شفيق غربال . القاهرة ١٣٨١ هـ/ ١٩٦١م .

البغدادى : (أبو منصور عبد القاهر بن طاهر) ت٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧م .
- الفرق بين الفرق .
تحقيق محى الدين عبد الحميد . بيروت . د . ت .

البندارى : (الفتح بن على البندارى) من مؤرخى القرن ١٣م .
- سنا البرق الشامى .
تحقيق فتحية النبراوى ط . الخانجى بمصر ، ١٩٧٩م .

الجاحظ : (أبو عثمان عمرو بن بحر) ت ٢٥٥ هـ/ ٨٦٨م .
- البخلاء .
تحقيق طه الحاجرى . ط . دار المعارف بالقاهرة ١٩٨١م .

حاجى خليفة : (مصطفى كاتب چلبى) ت ١٠٦٧ هـ/ ١٦٥٧م .
- كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون .
ط . مكتبة المثنى ، بغداد د . ت .

الخطيب البغدادى : (الحافظ أبو بكر أحمد بن على) ت ٤٦٢ هـ/ ١٠٧١م .
- تاريخ بغداد .
صححه السيد محمد سعيد الفرقى . بيروت د . ت .

الخوارزمى : (أبو عبد الله محمد بن أحمد) .
- كتاب مفاتيح العلوم . القاهرة ١٣٤٤ هـ .

الذهبى : (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان) ت ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٧م .
- العبر فى خبر من غبر .
تحقيق أبو عامر محمد . ط . بيروت ١٩٨٥م .

سبط ابن الجوزى : (أبو المظفر يوسف بن قزأوغلى) ت ٦٥٤ هـ/ ١٢٥٧م .
- مرأة الزمان . ج٨ . ط . شيكاغو ١٩٠٧م .

السبكى : (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى) ت٧٧١ هـ/ ١٣٦٩م .
- طبقات الشافعية .
تحقيق عبد الفتاح الحلو ، محمود الطناحى .
القاهرة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م .

السلمى (أبو عبد الرحمن السُّلمى) ت ٤١٢ هـ/ ١٠٢١م .
- طبقات الصوفية .
تحقيق نور الدين شريبة . ط . أولى ، القاهرة ١٩٥٣م

السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن) ت ٩١١ هـ/ ١٥٠٥م .
- تاريخ الخلفاء . ط . مصر ١٩٥٩ .

الشهرستانى : (أبو الفتح محمد بن عبدالكريم بن أحمد الشافعى) ٥٤٨ هـ/ ١١٥٣م .
- الملل والنحل .
تحقيق محمد سيد كيلانى . القاهرة ١٩٦١م .

شيخ الربوة : (شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى طالب الأنصارى الصوفى الدمشقى) ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م .
- نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر .
ط . ليبزج ١٩٢٣م .

عبد القادر الرستمى .
- مختصر كتاب الفرق بين الفرق .
نشر فيليب حتى . مصر ١٩٣٤م .

العماد الكاتب : (أبو عبد الله محمد بن أبى الرجاء) ت ٥٩٧ هـ/ ١٢٠١م .
- خريدة القصر وجريدة العصر . قسم الشام تحقيق شكرى فيصل . دمشق ١٩٥٩م .
قسم مصر تحقيق شوقى ضيف وآخرون . القاهرة ١٩٥١م .
- الفتح القسى فى الفتح القدسى .
تحقيق محمد محمود صبح . ط . الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة . د . ت .

القلقشندى : (أبو العباس أحمد بن على) ت٨٢١ هـ/ ١٤١٨م .
- صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، القاهرة ١٩٦٣م .
- نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ، تحقيق إبراهيم الإبيارى ، القاهرة ١٩٥٩م .

المتنبى : (أبو الطيب أحمد بن الحسين الكوفى) ت٣٥٤ هـ/ ١٩٦٥م .
- ديوان المتنبى . تحقيق مصطفى السقا . ط الثانية ١٩٥٦م .

المقَّرِىّ : (أحمد بن محمد التلمسانى) ت١٠٤١هـ/ ١٦٣١م .
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب .
تحقيق إحسان عباس . بيروت ١٩٦٨م .

المقريزى : (تقى الدين أحمد بن على) ت٨٤٥ هـ/ ١٤٤١م .

ـ اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا .

تحقيق جمال الدين الشيال . ط . دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٤٨م .

ط . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة ١٩٩٧م .

ـ السلوك لمعرفة دول الملوك .

جـ١ ، جـ٢ تحقيق محمد مصطفى زيادة ط . لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٤ ـ ١٩٥٧م .

جـ٣ ، جـ٤ تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ط . دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٧٠ ـ ١٩٧٢م .

ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار . ط . مكتبة الآداب ، القاهرة .

النعيمى : (عبد القادر بن محمد) ت ٩٢٧ هـ/ ١٥٢١م .

ـ الدارس فى تاريخ المدارس .

تحقيق جعفر الحسينى ، القاهرة ١٩٨٥م .

النويرى : (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) ٧٣٣ هـ هـ/ ١٣٣٢م .

ـ نهاية الأرب فى فنون الأدب . ط . دار الكتب المصرية . ٣٣ جزء .

الهمدانى : (أبو محمد الحسن بن يعقوب بن يوسف بن داود) ٣٢٤ هـ/ ٩٦٤م .

ـ صفة جزيرة العرب . ط . مصر ١٩٥٣م .

ياقوت : (أبو عبدالله الحموى الرومى البغدادى) ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٩م .

ـ معجم البلدان .

ط . طهران ١٩٦٥م ؛ ط . دار صادر ، بيروت ١٩٨٦م .

المراجع العربية والمعربة

إبراهيم مدكور :

فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه .

ط . مكتبة دار إحياء الكتب العربية ١٩٤٧م .

إسماعيل باشا البغدادى :

هدية العارفين بأسماء االمؤلفين وآثار المصنفين .

ط . القاهرة ١٩٨٤م .

التهانوى :

كشاف اصطلاحات الفنون .

حسين مؤنس :

نور الدين محمود .

درويش النخيلى :

السفن الإسلامية على حروف المعجم .

ط . الإسكندرية ١٩٧٩م .

رنسيمان ، ستيفن :

تاريخ الحروب الصليبية . ترجمة السيد الباز العرينى .

دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٨م .

زامباور :

معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى .

أخرجه : زكى محمد حسن ، حسن أحمد محمود ، وآخرون .

ط . القاهرة ١٩٥١م .

الزركلى ، خير الدين :

الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) .

ط . بيروت ١٩٦٩م .

سعيد عبد الفتاح عاشور :

العصر المماليكى فى مصر والشام .

مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٠م .

عبد اللطيف حمزة :

الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى .

دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٦٨م .

ماير :

الملابس المملوكية .

ترجمة صالح الشيتى . القاهرة ١٩٧٢م .

محمد جمال الدين سرور :

سياسة الفاطميين الخارجية .

دار الفكر العربى . القاهرة ١٩٧٦م .

محمد رمزى :

القاموس الجغرافى للبلاد المصرية .

الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة ١٩٩٤م .

محمد كرد على :

خطط الشام .

دمشق ١٩٤٦م .

محمود التنوخى :

المعجم الذهبى . بيروت ١٩٨٠م .

مصطفى محمد مسعد :

الإسلام والنوبة فى العصور الوسطى . القاهرة ١٩٦٠م .

نبيل عبد العزيز :

خزائن السلاح ومحتوياتها .

مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية . المجلد ٢٣ لسنة ١٩٧٦م .

Dozy (R.): Supplément aux Dictionnaires Arabes. Paris, 1927.

فهرست محتويات الجزء الثالث من عقد الجمان
(العصر الأيوبى) ٥٩٠هـ ـ ٦١٥ هـ

سقط سنتين